

١٧١

الجزء الثامن

من

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكوّنات وغرائب

الآيات الباهرات

تأليف

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا. متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصطَفَى السَّابِى الحِكْمَى وَأَوْلَادِهِ بِبَسْرَ

(حقوق الطبع محفوظة)

رجب سنة ١٣٤٦ هـ -

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر مكية وهي تسعة وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ * رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ
ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مُعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَجُنُّونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ
الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ *
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *
كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْجُرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ * وَلَوْ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ
قَوْمٌ مُسْحُورُونَ * وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا
فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ

بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ
 لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَخْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ
 وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ
 هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ *
 وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
 صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *
 فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ
 مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ
 حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ
 رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ *
 قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ
 جُزْءٌ مَقْسُومٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي
 صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ *
 * نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * وَنَبِّئُهُمْ عَنْ
 ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا
 نَبِّشُرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشِّرْهُنَّ عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ يُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشِّرْنَاكَ
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * قَالَ فَمَا
 خَطَبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ
 أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ * فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ
 قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَاتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

* فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقُطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَنْ تَوَسَّيْنَ * وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مُقِيمٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ * فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِلَامٍ مُبِينٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يُخْفُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ *

(تفسير الكلمات)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الر) تقدم الكلام على حروف أوائل السور اجالا في أول سورة آل عمران وفي أول سورة هود ولكن تفصيل الكلام على - الر - في أول سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر هنا وعلى - المر - في أول سورة الرعد يعوزه تفصيل أتم هنا فأقول

إن سورة يونس علم مافي السموات والأرض ولانذار من لا يؤمنون من الأمم وهذا كله تضمنه قوله تعالى فيها - قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تعنى الآيات والذرعن قوم لا يؤمنون - فهذه الآية ملخص السورة فالآيات مذكورة في عوالم السموات والأرض الموضحة في أول السورة والذرعن قصص الأمم كقوم

نوح وقوم فرعون وهكذا وهذا كله يشار إليه بلفظ النذر أولها (ال) وآخرها (راء) وإنما جاءت هذه الإشارة وأظهرها الله في هذا التفسير لأن المسلمين لا يقرؤون إلا الأحكام الشرعية ولا يبالون بعوالم السموات والأرض ولا بتاريخ الأمم المحيطة بهم فذكر (ال ر) في أول السورة ليعين لهم بعد اضمحلالهم أن الآيات المذكورة والنذر كلها أهم أسرار القرآن وأما الاكتفاء بالمذاهب الشائعة في الإسلام في الأحكام الشرعية فإنما هو الغرور وهو الجهالة وهذا انذار من الله للمسلمين بل هو آخر انذار . وأما (ال ر) في أول سورة هود فإن هذه السورة جاءت فيها (أمران) الأمر الأول تدبير الأمور في هذا العالم الذي جاء عاماً لكل شيء في قوله تعالى - وكان عرشه على الماء - ومن له العرش هو الذي يدبر الأمر ومن ذلك آية أخذه بناصية كل دابة وهذا السر قد سرى في غضون قصص الأنبياء في تلك السورة فارجع إليه هناك (الأمر الثاني) أن فيها قصص الأنبياء كنوح ومفصلة وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى وختم ذلك بأن - ذلك من أنباء القرى نقصه عليك - الخ

هذان هما الأمران اللذان تضمنتهما السورة ويجمعهما آيتان في آخرها وهما - ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله - الخ وقوله - وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك - فأنباء الرسل وذكر الأمم لتثبيت فؤاده ورجوع الأمر لله يستلزم العبادة والتوكل . إذن في السورة تثبيت القلوب بالتاريخ ومعرفة العوالم العلوية والسفلية لحب الله وعبادته والتوكل عليه وللاشارة بذكر (ال رسل) فيها (ال ر) متصلة والثاني الإشارة بلفظ (الأمر) ولم يذكر في أول هذه السورة (ال م ر) كما ذكره في سورة الرعد فما يأتي لأن هذه السورة ليست خاصة بالعوالم الإلهية فحسب بل فيها ذكر الأمم ورسالهم بجمع بين الأمرين بما تقدم ذكر (ال م ر) في سورة الرعد التي هي حروف الأمر لأن الدار هناك على نظام العوالم وتدبير أمورها كما ستره وهذا كله متروك عند الأمم الإسلامية الآن فلذلك ذكرنا بهذه الحروف اليوم وظهر في هذا التفسير . وأما (ال ر) في أول سورة يوسف فذلك لأن هذه السورة اختصت بقصة يوسف وقد جرى له ما جرى للأنبياء وهو العسر أولاً واليسر آخرها كما تقدم في قصص الأنبياء في سورة هود قبلها وهذا جاء في قوله - حتى إذا استأيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا الخ - وفي الرسل (ال ر) كما في السورة قبلها . إذن يوسف لا يوضح أحد الأمرين في هود فقط لا لهما معا إذ ليس فيها إلا قصص يوسف وفيه تبيان أن المصلحين في آخر الأمر فائزون فاذن كل مصلح في الإسلام أحسن في قلبه بحسب النفع العام ينبغي له أن يطرد اليأس فإنه في آخر أمره فائز لا محالة كما أن الرسل نصرنا بعد اليأس . فأمّا سورة الرعد فهي موضحة للقسم الثاني في سورة هود وهو تدبير الأمر في السموات والأرض الذي يلزم من العلم به التوكل على الله وعبادته . وهناك تفصيله في سورة الرعد التي جاء في أولها (ال م ر)

اعلم أن سورة الرعد موجهة أكثر العناية فيها إلى تدبير الأمر الذي ذكره بقوله - يدبر الأمر الخ - بعد ذكر العرش فالمقام مقام تدبير ونظام العالم مثل

- (١) مد الأرض
- (٢) و٣ و٤ و٥) وجعل الجبال فيها والأنهار والقممات من كل زوجين بتدبير محكم
- (٦) والليل والنهار
- (٧) والقطع المتجاورات (٨) والحدائق
- (٩) وأن مافي الأرحام بمقدار
- (١٠) والسر والجهر معلوم عنده
- (١١) وخلق الحفظة للإنسان (١٢) ونظام البرق (١٣) والسحاب (١٤) والرعد

(١٥) وسجود الظلال بنظام سير الشمس

(١٦) وانزال الماء في الأودية كل بقدره

(١٧) والمحو والاثبات بمقدار

هذه مجامع النظام العام والتدبير المحكم . كل هذا رمز له بهذه الحروف وهي (ال م ر) وهذه مجموعة في لفظ - الأمر - من - يدبر الأمر - والهمزة مكررة . فملخص السورة يرجع للفت المسلمين لمعرفة نظام ربهم في هذه المذكورات وأنا أجد الله إذ استبان في هذا التفسير جل لفهم هذه المذكورات كتبها وأنا أشهد الله على الأمم الإسلامية أني قد فتح هذا الباب على يدي وكل من قرأ هذا مسؤول عن هذه الأسرار التي ظهرت في هذا الزمان حتى يأخذ المسلمون حقهم في هذه الحياة ويتبوءن مكاتبتهم تحت الشمس

وأما (ال ر) في سورة ابراهيم فقد قدمت الكلام عليها في غصون تفسيرها إذ استبان أن هذه السورة انجبت العناية فيها الى التذكير بأيام الله والتذكير بأيام الله قد تقدم موضعا بقدر الامكان هناك في التفسير وهناك قوله تعالى - ألم تر الى الذين بتلوا نعمة الله كفر الخ - والألف واللام والراء قد جاءت على هذا الترتيب مع الفصل في سبع كلمات في غصون الكلام على النعم مثل البحر والقمر والأنهار والنهار فكأنه قيل ليفكر المسلمون في هذه النعم فان لم يعرفوها أصابتهم النار وحل بهم البوار وهذا اللفظان من تلك الألفاظ السبعة . ولقد جاء هناك ذكر البحار الميت الذي لم يعرف المسلمون النعم التي فيه إلا في زماننا فارجع اليه هناك أما (ال ر) في هذه السورة فهو موجه الى لفظ - الذكر - في قوله تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر - وقوله - يا أيها الذي نزل عليه الذكر - (ال) في أولها (الراء) في آخرها وهذه السورة فيها ذكر آدم والملائكة وإبليس وإبراهيم وإسماعيل ولوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الحجر وكل ذلك ذكر وإنذار في لفظ التنذير التي في أولها (ال) وآخرها (راء) إذن الذكر هنا لتوجيه العقول الى الاعتبار بالأمر والإنذار أن يصيبنا ما أصابهم . إذن هذه السور الثلاث كل منها ثمرة خاصة وعلى المسلمين أن ينهجوا منهاجها فلا رعد معرفة النظام العامة لإبراهيم والتذكير بأيام الله وأن يعرف كل قوم مجاه في تاريخهم وتاريخ من حولهم كما تقدم هناك من علم وتاريخ وهنا في هذه السورة حال أخرى فإذن يجب على أبناء العرب من سكان شمال أفريقيا والسودان ومصر وسوريا وفلسطين وبلاد العرب والعراق . وهكذا الفرس وأهل الهند وأبناء جزيرة جاوه وسومطره وأجزاء حولهما وأبناء بلاد الملايو والتركه أقول على هؤلاء جميعا أن يقوم فيهم رجال يؤلفون كتباً جيلة ذات رسوم جغرافية وأخرى سياسية يذكرون فيها مآثر بلادهم من أول ظهور تاريخها مع ذكر ارتباطها بالأمم الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية ويبينون مآحل بها من شقاء وما أوتيت من نعم ويحذرون أبناءهم مما وقع فيه آبائهم فيقرؤه الشبان ويكونون حذرين ناظرين لمستقبل بلادهم . وبغير هذا لا يكون لأهم الإسلام وجود . هذا كله يؤخذ من سورة ابراهيم وذكر (الر) في أولها ويؤلفون كتباً أخرى جميلة نفيسة بهجة شيقة تفرح الشبان وتوقظ الوسنان يذكرون فيها بهجة الطبيعة وجمالها وحسنها ويعشقون الناس فيها ويخضون بالذكر أعجب ما يرون وهذا اجابة لنداء الله تعالى في سورة الرعد إذ يقول (المر) المشيرة لتدبير الأمر ويؤلفون كتباً أخرى في التاريخ العام لبعض الأمم قديمها وحديثها بشرط أن تؤثر في العقول إجابة لقوله تعالى هنا في سورة الحجر (الر) إذ ذلك من جهة ذكر ومن جهة الإنذار . وهذه الكتب الثلاثة لظهور بعض السر في هذه الحروف التي خزنها الله في القرآن للأجيال الحاضرة والمستقبلة - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - . انتهى الكلام على (الر) فلنشرع في تفسير كلمات السورة فنقول (تلك) أي ما تضمنته هذه السورة من الآيات (آيات القرآن وكتاب مبين) أي تلك آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتاباً أوفى كونه قرآناً (ربما) بالتخفيف والتشديد وما كافة وقوله (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم (ذرهم) أمر

للاِهانة (الذكر) القرآن (المجنون) يعنون النبي ﷺ (لوما) هلا (إلا بالحق) إلا تنزيلا ملتبسا بالحق (وما كانوا إذن منظرين) أى ولونزل لنا الملائكة ما كانوا منظرين إذن ولم يؤخر عذابهم (شيع الأولين) أى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا في الفرق الأولين والشعبة الفرقة المتفقة على مذهب وطريقة (كذلك نسلكه) سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها (خلت سنة الأولين) مضت طريقهم التي سنها الله في اهلاكم حين كذبوا رسالهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (يعرجون) يصعدون (سكرت أبصارنا) سدت أبصارنا أو غشيت أو سكرت من سكر الشراب ففسد نظرها مثل ما يقع للرجل السكران (مسحورون) أى مسحنا محمد وعمل فينا سحره (بروجا) هى النجوم العظام ومنها نجوم البروج المعروفة في علم الفلك التي هى (١٢) برج (وزيناها) أى بالأشكال والهيئات البهية (لناظرين) المعتبرين (رجيم) مرجوم فعيل بمعنى مفعول أو ملعون مطرود من رحمة الله (إلا من استرق السمع) أى لکن من استرق السمع أى اختلس خلسة (فأتبعه شهاب مبين) أى يلحقه نجم مضىء حار متوقد (مددناها) بسطانها (رواسى) جبلا ثوابت (وأثبتنا فيها) فى الأرض . ومعالم أن الجبال منها ففيها النبات أيضا كما تقدم فى سورة الرعد (موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه المصاحبة (معاش) تعيشون بها من المطاعم والملابس (ومن لستم له برازقين) عطف على معاش (خزائنه) الخزائن تثل أى وامن شئ يبتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه (ومانزلناه إلا بقدر معلوم) وقوله (لواقع) يعنى للشجر * يقال لقحت الناقة وألقحها الفحل اذا ألقى اليها الماء فحملته فهى بمعنى ملقحات ونظيره الطوائع بمعنى الملقحات (بخازنين) أى بحافظين فى الغدران والعيون والآبار (الوارثون) الباقون اذا مات الخلائق وقوله (المستقدمين منكم والمستأخرين) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر (الانسان) آدم (صلصال) طين يابس غير مطبوخ (من حثا) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حثا أى طين أسود متغير (مسنون) أى منقش أو مصبوب ليبيس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحثا فصور منه تمثال انسان أجوف فيبيس حتى اذا نقر عليه صلصل ثم غير طوراً بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه (والجان) المراد به الجنس كما هو الأظهر فى الانسان أنه الجنس . واذا أريد آدم فى الثانى يراد أبا الجن فى الأول (من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحرة الشديدة النافذ فى المسام (واذ قال ربك) أى واذا كروقت قوله (سويته) أتممت خلقته وهياتها لنفخ الروح فيها (ونفخت فيه من روحي) لانفخ هناك وإنما المعنى وجعلت فيه الروح وأحييته فهو للمثيل (إلا ابليس) الاستثناء منقطع (أبى) امتنع وهو استئناف أى لكن ابليس أبى (مالك أن لا تسكون مع الساجدين) أى أى غرض لك فى أن لا تسكون مع الساجدين (لم أكن لأسجد) اللام لام الجود مؤكدة للنفي أن لا يصح منى أن أسجد (فاخرج منها) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (رجيم) مطرود ملعون واللعنة هى الطرد من الرحمة والابعاد عنها (بما أغويتنى) أى أقسم بأغوائك إياى (لأزينن لهم) المعاصى (فى الأرض) فى الدنيا وهى دار الغرور (هذا صراط على مستقيم) هذا طريق حق على أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته (لموعدهم أجمعين) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب) أى طبقات ينزلونها (لكل باب منهم جزء مقسوم) أى لكل دركة قوم يسكنونها فيجزى الله أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل قسم منهم دركة من النار (إن المتقين) أى الذين اتقوا الكبائر (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها (بسلام) حال أى سالمين أو مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة (آمين) من الخروج منها والآفات فيها وهذه حال أخرى (من غل) حقد كامن فى القلب وطهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ووضع الله فى قلوبهم التوادة والتحاب (إخوانا) حال (متقابلين) تدور بهم أسرهم حيثما داروا فهم فى جميع أحوالهم متقابلون (لايمسهم فيها نصب)

حال من الضمير في متقابلين النصب، التعب (ونسبهم) أي ونبي عبادي وأخبر أمك ليتخذوا ما أحل من العذاب
 يقوم لوط عبرة يعتبرون بها بسخط الله تعالى وانتقامه من المجرمين (ضيف إبراهيم) أضيفه وهو جسر يل مع
 أحد عشر ملكا والضيف للواحد وللجمع (سلاما) نسلم سلاما أو سلمنا سلاما (وجاون) خائفون (إنا نبشرك) استثناف في معنى التعليل (بغلام) هو اسحق عليه السلام (عليه) إذا بلغ (على أن مسنى الكبر) تجب
 من أن يولده مع مس الكبر إياه (فبم تبشرون) فبأي أعجوبة تبشرون فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه
 عادة بشارة بغير شيء (بالحق) أي باليقين الذي لا لبس فيه (القائطين) الآيسين من ذلك (إلا الضالون)
 المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال عظمته وقدرته (فما خطبكم) فما شأنكم الذي أرسلتم
 لأجله سوى البشارة (إلى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (إلا آل لوط) أي أهل لوط المؤمنين والاستثناء منقطع
 (لنجوهم أجمعين) مما يعذب به القوم (إلا امرأته) استثناء من آل لوط (الغابرين) الباقين مع الكفرة
 لنهلك معهم (منكرون) تنكروكم نفسي وتنفروا عنكم مخافة أن تطرقوني بشر (بما كانوا فيه يمترون) بما
 كانوا يشكون فيه وهو العذاب الذي توعدتهم به (بالحق) باليقين وهو عذابهم (لصادقون) فيما أخبرناك
 به (فأسر بأهلك) فاذهب بهم في الليل (بقطع من الليل) في طائفة من الليل وقيل آخره (واتبع أدبارهم)
 وكن على أثرهم تدودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولا ياتفت منكم أحد) لينظر ما وراءه فيرى من أهول
 ما لا يطيقه (حيث تؤمرون) حيث أمركم الله (وقضينا إليه ذلك الأمر) أي أوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي
 حكمنا به على قومه وفرغنا منه وهو مبهم يفسره (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي آخر قوم لوط
 مستأصل في الصباح والمعنى أنهم يستأصلون من آخرهم في ذلك الوقت (المدينة) مدينة سدوم وهي مدينة قوم
 لوط (يستبشرون) أي يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار اظهار الفرح والسرور (قال) أي لوط
 لقومه (فلانفضحون) يعني فيهم * يقال فضحه إذا أظهر من أسره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) خافوا
 الله في أسرهم (ولا تحزون) ولا تخجلون (قالوا) أي قوم لوط (أولم ننهك عن العالمين) أي أولم ننهك أن
 تدخل الغرباء إلى بيتك فإنا نريد أن نركب منهم الفاحشة (بناتي) أي نساء قومه لأن الأنبياء آباء والأمة
 أبناؤه وبناته (فاعلين) ما أمرتكم به (لعمرك) وحياتك يا محمد * والعمر مدة عمارة بدن الإنسان بالحياة
 والروح وبقائه مدة حياته أي لعمرك قسمي (سكرتهم) حيرتهم وضلالهم وغفلتهم (يعمّهون) يترددون
 متحيرين (الصيحة مشرقين) صيحة جبريل حال كونهم داخلين في وقت اشروق وهو بزوغ الشمس
 (عاليها سافليها) على المدينة أوقراهم سافليها فسارت منقبة عليهم (سجيل) طين متحجر (للتوسمين)
 للتفكيرين المتفكرين الذين ينتبهون بنظرهم حتى يعرفوا حقائق الأشياء (وانها) أي المدينة والقري (للسبيل
 مقيم) طريق واضح معل ليس بخفي ولا زائل فانتار هذه القرى من عذابه وغضبه بطريق ثابت لم يدر ولم
 يخف والذين يعمرون عليها من الحجاز إلى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (إن في ذلك) أي ما ذكر من عذاب
 قوم لوط وما أنزل بهم (آية للمؤمنين) أي المصدقين (الأيكة) وهي الشجرة وتسمى الغيضة وأصحابها هم قوم
 شعيب (الظالمين) لشركين (فانتقمنا منهم) في الدنيا بالعذاب (وانهما) أي مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب
 الأيكة (لبإمام مبين) طريق واضح والإمام اسم لما يؤتم به فسمى به الطريق واللاوح ومطهر البناء (أصحاب
 الحجر) يعني عمود كذبوا صاغا فكأنهم كذبوا الرسل كأنهم لأن الدعوة واحدة والحجر واد بين المدينة والشام
 (آياتنا) آيات الكتاب المنزل على نبيهم ومعجزاته كالناقة وشرها ودرها وما نصبتنا لهم من الأدلة (آمنين)
 أي من الانهزام ونقب المنصوص وتخريب الأعداء (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار
 الأموال والعسدد (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) إلا خالقا متبسا بالحق فليس يناسب
 استمرار الفساد فذلك أهلكنا أمثال هؤلاء (وأن الساعة آتية) فينتقم الله لك فيها من كذبك يا محمد

(فاصفح الصفح الجليل) فاعرض عنهم اعراضا جليلا بحلم واغضاء (هو الخلاق) الذي خلقك وخلقهم وبيده أمركم جميعا (العليم) بحالك وحالم (سبعاً من المثاني) سبع آيات وهي الفاتحة التي تثنى وتكرر في كل صلاة أو يثنى على الله فيها وهي جمع مثناة أو مثنيصة (والقرآن العظيم) من عطف السك على الجزء أى أكرمناك بالفاتحة وبالقرآن كله (لا تملن عينيك) لا تلهج بصرك طموح راغب فيه متمنى له (أزواجاً) أصنافاً من الكفار كالمشركين واليهود والنصارى والمجوس فأنت أوتيت النعمة العظمى وهي الفاتحة والقرآن فشكل نعمة في جنبها صغيرة (ولا تحزن عليهم) أى ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام والمسامون وقوله (واخفض جناحك للمؤمنين) تواضع لهم وارفق بهم (أنا النذير المبين) أذكركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما أنزلنا على المتقين) أى مثل العذاب الذى أنزلنا على الاثنى عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فأهلكهم الله يوم بدر (الذين جهلوا القرآن عظيم) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضا الشاة اذا جعلها أعضاء أى قالوا في القرآن أقاويل مختلفة لمن يلاقونه من القادمين الى الموسم فبعضهم يقول هو شعر وبعضهم كهانة وبعضهم أساطير الأولين وبعضهم كذب يختلقه من تلقاء نفسه (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً أى فاجهر بما تؤمر به (وأعرض عن المشركين) فلا تلتفت الى ما يقولون (إنا كفيناك المستهزئين) بقمهم واهلأكمهم وأهمهم خمسة من أشرف قریش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب وهم كانوا يبالغون في إيذائه ﷺ والاستهزاء به فأتى الوليد بأهون سب إذ مرّ بنبال فتهلّق بثوبه سهم فتكبر أن يبعده عن ثوبه فأصاب عرقاً في عقبه فأتى ومات العاص بشوكة في أخمص قدمه وأصاب عدى بن قيس مرض في أنفه فامتخط قيحا فأتى وأصيب الأسود بن عبد يغوث بداء وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات وعمى الأسود ابن عبد المطلب (فسوف يعامون) عاقبة أمرهم في الدارين (بما يقولون) من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف النعم عنك (الساجدين) من المصلين * وكان ﷺ اذا أمه أمر بادرالى الصلاة (اليقين) الموت فانه موقن به لا يشك فيه أحد فهو مأمور بعبادة ربه في جميع اوقاته مدّة حياته حتى يأتيه الموت • انتهى تفسير الكلمات

التفسير

وهو ينقسم الى قسمين ﴿الاول﴾ في بدء الخلق ومقدماته من أولها الى قوله - وما هم منها بمخرجين - ﴿القسم الثانى﴾ في القصص ونتائج ما في السورة والارشاد والاذار وتسليته ﷺ من قوله - نبي عبادى - الى آخر السورة

﴿القسم الاول﴾

كأن الله يقول ما في هذه السورة من الآيات آيات الجامع لكونه كتاباً كاملاً وقرأنا بين الرشد من النسي - ربما يؤدّ الذين كفروا الخ - قد تمتنى الذين كفروا لو أنهم كانوا مسلمين حينما يعاينون نعم الله تترى على المسلمين في الدار الدنيا وقد نصرهم الله وخذل الكافرين وعند معاينة العذاب وقت الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون وفي الموقف حينما يرون هول العذاب وانصرف المسلمون الى الجنة وسبقواهم الى النار وفي جهنم والمسلمون المذنبون معهم قد عذبوا بذنوبهم ثم يخرجون منها ويبقى الكافرون في جهنم • في هذه الأحوال الأربعة ربما ودوا أن يكونوا مسلمين وهذا التعبير بالتقليل على مذهب العرب في قولهم ستندم على فعلك وليسوا يقصدون التقليل ولكن أرادوا لو كان الندم مشكوكاً فيه أو قليلاً لحقّ عليك أن لاتفعل هذا الفعل لأن العاقل يتحرز من التعرض للشر المظنون كما يتحرز من المتيقن

ومن القليل كما يتحرز من الكثير فهؤلاء يا محمد قوم غافلون ذرهم في غفلاتهم يا كلون كما تأكل الأنعام ويتمتعون بذات الدنيا وشهواتها وتلهيهم الآمال عن الآجال فيقول الرجل غدا أنال الثروة وأحظى بما أشتهى ويعاود كرى ويكثر ولدى وأبني القصور وأكثر السور وأفقر الأعداء ويزول الداء وأفاخر الأنداد ويكثر العدد والممدد والسكرع والسلاح وهو غارق في بحار الأماني ولحجج الخيال يطلب المحال ويرقب السراب وما مثلهم إلا كما قال طرفة

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتي * لكالطول المرنخي وثنيه باليد

متى ما يشا يوما يقده لحقه * ومن كان في حبل النية ينقد

الطول بكسر ففتح كعنب الحبل فهؤلاء في حبنا مأسورون وفي قبضتنا مقهورون فتي شذنا جلبناهم وفي الأموات ساكنناهم فسوف يعلمون ولوشذنا لجلنا العذاب فآبوا بالتباب ولكن لكل أجل كتاب فكل قرية لها كتاب معلوم فشأننا الامهال لا الاهمال وسدل الأستار على هؤلاء الكفار فغرهم ذلك الامهال فأخذوا يناضون عبدنا ويستهزئون بنينا وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إن مات قوله أملاه عليك الجنون فليس له معنى معقول وأنه مخالف لآرائنا بعيد عن معتقداتنا فكيف تقبل ما لا تقبله العقول ولا ترضاه الفحول من رجالاتنا الفخام وعشائرتنا العظام وإن كان مانتدعيه حقا مقبولا وقد أيدك الله وأرسلك فامنعك أن تسأله أن ينزل معك ملائكة من السماء يشهدون ببئوتك فمن يخالف آراءنا إما مجنون وإما له سلطان عظيم من ربه فيقويه بالملائكة . حينئذ أجاب الله أن الملائكة لا ينزلون إلا بالحق أى إلا بالحكمة وليس في حضور الملائكة من السماء تشاهدونها لكم فائدة تفيدكم لأنكم إذا رأيتموهم قاتم انهم بشر لأنكم لا تطيقون رؤية الملائكة إلا على الصورة البشرية وكيف تشاهدون ما لا يكون من عالمكم ومتى قالوا نحن ملائكة كذبتموهم لأنهم على صورتكم وإذا أرسلناهم لغير ذلك فليكن هلاككم فأى حكمة في زيادة الالباس في الأول وتجعل الهلاك لكم في الثاني . ولو أننا أنزلناهم هلاككم ما تأخر العذاب عنكم ساعة - إنا نحن نزلنا الذكر الخ - إنما أنتم قوم مكذبون ضالون مستهزئون بنينا فليس استهزاؤكم بضارنا لأننا نحن نزلنا القرآن ونحن حافظوه فقولوا إنه مجنون ونقول إنا نحفظ الكتاب الذي أنزلناه عليه من الزيادة والنقص والتغيير والتبديل والتحريف والمعارضة وإبطاله وإفساده وسنقيض له علماء في الأجيال المقبلة يتولون حفظه ويذبحون عنه ويدعون الناس إليه وسيخرجون للناس ما كن فيه من العلوم ليناسب العصر الذي هم فيه ليقبل عليه المشورون ويقرأه الجهلاء والمتعلمون غا قيمة نسبتكم إياه للجنون فلا يتدسس يا محمد بما يقولون . ولئن بشرتك بحفظ القرآن في سائر الأزمان والامم والأجيال لنقص عليك نأ الأمم السالفة فلقد أصاب أنبياءهم ما أصابك به قومك فاستهزؤا بهم كما استهزؤ قومك بك فنصرنا الأنبياء وكبتنا الأعداء . هكذا نفعل باللاحقين كما فعلنا بالسابقين ويستهزئ بك المجرمون ثم ننصرك عليهم اقتفاء لسنتنا واتباعا لطريقتنا فهؤلاء لا يؤمنون وسيحل بهم ما حل بالأولين وننصرك بعد حين - ولو فتحنا عليهم الخ - . وكيف يقترح هؤلاء عليك الآيات ويغرمون بما يخرق العادات من ملائكة يرونها وعجائب ينتظرونها وهل تغني الآيات ومفائدة تلك المعجزات وهل هم بذلك يؤمنون وهل النوع الانساني يكفيهم ما يهبر الألباب ويخالف العادات . كلا ثم كلا وأى مناسبة بين الخوارق والعلوم . إن الناس لم يخلقوا في الأرض سدى . إنهم خلقوا ليعلموا وأى علم في تلك المقترحات لا لا فكم من نبي أيدناه بتلك الآيات فلم يؤمن قومه إلا قليلا وما الآيات إلا ما تفهمه العقول وتفحصه درسا وتنقيحا . أما ما يشبهه على الناس بأفعال السحرة والمشعوذين فذلك موقع للبس . فالعامة وإن كانت تبهرهم تلك الخوارق فإيمانهم طائع وأمرهم ضائع وليس للناس إلا التفكير في عجائب الأرض والسموات . فهب أنا فتحنا عليهم من السماء بابا وقلنا اخرجوا فيه وخرجوا أفواجا أفلا يقولون في أنفسهم

ويقول بعضهم لبعض - إنما نحن قوم مسحورون - فاعمل سحرنا كما يفعل علماء السيميا إذ يفعلون أفعالا تخيل للانسان أنه طائر وليس بطائر وكما يفعل علماء التنويم المغناطيسى في هذه الأيام فلقد رأينا بأعيننا . وأن المنوم يقول للنوم (بفتح الواو) أنت ملك أنت امرأة أنت راقص أنت كذا أنت كذا فنراه يفعل ويصدق كل ما قيل له والنوع البشرى في كل جيل فيه من لهم قدرة على استهواء العقول فيستحيل الانسان ملاحقة له وهذا أصبح في هذه الأيام علما يدرس ويقال في المراسح العامة وهو في أوروبا وأمريكا وقد جاء الى مصر فكيف يكون مثل ذلك صالحا للدليل أو موجبا للتصديق . كلا فأمثال هذا لا يقوم بهداية نوع الانسان . وإذا كان موسى وعيسى اتبعهم قومهم فلا نهم رأوا بعد ذلك آيات البصائر وحكمة التشريع ولو وقف الحد عند المجائب المذكورة لم تستقم الديانات ولم تثبت عليها الجماعات فثبت من هذا أن أمثال ذلك لا تقوم به أمة ولا تحيا به سنة

﴿ فصل في قوله - ولقد جعلنا في السماء بروجا - الخ ﴾

وانما الذي تقوم به الجماعات وتثبت به الأمم النظر الصحيح والفكر الحق . وكيف يريدون ماهو خارج عن عاداتهم ونحن جعلنا في السماء النجوم الباهرة والبروج العالية والشموس الساطعة والأقمار النيرة والسيارات الدائرة والثوابت السامية وهم عن آياتها معرضون . وكيف يعرضون عما زينه ويذرون ما نظمناه ويطلبون ما لانفع فيه من المقترحات . فهلا نظروا في السكواكب وحسابها ونظامها ومداراتها وكيف كانت بها الفصول والسنون وكيف كان ذلك بمقادير محدودة وأوقات معلومة لا تبدل ولا تغير . بأمثال هذا يكون اليقين وبه يكون الدين . وهذه العوالم الجميلة وآياتها البديعة التي زينها فهي بهجة الناظرين وسعادة المفكرين . يراها البار والفاجر والبادي والحاضر والسكن ما كل مكشوف القناع ينال ولا كل مارآه المرء بعينه له يحتال . كلا فالحسان يراهم الناظرون ولا ينال وصلهم إلا المقربون فالسما وان كانت مبدولة لكل ناظر معروضة لكل حي فهي محجوبة المعاني عن الغافلين - وانها الكبيرة إلا على الخاشعين - إن العامة والجهلاء من كل أمة لا يؤمنون إلا بما يروعه ولا يخضعون إلا لما يدهشهم . أما العقول فهم عنها نازحون . وكما لا يخضع الجهال إلا للسياق والعصا والنبيل وللبلوك القاهرة والحكام المسيطرين . هكذا لا يفرحون من العلم إلا بما كان غريبا بعيدا خارقا للعادات وما هو إلا كبرق من خلب ثم يزول الأثر ويرجعون كما كانوا كافرين كمثل أولئك الذين يتبعون الشيوخ الناقصين في الأمة الاسلامية إذ يخبرونهم بالمجائب ويروونهم أنهم أصحاب خرق العادات ثم لا يلبثون أن يروههم كاذبين فيزول الأثر ويعظم الخطر فالناس في العلم ونوع الحكومات على طريقة واحدة . وإذا كانت الحكومات مستبدة والهيئة العامة نازحة عن المقصود الى غيره دالت دولة الأمم ولم يكن لأهلها هم . فلو أن دين الاسلام نبى على أمثال ذلك لم يخرج فيه قادة حكماء ولا علماء عظماء بل كان يسود فيه الماكرون ويغلب أهله السجالون وهؤلاء يسودون في كل أمة غاب جهلها وغفل أهلها ونام عقلاؤها وذهبت ريحها وغاب مجدها وسعدتها . فهل أمثال هؤلاء السجالين ومن تبعهم من العامة أهل أن نكشف لهم عن عجائب السموات أو أن نريهم مالدنيا من حساب واتقان . كلا فلقد حفظناها منهم ومنعناها عنهم شأن الدليل لا يكثر بما قرب اليه ولا يسعى إلا لما منع عنه وهذه السماء مزيينة لمن له عقل به يفكر وذهن به يتدبر فنحن طردنا هؤلاء أن يلجوا أقطار السماء بالرأى والعقل فلقد حفظناها من كل شيطان رجيم من شياطين الانسان وشياطين الجن فان الأرواح التي فارقت العوالم الجسمية اذا كانت في برازخها لم تترك آراءها ولم تبعد عن اعتقاداتها فهؤلاء وهؤلاء محبوسون في فهم ما لا يفيد وهم عن آيات السماء معرضون

﴿ تحقيق في قوله تعالى - إلامن استرق السمع فأتبعه شهاب مسين - ﴾

اعلم أن الناس ﴿ أقسام ثلاثة ﴾ قوم هم المفكرون وهؤلاء هم الذين يدركون سر هذا الوجود على قدر الطاقة البشرية . وقوم هم الجاهلون فلا يدركون له سرا إلا ما تملئهم قواهم الحسية من الملائع والطاعم . وقوم بين هؤلاء وهؤلاء وهم الذين يتطاعون إلى ما وراء الحس بأن يسلكوا طريق الرياضة والجوع أياما وشهورا ويدخلون الخلوة أو بأن يحضروا الأرواح بالطرق الستة التي ذكرناها في كتاب الأرواح وإما بطرق أخرى غير ذلك وهي كثيرة وهذه الطاقة بأنواعها لا يخاف أصحابها من أحد خصتين إما أن يريدوا خلوص النفس حقا وإما أن يريدوا الاستعلاء على الناس للشهوات الدنيوية فإن أرادوا بذلك ارتقاء عقولهم وخلوص نفوسهم ومعرفة الحقائق فهم قد يصلون على مقدار همهم بشرائط مخصوصة . وإن أرادوا بالذكر والخلوة أو استحضار الأرواح الأمور الدنيوية والحياة الفانية . كأن أرادوا الاستحواذ على الناس والعلق عليهم لينالوا نصيبا من مالهم فهؤلاء ينوقون النكال ولا يسمع مستحضر الأرواح منهم إلا أضاليل وأكاذيب كما هو واضح في الكتاب المذكور وتجيء لتلك النفوس أرواح وعلى قدر همهم من الأرواح البرزخية فتلقى اليهم الأوهام والأكاذيب . أما أصحاب الهمم العالية الذين قصدوا ارتقاء نفوسهم فانها توافيهم الأرواح العالية وتلقى اليهم ما يناسب حالهم وهكذا المصفون نفوسهم بالصيام والتدين يجلسون في الخلوة بشروطها فهؤلاء إن صحت عزائمهم بلقى اليهم في أنفسهم ما يرق نفوسهم . ومع ذلك كل هذا يحتاج إلى التفكير والتعقل

فهذه هي الخططات التي يخططها الناس من عالم الأرواح والعالم الأعلى الذي هو غير عالم الحس . فخططة تعطينا علما وخططة تكون سببا للضلال لأنها من شياطين مناسين لمن كلوهم . فبقوله تعالى في سورة أخرى - إلامن خطف الخططة فأتبعه شهاب ثاقب - ذلك في القسم الثالث فإن كانوا من المخلصين فالشهاب الثاقب يعطيهم نورا وعاما وإن كانوا يريدون الحياة الدنيا كان لهم عذابا فانهم إذا تمادوا في ذلك ذلوا في الدنيا وخاب فألمهم لأنهم وضعوا الشيء في غير موضعه . واعلم أن هذا مشاهد معروف ولكن الناس عنه غافلون

وإذا عممنا القول فلنقل إن العلوم التي عرفها الناس قديما وحديثا تراد ﴿ لأمرين ﴾ معرفة الحقائق لا كمال العقول ونظام المعاش والصناعات لترية الأجسام وإلى الأولى الإشارة بقوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا - وإلى الثاني بقوله - وجعلنا لكم فيها معاش - الخ هذان هما المقصودان من العلوم فكل من خالف هاتين القاعدتين فهو على إحدى ﴿ حالين ﴾ إما أن يريد ابتزاز المال من الأمة بالاستعلاء بلا فائدة وإما أن يريد الذكر والصيت والشهرة لذاتها واعتقاد الناس فيه وذكر التاريخ له وكلاهما لا ينفع في عامه ولا فضل له فمن أكثر الذكر لهذه المقاصد أدخل الخلوة لأجلها أقرأ العلوم ولم ينفع الأمة وهو عالة عليها فهؤلاء داخلون في نوع الشيطان الرجيم فمن يخبر ببعض ما في نفوس الناس من الأفكار بما يسمى الكشف والذين يقرؤون العلوم لغاية الشهرة كل هؤلاء مرجومون مبعدون عن ادراك حقائق الكائنات وبعضهم يعذب في الدنيا بالنلة والاهانة والمرض وغير ذلك وهذه الآية كآية الصافات - إنا زينا السماء بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملاء الأعلى - فلا يعرفون حقائق الأشياء - ويقذفون من كل جانب دحورا - بما ركب فيهم من الشهوات وما ابتلوا به من العادات وما أحاط بهم في هذه الدنيا من أنواع البلاء في المال والولد والأهل والأصحاب والأقربان وذلك كله بتدبير الله في العالم العلوي المشرف على الأرض المخرج النبات بنور الشمس والشمس والقمير والكواكب والحرارة المنبعثة من تلك العلويات فهذه نجم منها هذه العوالم الأرضية فكانت سببا لحرهم وغمهم وهمهم وهم في كرب من الحياة وأثقالها وكيف يفرون من عذاب الحياة بالمال والولد والأعداء إلا بأن تسكن نفوسهم رغبة في الحقائق لذاتها فينساون بذلك عما يصيبهم ويرضون بما قاتلهم ولكن هؤلاء غارقون في بحار الآمال فتنتابهم الآلام وهم يتخبطون وفي ديجور

الظلام حائرون وفي حالك الدهر عائنون . هذا قوله تعالى - ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصل * إلا من خطف الخطفة فأنبهه شهاب ثاقب - كما قدمنا فاما أن يكون الشهاب لهذا ولما أن يكون لرداه . وظاهر الآية يشير للثاني . ذلك هو شأن من على الأرض فاما مهديون هادون واما أشقياء معذبون والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اه

﴿ تنبيه في تفسير الآية السابقة المناسبة لما نحن فيه وهي من سورة الصافات ﴾

قال تعالى - إنا زينا السماء الدنيا - أي القربي منكم - بزيينة الكواكب - بالاضافة أو بالتزوين مع جعل الكواكب بدلا - وحفظا - أي وحفظناها حفظا - من كل شيطان مارد - خارج عن الطاعة برمي الشهب ثم استأنف فقال - لا يسمعون إلى الملاء الأعلى - وهو من التسمع وهو طلب السماع - والملاء الأعلى الملائكة أو أشرفهم - ويقذفون - ويرمون - من كل جانب - من جوانب السماء اذا قصصوا صعوده - دحورا - أي للدحور - ولهم عذاب - أي عذاب آخر - واصل - دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة - إلا من خطف الخطفة - استثناء من واو يسمعون أي اختلاس من كلام الملائكة مسارقة - فأنبهه شهاب - أي تبعه شهاب وهو ما يرى كأن كوكبا انقض - ثاقب - مضى كأنه يثقب الجو بضوئه

(١) فاذا سمعت هذه الآية الشريفة

(٢) أو سمعت آية - تبارك الذي بيده الملك - ولند زينا السماء الدنيا بمصابيح - بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها - وجعلناها رجوما للشياطين - أي شياطين الجن أو جعلناها ظنونا للشياطين الانس وهم المنجمون أو بسببها يتكئون على الأرض مابه عذابهم النفسى - وأعتدنا لهم عذاب السعير - في الآخرة بعد احراقهم بالشهب

واذا سمعت حديث البخارى أن النبي ﷺ قال ﴿ اذا قضى الله أمرا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قابضهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ﴾ ووصف سفيان بكفه فخرتها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الآخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الساكن فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال له أليس قد قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء

فاذا سمعت هذه الآيات وهذا الحديث وأمثاله فاعلم أن ذلك داخل فيما حقهناه أن الأرواح في البرزخ تحن إلى أرواح بنى آدم ومتى كانت متشاككة وبينها مناسبة وأمكن اللقاء والتفاهم بالطرق المعروفة إما باحضار الأرواح وإما بالجوع وإما بأشياء أخرى كبعض الأسماء وتلاقت روح الحى وروح الشيطان أو بعض الأرواح في البرزخ وسألت الحية الروح الميتة عن أمر فان الروح البرزخية تخبرها بالحق وبالباطل لأنها من الملاء الذى يسمى أعلى فقله تعالى - لا يسمعون إلى الملاء الأعلى - ظاهر واضح كما هو مقررى علم الأرواح ولكنهم يسمعون إلى الملاء الأدنى وهم ممنوعون عن العالم الأعلى كما يمنع السمك في الدنيا أن يجرى على وجه الأرض وكما منع الحصان والجل أن يطير في الهواء . فهكذا هذه الأرواح الميتة وهى منحلة المنزلة لا تستطيع الصعود إلى أعلى من منازلها وبتواصلها بالأرواح الحية تلتقي اليها ماعت لها حقا أو باطلا وقد ثبت في علم الأرواح أن هذه الطبقة تتلصص المعارف الضئيلة بطرق تعرفها ولا تنال إلا ما يناسبها ولها هناك عتاب على بعض ما تلتقيه إلى اخوانها من الانس كما قال تعالى - يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع ببعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا الحى -

﴿ لطيفة في أن القرآن أقرب للعلم الحديث جداً من العلم القديم وبه وحده تعرف معجزاته ﴾
 اعلم أن القدماء من حكماء الاسلام الذين نقلوا الفلسفة عن اليونان كانوا قرروا أن هذه الشهب التي تنزل
 من السماء في ليال مختلفة ليست من كواكب السماء وإنما هي دخان خارج من الأرض ارتفع إلى الطبقات العليا
 في الجو ثم قرب من كرة النار فاحترق وضربوا لذلك الأمثال كسيأتي واضطروا لهذا الرأي لأن السماء عندهم
 لا يمكن التثامها ولا خرقها فهي دائمة أبد الآباد ودهر الدهار ير فكانوا مضطرين حين يسمعون مثل هذه
 الآيات أن يقولوا هذه ظنون كما فعل الامام البيضاوي . وقد أظهر العلم الحديث بطلان هذا الرأي وأصبح
 العلماء في أوروبا يرون أن الشهب إنما هي قطع كوكبية سمائية كما سيأتي شرحه وليس للأرض فيها من سبيل
 فانظر كيف ظهر أن لفظ القرآن جاء بالحقيقة وكان الفلاسفة يرون أنه مستحيل فاذن لم يبق إلا مسألة حرق
 الشياطين فإذا قال البيضاوي انه رجوم للمجتمين وقلنا نحن رجوم لمن نحاهم من كل من سار على هذا
 الدرب فذلك للفرار من أن الشيطان يحترق بالكوكب . ولكن لا نقدر أن نجزم بامتناع هذا بل نقول اذا
 كان آباؤنا وحكماؤنا كبر عليهم أن يخالف القرآن علم الفلك في زمانهم ولم يرض المفسرون منهم أن يبقوا على
 مذاهبهم الفلسفية بل مشوا مع القرآن ثم ظهر بطلان المذهب القديم فهل هناك من مانع يمنع أن تكون
 انكواكب محرقة أو محبلة أو مؤذية لتلك الأرواح . ذلك نسلم به حتى ننظر المستقبل
 ﴿ تحقيق الكلام على الشهب عند القدماء وعلماء أوروبا في علم الآثار العلوية من علم الحكمة ﴾
 (نقلا من كتابي في علم الفلسفة العربية)

الشهب جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب انقضت والنيازك جمع نيزك وهو معرب (نيزه) بالفارسية
 ومعناه الرمح التصير ويطلق على الشهاب تشبيها * ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لأنه يثقب الظلام
 إن ما يرى في الليالي قد انقضت من السماء ليس كوكبا وإنما هي أجسام صغيرة لا تزيد الواحدة عن حجم
 البلاطة وهذه الأجسام كثيرة جداً ومنها مجموعة تسمى الاسديّة وهي تتم دورتها حول الشمس في شكل
 اإلليجي في ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠.٠٠٠ ميل أو أكثر والأرض لا تحترق
 في سيرها هذه الاسديات إلا ثلاث مرات كل مائة عام وآخر مرة كانت سنة (١٨٦٦) وفي كل مرة تضيف
 آلاف الآلاف من هذه الشهب أو النيازك مما ينزل على سطحها . وما النور الذي ينزل من تلك الشهب إلا
 من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يقدح الزناد وهي أكثر سقوطاً في ليال معلومة فهي تزيد في (١٠)
 أغسطس ١٣ نوفمبر وتقل في (٢٠) ابريل و٢٧ نوفمبر و١٨ اكتوبر و٦ و٩ و١٣ ديسمبر . ويقال ان
 عدد الشهب التي نراها نحو ١٥٠.٠٠٠.٠٠٠ وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها

﴿ الكرات النارية ﴾

هي أيضا أجسام مضيئة تظهر وتختفي بسرعة كالشهب لكنها أبداً منها وتتحرق غالباً بالقرب من الأرض
 فتحدث فرقعة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الحجارة الجوية ويدخل في تركيبها
 الحديد والنيكل وغيره وارتفاع الشهب من (٨) كيلومترا إلى ٦٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ كيلومترا وسرعتها متغيرة
 كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها . ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها
 صغيرة الجرم دائرة حول الشمس ومنى قربت الأرض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فتسقط على الأرض
 وتشتعل في الجو على هيئة شهب وتسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوية

فتأمل تجد الفرق بين القدماء والمحدثين أن الأولين يزعمون أن تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات
 عبارة عن بخار أرضي قابل النار فاحترق وعلماء العصر الحاضر يقولون سامنا بالاحتراق من الاحتكاك لامن
 كرة الاثير فنحن لا نقربها ولكن لانسلم أن المحترق هو البخار بل هو أجسام صغيرة دائرة حول الشمس

تسخطفها أرضا كأنه تتغذى بها بعد أن تطبخها في جوها بالحرارة ثم تزدردا كما نزدرد نحن الحيوانات وهذه الاجسام الصغيرة الدائرة حول الشمس تسقط على الأرض دائما ولسكن لها أيام خاصة يكثّر سقوطها فيها الى آخر ما تقدم وهذا آخر الكلام في تفسير آية - ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين * وحفظناها - الى قوله - فأبعه شهاب مبين -

﴿ الكلام على تفسير - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي الخ - ﴾

بعد أن وصف الله بهجة السماء وزينتها وأنها ازينت للنظرين المفكرين واحتجبت عن الغافلين أخذ يشرح جمال الأرض وبهجتها فذكر كيف مدّها وثبت فيها جبالها وأثبت فيها من كل نبات موزون فعناصره موزونة وأغصانه وأوراقه وأزهاره وأثماره ألا ترى الى ما ذكرناه في سورة البقرة من أن كل نبات قد وزنت عناصره وقدرت تقديرا . ولقد ذكرت لك هناك أن الذرة مثلا فيها البوتاسا الداخلة في الحب الذي نأكله ٣٣ في المائة وهي داخلة في الفول بنسبة ٤٣ ونصف في المائة وفي القصب ٣٤٣ في المائة وفي البطاطس ٦١٥ في المائة وفي البرسيم ٣٤٦ في المائة . هذا عنصر واحد دخل في البرسيم وفي البطاطس وفي القصب وفي الذرة وفي الفول فكان مترواحا ما بين ٣٣ و٦١٥ وبهذا التفاوت صلح القصب لأن يكون سكرًا والبرسيم لأن يكون قوت البهائم والفول لأن يكون مشتركا والبطاطس لأن نأكله والذرة لأن نقنت بها ولو اختلفت تلك المقادير لاختل البرسيم والذرة والقصب الخ فهذا اختلاف جزء واحد من الأجزاء الداخلة في تركيب هذه النباتات وهي البوتاسا والصودا والجير والمغنيسيا وحض الفوسفوريك وحض الكبريتيك والسلكا والكور فهذه الأجزاء داخلة في هذه النباتات بنسب مختلفة والنبات المركب منها يمتص بعروقه من الأرض الأغذية المناسبة لها

﴿ الجذور وامتصاصها ﴾

تأمل رعاك الله . تأمل وقل لي كيف يستخرج النبات غذاءه من الأرض . إنه لا يمتصه إلا بعروقه الضاربة فيها . يصبه ويرفعه الى الساق والأغصان والأوراق والأزهار . كل ذلك بعد الامتصاص . فيأليت شعري ما الذي جعل هذا برسيا وهذا قمحا وهذا بطيخا . أليست الأرض واحدة والنبات يمتص فلماذا دخل في الذرة من البوتاسا مثلا ما لم يدخل البرسيم وما الذي وزن تلك المقادير التي رأيتها حتى أخذها النبات ولم يزد عليها ولم ينقص وأين الميزان وكيف كان الوزن . يا عجب ما الذي حدّد المقادير وجعل لكل نبات مقدارا ولماذا لم تخطئ الجذور الضاربة في الأرض . ولماذا نجد جميع الجذور تأخذ بمقدار محدّد نوع البوتاسا مثلا فنرى أنها في حبّ الذرة ٣٣ في المائة ﴿ الجواب ﴾ أن الذي حدّد ذلك هو تلك الفتحات الشعرية التي في ظواهر الجذور . وكما أن للانسان مسام يتنفس بها هكذا للزرع ثقب دقيقة بها تمتص تلك الاصول من الأرض وههنا محل العجب فنقول بأي وضع صنعت تلك الثقوب . إن أنواع النبات تقدر بما يزيد عن مائتي ألف نوع ولكل نوع أصناف فكيف اختلفت تلك الثقوب اختلافا دقيقا حتى ان ثقب كل نبات لا تسع إلا المقدار اللازم لها من العناصر وتطرّد سواه لأنه لا يلائمها وهذا محل العجب أن يكون ثقب النبات وفتحانه كوّنت على هيئة بحيث لا يتسلع ولا تسع إلا تلك المقادير بعينها . ذلك هو العجب ومن هذه المسألة الجزئية تفهم قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون -

﴿ جوهره في قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - ﴾

هذه الآية بديعة من بدائع القرآن ومعجزة من معجزات العلم وحكمة باهرة وعجيبة ظاهرة إن هذا التفسير قد تجلّى فيه نظام هذا العالم وأصبح الوزن والميزان والحساب وحسن النسق من أخص أوصاف هذه الدنيا وهذا الوجود في كتاب الله تعالى . وحسبك ما تقرؤه في سورة الرحمن من قوله تعالى

– ووضع الميزان ان لا تطفوا في الميزان – وزن الله السكواكب في سيرها وفي وضعها وفي حركاتها وفي أضواؤها ووزن العناصر بمقادير مع مناسبة بعضها لبعض كأنها صفوف منظمة كما ستراه في سورة العنكبوت . وها هو ذا يقول هنا – وأثبتنا فيها من كل شيء موزون –

اللهم إنك أنت الذي أنزلت الكتاب وأنت الذي نظمت وأحكمت ودبرت هذه الدنيا وأنت القائل في المعنى ان كل شيء موزون وأنت القائل – قل انظروا ماذا في السموات والأرض – وهذا النبات الموزون مما في السموات والأرض ولقد خصصته بالبيان لتبين لنا الطريق التي نسلكها حتى نعرف نهج ميزانك في العوالم من نظام النبات وأوراقه وأزهاره وثماره . إن الله أنزل القرآن وجعل فيه جمال البلاغة وحسن الالتقاء كما خلق الخدائق والجنات في الدنيا وجعل فيها الفواكه الحسنة اللذيذة للآكلين . فهنا لذة الذوق للآكلين وهناك لذة السمع للسامعين . وما أجهل الانسان اذا وقف عند لذة السمع أو اكتفى بحاسة الذوق . إن لذة القراءة بلاغة أو حسن إلقاء يجتري بها الغافلون والوقوف عند لذة الفاكهة والجهل بحقايقها شأن العاجزين والله يقول في الأولين – مثل الذين جاولوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل أسفارا – كما يقول – ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني – ويقول في الآخرين – ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم –

ولما وصلت الى هذا المقام جاء صديقي ذكي صالح فقرأ مأسطرته الآن فقال

(س) نحن نعرف أن النبات خلق الله وهو حسن ومنظم وماذا نبتهى فوق ذلك

(ج) ليس يعني هذا . واذا سمع الناس قوله تعالى – أقيموا الصلاة – فهل يكفي في ذلك أن يكرروا اللفظ وهم لا يصلون . أم الصلاة شيء ولفظها شيء آخر ولفظ الصلاة يدل على أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير مختمة بالنسليم . إذن ليس يكفي في هذا المقام أن يقرأ القارئ – وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم – ولا أن يرددها بصوت حسن ولا أن يعرف أن موزون في الصرف اسم مفعول وفي النحو صفة لشيء ولا أن يعرف أن في الآية من البلاغة حسن الانسجام وموافقة اللفظ للمعنى وما أشبه ذلك كما لم يكف أمثال ذلك في قوله – أقيموا الصلاة – ولا فرق بين قارئ القرآن العارف بتلك العلوم المطبق لها على القرآن من بلاغة وصرف ونحو وبين آكل التفاح المتلذذ به . كلاهما واقف عند الظواهر جاهل بالباطن (س) ما هي هذه البواطن التي نسمع الصوفية يكررونها كثيرا فاعل هذا من تعبير الصوفية الذي يذكرونه ولا يدري الناس ما مغزاه

(ج) كلا انني اليوم أريد أن أقرر حقيقة عجيبة ظهرت في القرآن في هذه الآية وهي أن كل نبات لا ينبت ورقه على أغصانه إلا بنظام حسابي أو شكل هندسي . وأكثر الناس يأكلون ولا يحسبون ويقرؤون القرآن وهم لا يعلمون

(س) صف لي هذا الحساب وصف لي هذه الهندسة

(ج) قبل أن أدخل معك في هذا الموضوع أحدثك حديثا عن نفسي أيام الشباب وأنا منقطع عن الأزهر وأتوق الى الرجوع اليه أيام كنت أشك في أمر هذا الوجود ﴿ ذلك ﴾ انني كنت أجلس على شاطئ نهر أبي الأخضر بجوار قرينتنا المسماة (كفرعوض الله حجازي) وأنا حائر في هذه الدنيا وأنظر الى الأوراق على أشجارها وأقول يا ليت شعري أهذا الورق نظام هندسي أو حساب ومن ذا يوتغني على سرائره أم من ذا الذي يعرفني حقايقه ومن أي شيء ركب ولعله ركب بحساب الخ مما تراه مسطورا في كتابي ﴿ التاج المرصع ﴾ الذي انتشر وترجم قبل نحو عشرين سنة . فانظر ماذا جرى اليوم . أكتب هذا اليك وأنا حامد لموجد هذا العالم شاكر لنعمه فقد عرفت اليوم ما لم يكن ليخطر لي على بال . عرفت أن الورق نظام وضعه على

الأغصان . أتدري من أين عرفته بها . عرفته من هذا الكتاب الذى أسمى **(علوم الجميع)** بلغة الانجليز وأحسن من هذا أن يقال **(موسوعات العلوم)** ها هو ذا الكتاب أسمى لمؤلفه الاستاذ (روبرت براون)

إن الله منزل القرآن خالق النبات بميزان هو الذى ألهم قلوبا فأبرزت ذلك الميزان فهو الذى أنزل القرآن بالعربية وسخر قلوبا فى بلاد الفرنجة لابرار حقايقه وإن كان المسلمون والفرنجة لا يعلمون أنه معنى القرآن . ولقد وفق الله اليوم واطلعت على هذه الحكم فى ذلك الكتاب وها أنا ذا أذكرها تبصرة للمسلمين وتذكرا للناهيين لعلمهم يتعلمون حتى يعلم الأذكىاء مصداق قوله تعالى - خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - وقوله - فاذا قرأناه فانبع قرآنه ثم إن علينا بيانه -

الله أنزل القرآن وهو الذى أبرز معناه على قلوب قوم آخرين لأنه خلق نوع الانسان ليتعارف إذ يقول - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا -

سيد هس المسامون حين يعلمون أن هذا المؤلف فى صفحة (٧) من المجلد الثانى من كتابه قد أتى بمعنى هذه الآية وهو لا يعلم وسيد هس أهل أوروبا حين يرون أن خلاصة هذا العلم داخلة فى مضمون هذه الآية . هذا هو سر التعارف . يتعارف الشرقيون والغربيون بالعلوم والمعارف ويتناكرون بالجهل وهم صاغرون (س) قد عرفت مقدمتك فهات المقصود من حساب النبات وهندسته على شريطة أن أراه مرسوما أسمى ليكون تذكرة وتبصرة للفكرين

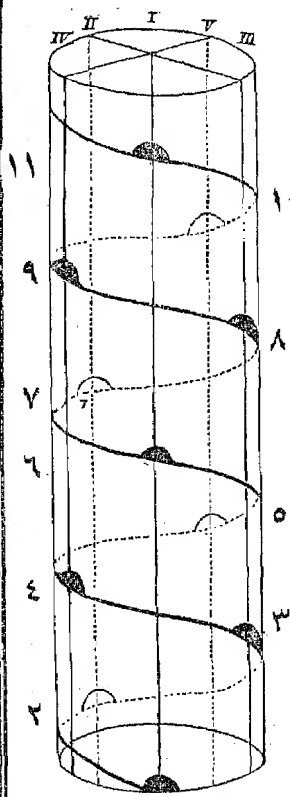
(ج) خذ غصنا من نبات بعض الحشائش أو شجر الدردار المسمى بالفرنجية (الم) يسكون اللام وغصنا من ضرب من (الزنبق) يسمى بالفرنجية (تبولب) وغصنا من السنديان أو من التفاح أو من (الكرز) وغصنا من الكتان وغصنا من أغصان نوع من الصنوبر وغصنا من نوع يسمى بالفرنجية (لرش) فهذه ستة أغصان من أشجار مختلفة كالخشائش والزنبق والتفاح والكتان والصنوبر (لرش)

ضع هذه الأغصان أمامك . ضعها وانظر فسترى عجبا . ترى أوراق الغصن الأول منتظمة عليه بحيث تكون كل ورقتين متناظرتين على الجانبين لكل منهما نصف الدائرة على الغصن والدائرة (٣٦٠) درجة والنصف (١٨٠) وهذا الكسر يبين ذلك وهو ١/٢ فالبسط يبين أن الدائرة واحدة والمقام يبين عدد الورقات التى قسمت الدائرة بينها . والغصن الثانى ترى فيه أوراقا ثلاثة على الغصن متحاذايات الوضع وقد قسمت الدائرة بينها **(ثلاثة أقسام)** كل قسم منها (١٢٠) درجة . والغصن الثالث من نحو التفاح والسنديان ترى عليه أوراقا مبتدئة بأولاهامن الأسفل وتليها خمس ورقات قد كوّنت دائرة تامة مشتملة على دورتين حلزونيتين فتكون كل خمس ورقات لها هاتان الدورتان الحلزونيتان حول الغصن والورقة السادسة قد جاءت محاذية للورقة الأولى وهذه السادسة مبدأ دائرة ثانية تشتمل أيضا على دورتين حلزونيتين وهكذا دائرة فوق دائرة كل منها تشتمل على هاتين الحلزونيتين فتكون تلك الأوراق فى الدوائر أشبه بسلاسل المنارة فانها حلزونية الشكل والكسر الذى يبين هذا هو ١/٣ فالبسط لعدد الدورات الحلزونية والمقام لعدد الورقات

وعلى هذا القياس تعرف الغصن الرابع كغصن الكتان فدوراته الحلزونية (٣) وأوراقه فى الدائرة التامة على الغصن (٨) فبسط كسره ٣ ومقامه ٨ والغصن الخامس كغصن الصنوبر دوراته الحلزونية خمس وأوراقه فى تلك الدوائر (١٣) وبها تكون دائرة تامة والغصن السادس دوراته الحلزونية (٨) وأوراقه ٢١ وبهذه الأوراق والدورات تتم الدائرة الواحدة وهكذا ما بعدها . ها أنا ذا أيها الذكى ذكرت لك هذه الدوائر على تلك الأنواع الستة من الأشجار وقد آن أن أضعها لك صفا واحدا كما جاء فى ذلك الكتاب

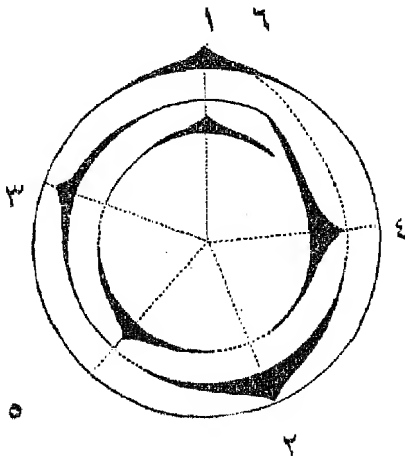
$$\begin{array}{r} ٨ \ ٥ \ ٣ \ ٢ \ ١ \ ١ \\ - ٣ \ ٢ \\ \hline ٢١ \ ١٣ \ ٨ \ ٥ \end{array}$$

أنظر أيها الحكيم لهذا العجب وتأمل في هذا الجدول الذي نقلته من ذلك الكتاب فلا بين لك بعض ما عرفه العقلاء . الله أكبر جلّ العلم وجلت الحكمة التي تناءت عن بلاد الشرق حيناً وهاهي ذه أيامها قد أقبلت فانظر وتأمل فانك تجد الكسر الثالث وهو الممثل لغصن التفاح أو السنديان بسطه مجموع البسطين قبله فانه ٣ وهما مجموع البسطين قبله وهكذا مقامه وهو (٥) فهو مجموع (٣ و ٢) وهكذا الكسر الرابع الممثل به للكتان فان بسطه (٣) مجموع البسطين قبله (١ و ٢) ومقامه مجموع المقامين قبله وهما (٥ و ٣) وهكذا قل في بقية الكسور . ثم انظر نظرة أخرى فانك تجد بسط الكسر الثالث هي عين مقام الكسر الأول وبسط الكسر الرابع هو عين مقام الكسر الثاني وبسط الكسر الخامس هو عين مقام الكسر الثالث . إذن كل بسط لكسر من هذه هو عين مقام الكسر الذي قبله بواحد وهذه قاعدة مطردة . هذا هو الذي قرأته في هذا الكتاب وارتدت ايضاحه هنا . وهذه صورة الكسر الثالث الذي يكون في التفاح والبالوط



هاتان الصورتان المرسومتان (أولاهما) صورة لغصن التفاح أو البالوط وقد دارت الأوراق عليه مبتدئة من الأسفل دائرة حول الغصن فالورقة الأولى المعنون عنها بعدد واحد تناولها خمس قد صنعت دورتين حلزونيتين كما قدمنا والخامسة منها التي هي السادسة في العدد تراها أمامك في الرسم فوق الأولى على خط مستقيم وهي تمام الدائرة الأولى وتليها الدائرة الثانية ونهايتها ومبدأ الدائرة الثالثة عدد ١١ وهكذا هذا واضح في الشكل الأول ولكن لما كان هذا لا يظهر منه أن كل خمس ورقات دائرة تامة وجب رسم الشكل الثاني الذي يمثل الدائرة التامة من هذه السوائر بورقاتها الخمس بوضعها الأفقي لتظهر للناس فيعلمون أن هذه الأوراق الموضوعة وضعا رأسيا هي دائرة تامة منظمة مقسمة خمسة أقسام بخمس ورقات كل قسم منها (٧٢) درجة تقسيما عادلا

فانظر في الشكل الثاني فانك تجد الورقات الخمس التي صنعت دورتين حلزونيتين قد ظهرت واضحة جلية فالورقة الأولى عدد (١) والثانية عدد (٢) والثالثة عدد (ثلاثة) وهكذا الى السادسة التي جاءت في مقابلة الاولى على خط

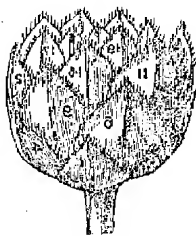


مستقيم فهذان الشكلان قد أوضحا الكسر الثالث وإياك أن تغفل عن أن هذا الكسر له علاقة بالكسرين قبله وبما بعده .

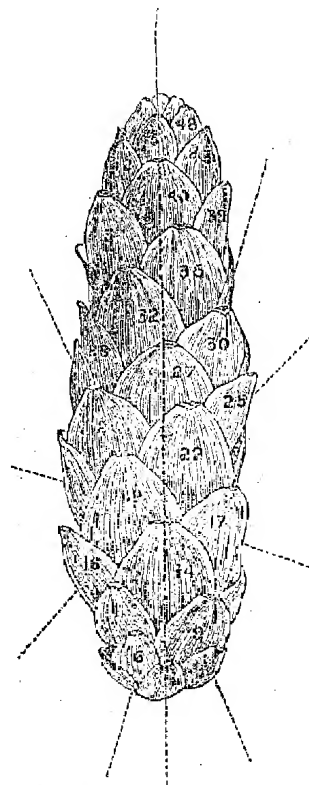
(شكل ٢) فيا ليت شعري أين المسامون وأين هذه العلوم . قرآن يقول الله فيه - وأنبئنا فيها من كل شئ موزون - ونبات ترسم عليه الأشكال الحلزونية والدوائر التامة النظامية المدهشة والناس يقرؤون ولا يعقلون ويأكلون ولا يفهمون ان القوم لا يعلمون

انظروا أيها المسامون . أليس هذا كلام ربكم . انظروا أليس يوجب أن تعم الهندسة ويعم الحساب ويعم علم النبات ويعم حتى يدرك الناس سر هذه الدنيا . اللهم إن صنعتك لعجب . نبات ونبات ونبات بين أوراقها حساب وحساب انتظمت أوراق شجرة التفاح مثلا وكوّنت حلزونيات ودوائر منتظمت

وكان بين هذه الدوائر ونظائرها في نباتات أخرى مناسبات . اللهم إن أهل الأرض ما أموا غافلين عن هذا فهم بنعمتك كافرون . اللهم إن أهل الأرض إنما تنافروا لجهلهم بصنعك ولوأنهم كانوا مفكرين حق التفكير (١) لكانوا أمة واحدة لأنهم إذا رأوا أن أوراق الأشجار بينها هذه النسب يعرفون من باب القياس التمثيلي ومن باب الوجدان أن العوالم كلها وضعت بحساب وناظمت وإذا نظم ورق النبات وجعل بينه نسب مقدرة في النباتات المختلفة كما نظمت الكواكب وحركاتها فهل هذا كله ينظم وتبقى عقول الناس في الأرض بلا رابطة وبلا حساب . هذا غير معقول فالمعقول أن عقول الناس في الأرض قد وضعت بحساب بحيث يكون في كل أمة من يكفون لعلومها وصناعاتها وبحيث يكون لكل أمة من أمم الأرض خواص بها تنفع الباقين إن الناس قد أمكنهم درس النبات واستعماله في حاجاتهم وهو مسخر لهم . أما العقول الانسانية وقواها فهم عن دراستها واستخدامها في المنافع العامة عاجزون . ومادام أهل الأرض لا يعرف بعضهم بعضا ولا يدرسون أحوالهم وخواصهم فانهم حقا أذلاء فأهل هذه الكرة الأرضية لا يزالون في حرب وضرب حتى يقوم فيهم علماء يدرسون عقول الأمم وخواصها ويتحد الجميع طوعا أو كرها وحينئذ تكون الانسانية كلها أمة واحدة كما أن أوراق النبات بينها نسبة جامعة . أنظر كتابي ﴿أين الانسان﴾ وسترى ملخصه في سورة الحجرات ان شاء الله وهذا نهاية الأمر الأول (٢) ولكن المسامحون منهم أعلم الناس بحمال الحساب والهندسة وعجائب الدنيا لأن العلوم كلها هي نفس دين الاسلام كما أوضحناه في هذا التفسير في هذا المقام وغيره (٣) ولعلم الانسان انه لا سعادة له إلا اذا كان نظامه في نومه ويقظته وجميع أعماله بحسبان كنظام هذه الأوراق ونظام الكواكب في السماء ﴿فلما سمع صاحبي ذلك﴾ قال إني أريد مثالا آخر مصورا بالتصوير الشمسي فقلت هاك ﴿صورتين﴾ إحداها صورة نبات يسمى باللسان الافرنجى (هوس ليك) وهو نوع من الكراث وترجمته الكراث المنزلى ونظيره في هذا الترتيب الخرشوف المسمى بالافرنجية (أرتشوك) وأصله بالعربية في بلاد الأندلس (أرض شوك) (شكل ٣)



(شكل ٣)



(شكل ٤)

٢٦	٢٧	
	٢٤	٢٥
٢١	٢٢	٢٣
١٨	١٩	٢٠
	١٦	١٧
١٣	١٤	١٥
	١١	١٢
٨	٩	١٠
٥	٦	٧
٣	٤	
	١	٢

﴿والثانية﴾ صورة زهرة الصنوبر وهو مخروط (شكل ٤)

وهذه الصورة الرابعة انما هي للزهرة الأتني في البلوط . أما الزهرة الذكر فهو أصغر . هذان الشكلان وهما الثالث والرابع يمثلان الكسر الخامس وهو $\frac{5}{13}$ فعدد خمسة هو عدد الدورات الحلزونية التي تشاهدها أمامك وعدد ١٣ يبين عدد الورقات في الدائرة الثامنة ولذلك تجد عدد ١٤ هو نهاية الدورات الخمس للدائرة الأولى وهو مبدأ الدائرة الثانية ومبدأ الثالثة ٢٧ ومن عجب أن عدد ٥ وعدد ١٣ المذكورين يؤخذان أيضا مما يأتي وهو أن عدد ٥ ظاهر في الصف الذي فوق الواحد وهو ٦ و ١١ و ١٦ فهذه أعداد يزيد كل واحد منها عما قبله بعدد (٥) وترى أمامك صفوفًا أخرى فوق الواحد أيضا فانك ترى عدد ٩ وعدد ١٧ وعدد ٢٥ كل واحد يزيد عما قبله بعدد ٨ فتراهم يقولون اجمع ٥ و ٨ يكون عدد ١٣ الذي هو المقام . هذا ما قالوه . والمقصود من هذا أن في الأوراق نظاما ومن شدة احكامه أن عدد ٥ في البسط وجد في صف من الصفوف وعدد ١٣ أمكن أخذه من الأعداد المكررة في صفين وهذا حقا من العجب . فن ذا الذي كان يظن أن هذه الأوراق منظمة ولها جداول ومن ذا الذي كان يظن أنها دوائر وأن هذه الدوائر لها نسبة إلى دوائر أخرى في أشجار أخرى . بل إن الانسان اذا عرف جميع أوراق النبات وعرف أوائل كل سلسلة منها أمكنه أن يعرف جميع السلسلة بدون أن يحفظ أعدادها والدليل على ذلك أنك تقدر أن تعرف سلسلة الكسر المتقدمة بمجرد معرفة الكسرين الأولين فما عليك إلا أن تجمع البسطين والمقامين وتأتي بالثالث ثم تفعل هكذا مع كل كسرين

إن هذه التبعة التي ذكرتها هنا تبين أن نظام هذا العالم عبارة عن نظام واحد وأن للعلم مفاتيح ومتى عرفت المفاتيح فتحت بها العلوم فهنا مفتاح السلاسل الكسرية في النبات وهما الكسران الأولان وهما يعرف الجميع بالتدريج وهذا مثل ما ذكرناه في قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - فانك تجد هناك أن الكواكب السيارة تعرف أبعادها عن الشمس بمضاعفة بعد كل واحد عما قبله فارجع اليه هناك بالمضاعفات وهنا بجمع الكسرين السابقين بسطا ومقاما . ومثل هذا يرى من السنين الكبيسة والبسيطة كما رأيته في آخر سورة آل عمران فتى عرف الانسان منها (٢١٠) من السنين عرف جميع السنين آلافا وآلافا الى ما لانهاية له ولولا هذا ما أمكن الناس أن يضعوا جداول لحساب الأوقات . لحساب الأوراق ونظامها وحساب أبعاد الأفلاك وحساب دورات الأرض حول الشمس كلها ذات مفاتيح والمفاتيح بها تعرف العلوم فأما الغيب فمفاتيحه عند الله قال تعالى - وعنده مفاتيح الغيب -

فأما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن لم نعرف إلا سلسلة واحدة وما عرفنا منها إلا ستة نباتات . فقلت لا يصح اطالة الكلام وقد جعلنا هذا رمزا للسلسلة كلها ونظمها فنحن الآن في مقام التفسير والتفسير علم عال والعلم العالي يختصر في العلوم الجزئية ولا تفصيل فيها فكفى الانسان علما أن يتقن ما ذكرناه هنا فأما اذا أردت سلاسل أخرى وجداول فهناك ما جاء في هذا الكتاب بايضاح هنا

الجدول الأول	$\frac{13}{34}$	$\frac{8}{21}$	$\frac{5}{13}$	$\frac{3}{8}$	$\frac{2}{5}$	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{2}$
الجدول الثاني	$\frac{13}{47}$	$\frac{8}{29}$	$\frac{5}{18}$	$\frac{3}{11}$	$\frac{2}{7}$	$\frac{1}{4}$	$\frac{1}{3}$
الجدول الثالث	$\frac{13}{60}$	$\frac{8}{37}$	$\frac{5}{23}$	$\frac{3}{14}$	$\frac{2}{9}$	$\frac{1}{5}$	$\frac{1}{4}$

فانظر الى هذه الجداول بعد أن عرفت الجدول الأول وقد زدنا فيه واحدا فصار سبعة كأخويه فاعجب لذلك وانظر فانك ترى الثالث من كل جدول منها مقامه عبارة عن مجموع البسط والمقام لنظيره فيما فوقه فان ٢ وه عبارة عن ٧ وهو مقام الكسر الثالث في الجدول الثاني ومثله عدد ٩ وهو المقام للكسر الثالث في

الجدول الثالث وهو مجموع ٢ و ٧ وهما البسط والمقام لما فوقه وهكذا في جميع الأعداد كل مقام لكسر يساوي مجموع البسط والمقام لما فوقه وهكذا كل بسط في أى جدول وكل مقام هما مجموع ما في الكسرين قبله مثل ما جاء في الجدول الأول . ألا ترى أنك ترى أن عدد ٢ في الكسر الثالث في الجدول الثالث هو مجموع البسطين قبله وأن عدد ٩ وهو المقام في هذا الكسر هو عين المقامين قبله وهما ٥ و ٤ انتهى

﴿ - الله نور السموات والأرض - ﴾

ههنا تبين جمال العلم بل تبين جمال الله بل هنا ظهر نور الله - وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب - هذه هي الأرض وهذا هو النور . النور على ﴿ قسمين ﴾ نور يعرفه الحيوان والإنسان ونور يختص بالإنسان فنور الحيوان والإنسان هو نور الكواكب والشمس ونور الإنسان هو نور العلم ونور الحكمة . فهذا من أبدع أنواع الحكمة وأجلها وأبهرها . اللهم إنا نحمدك على العلم ونحمدك على الحكمة التي تجلت في هذه الدنيا . ننظر فترى أنواعا من النبات جعل العلماء لها جداول منظمة كجداول الميقات في حساب سير الكواكب ثم نرى النسب بين أوراقه ودورات كل صف من النبات بينه وبين دورات وأوراق الصف الآخر مناسبة ثم نرى أن هذه الجداول بينها مناسبات حتى أن كل جدول منها يمكن استنتاج الجدول الآخر منه . فما أبهج العلم . إننى وأنا أسطر هذه الجداول ناقلا من الكتاب الفرنجى المتقتم ذكره كنت أكتب الكسرين الأولين من الكتاب ثم أكتب بقية تلك الكسور بطريق الجمع المتقدم بدون نظر للكتاب وبعد اتمام الكتابة أراجع على ما في الكتاب فأجده لا خطأ فيه

﴿ أوراق الأشجار أصبحت ذات نظام به يعرف مجهولها من معلومها وغائبها من حاضرها ﴾
هذا هو قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب * الذين يذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فالذكر باللسان ثم بالقلب ثم يعقبهما التفكير فالتفكير هو المقصود وهذا من أبهج أنواع التفكير
الله خلق هذا الإنسان ونظم له هذا الوجود وشوق خواصه للبحث . إن الخواص في كل أمة هم المسؤولون عن نظام هذه الأعراس

فلما سمع صاحبي ذلك قال أعراس أين هي الأعراس . فقلت هل أحدثك عما سمعته في علم الخيال من عالم يحدثني . قال عالم الخيال . نحن نبث عن الحقائق ومالنا وللخيال . فقلت إن الخيال جمال للحقيقة وما الخيال إلا زينة لعرائس الحقائق والحقيقة مختالة متكبرة فلا تظهر غالبا إلا في أثوابها القشب وزينتها وجالها لتبهر الأبصار بمظهرها . فقال نعم أحب ذلك . فقلت أنشدني سحى بن يقظان بيتا من الشعر فقال

الناس في ماتم والكون في عرس * يختال بالحسن في الاشراق والغلس

فلما سمعته قلت مامعنى هذا البيت . أين الماتم وأين العرس . فقال اعلم رعاك الله أن هذا النوع الانسانى الذى أنت أحد أفراد قوم حبسوا في هذه الأرض وهم أشبه بأناس قد سجنوا في قصر الملك والملك زين القصر بأنواع الزينة ورقشه وزوقه وعلق فيه القناديل المضيئة المتألئة البهجة المشرقة التي يكاد سناها يذهب بالأبصار وقد حضرت الوفود من سادات الأمم وأشرفها فأنزلهم في دار ضيافته يتمتعون بما لذ وطاب من أنواع الاكرام وأطيب الطعام والفاكهة والشراب وهم على سرر متقابلين لا يسمعون هناك لغوا ولا تأثما إلا قايلا سلاما سلاما هذا ما كان من أمر الاشراف أما أولئك الذين حبسوا فهم مقيدون في سلاسلهم مكبلون في قيودهم قد جعلت الأغلال في أعناقهم فأنى لهم أن يروا جمال العرس وأن يتمتعوا بأطيب الطعام والشراب والفاكهة والاكرام فهذا العالم الذى تعيشون فيه أشبه بهذا العرس والوفود المقبلون وأهل الأرض الذين معك أشبه بالحبوسين . فقلت له

لم يتضح لي القول فقال إني أبين لك هذا من نفسك . فقلت أريد ذاك . فقال ألت تحس في نفسك بهزّة طرب وانتعاش وسعادة لانهاية لها أثناء النظر في أمثال هذه الجداول النباتية والهجائب الحسابية في الأرض وفي السماء . أليس هذا هو الحسن الذي تهشقه عقول العلماء والحكماء والأنبياء . ألت ترى أن الشكل الأول من الأشكال الأربعة المرسومة في هذا المقام أشبه بعمود قد علقت فيه قناديل مضيئة في عرس عام وهذه القناديل منظمّة بحيث ترى أن كل نجمة منها تكون دائرة تامّة وهي قد دارت دورتين كوكبيتين كما تقدّم في كلامك ومع ذلك ترى أنها قد كوّنت صفوفًا منظمّة مستقيمة من أسفل إلى أعلى فتجد عدد (١) فوقه (٢) و (١١) وعدد (٣) فوقه عدد (٨) وهما صف آخر على اليمين وعدد (٢) فوقه عدد (٧) وهما صف واحد منظم ثم عدد (٤) فوقه عدد (٩) وهما صف واحد فالجمال مضاعف جمال في الشكل الكوكبي وهو الخبزوني وجمال في الدوائر التامة وجمال في الصفوف المنظمّة من أسفل إلى أعلى وهي هنا نجمة وجمال في نظام الأعداد في الصف الواحد فان كل واحد هو خامس ما قبله بحيث لا يكون في ذلك خطأ فهذا النظام يراه الحكماء نوراً يهرهم ويزدرون بالأنوار الحسية فان ذوى البصائر إذا أدركوا أمثال هذا في نبات أو حيوان أو كوكب ذهابوا عما حولهم واستغرقوا في ذلك الجمال وطربوا طرباً لا يحسّ به الناس حولهم فالناس الذين يعيشون على هذه الأرض أكثرهم لا يدركون هذا الجمال ويكتفون منه بما كل والمشارب والملابس فهم محبوسون مقيدون بسلاسل الخواص والحكماء والمستبصرون هم الذين يعقلون فالعامة هم المحبوسون والحكماء هم الذين يرون هذا الجمال ويفرحون به والله هو الذي مدّ لهم المائدة التي طلبوها وجعلها عيداً لأولهم وآخرهم وجعلها آية منه ورزقهم . فقلت فبين لي معنى هذا المأتم . فقال ان دول الأرض كلهم في جنتهم لا يعقلون من العلم إلا ظواهره . فقلت إن هذا القول نقلته أنا من كتب الفرنجة فكيف تقول انهم يقفون على الظواهر . فقال إن الفرنجة الذين كتبوا هذا هم علماء النبات وعلماء النبات من شأنهم أنهم مختصون بعلم واحد ولكن ليس من شأن علماء النبات المباحث العامة التي تشمل نظام الوجود كله . إن أهل الأرض لا يزالون في حرب وضرب حتى يرشدوا ولا يرشدون إلا إذا ارتقى التعليم في الأرض وارتقاء التعليم في الأرض أن تكون هناك صبغة عامّة وهي - صبغة الله - وصبغة الله هي الصبغة التي تصبغ بها قلوب كبار الأمم جميعها من عرب وعجم وشرق وغرب فيتفننون في كل العلوم وينشرون في المدارس الجمال العام مثل الذي تذكره أنت الآن لكل أمة على حسب ما يناسبها وتكون الأمم كلها مشتركة في نظام التعليم العام مع مميزات كل أمة ويعلم الصغار في المسكاتب شرقاً وغرباً نظام الله العام وصبغته والفترة العامة والميزان المنصوب ويعلمون أيضاً أن الناس كلهم فوق الأرض متضامنون متناسبون كهذه النسبة المنظمّة في الكسور المتقدّمة في كلامك هذا وحينئذ يصبح نوع الانسان كله في عرس ونور مبين ويحبّ الناس بعضهم بعضاً أجمعين فهم كلهم كرجل واحد . فقلت له ولكن ديننا فيه أن نغزو الكفار ونحاربهم . فقال أنسيت قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وهل نسيت قول العلماء ان هذه الحال حينما لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم . إذن دين الاسلام الذي تحتج به هو الذي يبحث عن السلم العام وعلى أهله أن يكونوا قادة للأمم في سبيل السلام العام حتى يصبح أهل الأرض كلهم كأسرة واحدة وهذا هو الزمان الذي جاء في الحديث أن الانسان يريد أن يعطى الصدقة لأحد فلا يجد فقيراً

إن الشرائع سواء أكانت بالوحى أم بالوضع لاسطان لها إلا على المتأفرين فأما الصالحون الذين هم متحابون فهؤلاء لاسطان للشرائع عليهم . قوم لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يسرق بعضهم بعضاً فكيف يسطو القانون عليهم وقد نقلت أنت في هذا التفسير أن أهل سويسرا ربما لا يكون للقاضي إلا ثلاثة أيام يقوم فيها بالقضاء لقلة الشكاوى وفي بقية الشهر يبحث عن قوته بعمله . وإذا صحّ هذا في سويسرا فهو ممكن أيضاً في جميع الممالك شرقاً وغرباً والمسامون هم أحقّ الأمم بذلك لأنهم جازوا رحمة للعالمين وهم اليوم في دور الجود

وسيقومون بدورهم الموعود واذن يكون الناس كلهم في عرس مثل هذا الوجود . فقلت هذا هو الذى جاء فى كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

فلما سمع ذلك صاحبي قال هذا حسن ولكن كيف تقيس الانسان على النبات وهل علم الحقائق يكون بالقياس والقياس علم ظني . فقلت وبالنص أيضا . فقال وكيف ذلك . فقلت قال الله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فجعل الناس نباتا والنبات كاه موزون فالوزن فى الانسان كالوزن فى النبات والنبات وزنه فى أمور كثيرة أهمها أربعة

(١) نظام الاجزاء الداخلة فيه بحساب كما قدمنا فى سورة البقرة عند قوله تعالى - ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه -

(٢) ونظام توزيعه على المناطق الحارة والمعتدلة والباردة

(٣) ونظام توزيعه على ما يحتاج اليه الانسان والحيوان من غذاء وكساء ودواء وفاكهة

(٤) ونظام أوراقه من حيث أوضاعها الذى كلامنا فيه

ولارىب أن الانسان قد وزعت على أفرادها وأمه القوى كلها توزيعا كما قررناه فى كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ بحيث يحتاج أعلاه الى أدناه وشرقيه الى غربيه وبالعكس . فقال مائة قول فى حديث ﴿ بنى الاسلام على خمس ﴾ فالشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج من أركان الاسلام ولم يرد ما قلته فى تلك الأركان . فقلت له انما مثل الاسلام كمثال الانسان . ان الانسان مركب من هيكل عظمي مشتمل على (٢٤٨) عضوا ومن عضلات وعروق وأحشاء ودماغ وحواس ظاهرة وباطنة . فالقسم الأول وهو هيكل العظام وهو أس هذا الانسان اذا عطل لم يكن له وجود فهو أشبه بأركان الاسلام الخمسة . والقسم الثانى من اللحم والشحم والعروق الخ هو المتمم للأول فالأول كالأعمى والثانى كالمتعبد والأعمى يحمل المتعبد والمقعدي يريه مواقع المنافع . هكذا دين الاسلام فهيكله الذى لا وجود له إلا به هو هذه الأركان الخمسة ولجه ودمه ونخه وحواسه وعقله الخ هو هذه العلوم والصناعات التى بعضها فرض عين وبعضها فرض كفاية

وانى أجد الله إذ أعاننى فقررت ذلك فى هذا الكتاب وشرح الله صدرى لذلك وسيكون هذا إن شاء الله موردا يرد اليه الأذكياء ويصدرون عنه حكماء . فاذا اكتفى المسلمون بما هم عليه اليوم من اقامة شعائر الاسلام فهم كهيكل منصوب بدون نخ ولا عروق ولا لحم ولادم فتتخطفهم الأمم من حولهم وهم نائمون وتكون بلاد الاسلام أشبه ببيت بنيت فيه خمسة أعمدة مرفوعة ليس عليها سقف فينصب عليهم المطر والحر والبرد وتسطو عليهم الوحوش الكواسروهم فى ذل عظيم فهم اليوم عرضة للأمم من كل جانب ذلك لأنهم ظنوا أن الاسلام خاص بالأركان الخمسة وماهى إلا حافظة لشكاه ولولاها لم يبق هذا الدين والشكل والهيئة لا يكفيان وكما أن الانسان لا يتم وجوده إلا بهيكل ولحم وشحم ونخ وحواس الخ هكذا لا يتم دين الاسلام إلا بجميع العلوم والصناعات التى أوضحناها فى هذا التفسير والله ولى الصالحين - إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - والله خير الناصرين . فقال لقد أحسنت وأجبت . فقلت الحمد لله رب العالمين

بعد أن كتبت ما تقدم حضر لى كرة أخرى ذلك الصديق الصالح العالم وقال لقد عنى لى أمر فأرجو السؤال عنه . فقلت سل . فقال أريد ايضاح الكلام على قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - التى جاءت فى الكلام عرضا فى تفسير قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - . فقلت لقد ذكرت لك هناك مشابهة الانسان للنبات من وجوه كثيرة فإذا تريد إذن . قال ان الكلام فى حاجة الى ايضاح فقلت إذن ايضاحها فى سورة الفتح . قال وما مناسبة سورة الفتح لما هنا . قلت إن الله عز وجل ضرب ﴿ مثلين ﴾ للأمم الاسلامية ﴿ المثل الأول ﴾ مثلهم فى التوراة أنهم أشداء على الكفار رجاء بينهم تراهم

ركعاً سجداً الخ ﴿ المثل الثاني ﴾ مثاهم في الانجيل فشبههم بزرع أخرج شطأه فآزره فاستعلا فاستوى على سوقه يجلب الزرع • ولقد شبه الله الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة في سورة ابراهيم فقال - ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء - فالثلثان للذان في سورة الفتح أولهما أنهم يقهرون الأمم ويعبدون الله وسيماهم في وجوههم من أثر السجود وهذا هو الحاصل الآن لأن أسلافنا نشروا الاسلام في آسيا وأفريقيا وبعض أقطار أوروبا وفي الاوقيانوسية وبعض أهل أمريكا مسلمون

واليهود أصحاب التوراة قوم كانوا مغرمين بالحرب والضرب ولكنهم من جهة أخرى لم يريدوا أن يكون دينهم عاماً فلذلك قهرتهم الأمم وشتتوا في البلاد الى الآن وهم الآن (١٦) مليوناً وكثير من ممالك أوروبا مكتونة من أقل من عشرة ملايين ولكن القوم عندهم كتاب سماوى وبه حاربوا ولكن الله لم يسلطهم على الناس بالقتال لعلمه أنهم لا ينشرون دينهم وإنما يريدون مجرد السلطان والقهر لأن عقيدتهم أنهم سادات الناس وأن الناس كالحيوانات وهم ساداتهم فمن هذه الوجهة سلط الله عليهم الرومان فأجلاهم الجلاوة الكبرى بعد رفع المسيح عليه السلام الى الآن

أما الاسلام فإن الله أنزله ديناً عاماً وجاء فيه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى - الى قوله - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولكن اليهودى يقول ان الاكرام خاص ببنى اسرائيل • إذن ضرب المثل للمسلمين في التوراة بأنهم أقوىاء أشداء على الكفار رجاء بينهم مناسب لبنى اسرائيل من وجهة واحدة أما الوجهة الأخرى فالمسلمون انتشروا في الأرض ونشروا دينهم والمشيبه بهم انتشروا في الأرض ولم ينشروا دينهم لأنهم جعلوه ديناً قومياً

المثل الثاني هو تشبيههم في الانجيل بالزرع والزرع له نمو وله ثمر ونمو الزرع يحصل منه ﴿ امران ﴾ قوة النبات وانتاج الثمر والامران هنا أو لهما قوة الامة وانتشارها وثانيهما قوة العلم والحكمة اللذين هما نتيجة الايمان والدليل على ذلك ما ذكرناه من تشبيه حكمة الايمان بالشجرة الطيبة في سورة ابراهيم وحديث الاسراء من قول ابراهيم عليه السلام لسيدنا محمد ﷺ أخبر أمك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبحان الله والحمد لله الخ فاذن تحصل من هذا أن المثل الثاني فيه معنى الرقى العالمى والأخلاق بعد انتشار الدين والعبادة في المثل الأول ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ امتلاء القلوب بخشية الله وحبه بجمال العلم إذ لا يخشى الله إلا العالمون بصنعمته كما قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - بعد ذكر الثمرات المختلف ألوانها وهكذا الجبال والدواب الخ • إذن أمة الاسلام لها دوران ﴿ الدور الأول ﴾ دور فتح البلدان وهذا الدور قد كمل لأن المقصود دخول طوائف من الناس في أقطار الكرة الأرضية في دين الاسلام طوعاً أو كرهاً

أما الدور الثاني فهو المقصود من الدور الأول وهو الفتح العلمى ونشر حب الله بالعلوم والمعارف وإدراك نظام هذا الوجود وهو المثل الانجيلى لأن الانجيل إنما جاء حب الله تعالى والغرام به ولم يؤمر المسيح بحرب ولا ضرب بل أصل الدين يرجع للأمور الروحانية • فهذا المثل ينطبق على الأمم الاسلامية في المستقبل بعض الانطباق • إن الأمم الاسلامية المنتشرة اليوم في أنحاء المعمورة الذين أدخلهم الله في الاسلام (لعلمه أن هذا الدين عام ليس كدين اليهود) أصبحوا اليوم أجهل الأمم بهذا الوجود وليس لهم غالباً حظ من العلم إلا ظواهر الشريعة وقشورها • أما حقائق الأشياء فهم عنها غافلون

إن الاسلام يشتمل على ﴿ قسمين ﴾ القسم الأول ظواهر العبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج وهكذا السمعيات كالخشوع والنشر والحساب والعقاب والنار والجنة فهذا هو القسم الأول ﴿ القسم الثاني ﴾ هي حقائق الوجود التى ملئ بها هذا القرآن وأكثرها الله فيه وصرف عنها أكثر عقول المسلمين قديماً وهاهنا أخذ يفتح لهم باب فهمها والوقوف على حقائقها من الآن • فالقسم الأول أوشك أن ينتهى دوره والقسم

الثاني هاهوذا قد أقبل زمانه وجاء اباه وحضر موسمه وأشرقت شمسُه وفلح عبيره وآنس أنسه وأبهج محضره وسرّ مخبره وابتهجت حدائقه وأزهرت أشجاره وأبنت أثماره كما ترى في هذا التفسير وفي هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وهي قوله تعالى - وأنبئنا فيها من كل شئ موزون -

إذن عرفت أيها الذكي قولى لك ان تفسير قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتاً - يظهر سرّه في سورة الفتح . إن سورة الفتح قد ختمت بالمثلين المذكورين ﴿أولهما﴾ لنشر الأمم الإسلامية على وجه الأرض وقد تمّ ﴿وثانيهما﴾ لرقى العلوم والاخلاق وأوانه يبتدىء من زماننا هذا

إن الملك اذا أراد أن يزور قرية أرسل الى أهلها فأعدّوا له العدة وفرشوا الاماكن والطرق واحتشدوا هكذا الله عز وجل أراد ولاراد لقضائه أن يعم الأرض بنعمه و يغمرها باحسانه والمسلمون وهم سيكونون صفوتها خير من ينعم عليهم بالعلم والحكمة فهو أولاً بشرهم بالفتح الظاهري وثانياً ملائ أوروبا وأمريكا واليابان والصين بالعلوم التي كلها هي معاني آيات القرآن كما التضح في هذا التفسير فهذه كلها نشرها الله في الأرض وقال اليوم للمسلمين ها أنتم أولاء قد انتشرتم في الأرض شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وها هي ذه العلوم تحيط بكم من كل جانب وكتابتى يطلها كلها وليس طلبه ذلك لآيات قليلة بل مئات من الآيات فلم يبق إلا أن ترجوا تلك العلوم كما هي وتدرسوها جميعها ويكفيكم في ذلك (٢٠) سنة لا غير ثم بعد ذلك ادرسوا هذا الوجود بعقولكم دراسة أتم لأن القسم الأول من الدين تقليدى يؤخذ بالتسليم فتصاون وتصومون وليس لكم حق أن تقولوا لم كان كذا ولم كان كذا وهكذا تؤمنون بالبعث والحشر الخ وتسلمون بذلك تسليماً

أما القسم الثاني فهو لبّ الباب وهو الجوهر الممكنون وهو المقصود الأتم من دينكم الجيسد فاذا قرأتم - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - نظرتم بعقولكم أحراراً كما نظراهل أوروبا واليابان وأمريكا وأهل الصين . تنظرون بعقولكم أحراراً إذ ليس ذلك مناقضاً للقسم الأول بوجه من الوجوه . فاذا قصرت أكثر الأمم الإسلامية في هذا القسم في العصور المتأخرة فاني أيها المسلمون لم أترككم تتخطون في دجور الظلام بل ألهمت الأمم فأبرزت العلوم وأمرتها فقاتلتكم ونشرت لغاتها في بلادكم وذلك لاوقفكم الى علوى ومعارفى التي أنا الصانع لموضوعاتها وأنا الشارح لصدور الناس ليدرسوها . فها أنا ذا سهلت لكم السبل وذللتها خالطكم الأمم طوعاً أو كرها وهم يحملون علوم مخلوقاتى التي أمرتكم بها في كتابى . تلك العلوم التي لاسبيل لمعرفة إلا بالعقل المحض بخلاف القسم الأول الذى لاسبيل الى تغييره ولا تبديله والاقصا على القسم الأول من قسمى الدين مؤذن بالخراب مؤدّ الى الجود مهلك الأمم . أما القسم الثانى فهو المقصود الأعظم من هذا الوجود وهو المقصود من مثلكم فى الانجيل وانكم كزع أخرج شطأه الخ

فتبين من هذا أيها الفاضل الذكى هنا أن الفتح فتحان . فتح البلدان وفتح العلوم وكلاهما جاء فى آخر سورة الفتح وفتح العلوم هو المقصود الأتم وهو المناسب لتفسير آية - وأنبئنا فيها من كل شئ موزون - فان المعانى المدرجة فيها فتح علمى لافتح البلدان . إن فتح البلدان قد خاف منه النبي ﷺ إذ قال ﴿إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها﴾ الحديث وقد تقدّم عن الشيخين فى سورة الأنفال فالنبي ﷺ يقول ان هذا أخوف ما يخاف علينا واخوف منه قد تحقق فعلا فليس فى قدرته ﷺ ردّ قضاء الله وقدره وقد قضى الله بأن ماخاف منه النبي ﷺ قد كمل وتمّ وذلك أن فتح البلدان يورث التنارع على الملك وعلى الغنائم وعلى المال وعلى اللذات والشهوات وينتهى ذلك بزوال الملك وقد حصل هذا كله أيام بنى أمية وبنى العباس وانتهى الأمر بضعف المسلمين وإحلال العزائم ومن أعظم ما خافه ﷺ ما جاء فى البخارى ﴿ويل للعرب من شرّ قد اقترب﴾ وسياأتى إيضاح هذا المقام فى آخر سورة الكهف عند ذكر بأجوج ومأجوج إذ ترى هناك أن الأمم الإسلامية فوجئت بالتتار الذين دخلوا بلاد الاسلام

في نحو القرن السابع الهجرى وأهلكوا الحرث والنسل . هذا هو الفتح الأول من الفتحين وهو الفتح الذى خافه ﷺ الذى جعل مقدمة للفتح العلمى الذى سيكون بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله إذ ستطلق العقول من عقالها وينطلق المسلمون الى شرق البلاد وغربها لدراسة الأرض والسما كذا انطلق آبؤنا في شرق البلاد وغربها لفتحها . فها أنا ذا أدعو المسلمين لجنى ثمار الفتح الأول وذلك بالفتح الثانى نحن الآن جئنا فى زمان وجدنا الامور مبهمة لنا والسبل مذلة . واذا ذل الله للنمل سبيلها وهى حشرات فها هو ذا سهل لنا سبلنا ونحن من نوع الانسان . سهل الله لنا السبل فلنسنا نحتاج الى حرب ولا ضرب وهذا التفسير مثلاً ينتشر فى بلاد أفريقيا وآسيا وغيرها لأن الطرق مذلة والفتح الاسلامى الأول مهد لهذا التفسير ولأمثاله أن يقرأ فالعلوم ونشرها اليوم فتح عالمى بعد الفتح الأول للبلدان . وعلى كل من قرأ هذا التفسير أن يكون أمة وحده يهدى الناس الى العلوم ومعرفتها ونشرها . ومن فهم ما كتبتة فى هذا التفسير فقد شاركنى فى رأى والفهم فوجب عليه ماوجب على بل عليه أن يفعل كل ما فى طاقته . أما أنا فليس فى طاقتى إلا ما صنعتة - لانكاف نفس إلا وسعها - فربما كلف غيرى بما لم أكف به اذا كان على استعداد أتم فى مال أوجه أو علم والله هو الولى الجيد

فاما سمع صاحبي ذلك قال لقد أفدت افادة تامة ولكنى أرجو أن تزيد القول ايضاحا . أما أنا فقد اكتفيت ولكن كلما تضافرت الأدلة على المدلول ازداد المعنى ايضاحا وأرى أن هذا المقام شائق والله واسع العلم فاطلب من الله يزدك علما فيزيد النور . فقلت قال الله تعالى - اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا -

إن هذه السورة هى ملخص ما تقدم . ألم تر أنه أمره بعد النصر والفتح ودخول الناس أفواجا فى الدين أن يسبح بحمد الله ويستغفره . فبالت شعري ما التسبيح والتحميد . أليس الأول تنزيه الله عن الشريك والثانى اختصاصه بالجد وقد عرفت أن الحمد يرجع لسائر العلوم إذ لا حمد إلا على نعم والنعمة المجهولة يكون الحمد عليها نفاقا وكذبا وزورا

ومن جد أحدا بالنعمة يعلمها فهو منافق أو مستهزئ ورجل زور . ولقد كان ﷺ بعد فتح مكة يكثر من التسبيح والتحميد . ياليت شعري . أليس معنى هذا أنه يعلمنا وهل هذه السورة جاءت لقرأها نحن مجرد قراءة أم جاءت لتقتدى بنبينا ﷺ ونبينا ﷺ بعد الفتح كان يحمد الله وهو قد أفرغت عليه سائر العلوم . أما نحن فلم تفرغ علينا العلوم وانما نحن مأمورون بالاجتهاد فى العلم كما قال تعالى لنبيه ﷺ - نحن على أثره - وقل رب زدنى علما - فنحن اليوم مأمورون بالعلوم لنحمد الله بحق بعد انتشار الاسلام فى الأقطار . الأهم الاسلامية اليوم يجب عليها حمد الله ولا معنى لجد الله بغير علم بالمحمود عليه وهى سائر الخلوقات التى اذا جهلت كان الحمد عليها رياء وكذبا . فهذه السورة يؤخذ منها بطريق الاشارة والرمز أن الأهم الاسلامية تجدد فى آخر الزمان فى العلم والحكمة وتعرف العلوم ولذلك كثر الحمد فى القرآن وتسمع المسلم فى صلاته يقرأ - الحمد لله - فى كل ركعة والحمد جاء فى أول سورة من القرآن من حيث ترتيب القرآن فى السور والمسلمون يسمون (الحامدين) يحمدون الله فى السراء والضراء وبعد الأكل والشرب وعند النعم والنقم . ويقول المسلم فى صلاة الصبح ﴿ فلك الحمد على ما قضيت الخ ﴾ قال تعالى - وآخذ عولهم أن الحمد لله رب العالمين - ونبينا ﷺ له مقام الحمد والله يقول لنا - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها - وهذا يدل دلالة الاشارة أن آخر هذه الامة يوقفهم الله على عجائب صنعته فيعرفونه وهذا أوانه وانى أجد الله عز وجل الذى وفق لهذا التفسير ومنح وهدى وأعطى وهو سبحانه سيلاهم كثيرا من قرأه ببذل النفس والنفس والمهيج فى سبيل نشر العلم وتعميم التعليم للعلوم كلها والصناعات وحب الله تعالى

إن الأمة الإسلامية كلما زاد علمها بهذا الوجود ازدادت ثمراتها في الحياة وأصبحت قدوة للناس شرقا وغربا . إن الأمم اليوم تقرأ العلوم ولكنها لا تقول إنها موافقة لأديانها . أما ميزة الأمم الإسلامية بعد انتشار هذا التفسير ونحوه فإنها تقرأ العلوم وهي موقنة أنها مقصودة من الدين بل سيقرونها ويعلمون أنه لا نسبة بين تلك العلوم وبين العبادات . إن العالم بعلوم هذه الدنيا أفضل من العابد بما لا حصر له قال تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - وقد ذكر ابن عباس أن بين العالم والعابد درجات كثيرة كل درجة منها كما بين السماء والأرض إذ من ميزة الأمم الإسلامية المستقبلية أنها تقرأ العلوم وهي مستغرقة في حب الله فإذا كان ظاهر علوم الفلك أو علم النبات مثلا يرجع لامور الحياة فإن عجائبه وبواطنه كما رأيته في هذا التفسير يرجع للغرام بالله تعالى . وكلما ازداد الناس علما دنيويا ازدادوا بحجابه علما برهيم وعلى مقدار سعادتهم بعلوم الدنيا تكون سعادتهم برهيم وبحجته وبرجته الواسعة

والدليل على ذلك ما مر آتفا في هذا المقام في تفسير - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - فإن نظام الأوراق لم نصل لحسن إبداعه فوق الأشجار المختلفة إلا بعد نقل ذلك من كتب الفرنجة والمؤلف لذلك الكتاب يقول إن هذا العلم نقله عن علماء النبات إذن جبال النبات وغير النبات لا يعرف إلا بعد استيفاء نفس العلم بمصالح الدنيا الذي هو فرض كفاية في ديننا . أما النظر العام في جباله فذلك فرض عين على من قدر عليه لأمرين للتوحيد وللشكر ففي علم النبات ﴿ ثلاثة فروض ﴾ فرض كفاية لمصالح الدنيا وفرضا عين هما التوحيد والشكر لأمور الآخرة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لارتقاء النفس والحب والبهجة وهذا العلم على هذا النحو هو المقصود من هذه الدنيا بل لذة العلم هي المقصود في الدنيا والآخرة بل القرب من الله إنما يكون بالعلم . وهذه المعاني ليست في أكثر كتب الفرنجة بل هم يقرؤون العلم من حيث هو ولا مقصد لهم سواه لأن دينهم ليس فيه حض على العلم بوضوح كما في القرآن فاذن أمة الإسلام متى عرفت هذا النظام ترقى أكثر من الفرنجة بعد ترجمة علومهم . فدين الإسلام ﴿ قسمان ﴾ قسم هو العلوم كلها بها يتقرب العبد لله ويكون من أوليائه وبهذا يصبح الأولياء والصديقون في الأمم الإسلامية والطبقة الراقية كلها يشاركون أوروبا وأمريكا واليابان في علومهم ولغاتهم وفي التاريخ والآثار وعلوم الكواكب والنبات والحيوان الخ والقسم الآخر يختص بالمسلمين وهو العبادات ونحوها وبهذا يصبح المسلمون أغنى من جميع الناس في العلم وفي الدنيا وفي الدين وكيف لا يكون كذلك والدين أصبح هو نفس هذه المدنية بعينها ونصها والقربى إلى الله بنفس هذه العلوم كما رأيت فتكون علومهم شارحة لصدورهم مقربة لربهم نافعة لأبناء نوعهم من الآدميين . سيكون في العالم أمة إسلامية خليفة لربها يقتدى بها المقتدون تشارك الأمم في علومها وتزيد عليها العشق والحب والغرام بهذا الوجود الذي تعيش فيه ويصبح فيهم حكماء فإن الحكمة أولها حب العلم ووسطها معرفة العلوم ونهايتها حب الله والتخلق بحمائل الأخلاق

ففر بعلم تعيش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

فالما سمع صاحب ذلك قال لقد أجدت وأحسنيت ولكني أريد أن تلخص لى ما تقدم كله في بضعة أسطر وتزيد عليه كيف عميت هذه الحقائق عن أكثر المتقدمين . فقلت إن محصل ما تقدم أولا أن آية النبات ووزنه ظهر سرها في كتب الفرنجة وانهم قد عرفوا الأوراق وترتيبها وترتيب دوائرها بحيث جعلوا لها جداول مرتبات منظمة من السكسور الاعتيادية وبين هذه السكسور مناسبة كالتي بين الجداول المتقدمة . وثانيا أن الأمم في نظامها كالنبات في اتقانه فالناس لو فطنوا لأدركوا أنهم في نظامهم محتاج ومتوقف بعضهم على بعض في جميع الكرة الأرضية ولا يزالون في ذلك حتى يصلوا لهذه النتيجة . وثالثا أن الله جعل الإنسان نباتا وضرب المثل

باررع في سورة الفتح للمسلمين . ورايا أن الفتح فتحان فتح بلاد وقد تم أمره وفتح علوم وهو الذي سيكون بعد نشر هذا التفسير وأمثاله وفتح البلدان خاف منه نبينا ﷺ وفتح العلم أمرنا بالزيادة منه فالفتح العلمي مأمون العواقب وهو الزمان المستقبل الذي تعم فيه الصفة المحمدية المسماة بالعبسوية تصطلح فيها سائر الأمم . ويستحيل اصطلاح الأمم والمسلمون والأمم معا جاهلون

اما قولك كيف عميت هذه الحقائق على كثير من أسلافنا فاعلم أن الله هو الذي قال - سأريكم آياتي - وقال - وقل الحمد لله سير يكم آياته فتعرفونها - إن الله عز وجل لا يخلق الامور إلا في أوقاتها المناسبة وهذا الزمان أنسب الأزمنة لذلك لاسيما بعد أن ذاق المسلمون ذل الجهل وتجرعوا صعبا وأوصابه فالأجيال المقبلة سيقبلون على هذه العلوم بعد ادبار آياتهم عنها ويحرصون على تحصيلها حرص آبائهم على تركها والتبري منها وعلى مقدار اقتراب بعض المتقدمين لله بمعادة هذه العلوم يكون اقتراب أبنائنا لله تعالى بحجة هذه العلوم والانغماس فيها

﴿ الكلام على نحو الفتوحات المكية لابن عربي ﴾

واعلم أن الأمم الاسلامية لما أقل نجمها وغابت شمسها وأدبر سعدا وأقبل نحسها أذلت العلماء ومحت آثارهم كما حصل لابن رشد بالأندلس ولكتاب الاحياء في تلك الأرجاء من الاحراق والتمزيق . لذلك أخذ الخلف منهم يعلمون العلوم باسم التصوف كما ترى في الفتوحات المكية لابن عربي وفي الفصوص له فالكتاب بحر متلاطم الأمواج في وحدة الوجود ونحوها . وقد كان الأذكياء من علماء الاسلام يقرؤون هذا الكتاب فيخيل الى أنهم أشبه بذاب غرق في العسل

إن ذلك الكتاب بحر لجي لا ساحل له بقلم فياض ولكن القارئ له ينصرف بالكلية غالبا عن العلوم المحيطة بالناس في السموات والأرض وليس معنى هذا أنه ليس فيه هذه العلوم . كلا بل انه هو كان يعرف الفلسفة القديمة معرفة تامة وكذلك الشريعة الاسلامية وهما في يديه معا يتصرف فيهما بالانشاء ولكن غلبت على الكتاب الامور الغائبة عن العيان فكان القارئ له يضيع بقية الحياة في حل رموز الكتاب ويرى نفسه ليس أهلا لفكر آخر ولا لاجتهاد . واعلم أن الله عز وجل ألهم بهذا التفسير لتزرن القوى في الأمم الاسلامية فان هذا التفسير وأمثاله يجعل في الناس شوقا الى معرفة العوالم العلوية والسفلية ومشاركة الأمم والعلو عليها في علومها ولكن الفتوحات وأمثال الفتوحات كثيرا ما تلقى في وهم القارئ أنه ليس أهلا لأي فكر ولا أي اجتهاد لأن ما في الفتوحات فوق متناول العقول البشرية فتقف العقول غالبا والله أسأل أن يهدي بهذا التفسير أمما وأما وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم . انتهى

﴿ الكلام على قوله تعالى - وجعلنا لكم فيها معاش - ﴾

يقول الله تعالى إن أنواع معاشكم التي تغذيكم وترويك وتلبسكم وتدأويكم قد سخرناها لكم في الأرض فلا السمك في البحر غذيتموه ولا الطير في جو السماء ربيتموه ولا غيرها من أشجار الجبال وغابات الأرض ومعجائب البر والبحر خلقتموه . إن في خزاننا من أنواع المعادن النفيسة والمخلوقات البديعة ما لا حصر له ولكننا لا نعطيكم لكم إلا بمقدار ولا نمنحكم إلا بحساب . ألم تروا الى الرياح كيف جرت الحكمة دبرناها وآية بيناها فهي تحمل السحاب وتلقح الأشجار وما الرياح إلا الهواء أثارته الحرارة الشمسية فكان ما كان من الرياح وأقلها يجتاز قدمين في الثانية الواحدة والنسيم سرعته خمسة أقدام فيها والمعتدل من الرياح من ١٠ الى ١٦ قدما في الثانية وقواصف المناطق المعتدلة من ٢٠ قدما في الثانية الى ١٠٠ قدم وهي في المناطق الحارة من ١٠٠ قدم الى ٣٠٠ قدم والكلية التي تخرج من المدافع تقطع ٦٠٠ قدم في الثانية باعتبار المتوسط وفي أول خروجها ضعف هذا أي نحو ١٣٥٠ فأعظم الرياح يجري كنصف متوسط تلك السكة والصوت الذي

يجرى مع الريح في اتجاهه يقطع ١٠٥٥ قدم في الثانية والضوء يقطع (١٨٦) ألف ميل وإنما قرنت لك سرعة الهواء بسرعة المدفع وسرعة الصوت وسرعة الضوء لنطلع على خزائنه التي أبرز بعضها لنا وترى أن تلك السرعات المختلفة جاءت لمصلحتنا وهي مما أبرزه من خزائنه . أفأنت ترى أن سرعة الريح لو كانت دائما أشبه بالعواصف في البلاد الجارية لم يستقر الحيوان والإنسان ولساءت الحال ولم يتم العمران . أولست ترى أنه لو بقي الهواء ساكنا لم يتم لقح النبات ولم ينتظم ولم تجر السفن ولم يسعد الناس الخ . أأنت ترى أن اعتدال النسيم تارة وقصف القواصف وعصف العواصف في بعض الأوقات بعض الخزائن المخزونة التي أخرجها الله بحكمته لاسعادنا . أولست ترى أن سرعة الضوء لو لم تكن بهذا المقدار لكانت الأرض محتلة النظام في حياة من عليها أعني أن الضوء لو كانت سرعته كسرعة الريح لم يصل لنا ضوء الشمس سريعا كما يصل الآن فتأمل هذا المخزن الذي أمامك وهو مخزن الحركات التي في الرياح وقل لي . أليس الهواء لولا حركته ماجرت السحب بالرياح ولولا الرياح لم يلقح الشجر . إن حياتنا وديعة أودعها الله في الأرض وأوصى عليها الهواء وقال للحرارة حركي الرياح بحيث تزجي السحاب في أوقات معلومة ولو أن الرياح كانت ساكنة لم نعش ألبتة فما الذي يحمل السحاب فينزل المطر وقال أيضا اجلي أيتها الرياح لقح الأزهار التي هي ذكور إلى الأزهار التي هي إناث

يقول الله لها اجلي طلع الذكور وضعيه على الاناث من كل نبات لتخرج الثمار والفواكه للناس . سيرى أيتها الرياح بلطف ولا تكوني كالقواصف ليستقر الطلع في الأماكن التي وصل إليها ولتسير السفن في البحر فلا تكسر قلوبها بسرعتك الشديدة وحركي أيتها الرياح الأشجار لتدفعي عنها ماعاق بها من الغبار وليكون ذلك رياضة للشجر والزرع كرياضة الحيوانات لينفذ الغذاء في المسام فالنبات يتحرك لك له والحيوان باختياره في الحركات الخربية والحركات الرياضية . فهذه خزائني أيتها الرياح فيك أودعها لاهني مخلوقاتى على الأرض وأجعل جريك بقدر مقدور

هذه بعض خزائن الله في الهواء ذكرها الله هنا ليتبين الناس كيف كانت الخزائن في بقية المخلوقات وهذا هو قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه - إلى قوله - فأنزله من السماء ماء فأسقيناكموه وما أئتم له بخازنين -

﴿ ومن خزائن الهواء الرياح الدائمة المنظمة والرياح الدورية والرياح المختلفة ﴾

فالرياح المنظمة تذهب من الشرق إلى الغرب ومن القطبين إلى خط الاستواء فالتى تذهب من المشرق إلى المغرب تكون بين مدار السرطان ومدار الجدى جاءت من حرارة الشمس ومن حركة الأرض حول محورها فحرارة الشمس تجعل الهواء خفيفا فيعلو ويسير والهواء في المنطقة المعتدلة والمنطقة المتجمدة في نصف الكرة يجرى إلى ما بين المدارين ليحل محل الهواء الذي خف وارتفع فجري الرياح هناك دائم ولا يستشعر به إلا على بعد مائة فرسخ من الساحل الغربي لأفريقيا

ومن عجب أن فوق طبقات الريح المنتظمة يجرى تيار مخالف له . فاعجب لنظام بديع . خف الهواء بين المدارين فارتفع إلى أعلى وجري فكان ذلك سببا حرك الرياح من الربع الشمالى والربع الجنوبى فجرت على عجل لتحل محل ما خلا من الهواء في تلك الأقطار وكأن تلك لرياح قوم من البشر ذهبت أرواحهم إلى عالم الأرواح فجاء آخرون حلوا محلهم . والحركة بين هؤلاء وهؤلاء دائمة فحرارة الشمس بتأثيرها في الاقطار الاستوائية وما والاها رفعت الهواء إلى أعلى الطبقات كما ترفع الأرواح من عالم الأرض إلى عالم السماء وتخلو أمكنتها فيحل محل هذا الهواء نظيره من نصف الكرة كما يحل أناس في الأرض محل الناهبين

إذا فهمت هذا فتعجب كيف أتى بعدها بقوله - وإنا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون - لأن حركات الحياة والموت كحركات الرياح المنظمة . وأما الرياح الدورية فهي التى تسمى ريح الموسم وهي تكون في

البحر الهندي وهي تهب ستة أشهر من مهب واحد من السماء وفي ستة أخرى تهب من جهة مقابلة لها وهي دائما تتجه جهة نصف الكرة الذي سخنته الشمس بأشعتها ولا تتجاوز الدرجة العاشرة أو الثانية عشرة من العرض الجنوبي

أنظر خزائن الله في الهواء وانظر خزائنه في الماء الذي حمله الهواء وانظر الى البحر كيف خزن الماء فيه والحرارة أثرت فيه فحمله الريح من البحار الملحة ومن الآجام والمواضع الرطبة وذلك بقدر يقول الله للحرارة كما يقول للرياح لا تلحى أيتها الحرارة على البحار إلا بمقدار حتى يكون بخار على قدر الحاجة فيكون سحب وإذا نزل المطر على الأرض فاحتفظه يا جبال اعبادي ويا حرارة أذيبه قليلا قليلا ليزيد في الأنهار ويا تلوج قفي فوق الجبال وانتظري الحرارة حتى تذوبك قليلا قليلا لتزيد في الأنهار ويا عيون انبئي بقدر معلوم وليبق الماء مخزونا في جبال وفي أرض وفي المجارى التي تحت أرجل الناس في طبقات الأرض ولتكن قريبة حتى يسهل لهم اخراجها عند الحاجة . هذه هي بعض خزائني . فإياك يا بحر أن تطغى على اليابسة . وإياك يا أنهار أن تعمى الأرض دائما بالماء بل لتكن زيادة وليمكن نقص على حسب ما أرسلت لكن من حرارة الشمس . هكذا أمر الله . فهذه الحركات الجوية والمائية وتعاقبها واهتياج الرياح وارتفاعها الى أعلى بين المدارين وحلول الرياح الآتية من المناطق المعتدلة والباردة أشبه بما في حركة الأحياء وحلولهم محل الأموات كما قدمناه . إن هذه هي المقدمات المعيشية للناس في الأرض فليس يكون الناس إلا حيث يكون هذا الهواء وهذا الماء والقاح الشجر والانسان هو الملك الذي توجه الله على ملك الأرض فلما أتم الكلام على نظام المعيشة والحياة وشرع يذكر حياة الانسان وموته التي هي نتيجة هذا كله بدأ يذكر الحياة والموت فقال - وأنا لنحن نحي ونميت - كما جعل في الرياح تيارات عليا فوق الرياح المنتظمة لأن هواءها أخف فكان أعلى . يقول الله إن حركات الأرواح في الحلول بأرضكم والارتحال عنها الى عالم أطف من عالمكم لاتخالف ما على أرضكم من الحركات فهو أرق مما يحمل السحب فيرفعها وقد كان ماؤها في أرضكم هكذا أنا أحييكم بإقامتكم في أرضي وأميتكم باخراجكم منها لتوسعوا الطريق الى من بعدكم وليطالع على خزائني أعم كثيرة تأتي بعدكم وليس احياءكم ولا قاتلكم بلا قانون مسنون بل لها طريق معلوم وإذا عامتم ما سئناه في الماء والهواء فاعلموا ما سئناه في الحياة والموت فنحن نحي بقدر ونميت بقدر فاعلمنا المستقدمين منكم وعلمنا المستأخرين كما علمنا ارتفاع السحب والرياح وقد رنا انخفاضها وانحطاطها في أوقات معينة ثم بعد ذلك نحشركم جميعا ههنا أن أن نشرح لكم الحياة الدنيا وأن نشرح لكم الحياة الأخرى بعد ما بينا المعاش التي لا بد منها في حياتكم الدنيا

﴿ كيف كان خلقنا ﴾

وهنا أبتدى بذكر خلقكم وأشرح كيف خلقناكم لنبين الحياة ثم أشرح كيف تكون حالكم بعد الموت على سبيل اللف والنشر المرتب . أما حياتكم فاني أمثلها بما تصنعون . إنكم تصنعون من الطين أباريق وأواني مما تستعملونه لا مورك المعيشية فتبدون بتصوير الطين ثم تضعونه في النار فيحترق وذلك هو الفخار هكذا أنا صنعت الانسان . ذلك أني سويته من العناصر الأرضية التي يتغذى بها النبات ويفتدى بذلك الانسان ويصير في دم الحيض الذي يغذى الجنين ثم انكم أنتم تأكلون الطعام المكوّن من الطين فيصبح الطعام من جملة جسمكم الانساني والماء معه . فالذي يقوم مقام الطين في صنع الفخار هنا شهوتكم المركبة فيكم فان هذه الشهوة بها جلبتم المواد النباتية التي تأكلونها وتصير من جملة أجسامكم بعد هضمها . إلى جعلت الشهوة هي التي تقوم بعملية تصوير أجسامكم بعناية وحكمة دبرناها والذي يقوم مقام نار الفخار لاحتراقه هو ماركبت فيكم من قوة الغضب التي بها تحافظون على أجسامكم ومدنكم وقلاعكم وأعراضكم فلا تفتضحون

فهذه القوة الغضبية فيكم مقابلة للنار التي تحرق الفخار فيصير قويا اذا نقرتموه صوت . وهذه الحرارة أكسبته البقاء ولولاها لتكسر . هكذا قوة الغضب جعلتكم تدفعون بها عن أنفسكم مايؤذيها من السباع والأعداء وهكذا الحر والبرد بالاستدفاء فان المراد بهذه القوة المحافظة سواء أكان مع حدة أم لا والدليل على أن هذه القوة كالحرارة في الفخار انك ترى الرجل اذا غضب تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ويشور الدم ويحمر وجهه ويغلي ويفور كل مارطب من جسمه . فهذا دليل أن قوة الغضب نارية كما أن قوة الشهوة أرضية لأنها تميل الى الأرض والى التعاطي من أغذيتها ومائها . هذا قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون -

ولما كان هناك عالم ألطف من عالمنا وكان ذلك ﴿قسمين﴾ قسم وجد لا يذائنا وعدم طاعتنا وقسم خلق لمصلحتنا ونعمنا كما أن من النبات ما هو شوك يؤذينا ومن الحيوان حيات تميثنا وعقارب لا يذائنا وهكذا منها نخل وورد وغزال وبقر لمصلحتنا . هكذا كان في العالم الروحي من هو مؤذ لنا كما آذانا المسكروبات من الحيوانات والآساد فوجد عالم الجن الذين هم أرواح إما مفارقة للأبدان الانسانية واما غيرها توسوس للناس وتغويهم كما ثبت في العلم العصري بأوروبا ونقلناه في كتاب ﴿الأرواح﴾ ووجد عالم الملائكة الذين هم نافعون لنا وحافظون لحياتنا . فعالم الجن مخلوق من النار الحارة الشديدة الحرارة قد عظمت فيه القوة الغضبية كما نرى الآساد في عالم الحيوان قويت فيها القوة الغضبية فلم تخضع للانسان . وهكذا نرى أشرار الناس لا يريدون إلا الأذى

﴿خطاب الله للملائكة والجن﴾

وهنا تجلى المقام في المحاورات الالهية بين الملائكة وربهم وبين الجن وخالقهم فقال الله للملائكة الأرضيين الذين هم قائمون بتدبير العالم الأرضي حيناً أراد خلق الانسان . أيها الملائكة هذه هي الأرض وهذه هي الحيوانات وهذه هي النباتات وهذا هو المطر والرياح والسحب . أفليس هذا النظام حسناً . بلى هو حسن ولكني أريد أن أجعل لهذا الملك العظيم من يقوم بنظامه ويتصرف في جميع مآترونها فاذا خلقتة وسويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقدموا له كل منافع الأرض من ماء وحيوان ومن جميع المعاش التي قدّمنا ذكرها فامتثلت الملائكة وهاهم أولاء يقدمون للانسان أنواع الحيوان والنبات والماء والهواء كل ذلك ينتفع به الانسان والملائكة هم القائمون بالتدبير إذ ليس يعقل أن هذا النظام المحكم يسير بحرارة عمياء ويرج أصم ومطر وسحاب لا يعقلان . كلا بل هناك عالم الملائكة والعقول العالية المحكمة للعمل . فكما قام الملائكة بنظامنا قامت الحيوانات على الأرض بخدمة منا بل هي أنفسها من النظامات التي قامت بها الملائكة . فهذا هو سجود الملائكة للانسان فالسجود باق كما كان فهو في هذا الزمان وفي كل زمان بهذا المعنى . فأما الأرواح المسميات بالجن فانها لم ترتق عن درجة القوة الغضبية في الانسان فالغضب يحرك فينا عواطف الانتقام . أما العلماء منا فان نفوسهم نورانية يحبون نوع الانسان كله ويودون سعادته ففقو لهم ملكية نورانية . فالشياطين طبائعهم نارية كطبائع الناس الذين لم يهذبوا والملائكة هم نفوس عالية طبائعهم كطبائع الأنبياء والحكماء في الأرض فيهتمون بمصلحة الناس - قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين - فترفع وتعظم أن يسجد لمن خلق من طين وهو مخلوق من النار ونظيره ما يرى من الآساد والنور لا تلبس قناتها ولا تخضع للانسان حتى يركبها ويذلها للحمل والركوب ونحوهما كما خضعت الابل والخيول والبغال للملائكة اذن كالأنباء والعلماء والشياطين كأشرار الناس والآساد فترى الرجل الذي غلب عليه الحقد والغضب يهزّ عطفه اذا ذكرت له فضل العلماء وفضل أبويه مثلاً في حالة غضبه ولا يبالي بأحد مطيعاً للقوة الغضبية التي تحجبه عن المودة والمحبة . فذلك خاطب الله إبليس فأمره بالخروج ونظيره ما نفعل بالشوك فنخرجه من أرض العمران وما نفعله

بالآساد والنور والذئب والناس والحيات والعقارب فانا نجد في ابعادها عنا لأن طبعها الأذى وكما نجتهد في حبس الأشرار سفاكي الدماء . هكذا أخرج الله الأرواح التي غلب عليها الغضب عن مساعدتنا بل جعلها توسوس لنا وسوسة تريخ تلك الأرواح كما يستريح لغضوب بايذاء من غضب عليه كما هو مدون في كتاب ﴿الأرواح﴾ الذي ألقته وهذا قوله تعالى - اخرج منها فانك رجيم * وإن عليك اللعنة الى يوم الدين - وهذا لاشك فيه لأنه مادام الانسان على الأرض فلا بد من بقاء الأرواح الخبيثة التي لا تقتأ توسوس للناس كما لا بد من بقاء الناموس والحيات والعقارب . ولا يخلص الناس من الناموس والآساد وأمثالها إلا بحفظ مدنهم واتقاء الأخطار برفع القاذورات من دورهم وردم المستنقعات والبرك ووفور العمران . فهناك تهاجم الآساد والنور وغيرها وتموت الحشرات المؤذية

هكذا هنا متى طهر الناس أخلاقهم وتهذبوا ذهبت عنهم الرعونة الشيطانية وصارت قوتهم نورانية لا نارية شيطانية وهذا معنى قوله - أنظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم - فهذه المحاورة أشبه بحكاية حال هذا العالم الجثائي والروحاني والمادى والمعنوى ساقها الله هنا ليعرف المسامين كيف بدأ خلقهم وكوّن طبائعهم وجعلها بمثابة محاورة بينه وبين ملائكته ليقراها الجاهلون تعبدا ويفهمها العلماء تفكيرا . فاذا حصل لهم فيها شك وريب عمدوا الى كتب الحكمة ففتحوها والى دروس الطبيعة فاستوعبوها والى علوم الانسان والحيوان فدرسوها والى علوم التشریح فاستوعبوها والى قصة الأرواح التي ظهرت في العالم اليوم فكشفوها

يا أيها المسامون هذا كلام ربكم . يا أيها المسلمون هذا هو القرآن المنزل لتدروسه أما التلاوة البحتة فقد مضى وقتها فأما دراسة العلوم فهذا أوانها ولن تعرفوا أنفسكم وتنظموا مدنكم وتوقنوا ايقان الحكماء بالحقائق إلا بأمثال هذه الدراسة . ثم انظر بعد ذلك في القسم الذي أقسم به إبليس إذ قال - فبعزتك لأغوينهم أجمعين - وعبر بالعزّة لأن العزّة هي الغلبة والشيطان لم يحظ من الحياة إلا بحب التسلط وقد حرم من النفع العام خلف بالعزّة الإلهية لما كان في نفسه هو من عزّة شيطانية وفرق بين العزتين كالفرق بين البقة والقيس - ولكن هكذا كان حلف بعزته ليغوين بنى آدم أجمعين إلا العباد المخلصين كما نرى الذئب والبراغيث وسائر الحشرات تتخطى الذين نظفوا أجسامهم ومدنهم ولا تؤذى إلا من أهملوا شؤونهم وكانوا كاسلين فأجابه الله - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الخ - لأن الشئ لا يأتي إلا لما يناسبه فالصالحون لا يؤثر فيهم الشيطان ولا يغوينهم لأنهم ليسوا من طباعه كما لا يقع الذئب إلا على الأعين القذرة الوسخة . وهيهات هيهات ان يقع على الأعين النظيفة لأنه لا غداء لها فيها . هكذا الشيطان من شياطين الانس والجن لا يوحى بشراً إلا لمن يجد فيه قبولا لشربه وأنسا بقوله واستماعا لنصحه . هنالك يكون لقوله سميعة ولنصحه مطيعا ولا امتثال أمره سريرا . هذه هي قصة الانسان من يوم أن يولد الى أن يموت وهذا ابضح لأحد شقى الآية السابقة وهي - وإنا لنحن نحيي ونميت - ولما فرغ من الكلام على حياة الانسان في الدنيا شرع يتكلم على حياته الأخرى فقال - وإن جهنم لموعدهم أجمعين الخ -

ههنا ذكر الجنة والدار ولم تخرج هذه الحياة عن التي قبلها إلا في ذهاب الأجسام الحالية . وبيانه أنك رأيت أن الناس على وجه الأرض مخلوقون من طين ومن نار وعرفت أن القوة الغضبية غلبت في الفجرة والجاهلين وهي من نوع النار وعلمت أن الله لا يجعل دنيا ولا آخرة إلا بنظام وحكمة فاذا أدخل قوما جهنم فلم يعدل بهم عن السنن المعهودة . إن طباعهم لا تستحق إلا جهنم لأن أخلاقهم نارية غضبية فالشياطين خلقوا من النار كما نرى في أشرار العالم الانساني وجهالهم فلا جرم وضعوا في جهنم لما غلبت عليهم الطباع النارية ومن باب أولى اذا كانوا في طباع أخس منها بأن كانت طباعا شهوية

أما أولئك الذين دخلوا الجنة فهم إما طباعهم نورية واما مصقولة بالانوار والآداب التي عليها لهم أصحاب الطباع النورية من الأنبياء والعلماء والحكماء والملائكة

﴿ بماذا وصف النار وبماذا وصف الجنة ﴾

وصف النار بأن أهلها سبع درجات في سبع طبقات كل قوم غلب عليهم نوع من الشهوات المتقسمة على الأعضاء الجسمية . أما أهل الجنة فانظر ماذا حصل نزع الله من قلوبهم الغل والحسد . ومعلوم أن الغل هو من طباع القوة الغضبية . فهنا نظف الله أهل الجنة من تلك القوة التي يكره بها الانسان من عداه من الناس وهي طباع الشياطين وطبع أهل الشر من الانسان . فاذا خلق الله الانسان من نار وطين فان العلوم والدين والتهذيب قد تصقله وتصفيه وتبعد عنه رجس الأخلاق الشيطانية الابليسية التي نحن الآن بتعذيبها لنا في القضايا والمشاكل والعداوات فنكون اخوانا ولا نخرج من الجنة اه

فانظر كيف ابتدأ بذكر المعاش في الأرض وشرح الهواء والسحاب ثم قفى بذكر خلق الانسان وما تلا ذلك من الشياطين والملائكة ثم أتى بالنهاية من حياته حتى انتهى الى آخرها في جنة اوانار وهذه هي قصة العالم الذي نحن فيه باعتبار طبيعته ولم يبق شئ بعد ذلك . واياك أن تظن أن هذا ينافي ظاهر الآية فان هذا رأى الذين لا يعلمون . فاذا حدثت نفسك بهذا فقل إن علم البيان فيه الكناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي كقولك فلان طويل النجاد أى علاقة السيف فهذه العبارة لم يقصد بها مجرد أن علاقة السيف طويلة بل القصد انه هو طويل والمقصود هو الثاني مع صحة المعنى الأصلي . فهكذا هنا نقول محادثة الله مع الملائكة ومع ابليس تشير الى المعنى الذى ذكرناه وهذا المعنى هو المقصود

فقل لمن يدعى عالما ومعرفة * عرفت شئاً وغابت عنك أشياء

والى هنا انتهى تفسير القسم الأول وههنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في هذا القسم في قوله تعالى - والأرض مددناها - الى قوله - ومن لستم له برازقين - ﴾
(عجائب مما رزقنا الله ولسنا له برازقين)

﴿ الأولى ﴾ جاء في الجرائد المصرية يوم الخميس (٢) اكتوبر سنة ١٩٢٤ مانصه

تقول احدى جرائد غرب أفريقيا انه بينما كان القارب البخارى (سجوف) ماخرا بجانب الساحل الافريقى الغربى إذ وقف فجأة فى فجر يوم فظن من فيه أن هذا شاطئ رملى خفى . وعند ما انبج الصباح عرفوا أنه قطيع كبير من الأسماك ومن كثرته واجتماعه فى مكان واحد لم يتمكن القارب من اختراق تلك الكتلة ثم تبين البحارة أن السمك الصغير كان يحيط به من كل جهة كثير من أفراس البحر التي كانت تعمل بسرعة متناهية فى أكل تلك الكتلة

﴿ العجيبة الثانية . الفحم وعجائبه ﴾

إن الفحم الحجري يقطر ويستخرج منه غاز الاستصباح . ومعنى هذا أن الفحم يوضع فى أفران ويوقد عليه ويخرج منه جسم هوائى لطيف دخانى وذلك الجسم الدخانى يجرى فى أنابيب تمتد فى المدن وتوقد بها المصابيح وذلك بأعمال وشروط خاصة لايسعها المقام وبتلك العمليات يخرج منه قطران بواسطة مرور ذلك الغاز على ماء فى أوان مخصوصة فى طريقه كما يمر دخان التبغ فى الأعواد التي يشرب فيها الناس الدخان ثم تكون بعد ذلك بالتدريج غير القطران أنواع من الزيت الطيار ومن أنواع هذه الزيوت يستخرج أمور عجيبة مثل البنزين والانيلين وحض الفينيك والانتراسيين . ثم وصل ما استخرجه العلماء من ذلك القطران ونحوه من هذه المادة الفحمية ثمانية مادة ولكن أهمها البنزين والسييلين والنفتالين والفنيول والكريسول وهناك مواد أخرى من هذه الثمانية هى أساس الأصباغ أى أنواع النيلة وأيضا هى أساس جواهر أخرى مفيدة

للطب وللنجارة

فيا عجباً كيف خزن الله الفحم الحجري في الأرض آلاف آلاف السنين ثم كيف أبرزه في هذه الأيام ثم كيف جعل منه نور بيوتنا بما يسمى الغاز الذي يجري في الأنابيب ويضيء الشوارع ومنه يكون حض الفينيك الذي يطهر الأمكنة وهو سم نافع قتال ومنه تكون الأصباغ وألوان الثياب المختلفة وأنواع الطب والتجارة . أليس هذا هو المخزن الذي خزنه الله

فيا سبحانك اللهم خزنت الفحم في الأرض دهوراً ودهوراً وأظهرته فأجريت به القاطرات وأثرت به الببوت والطرقات ونظفت به القاذورات وأجريت بالبزير من العجلات ولوتت به ثياب الغانيات وأفدت به في الطب صحة المخلوقات - فتبارك الله أحسن الخالقين - فهذا هو المخزن وهذه هي المخزونات

يا الله كما خزنت الفحم قروناً وقروناً وأفدت به الأمم اليوم عموماً . هكذا خزنت في القرآن خزائن وحفظتها للمسلمين في الأجيال المقبلة . وهانحن الآن يا الله نفتح خزائنك للمسلمين كما فتحت خزائن الأرض وأبرزت جواهرها للعالمين . واني لأرجو وأمل أن ينتفع المسلمون بخزائنك الأرضية متى عرفوا أنك منحتهم هذه العطية والمفاتيح في القرآن . وهاهذه نفتح بها ما انغلق على الأفهام وحرم منه قوم ظنوا الدين بريثاً من خزائنك بعيداً عن جبال بدائعك فخرموا من الثمرات . فلك الحمد على أن فتحت الخزائن اليوم وتشرق الأرض بنور ربها للمؤمنين وهاهذه كتب الله نوراً للمؤمنين فهذا كتاب الله وهذه خزائنه فليفرح المسلمون فهذا أوان الانقلاب والأخذ بالأسباب فله الحمد في الآخرة والأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثانية في الرياح والقاحها ﴾

هذا أنقله من كتاب ﴿ الزهرة ﴾ الذي هو مقدمة كتاب ﴿ نظام العالم والامم ﴾ تأليف منذ عشرين سنة تقريباً

﴿ جمال النبات وبهيجته في الأزهار ونظامها ﴾

تأمل يا أخى معي . ولعلك قد رأيت الأمثلة الأخيرة التي شرحناها الآن في تركيب النبات وكيف وزنت بميزان منظم لا تغيير له ولا تبديل وهكذا الجماد والأفلاك . وتأمل كيف ترى النظام بادياً على ظاهر الأوراق والأزهار في تركيبها وشكلها ولونها والحشرات الواردة عليها ونومها ويقظتها ولنشرح لك ذلك كله في هذه الرسالة الصغيرة فنعجل لك الفائدة قبل قراءة الكتاب الكبير وننقل لك ما قاله العلامة (جون لوك) الانكليزي في هذا الموضوع لتقف على ما رآه الغربيون في الزهرة

يا صاحبيّ نقصـياً نظريكم * تريا وجوه الارض كيف تصوّر

تريا نهارا مشمسا قد زانه * زهر الربا فكأنما هو مقمر

دنيا معاش للورى حتى اذا * حـلّ الربيع فأنما هي منظر

أضحت تسوغ بطونها الظهورها * نورا تكاد له القلوب تنور

قال العلامة ما ملخصه ﴿ كان العلماء في غابر الأزمان يذكرون في رواياتهم أن الأرواح كانت تهدي الأزهار إلى من تحبهم أو تودّ مكافأتهم عطايا عليهم وتلطفا بهم وكان يظهر ذلك في بادىء النظر أنه بضاعة مزجاة لاقيمة لها وكيف تساوى هذه الزهرة الصغيرة الهدايا الثمينة والنحف الغالية ولكنها عند أولى الأبواب قد جمعت حسنا وبهاء من جمال الطبيعة يؤدي إلى النفوس سعادة وإلى الناب مسرة وإلى العيون بهجة وإلى الصدور انشراحا وإلى الأوتدة انعطافا تفوق السعادة بها وبالتأمل في جمالها سعادتنا بالذهب والفضة والاحجار النفيسة واللؤلؤ والمرجان

يقول كاتب هذه الرسالة وقد لمح تلك المعاني من خلال سطور الكائنات وملاح جمال المناظر الشيخ

صفي الدين الحلي * فقال

ورد الربيع فرحبا بوروده * وبنور بهجته ونور وروده
فصل اذا اقتخر الزمان فانه * انسان مقلته وبيت قصيده
يا حبذا أزهاره وثماره * ونبات ناجه وحب قصيده
فالورد في أعلى الغصون كأنه * ملك تحف به سراة جنوده
وانظر انرجسه الخبيث كأنه * طرف تنبه بعد طول هجوده
والسحب تعقد في السماء ما تما * والأرض في عرس الزمان وعيده

وانرجع الى كلام العلامة (جون لبك) قال فما ألد أوقات نصرها في الفلوات والخلوات وتتأمل جبال الطبيعة والذهب المنبعث من ضياء الشمس يكسو وجه الطبيعة حلة ذهبية تسمي الناظرين . وليس هذا نهاية ما ترناح له النفوس من الأزهار فهناك عقول ارتقت عرش العلم وليست تاج الأدب واستوت على ملك المعارف وتطاعت من شرفات الحكمة فنظرت في بساينها أزهار جلالها فأخذت تتأمل فيما وراء ذلك من أشكال وألوان وصور حتى وقفت على أسرارها . ولعمري اننا اذا أدركنا سر الزهرات الصغيرات دخلنا منها الى معرفة كثير من أسرار الكائنات . إن الوقوف على أسرار الطبيعة لا يناله إلا الذين صرفوا أوقاتهم في تحصيله مع الصبر والعناية التامة والاحترام والمداومة أمد العمر . ومع ذلك فكل هذا لا يغني شيئا ولو وهبنا مواهب قدسية وعقولا سامية كما وهب (أرسططاليس) و (أفلاطون) إلا اذا وقفنا على كلام الأوائل وحادثنا التاريخ وناجينا ما وعته الدفاتر وقابلنا الرجال فهناك نال من هذه العلوم حظا وافرا فان الانسان وحده لا يستطيع أن يصل الى ما يريد إلا بمشاركة غيره من أبناء جنسه اه

﴿ لطيفة ﴾

جلست أنا وصديق لي وأخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وكنا إذ ذاك نطل على أزهار باسمه فاصغ اليها لتقف على جمال الأزهار ومحاسنها وتعلم سيدى كيف حسن وضع تلك الصور الجلية وانتظم شملها ووزنت بميزان الحكمة والاعتدال لتفهم قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وكيف وزن في فروعه وأغصانه وأوراقه وأزهاره كما وزن في تركيب أجزائه فيما ذكرناه وهذا ملخص من كلام السر (جون لبك) وضعناه لك بلسان عربى مبين لتقف منه على ما نريد في كتابنا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ قال صديقي ونرمز له بحرف (ا) وأنا (ب)

(ا) صديقى انظر الى شجر السنط والغار والصنوبر والصفصاف لم جردت أزهارها عن الزينة والجمال وجلت أزهار الأشجار المتوسطة حسن منظرها وتأنج ريحها وابتمت أغورها واحتوت عسلا صافيا في أسافلها نقتات منه الحشرات فهل تعلم لذلك من حكمة

(ب) سيدى قد جعل الله الأشجار الكبيرة لاحتياج الى الرائحة الأريجة ولاجمال الهيئة ولا العسل بل هي غنية عن هذا كله أما غيرها من الأشجار فانها تحتاج لذلك بل للاحياة لها إلا بعسلها وجمالها ورائحتها ولولا هذه المزايا الجلية لانمحت من صحيفة الوجود كما يمحى وجود النوع الانسانى بانقراض سنة التناسل بينهم (ا) أرجو ايضاح هذا المقام فان هذا القول غامض على . وكيف يكون جمال صورة الزهرة سببا

لبقاء النبات

(ب) اعلم أن الزهور على اختلاف أجناسها وتباين أشكالها وتنوع أصنافها يحتاج بعضها الى بعض فيها ما خلق الله فيها الطلع ومنها ما يقبله . وكما أن النخل فيه ذكور واثاث وطلع الأول يلقيح الثانى فهكذا جميع الأشجار ذكرانها تلقح انثاهما فتل الورد والرمان تلقح بواسطة الحشرات والحشرات لن تعب أجسامها

وتطير في الهواء بلاداع يدعوها الى ذلك . وهل من باعث أقوى من العسل الذي تشربه من أسفل الزهرة والرائحة التي تدلها عليها وقت العسل وجمال اللون وبهجة التي تهديها في أوقات الضياء والنور . أما الأشجار الكبرى كالصنوبر والقار فانها اكتفت بتدبير آخر وهي الرياح التي سخرت تحمل اللقاح من ذكرها لانثاها وقد دبر الله ذلك اللقاح فجعله كثيرا جدا حتى اذا حملته الرياح وتبعثر منه أهم أجزائه فما بقي كفي اناث الأزهار من ذلك النوع . واذا كان بعض الزهر فيما لا يحتاج الى الريح قد تخرج الواحدة منه ما بين ثلاثة وأربعة ملايين خردلة من اللقاح فما بالك بما يحتاج للريح فلا بد أن يكون أضعاف هذا بما لا يتناهى وبهذا التدبير في الأولى والآخرة تخرج الأثمار والحبوب ويخلق شجر آخر وقد شوهد في بلاد (اسكتلنده) غبار من طلع بعض الأشجار يمر في الهواء كأنه سحب سحب تزجها الرياح ثم يؤلف بينها ثم تصير ركلا ويراهها الناس بأعينهم تلقح اناث تلك الأشجار كما ينزل المطر على الأرض فتحيا بعد موتها مصداقا لقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناهم وما أنتم له بخازنين -

ومن معاني هذه المادة الجل فهامى الرياح تحمل الماء واللقاح والأصوات لتصل الأرض والأزهار والآذان وهذا كله يجري ونحن ساهون لاهون والقوم في بلادهم تبرز معاني كتابنا المقدس على أيديهم ونحن غافلون ومدبر الكائنات من فوقنا يلقي أشجارنا ويحكم أمرها ولا يدخل لنا ولا حول ولا قوة - أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون -

(أ) ها أنت أفهمتي ظاهرة إلقاح الرياح للأزهار ولكني لا أعلم كيف تحمل الحشرات اللقاح وهل تقصد ذلك وهل عندها علم وإدراك حتى تنقد أثمان العسل والتمتع بالأزهار بأن تنقل الطلع من شجرة الى أخرى (ب) اعلم ياسيدى أن الزهرة مركبة من أوراق خضرة تغلفها من الظاهر ويسمى بالنبات بالكاس داخلها أخرى ملونة بالألوان الجيلة يسمونها (التويج) تصغير تاج تشبها لها بتيجان الملوك المرصعة بالجواهر الثمينة . وقد علمت مما ذكرناه أنفا أنها أرفع قيمة عند الحكماء وفي داخلها سوق تحمل الطلع في حصن حصين بما أحاط بها من تلك الأوراق وفي أسافلها عسل فتدعى الحشرات تلك الألوان الجيلة فتسرع طيرانها اليها لئلا أوتشم رائحتها في الظلام فتشرب العسل فتامس ظهورها ذلك الطلع فيرش عليها كالديقيق فتسحب الى الزهرة الأخرى من ذلك النوع فيحصل تلقيحها ولا علم للزهرة بذلك ولا للنحلة وانما كانت تسعى لمنفعة أنفسها وانما ذلك تدبيره تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وهذا قد كنا أوضحناه في كتابنا (جواهر العلوم) ولكن الأمر المدهش هنا تركيب الزهرات لمناسبة الاقحاح وترتيبها وترتيبها حتى قيل ان الأزهار مدينة للحشرات في جمالها وعسلها . فلعمرك لولا طواف الحشرات عابها ما منحتها يد القدرة الالهية ذلك الجلال - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وما الحشرات إلا كنواطير البستان (بستانيان) فان ناطور البستان يختار من أجل الأشكال وأحسنها ليدع في اتقانها ويزيد في تنظيمها وجمالها فكذلك هذه الحشرات بطوافها على هذه الأشجار زينت بتلك الزينة تشويقا لها لكن الناطور يختار بتمييزه وهذه بعناية الحكمة الالهية . وأعجب من هذا تدبير أشكال الأزهار على وفق هذا الاقحاح

(أ) وكيف ذلك

(ب) تعلم أن أوراق (التويج) قد تنظم فتصير كأنها أنبوبة في داخلها تلك الأعضاء التي ذكرناها آنفا وقد يشاهد في بعض الزهر أنابيب حولها شعرات قريبات من العسل في أسفل الزهرة على جوانبها من الداخل وتلك الأنبوبة مستطيلة ضيقة وما ذلك إلا لتبذل كل حشرة من الفراش تريد الدخول وذلك أن ضيق الأنبوبة وبروز تلك الشعرات كافيان في منع الحشرات من ذلك ماعدا النحل فانها أعطيت قوة بها

تقته حم تلك الأنبوبة ولانبالى بأسنة الورى . وماعدا النحل من الحشرات فلا قدرة له على حمل الطلع في ذلك النبات فلهذا منع من الدخول فالحكمة الالهية قضت أن الفهم بالغرم وإذا كان ماعدا النحل عاجزا عن حمل الطلع في شجر مخصوص فمنعه أمر محتوم

أوما ترى الأزهار ما من زهرة * إلا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها * تلقى فنون الشجور في أسلوها
تشدو وتهتز الغصون كأنما * حركاتها وزن على تطريبها

وقال القاضي أبو الحسن بن زنباع

أبدت لنا الأيام زهرة طيبها * وتسربت بنضيرها وقشيبها
واهتر عطف الأرض بعد خشوعها * وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها * من بعد ما بلغت عتّى مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم * فبكت لها بعيونها وقلوبها
فجبت للأزهار كيف تضحكت * بكائها وتبشرت بقطوبها
وتسربت حللا تجرّ ذيلها * من لدمها فيها وشقّ جيوبها
فلقد أجاد المزن في انجاده * وأجاد حرّ الشمس في ترتيبها

﴿ الكلام على الزهر ذى الأقفال والمفاتيح والزهر ذى الحراس والزهر ذى الجند ﴾

(والزهر ذى السياسة الحقيقية والوهمية)

﴿ الزهر ذى المفاتيح والأقفال وذو الحراس ﴾

(١) بلغنى أن في بلاد أوروبا زهرا له مفاتيح وآخر له حراس فهل لذلك من حقيقة

(ب) هناك زهر يسمى (سلفس) وآخر يقال له زهر الأشراف والنساء فالأول ذو المفاتيح والثاني ذو الحراس الأول وضع الله فيه على فم الأنبوبة المسكونة من أوراق (التوبج) ساقا معرضا على فمها كأنه مغلاق لذلك الباب فأى حشرة تريد الدخول عجزت عن ذلك فإذا جاء صاحب الأمانة ألا وهو النحل أزال ذلك الساق من مكانه ودخل فشرب . وفي أثناء دخوله يكون هناك ساق آخر محكم الوضع على ظهره يحمل الطلع فينزل عليه منه مقدار فيحمله الى زهرة أخرى . فتأمل سيدى كيف جعل أحد الساقين قفلا لباب الزهرة والآخر كأنه يد ملائى بدقيق الطلع فتضعه على ظهر النحلة والأمر الأجيب من هذا أن هذه النحلة حينها إذا ذهبت الى الزهرة الانى رأيت أمرا عجيبا . رأيت الأوراق العليا منها مرتفعة هي وعضواتها أثبت حتى أن تلك النحلة إذا دخلت تشرب العسل لم يتيسر لها مسّ عضو التأنيث لارتفاعه جدا فانظر ماذا حصل . وضع في نهاية عضو التأنيث ذراع طويل الى أن يلامس النحلة فيمسح ظهرها ويأخذ الطلع الذى التقطته . فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - . أليس هذا مصداقا لقوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين - كأن وجود الزوجين من النبات داع حيث للتأمل في هذا العالم كأنه يقول هذا أمر خفى فتذكروا وجئوا فيه ومتى عرفتموه قر بتم من الله تعالى وهذا بعينه ما صرح به العلامة (جون لوك) الانكسارى ﴿ أن من وقف على أسرار الأزهار أمكنه أن يفتح كنوزا من الأسرار الخفية ﴾ فتأمل وانظر كيف جدّ القوم في فتح كنوز مقلدة في القرآن ونحن عنها غافلون ولقد صرح به القرآن في آية أخرى - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذ كرى لسكل عبد منيب - فانظر كيف ذكر الأزواج في النبات وقال إنه تبصرة وذ كرى ولكن يا للأسف انتا تركنا التبصير فيه وانى لنى غاية الحب من هذا السر الخفى كيف يذكر في القرآن وكيف يبحث

عنه علماء الغرب وكيف يقول عالمهم إن هذا سر به تفتح أسرار الطبيعة . ألا فليتأمل معي أهل العقل والعلم وليتفكروا ولينظروا فإني أقول هذا وأنا محترق الفؤاد على ضياع العلم من بلادنا ورضانا بالقشور ونبد الملب - إنا لله وإنا إليه راجعون -

﴿ الزهر ذو الخارس ﴾

(أ) عرفت الزهر ذا المفاتيح والأقوال فما زهرة الخفراء
(ب) هذه الزهرة موضوعة على هيئة قارورة يحمل فيها شعرات واقفات فتأتى الحشرات الصغار إليها من الذباب والفراش الجاهلات لتقيها الحر والبرد ولا يدخلها النحل لعلمه بما فيها من الخطر فإذا دخل الذباب وقفت لها تلك الشعرات بالباب ومنعتها الخروج فأخذت تثب وتسقط في وسط الزهرة وهناك الأعضاء الملقحة الذكور وتحبها الملقحة الاناث . وقد أئبعت الأولى وحان قطافها ولم يأن للثانية أن تلقح . فإذا اضطرب ذلك الذباب سقط الغبار الذي في أعضاء التدكير على ظهوره وفي الوقت عينه تذب تلك الشعرات الخافرات على قم الزهرة فيخرج الذباب آمناً في سربه طائراً في الهواء ذاهباً الى زهرة أخرى قد فعل بها مثل هذا فيدخلها للاحتماء بها فيقع الطلع على الانثى ويخرج آمناً مطمئناً . أليس هذا مما صدق عليه قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر - وقوله - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم ببقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون -

هذا وبعض الزهر تفتح النحل بأرجلها فتشرب العسل ثم يقفل على الطلع ليحفظ حتى تأتي نحلة أخرى والزهر ذو الخارس يسمى زهر الأشراف

﴿ عجيبة عن الحشرات والنحل وانها كالدول في السياسة ﴾

جعل الله تعالى في الأزهار سياسة تضارع سياسة الأمم بايهام ضعفاء العقول لتنال غرضها منهم لقصر أنظارهم . فهكذا زهرة الأشراف قد خدعت الذباب بجهله فدخل فيها احتماء بها فلقى منها مالم يجرأ عامر وكما أن النحل ذو ذكاء فلا يخدعه خادع . فهكذا لا تراه يحوم نحو تلك الزهرة الجوفاء الخاوية بل تراه يحوم أنى يجد العسل ولم تبخل يد العناية الالهية أن تزوده العسل وتطعمه الشهد استحقاقاً وعدلاً - ويؤت كل ذى فضل فضله -

أما الذباب فترى العناية الالهية قد دبرت له ما يناسب جهله حتى انك ترى بعض الأزهار يحمل أنابيب قد توجت برؤس كتقطرات من العسل في شكلها ولونها فإذا أسرع إليها الحشرات لن تجدها شيئاً وحملت الطلع ولم تنل ثمناً فأشبهت الأمم الجاهلة المغرورة بمجرّد القول دون الفعل فانظر كيف حوت الزهرة مجمل علم السياسة وكيف ينطبق عاينها قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب -

﴿ الزهر المنظم كالجنود ﴾

(أ) قد سمعت أن في بلاد أورو با زهراً له ثلاث صفوف تقف بانتظام على ثلاثة أيام كل صف في يوم فهل عندك علم بذلك

(ب) اعلم أن هناك زهراً أصفر ذا ثلاث صفوف كل صف خمس زهرات فترى أول صف فيها يظهر مساء مظهرها جمال صفوته في غسق الليل لتأتى الحشرات اليه سراعا وترى رائحته تتأرجح فتأخذ الحشرات منها حظها فإذا انقلب عمود الصباح وأضاعت الشمس رأيتهما ذبلت وأصبحت هشيماً كأن لم تكن بالأمس يظنها من رآها انها أى الشجرة قد أدبر شباهها وأقبل هرمها . فإذا كان مساء اليوم الثانى رأيت الخمس الآخر التى كانت

مغمضة الأجفان قد استيقظت من نومها وبعثت من مسقدها وقامت بالمظهر الذي فعلته ما قبلها ورجعت الشجرة كالعروس تتجلى في الظلمة حتى تترود الحشرات من طلوعها كما كانت في اليوم الأول . فإذا جاء صباح اليوم الثالث ذبلت . وفي المساء الثالث تظهر الاناث منتظرة الحشرات محضرة لها الطلح من زهر آخر كما حملته من ذكر هذه الشجرة في اليومين السابقين وهذا من فوائد تلقيح الحشرات بحيث ان الانثى من زهرة تلقح من ذكر الأخرى وبالعكس

﴿ زهر عجيب يحكم الترتيب ﴾

(أ) من الورد نوع يشاهد الناس في زهره أنابيب التدكير مستطيلة تساوي أوراق الزهرة في الطول وأنابيب التأنيث تصل الى نصف تلك المسافة وأزهار أخرى من ذلك النوع بالعكس . فترى أنابيب التأنيث تستطيل الى أطراف أوراق الزهرة وأعضاء التدكير على النصف من ذلك . ولو نظرنا مائة شجرة من هذا النوع لوجدنا النوعين من ذلك الزهر متساويين بحيث تكون ذات الاناث الطويلة تساوي في العدد ذات الذكور الطويلة فهل تعرف سيدى هذا

(ب) إن هذا الزهر وضع مناسباً للنحل وذلك أن النحلة اذا مدت خرطومها الطويل وصل الى أسفلها لشرب العسل ولا مس عضواً التدكير الطويل فحمل منه طلعاً فإذا راح الى ذات عضواً التدكير القصير أخذت الانثى المستطيلة ذلك الطلع ثم رور الخراطوم بحذاءها لمساواتها الأوراق وهكذا في الأعضاء القصيرة فيأخذ النحل بخرطومه من كل عضو الى ما يناسبه في الزهرتين . فتأمل كيف تساوى عدد النوعين من هذا الزهر وتجب كيف كان طولها واحداً في جميع الأزهار إما للانصاف أو النهاية وكيف كان خرطوم النحلة اذا لامس عضواً في زهرة يلامس نظيره في الأخرى بحيث لا يختل شعيرة في مقدار طولهما . ولعمري لو سئلت هذه الزهرة لقرأت بلسان الحال - إنا كل شئ خلقناه بقدر - ولو سئلت تلك النحلة لقرأت - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - ولقرأت - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون - إذ أنه تعالى وضع مقدارا لكل شئ في أم الكتاب عنده فلا يضيع حشرة ولا دابة ولا حيواناً صغيراً ولا نباتاً حقيراً ولا زهرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين

﴿ نوم الزهر ﴾

(أ) رأيت في بعض الكتب أن الزهر ينام فهل لهذا حقيقة واذا صح فلم ينام . النوم في الحيوان سببه معروف وليت شعري ما سبب نوم النبات . يجدد الحيوان في قوته ويتعب في تحصيله فإذا جن الليل خارت قواه فتعب فنام . أما النبات فما سبب نومه وبعض النبات لا ينام أبداً وآخر ينام صباحاً ويستيقظ مساءً وآخر بالعكس ومن الأول ما يستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً أو الساعة الثامنة أو التاسعة أو العاشرة ثم تغمض أجفانها بعد الظهر في أوقات مختلفة إما في الساعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة وهكذا . ما الحكمة في ذلك

(ب) يختلف نوم الزهر وانطبق أوراق الزهرات باختلاف الحشرات التي تأكل منها فالحل يعتاد اليقظة نهراً فترى الأزهار التي خصصت له تفتح عيونها نهراً حتى يشرب منها العسل وفقاً بالفر يقين ومنفعة للطائفتين أما الأزهار المخصصة للحشرات الأخرى فلا تفتح أوراق أزهارها غالباً إلا مساءً في الغلس إذ لتلك الحشرات غدوات وروحاً في ذلك الحين فلا جرم تفتح لها . ولامرئك لو عكس الأمر فافتتح النهارى الصباحى بالمساء والمساءى بالصباح لسرق العسل فأخذنه ما لا يبذل له ثمناً ممن يختص لذلك العمل ويعتدى كل فريق على ماله آخر فيتضرر الحيوان ولا يلقح النبات فتمت الحكمة . ففاتيح هذه الأزهار بيد القدرة الالهية تفتحها وتغلقها

لادخل للشمس ولا للقمر فيها والا فلماذا تنام الزهرة المسماة ﴿حنا ذهب لينام﴾ في وقت الهجيرة حتى إن أولاد الفلاحين في أوروبا يعرفون مواعيد الفداء بنومها فلو كان للشمس دخل في تفتيح الأزهار لكان أولى الأوقات بانفتاحها وقت الظهيرة والحشرات تختلف أوقات قيامها لطلب معاشها في ساعات انهار فشكل زهرة تفتح في الوقت المعين حشراتنا التي خصصت لها بالحكمة الالهية - ذلك تقدير العزيز العليم - وكأن الشاعر العربي الأندلسي نظر لهذا المعنى فقال

وعلى سماء الياسمين كواكب * أبدت ذكاء الحجز عن تغييبها

زهر توقد ليها ونهارها * وتفتت شأو خسوفها وغروبها

(ذكاء) الشمس وهذا باعتبار المجموع لا الجيع

(أ) من الأزهار ما هو أحر وأصفر وأبيض وأزرق . فهل لهذا من حكمة وبعضها ذو ريح طيبة دائماً والآخر لا تذكو رائحته إلا وقت المساء

ينسب إلى عترة العنبر هذه الأبيات من زهرية له

زار الربيع رياضنا وزها بها * فنباتها حطيت بأنواع الحلى

يزهو بأحر كالعتيق وأصفر * كالزعفران وأبيض كالسنجل

وبنفسج يزهو إذا عابتته * آثار نقش في ذراع ممثلي

(ب) ان الزهرات الحرة والزرق خصصت غالباً بالنحل وهو مغرم بهذين اللونين عاشق لهما فكانا داعيين إلى الاقتتان بهما . ولا جرم أن في الأحمر والأزرق من الجمال ما ليس في الأبيض والأصفر . أما الآخران فانما يكونان في الأزهار التي تمتص منها بقية الحشرات غالباً وقدّمنا أن الحشرات أغلب ما يكون خروجها مساء - صنع الله الذي أتقن كل شيء - ولا ريب أن اللون الأبيض والأصفر يناسبان وقت العنبر إذ تجتلي فيه الصفرة والبياض . أما الحرة والزرق فسلطانها إنما يكون بالنهار فاقتضت حكمته جلّ جلاله أن يتناسب الزهر واللون والحشرات في الصباح والمساء ويتجلى البياض مساء والحرة والزرق نهراً وهكذا تلك الزهرات الصفرة والبيضاء تذكو رائحتها مساء لتهدى إليها حشراتنا وتساعد الرائحة اللون على جذبها ولو أبدل البياض بالحرّة لم تعرفها الحشرة أولم تذكر الرائحة لضعف الداعي

تأمل في رياض الأرض وانظر * إلى آثار ما صنع المليك

عيون من الجين شاخصات * على ورق كما الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهيدات * بأن الله ليس له شريك

﴿ نهاية ﴾

نقل السر (جون لبك) عن (أرسطاطاليس) اليوناني أنه شاهد أن النحلة تذهب من زهرة إلى أخرى من نفس ذلك النوع وقال انها منفعة للفرّيقين النبات والنحل . أما النبات فان الطلع الذي من الذكر لا يضيع بسقوطه على زهرة من نوع آخر . وأما منفعة للنحلة فانها تعرف طريقها ولا تغيره ولا تضع الزمن في أخذ دروس جديدة عن كل زهرة وتجارب حتى تضع قوتها ويذهب زمانها سدى وهذا بعينه ما قاله تعالى - وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلّي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لآلئهم يتفكرون - فتقوله - سبل ربك ذللاً - أي أن طرق ربك في الأزهار مسهلة لك من الله لا تلبس عليك لأنها في نوع واحد من الأشجار التي أرادتها في الزمان المخصص لها والله أعلم واني لموقن أن هذا هو عين التوحيد . وكيف يقول الله تعالى - وأنبئنا فيها من كل شيء موزون -

وترى جاهلا يقول هذا خارج عن الدين مع انه لا يقين ولا ايمان إلا بمعرفة هذه البدائع وهذا سر تأخر المسلمين اليوم عن مصاف الأمم . وعندى أنه يجب على علماء الاسلام قاطبة أن يتعلموا ويعلموا هذه المعارف التي أجلها علم الكيمياء والطبيعة التي هي سر التوحيد . وياليت شعري كيف انعكست الأحوال وأصبح ماهو أصل الدين خارجا عنه حتى ظن المسلمون أنها خاصة بالافرنج . وفي كتابنا هذا وكتبنا السالفة ما فيه غنى للذكياء فمن أرادها للعلم فيها ونعمت ومن أرادها لليقين فهو أفضل . ولقد أطلنا في الزهر وعجائبه وغرائبه ووضعناه في قسم النبات تجميلا للفائدة واحضارا للسرة في الأذهان . انتهى ملخصا من كتاب ﴿ الزهرة ﴾ الذي هو مقدمة كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾

﴿ فائدة في الحلم ﴾

اننى في هذه الليلة ليلة الأحد التاسع من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ بينما أنا أكتب في هذه العجائب بعد العشاء إذ أخذتني سنة من النوم فاستغرقت حالا وأنا غير متأهب للنوم ولا متدثر . ومن عادة النوم إذا فاجأني على تلك الحال أن يصيبني فيه برد وأكثر ما يصيبني المرض من أجل ذلك . فأنظر ماذا حصل . شعرت في النوم كأنى سائر في الطريق ناحية (الجمالية) بمصر وعلى ثياب نظيفة بيضاء وفوقها سربال بنى اللون مخلوق تستبين منه الثياب وصرت أشعر في الطريق بأمرين معا البرد الشديد والعار من كون الثياب غير لائقة وقد وقع في نفسى أنى سأقابل صديقا في محطة القاهرة وأنه سيلاقيني بهذه الثياب التي لا تليق . فهذه ثلاثة أشياء برد وخجل من الناس وخجل ممن سأقبله وفوق ذلك ندم على أنى تركت عبا عتي . فهذه الأربعة اجتمعت في نفسى . ولما لم أستيقظ مع هذا كله جاء كاب أسود سريعا ليقدّم على عضّ رجلى . هنالك استيقظت وعلمت أن ذلك للحفاظة على صحتي فتدثرت حالا وصليت العشاء ونمت هادئا

اعلمك تقول واى علاقة لهذا بالزهرات في الشجرات ولم تكتب حاشيا لا تفسير له . أقول إن هذه الأحلام التي في الحقيقة أضغاث لا تأويل لها قد أعطتني درسا أرقى من الدرس الذى كتبته الليلة في الزهر والاتقاح وأرقى جدا

(١) أن هناك تديرا تاما لحفظ أجسامنا

(٢) أن قوى العاقلة نائمة فن ذا الذى دبر هذا كله حتى أيقظني

(٣) ان هذا العمل ناتج من قوة عاقلة

(٤) لنقل أن البرد الذى فى المنام هو الذى أحسّ به فى الذى أحضر لى الملابس المخلوكة لتحدث عندى

خجلا لأستيقظ

(٥) ومن ذا الذى وضع فى نفسى أنى سأقابل صاحباً أخجل أمامه ثيابى الرثة

(٦) ومن ذا الذى أحضر صورة كاب ليكون أدعى الى استيقاظى خوفا من نجاسته ومن عضه

(٧) ولذا كنا نرى فى مسائل الزهر المتقدمة أن الذباب يضغط عليه انبرد فيقرّ داخل الى الزهرة المخوفة

وهناك يضطر لحركات توجب عملا نافعا للاتقاح . أفليس ما هنا أدق وأحسن صنعا وأن الحيلة هنا أتمّ لأنها مركبة من أعمال خيالية أثرت فى النفس فأيقظت الجسم . إن هذه أضغاث أحلام ولكنها أعمال معقولة منظومة كما قال تعالى - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقوله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - وما يدرينا أن تكون هذه الأضغاث قد أقيمت الى لأضعها هنا وأقارن فيما بينها وبين الخيل العجيبة المختلفة فى عالم الزهر والقاحه وتكون بابا لاستخراج أهل العلم ما فى نفوسهم من الكنوز التي تمر عليهم وهم عنها غافلون . وكأن الله بهذه يقول لنا أتمّ نظرتم فى النبات والزهر - وفى أنفسكم أفلا تبصرون - ويقول الله لنا كيف غفلتم عما فيكم من العجائب وأتمّ أرقى من الزهر والنبات ويقول لنا لما عندناك فى حال

نومك بالبرد والحزى من الفضيحة الحالية والمستقبلية وبارسال كلب عقور عليك وبنلمك على أنك لم تلبس عباةك . لم يكن ذلك التعذيب منا غضبا حقيقيا وإنما هو رجة . هو في ظاهره عذاب وفي باطنه رجة هو في ظاهره أننا سلطنا عليك كلابنا وأذيناك بالبرد وأعريناك وآخريناك . وفي الباطن أيها العبد أرحنا عنك أسباب المرض ببقظتك وراحة بدنك وصحتك لتتوفر على هذا التفسير الذي أردنا أن يخرج على يديك لعبادنا كما أريناك في المنام منذ عشرات السنين وأخبرناك به وألهمناك أنه سيكون للمسلمين شأن بعد ظهوره فهانحن أيقظناك وساعدناك فهل هذا عذاب . كلا بل هو نعمة . وإذا فهمت هذا أيها العبد فقل لعبادي كل عذاب أنزلته بكم في الأرض فهو كهذا بك الذي رأيته فأنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم وما أله إلا على هذا النحو . فما نرى ولا يلاى لبني آدم إلا لاسعادهم وراحتهم . وحاشا أن أفعل غير ذلك إن رجتي سبقت غضبي وانظر قولي - فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب - نعم إن هذا سيسكل عليكم في مسألة عذاب الكفار ولكن في عذابهم سر لا تعرفونه إلا بعد ارتقاء نفوسكم وهناك تفهمون

هذا هو الذي خطر بالنفس بعد هذا الحلم ككتبته تذكرة للاخوان ليعلموا أن الله معهم وأنه مع كل نفس ولكن أكثر الناس لا يلاحظون مثل هذا . وفي نفس كل امرئ من العجائب التي تمر عليه وهو يزدريها أضعاف أضعاف ما يتصوره في الكتب والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى
﴿ جوهره في قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - مع قوله - ونزعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين الخ - ﴾

إن من أعز النعم وأشرف المزايا وأسعد الأحوال أن يقف الانسان على الحقائق وتصل العلوم وتتحد ويعمها ناموس واحد . هذا هو نهاية مقاصد هذا النوع الانساني . إن شعور النفس بالحقائق الثابتة ابتهاج لها وسعادة قصوى . أنا أكتب هذا وفي النفس من البهجة والجمال والسرور ما لا حد له . أنا لا أقدر أن أصف سروري وبهجتى حينما أردت أن أكتب هذا الموضوع . ألا حيا الله العلم والحكمة . واني أسأل الله عز وجل أن يجعل اشراق العلم علما في الأمم الاسلامية حتى يتبوءوا مقاعدتهم في الحياة الدنيا بين الأمم وفي العالم الباقي بعد مبارحة هذه الدار

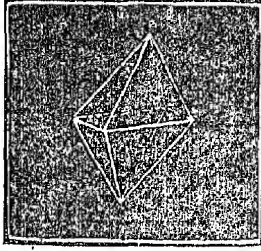
هأنذا الآن أدخل في موضوع الآيتين ولكن علام أنكم ومن أى علم اقتبس . أما الذي وقر في نفسي اللبلة فهو عجائب السوائل التي تتكون وعجائب الجوامد التي تكون بهيئة بلورات منتظمة وذلك أن بعض المواد اذا ذوّبت ثم أعيدت جوامد تأخذ هيئات هندسية منتظمة قانونية وهذا العمل في عرف علماء الطبيعة يسمى (تباورا) فهذه كلمات اصطلاحية . ومثاله ما تقدم في أشكال الثلج المسدسة المذكورة في سورة الرعد وهناك أشكال أخرى في سورة (آل عمران) ولكن الأولى أجل وأوضح شرحا وبيانا . ولا ذكر لك منها مسائل فأقول

(١) مثال السائل المذكور اذا مزجت ماء بالكحول وألقيت في هذا المزيج نقطة من الزيت فانها تثبت في وسطه وتصبح بهيئة شكل كروي وهكذا كل سائل ترك وشأنه يكون على هيئة كروية كقطرات الندى والمطر والزئبق . وذلك بسبب جاذبية الملاصقة وجاذبية الملاصقة خاصة بالمادة التي من نوع واحد كالماء وكالزيت وهكذا جاذبية الأرض لا تؤثر بل المؤثر فيها دقائقها مع بعضها فتصير كروية

(٢) ان كل نوع من المادة له بلورات ذات شكل وزوايا خاصة . فمن المواد ما بلوراته دقيقة ابرية وزواياه صغيرة وبعض آخر بلوراته مكعبة وهكذا . ومن أذاب أجساما مختلفة في إناء واحد ثم جدت وبحث فيها أمكنه تمييز بعضها من بعض بأشكالها بل يعرف ذاك وان لم يعرفها حين اذابتها إلا أن هذه الاشكال متقنة

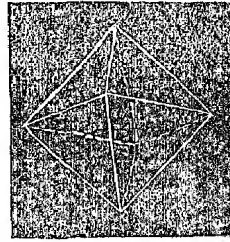
الصنع بديعة النظام • جميلة الهيئة • حسنة الوضع • يحار فيها اللب • ويحبب اللبيب من الألماس البديع والعقيق البهي والياقوت وسائر الأحجار الكريمة ففيها من دقة الصنع وغرابة الوضع ما يدهش الأبواب وإذا أردت أيها الذكي اللبيب أن تطلع على ذلك فهالك ثلاثة أمثلة

(المثال الأول) ركب كأسا صينيا أو بلوريا على منصب حديد وضع فيه عشرة دراهم ماء وأغل الماء بقسدل الكحول ثم اجعل فيه حوالي عشرين درهما من الصودا الكاوية • إذن ترى الصودا تذوب جميعها في الماء الحار ثم اطفئ النار واتركه حتى يبرد • هناك ترى بلورات على هيئة منتظمة مختلفة المقادير مع حفظ الشكل كما في شكل ٥



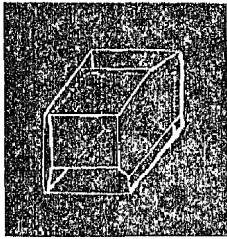
(شكل ٥)

(المثال الثاني) أعد العمل واجعل بدل الصودا الكاوية شبا أبيض



فتكون البلورات على حسب هذا الشكل ٦

(المثال الثالث) فإذا أعدت العمل بالشب الأزرق (كبريتات النحاس) بدل الشب الأبيض فانك ترى البلورات تتكون على هذه الهيئة شكل ٧



(شكل ٧)

(شكل ٦)

ثم انك اذا مزجت (٦) دراهم مثلاً من مسحوق الشب الأبيض مع مثلها من الشب الأزرق ومزجت المسحوقين معا في (هاون) ثم ذوّبت الجميع في عشرة دراهم من الماء الحار فاذا تركته حتى يبرد أمكنك تمييز بلورات الشب الأبيض بهيئتها من بلورات الشب الأزرق بهيئتها • وبهذه الطريقة وهي أن كل مادة لها هيئة بلورية خاصة • ترى كل مادة لا يمكن أن تخلع شكلها وتلبس غيره وقد ذاب في الأرض من قديم الزمان أنواع بلورات من السليكا والماس والياقوت والجشت والفلور • ويمكننا أن نصنع مثل ما تقدم من ملح البارود وملح الطعام فأما ملح الطعام فقد تقدم شكله في آخر سورة (آل عمران) وأما ملح البارود فانه يتكون على هيئة إبر منشورات

إن الانسان ليحب جدّ العجب من أنه يرى أمثال العقيق كما تقدم وسائر الاحجار الكريمة كلها بهيئة منتظمة صاغها الله وأبدعها وأحسنها ونظمها وهكذا قطع الثلج كما تقدم • وقد يظن الانسان أن الصقيع وقطع الثلج على الأرض ليس لها نظام كالذي ذكرناه ولكن اذا تأمله الانسان ألقى ما هو متجمد متكاثر على الأرض مركبا من بلورات متقنة الصنع غريبة الشكل حسنة الهيئات • وهكذا من يراقب سطح الماء وهو آخذ في الجود يرى البلورات فيه تظهر من جوانب الوعاء مرتبة في أشكال حسنة • قال صاحب كتاب (فلسفة الطبيعة) وأكثر تراب الأرض مؤلف من بلورات متكسرات أو متحاللة من تأثير الماء والصقيع ونحوهما • هذا ما أردت ذكره في هذا المقام

ألا فلتعجب أيها الذكي أشد العجب • وكيف لا تعجب من عقول بني آدم • هؤلاء الذين يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يعلمون • أكثر الناس لا يعلمون • اللهم إني أنت الذي خلقت الجمال وجعلته يا الله محيطا بنا من كل جانب وأفرحت قلوبنا وشرحت صدور جهاننا وعاماننا معاً للأحجار الكريمة والمنظر البهجة • كل ذلك منك لتلفت عقولنا الى الجمال والحكمة والنظام الذي أنزلته ولكن أكثر الناس لا يعلمون • يعلمون ظاهرا من الحياة الصغيرة • حياة الحيوان من مأكل ومشرب وزينة فيتزين المرء

بالأحجار الكريمة وقلبه خال من زينة العلم فهو عن الحقائق المودعة في تلك الزينة من الغافلين والحقائق هنا تلك الاشكال المنظمة . نحن نرى الثلج ونضعه في الماء ليبرده ونحن لا نفكر أن هذا الثلج أشكال منظمة متراكمة بعضها فوق بعض كأنها قطع من الماس

اللهم إنك قد أحطتنا بالجمال في العوالم التي حولنا وأرقتنا في الصودا الكاوية المتقدمة بالورات على هيئة هرمين سطوحهما متساوية بينهما قاعدة واحدة مستطيلة وهما مائلان عليها . وأرقتنا في الشب الأبيض هيئة الهرمين المتساويين ولكنهما قائمان على القاعدة المشتركة بينهما . وأرقتنا في الشب الأزرق شكل مكعب . وأرقتنا في الثلج شكلًا مستسا . وهكذا من أشكال البديعة في نظام الأحجار الكريمة

يا الله هذا هو قولك - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه - الآية وهذا هو التقدير والميزان المنسوب وهذا هو الحكمة والحفظ في آيات تعد بالعشرات كلهن ناطقات بحكمتك وعدلك ونظامك . اللهم إن هذا كله مستمد من اسمك الحفيظ فأنت واضع الميزان في العوالم وأنت الحفيظ وهذا الحفظ وهذا الميزان هما المعبر عنهما في الطبيعة بكلمة (جاذبية الملاصقة) الجاذبية الملاصقة التي وضعتها في الماء وفي العقيق وفي الشب الأزرق والأبيض والصودا الكاوية هي التي نسميها الحفظ والوزن في قولك - والوزن يومئذ الحق - ونسميها الامساك في قولك - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا -

اللهم إن الفراغ لانهاية له وهكذا الزمان . الفراغ الذي وضعت فيه كواكبك لا آخر له وهكذا الزمان لا أول له ولا آخر . فهذه المخلوقات لو تركزت وشأنها لنتبدت ولكنك أنت جعلت في المادة (قوتين) قوة الجذب وقوة الدفع فالحديد لا تقدر على فصلها كما لا تقدر على ضغطها مع علمنا أن الفراغ في داخلها عظيم وهي المسام كما أوضحناه في غير هذا المقام . ويمكننا أن نقوى قوة الدفع بالحرارة فهناك يقل الجذب ويكثر الدفع ويصير الحديد سائلا . وإذا أبطلنا الحرارة قويت قوة الجذب فرجع جامدا ومثل هذا يقال في الماء والثلج . وقوة الجذب من أهمها قوة الملاصقة المذكورة وهي التي بها تبقى الأجسام محفوظة وهذه الملاصقة إذا قلت أصبح الجسم سائلا وهكذا إذا زاد نقصها أصبح غازا . فهذه القوة بقلتها وكثرتها كانت الجوامد والسوائل والغازات . ومن قوى الجذب قوة الالتصاق وهي التي تكون بين جسمين مختلفين مثل الجاذبية الشعرية التي في الورق النشاف والتي في جذور النبات

ومثل هذا الجاذبية العامة كجاذبية الأحجار الساقطة على الأرض المشروحة في أول (آل عمران) بإيضاح وحساب . اللهم إن هذا هو النظام العام في السموات والأرض نظام واحد تدخل في الذرة وفي الجبل وفي الكوكب وفي كل شيء وهذا هو نفسه قولك في هذه السورة

(- ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب

وما هم منها بمخرجين -)

اللهم إنه لا فرق بين ذرات القطرات المطرية في اتحادها وتكوينها كرة ونقطة الزيت فوق بعض السوائل والهرمين المتكونين من الشب الأزرق والأبيض المختلفين من حيث الميل والقيام والشكل المكعب في غيرهما والشكل المستدس في الثلج . أقول لا فرق بين هذه كلها وبين انفصال المجرمين من الصالحين . أنت تقول - أم نجعل المتقين كالفعجار - ونقول - وامتازوا اليوم أيها المجرمون - ونقول - إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين - ونقول - فكسبوا فيها هم والعاورون * وجنود إبليس أجمعون - ونقول - والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم -

اللهم إنه لا فرق بين الآخرة والأولى . لا فرق بين الدارين . هاهي ذرة القطرة من المطر تتجاذب ذراتها وتتحد فتصير كرة ولا تطيح في الجو . أليس هذا بعينه قولك - على سرر متقابلين - ولماذا هذا . لأنهم

متجانسون • فهنا نسميها في أشكالنا الطبيعية (جاذبية الملائمة) وهي إحدى الجاذبيات الثلاث والأخرى (الجاذبية الكيميائية) و (جاذبية الالتصاق) كما تقدم ولكنها بالنسبة للنفوس البشرية تشاكل الطباخ والأخلاق كما قلت - هم وأزواجهم في ظلال الخ - وقلت - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم الخ - فهناك تجمع الأشكال الى أشكالها معا وتوضع في الأماكن المعدة لها كما نرى الاشكال عندنا تمتاز الانماض حتى انك ترى في عملية وضع الاشكال المختلفة وجليانها فيما تقدم تصير متميزة اذا بردت فيمتاز كل نوع بالشكل الخاص به كما قلت في كتابك - قل كل يعمل على شاكلته - * وفي المثال العربي ﴿ إن الطيور على أشكالها تقع ﴾ هناك أمر عام جمع الاشكال المتماثلة وتفرق المختلفة • هذا هو الذي نراه فنرى الناس يذرون القمح في الهواء فيصير البر معزولا عن التبن ونرى الرمال متراكمة في الصحراء والماء مجتمعا في أمكنة خاصة نسميها البحار والهواء فوق الماء فكل طائفة من عالمنا نراها مجتمعة لأجل المشاكلة

فاذا عاش الناس في هذه الأرض وهم عمى عن هذا الجلال فانهم أولى بعالم النرات والبهائم ولاحظ لهم في الانسانية لأن الانسان أعطى عقلا به يميز الجليل من غيره والحسن من القبيح فاذا مات وهو لم يدرس ما استعد له بعقله تنزل الى أدنى درجات الحيوانية لأنه جهل المقصود من وجوده فعلم ظاهرا للحياة وهو أن يعيش بما يغنيه وجهل حقائقها التي تنبئ عن سر خفي ونظام بديع يرشد النفوس الى عالمها وهؤلاء هم الذين قيل فيهم - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وعالم الآخرة هو سر عالم هذه الدنيا لأن هذا الجلال الذي رأيته في هذه العجالة هو السر الذي تعشقه النفوس وبه تصير أعلى من المادة وتستأهل أن تكون - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - وتحب أمثالها وتعيش معهم بسلام كما في قوله - ونزعنا ما في صدورهم من غل - الخ انتهى

﴿ جوهره في قوله تعالى - واذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه - الى قوله - إلا من اتبعك من الغاوين - ﴾

(وموازنته بلغز قابس في أن جهل الخير والشر هو سبب شقاء الناس)

اعلم أن هذه القصة ذكرت في القرآن مكررة بطرق مختلفة - وقد جاءت في التوراة - أن هذه القصة يتلوها ويؤمن بها نحو نصف النوع الانساني وهم اليهود والنصارى والمسلمون • كل هؤلاء يؤمنون بأن آدم وحواء قد أغواهما الشيطان فأكلا من الشجرة • وهذه الشجرة لاتعيين لها • وأعم قول رأيته فيها أنها شجرة معرفة الخير والشر • وهنا أقول

إن الله عز وجل بذر العلوم والمعارف في أرضنا بذرا ونشرها نشرًا • سبحانه اللهم وبمحمدك أريتنا عجائب صنعك في نباتك وحيوانك وشموسك وأقمارك فدهشنا لتفننك فيها وأبداعك • ورأينا انك لم تذر صغيرة ولا كبيرة من هذه المخلوقات إلا وزنتها ونظمتها ورعايتها حق رعايتها • وهاهوذا النوع الانساني قد أريته هذه المخلوقات جملة الحيا بهجة المنظر تريد بذلك شوقه لها وسوقه لعالمها • ومن أبدع ما صنعتك إنك ألقيت لهم الحكمة العملية من ﴿ طريقين ﴾ طريق الدين وطريق الفلسفة بهيئة لغز واحد

أنزلت يا الله هذا اللغز في أرضك على ألسنة الفلاسفة وعلى ألسنة الأنبياء • فأما الأنبياء فلا مؤمنين بهم وأما الفلاسفة فلم ينظروا بعقولهم • إذن أنت أنزلت علم الحكمة النظرية على جميع الناس مقلدهم ومفكرهم وجاهلهم وعالمهم • فقلت لأتباع الأنبياء إن آدم وحواء أكلا من الشجرة فطردها من الجنة وأصبحنا نحن في الأرض نذوق العذاب ألوانا فيها وتركنا للناس يقرئونها ويفهمونها وألهمت فلاسفة اليونان كما سيأتي في سورة الاسراء أن يقولوا في خرافة يتناقلونها كابرا عن كابر ﴿ أن سفينة كس كانت تلقى أغاراعلى الناس الذين يمررون عليها فن فهمها تخلص منها ومن لم يفهمها قتلته فقول لهم ما الخير وما الشر وما الذي ليس بخير ولا

بشر) وقد جاء في الكتاب المنسوب الى (قابس اليوناني) المعاصر (سقراط) المسمى (بافز قابس) أن قابس كان يمشي في هيكل (زحل) فرأى صورة غريبة الشكل قدر سم فيها حظايرمايين كبيرة وصغيرة وفيها صور رجال ونساء وجوع كبيرة وأحوال مختلفة سيأتى شرحها في سورة الاسراء كما قدمت لك فجاءوا هذه الصورة لغير الحياة فمن فهمها كان سعيدا ومن لم يفهمها كان شقيا (وبعبارة أخرى) أن (سفينكس) المتقدم ذكرها وهي (أبوالهول) المشهور في مصر كان يقتل حالا من لم يفهم لغزه ويبقى من فهم

فأما هنا فلا يكون الموت حالا بل من جهل الخير والشر في هذه الصور التي رآها (قابس) في هيكل (زحل) قتله جهله قتلا تدريجيا وهو في ذلك وهوان مدّة الحياة لا كما فعلت (سفينكس) بالقتل حالا وملخص هذا أن أصل كل شئ في الانسان عند هؤلاء الفلاسفة هو الجهل بالخير إذ لا يمكن لذي بصيرة وعقل أن يختار الشر وهو يعلم أنه شر وليس يختاره إلا لأنه تخيل شيا من الخير فيه فيرجع الشر في الانسان الى مجرد الغلط والتصور في العلم . وهذا المذهب تلقاه الرواقيون من (سقراط) فهم معدودون من أتباعه فالجهل بالفضيلة هو منشأ الشر ومن علم الأشياء على ما هي عليه لا بد أن يتبع علمه بالحكمة عندهم راجعة للعلم والعمل معا . فالخير عندهم (قسمان) خير في ظاهره وليس هو بخير في ذاته كالجمال والصحة والجمال والولد والصيت أى كل ما هو موقوف على العوارض الطارئة . فهذا تارة يكون خيرا وتارة يكون شرا وذلك بحسب استعمالنا إياه . والخير الحقيقي هو الحكمة والخلق الكريم الذي نتصف به فهذا موقوف على إرادتنا داخل في قدرتنا لا يسلبنا إياه سبب طارئ وذلك لأنه ملكة راسخة في نفوسنا لا تختلف باختلاف الأوقات والأحوال ولا يتصور فيها سوء الاستعمال فمن فاز بذلك فقد فاز بالسعادة طول حياته إذ لا يحتاج فيها الى شئ من الخبرات المحسوسة الخارجة عن قدرته المنوطة بالبدن والمال وهكذا . وعلى هذا يكون الناس عندهم (قسمين) حكماء سعداء وجهال أشقياء . هذا ملخص هذا المذهب الفلسفي

أما الشجرة التي أكل منها آدم فانها في الحقيقة ترجع الى هذا المعنى بهيئة أخرى . وبيانه كما قلنا ان الشجرة أعم الأقوال فيها انها شجرة معرفة الخير والشر وهذا هو العجب . اللهم إنك عممت العلم ولم تقصره على طائفة نشرت الحقائق وبذرتها في أرضك ولكن نوّعت طرقها . فالفلاسفة يقولون من جهل الخير والشر عاش شقيا . لماذا . لأنه يتناول الشئ ظانا أنه خير محض فيكون شرا عليه الى آخر ما تقدم هكذا هنا آدم لما قيل له إياك أن تقرب شجرة الخير والشر فلما قربها حصل له ولبنيه ما هو معلوم من النصب والتعب . إن شجرة معرفة الخير والشر ترجع في نتيجتها الى ما تقدم ولكنها عند الفلاسفة بهيئة غير ما هنا . فهناك يقال أصل الشر الجهل بحقيقة الخير والشر ولكن هنا يقال له إياك أن تعرف الخير والشر وهذا عجب . هناك يكون الذل يتبع الجهل بالخير والشر وهنا تكون المعرفة شرا

أقول إن النتيجة واحدة لأن معرفة الخير والشر في قصة آدم معناه فهم الخير والشر فهما سطحيا ظاهريا والفهم الظاهري الذي يرجع الى ما يتصوره الناس بسبب حواسهم وخیالهم هو نفسه جهل . فالمعرفة هنا هي الغرور بالظواهر فهي معرفة ظاهرا جهل حقيقة . وأضرب لك مثلا بضروب الشهوات من الولوع بالمأكول والمشرب وباقي اللذات والاكتثار من المال . فكل هذا عند أكثر الناس سعادة ولكنهم فعلا به أشقياء في هذه الحياة الدنيا وهذا معروف فلا أطيل به وإنما أذكر لك (ثلاثة أمثلة)

(المثال الأول)

إن هيئة القوى في الانسان كهيئة شمعة كبيرة وهذه الشمعة قد وضعنا فيها أربع فتائل وهذه الفتائل الأربع لو أضاءناها ساعة لقنيت الشمعة ولو أضاءنا واحدة فقط لسكنت الشمعة لا تنفنى إلا بعد أربع ساعات طبعها هكذا أكثر الناس ينهمكون في لذاتهم ويعتدون هذا الانهماك سعادة فيشربون الخمر ويزاولون الشهوات

البهيمة ونحو ذلك فتكون هذه السعادة الظاهرية في نظرهم القصير ضعفا لأبدانهم وخلافا في عقولهم وضياعا لما لهم وتقصيرا لأعمارهم وهم نادمون • فالانهمالك في الذات كاشعال الفقاتل الأر بعسة في الشمعة وهو شقاء باطنا وسعادة ظاهرا • والعقة يظنها الجاهل شقاء وهي في الحقيقة صحة البدن والعقل وسرور النفس فهي أشبه باشعال الفتيلة الواحدة في الشمعة المذكورة

﴿ المثال الثاني ﴾

يقال ان علم النوع الانساني اليوم أوسع مما تعلمته الأمم السابقة حتى قال بعض أطباء القرن العشرين ان الناس تعلموا في هذه السبعة والعشرين سنة التي مضت من هذا القرن أكثر مما تعلمه من قبلنا في خمسة آلاف سنة في الطب وهذا القول وان كان فيه مبالغة لا يمنعنا من قراءة علومهم بل هو يغرينا بها • فهناك مثلا واحدا مما قاله الأطباء في عصرنا لتبتهج وتسعد في صحتك الجسمية كما تبتهج وتسعد بصحتك العقلية فيما تقدم • يقولون ان الجسم الانساني مركب من ست عشرة مادة

(١) كالجير الذي يغذى العظم ويشفي الجروح وهو في الكرب واللبن والجبن التي لم ينزع زبدها والسبانخ والبصل والمشمش والتين والبابية والطماطم وهكذا • فهذه كلها فيها مادة الجير التي تقوى العظم كما علمت

(٢) المغنسيوم وهو يساعد العضلات ويمنع الفتق وهو في السبانخ والخيار والطماطم والبرتقال والشعير والذرة والقمح والليمون والبابية

(٣) الكبريت ينظف الدم وهوضد للروماتيزم الذي هو من الأمراض الباردة وهو في السبانخ والقنبط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرله والجزر والبصل

(٤) الفسفور يغذى المخ وهو في سمك البحر والخس وصفار البيض والسبانخ وكشك الماز والفجل والخيار والبسلة والمعدس الخ

(٥) الحديد يقوى الدم ويعطيه لون الحرة وهو ينفع من فقر الدم • وهو في الكرب الأحمر والسبانخ والزبيب وصفار البيض النئ والبرقوق والطماطم

(٦) الكالورين يساعد على الهضم وينظف المعدة كتنظيف الصابون للثياب وهو في الكرب والجزر والسبانخ واللبن وسمك البحر المالح والفجل والجبنة

(٧) والملح العادي (٨) والصودا (٩) والرمال (١٠) والفحم

هذه المواد العشرة من (١٦) التي تتركب منها جسم الانسان ونحن بعملنا وحركاتنا نفقد من أجسامنا من هذه المواد • فعلينا إذن أن تكون ما كنا محتوية على هذه المواد جميعها • ومتى نقص منها واحد

اختلفت قوانا واعتلت صحتنا • إن هذا الكتاب تفسير للقرآن وليس كتاب طب • ولكن يجب علينا أن نشرح هذا الموضوع مختصرا ليكون القارئ على بينة منه وليخرج بفائدة عامية وعملية في آن واحد

هذه المواد الست عشرة كلها لابد منها في طعامنا • فلو أن الطعام نقص الجير مثلا فان الدم يسرق ذلك الجير من العظم والأسنان • فاذا سمعت أن رجلا أسنانه ضعيفة فعناه أن طعامه ليس فيه جير كاف • واذا

رأيت طفلا مقعدا لا يقدر على النهوض فاعلم أن لبن أمه ليس فيه جير يكفي وذلك بسبب أن طعام أمه ليس فيه ما يكفي منه وهكذا • ويقول العلماء إن في هذه المواد ثلاث قوى تسمى كل منها (فيتامين) وهذه القوى لها مقادير معينة لابد منها في الطعام • إن هذه المواد جميعها خلقها الله في القمح بالمقادير المعينة في الدم •

القمح على حاله الطبيعية فيه الست عشرة مادة وفيه القوى الثلاث المغذية • الله أكبر تتركب القمح كتركيب الدم • فإذا فعل الناس بالقمح • انقسم الناس ﴿ فريقين ﴾ أغنياء وفقراء • فترى فريق الأغنياء في

أكثر العالم ينخلونه فيكون لهم منه دقيق ناعم أبيض ويتركون ما يسمى في مصر (السنّ والنخالة) وهذا الدقيق اللطيف الأبيض الجليل هو الذي تأكله هذه الطبقة . وأما فريقي الفقراء فإن منهم طائفة تشتري هذه النخالة وهذا السنّ ويأكلونهما . فإذا يقول علماء الطب في هذا . يقولون إن الدقيق الأبيض اللذيذ الطعم المذكور قد فقد ١٤ اثنتي عشرة مادة من الست عشرة مادة ولم يبق فيه إلا أربع منها وهو الرّبع فتحتاج هذه الطائفة الى تكميل ذلك من غير القمح مثل السبانخ والفجل والكرنب وهكذا مما تقدّم . وأيضا هذا الدقيق يكون سبباً في الامساك . أما الذي فيه الرّدة والسنّ أي الذي لم ينخل فهو الذي لا امساك فيه . إذن الدقيق الذي لا ينخل فيه ﴿ فائدتان ﴾ القوّة التامة في التغذية وعدم الامساك والدقيق المنخل فيه ربع التغذية وفيه الامساك

﴿ نتيجة هذا المبحث ﴾

ههنا يظهر معنى خطايا بني آدم في جهلهم بالخير والشر على رأي الفلاسفة أوفى علمهم الناقص بالخير والشر كما في الدين . أنظر الى أهل مكة فانهم كما بلغنا لا ينخلون الدقيق وصحتهم أرقى وأقوى من غيرهم ثم تأمل في هذا النوع الانساني . هذا النوع الذي يتبع آخره أوله جهالة . نخل زيد الدقيق فاستحسنه فقلاده عمرو فتباعت أجيال وأجيال فصار ذلك عادة راسخة . ولذلك تجدنا في مصر اعتدنا أن ننخل الدقيق وترى الطبيب الذي يعلم هذا والعالم والجاهل كلهم يأكلون على هذه الطريقة وهم يرون بأنفسهم كما يقرؤون في كتبهم أن هذه طريقة رديئة ثم لا يتوبون ويموتون وهم لا يدركون . ثم تأمل كيف كان الناس في عصرنا جهلاء أشدّ الجهالة . فترى الحكومة المصرية تعطى المسجونين خبزا غير منخل الدقيق فيخرج المسجون مفتول السواعد قوى العضل ونفس الطبيب لا يأكل مثله وهكذا بقية الأمة أبدانهم ضعيفة وأكثر الناس مرضى بضعف المعدة وهم يرون المسجونين وعرب البادية وأهل مكة في صحة جيدة فالتفرون اتبعوا المذمة وسواهم لم ينالوها ونالوا الصحة والعافية

﴿ الانسان الأول والانسان الحالي والانسان في المستقبل ﴾

يظهر أن الانسان الأول عاش عيشة فطرية فأكل من الأشجار وأكل الحبوب بفطرتها فقلت أمراضه وهمومه ونظيره عرب البادية . أما الانسان بعد ذلك فانه أخذ يستعمل عقله في استجلاب اللذات وترك الطبيعة ظهريا واخترع ضروب المسرات من تلقاء نفسه هنالك هوى وضلّ وغوى وأخذت العداوات تزداد بازدياد اللذات وطلبها وهي المعبر عنها بمعركة شجرة الخير والشرّ في الدين أو هي جهل حقائق الخير والشرّ في الفلسفة . اللهم إن هذا الانسان تمادى في شهواته وهو يحجل حقيقة الخير والشرّ فأخذ يجد في لذاته الظاهرة وأخذ كل يحارب كلا . لماذا . لينال اللذة الظاهرة فهم دائماً متحاربون محتصمون لأنهم إلا قايلاً يبحثون عن ظواهر السعادة . فترى الرجل قد يملك آلاف الأفدنة من الأرض وهو لا يحتاج إلا الى أقلّ جدّاً من ذلك فهم في جشع مستمر . ومماثل ما يملك من المال إلا كمثل ما يكون فوق الشبع . كل هذا وذاك وبال عليهم

اللهم إن الانسان اليوم تمادى في الجهالة بشهواته وغضبه فترك الناس مواهبهم العقلية فلم يربوها ومزايها لأرض ومنافعها فلم يظهروها إلا قليلا . إن النوع الانساني اليوم معذب لأنه لم تستخرج بالتعليم قوائمه الخبوءة فيه السكائمة . ولو أنها استخرجت لاستخرج بها قنون النعم الخبوءة في الأرض . فالناس لجهلهم يقاثل بعضهم بعضا يريد كل أن يخطف ما في يد الآخر وكان خيرا لهم أن يقفوا جميعا صفا واحدا متعلما ويستخرجوا ما في هذه الأرض من المنافع فذلك يكفيهم جميعا . إن الله خزن أرضنا وملأها بما ينفعنا على قدر حاجتنا . فإذا نحن لم نبق كآبائنا الأولين على الفطرة فنكتفي بما في الطبيعة من النعم كما هي حالنا

اليوم فليس لنا حيلة إلا بالتعليم العام لسائر الأمم من جهة ومن جهة أخرى نستخرج منافع كل أرض في الدنيا . فالإنسان الأول كان في سعادة لأنه اكتفى بالقطرة . والإنسان الحالي شقي لأنه لم يكتف بالقطرة ولم يصل لنهاية العلم وإنما انبع الظواهر فضل . والإنسان في المستقبل هو الذي ينال نهاية العلم بما في أرضنا وأذن يسعد على مقدار علمه فإذا رأى الدقيق المنحول قال لا آكله بل آكله بنخالته مثلاً فلا أكون كاتباً للجلاء الذين كانوا يرمون منه القوة المغذية النافعة لهم في صحتهم لجعلهم فالسعادة في الدنيا إما بالرجوع إلى الطبيعة وإما باستكمال العلم استكمالاً تاماً . فأما الإنسان الحالي فلم يكتف بالطبيعة ولم ينل غاية العلم بل هو يستعمل قواه العقلية فأنت بخليط من حسن وسيئ . ومماثل هذه المراتب الثلاث إلا كمثل الإيمان فمن الناس من يؤمنون بالأنبياء بلا بحث وهم العامة ومنهم من يشك في كلامهم وهذا الفريق (قسمان) قسم وصل إلى الحقيقة فصدقهم بعلمه فرأى أن نهاية العلم تشابه ما فطر عليه العامة . وقسم أخذ في البحث ثم قال خير لي أن لأبحث بل أكذب وهذا الفريق مسكين فلا هو مع العامة ولا هو مع الخاصة فهذا كذب بلا دليل وأخذ في اتباع الشهوات فكان العامي أفضل منه . هكذا ترى الأعراب في البداية الذين ما كانهم أقرب إلى القطرة أصبح أجساماً من أبناء المدن وأبناء المدن لا يسعدون البتة إلا إذا وصلوا في العلم إلى أعلى الدرجات فالأولون بالطبيعة قانعون والآخرون بالعلم التام مرتقون وسوى هذين بين هؤلاء وهؤلاء مذبذبون معذبون

(المثال الثالث)

(ما يراوله الناس من أكل السكر الصناعي مع ان الفاكهة أفضل منه . وما يقتربون من الغش في اللبن والدقيق والخبز الخ)

قد ذكرت لك مافعله هذا النوع الانساني في الأغذية كالقمح وأذكر لك الآن ماوقفت عليه أنا بنفسى وجربته . ذلك أنى قرأت منذ سبع سنين مقالا للدكتور (جاستون دورفيل) يقول ان السكر من الأغذية المهلكة لأجسادنا وأن الناس في عصرنا قد اعتادوا أن يتناولوا منه أربع قطع الى ست فوق الغذاء الكثير . ولاجرم أن ذلك يحكم على الجسم بازدياد الحركة بافراط مرض مميت . إن أكل السكر الصناعي يحدث فينا أرقاً شديداً . قال ولقد منعت من شكواي إلى الأرق من أكل السكر فشفا منه وناموا مطمئنين . إن السكر ليس يكون إلا دواء وليس يكون غذاء . إذن هو ضار ونافع . فليستجنبه المؤلفون والسياسيون وجميع ذوي الأعمال الجلوسية . أما ذوو الأعمال الجسدية كالزراع والصناع فهونافع لهم وعلينا أن نمنح الأطفال من هذا السكر الصناعي . ذلك السكر الذي لم يكن معروفاً لآبائنا (يريد الأوروبيين) منذ ثلاثة أجيال فكانوا أبطأ منا انحطاطاً في قواهم وأقوى أجساماً . ثم عطف على السكر ضرره وضرر المشروبات الروحية فجعل خطر السكر يقرب من خطرهما

ويقول الدكتور (كانتون) في كتابه (ثلاثة الأغذية المميتة) ان ما يستهلكه الناس من اللحم قد بلغ ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل ثلاثين سنة وهذه الزيادة في اللحم يضاف إليها المقادير المأكولة من السكر ومن المواد الكحولية . ولذلك نشاهد أن السل الرئوي والسرطان يحتاجان (١٣٠) ألف نسمة كل سنة والمجانين كانوا سنة ١٨٦٥ م (١٤) ألف نسمة فصاروا ٧١٥٤٦ سنة ١٩١٠ والمنتحرون بلغوا ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين . وأجاز الدكتور (جاستون) لأصحاب الأعمال الجلوسية أن يتعاطوا من السكر كل يوم قطعتين ومنعهم منه ومن الأغذية الاحترافية كالنشاء والحبوبات مساء . ويقول ان السكر الطبيعي يكفي حاجتنا وهو موجود في الفواكه فهو فيها ذائب حتى . أما في السكر الصناعي فهو محروم من الحياة ومن القوة المغناطيسية فهو غذاء مميت

هذا ملخص ما اطلعت عليه في هذا الموضوع الذي يجعل السكر واللحم والنحر أخوات في الاهلاك ولكن

جعلوا السكر واللحم دواءين • فهما ينفعان ويضران وضررهما منصب على أصحاب الأعمال الجلوسية مثلى ومنفعتهما لغيرهم على تفصيل فيه • فانظر أيها الذكي حالى إذ ذاك

﴿ كيف كانت حالى عند قراءة هذا الموضوع ﴾

كانت لى سنّ من (الثنايا) التى فى مقدم الأسنان وهى مقلقة (متعبة) تريد أن تسقط ولا يمرّ أسبوع حتى تعطينى انذارا وهذا صورته (أقلعنى) فكنت أضع أصبى عليها فتميل ميلا شديدا حتى أظنّ انها ساقطة لا محالة ثم أتركها وهكذا مدة شهر كثير لا أذكر عددها • وفى آخر انذار وضعت يدى عليها لأسقطها وكان أهل بيتى أمامى فقالوا لى انها لا تريد السقوط دعها فقد كنت تعالجها فتثبت بعد ذلك فتركتها ناويا الرجوع فاتفق أنى اطلعت بعد ذلك على ما كتبت لك الآن وقد كنت إذ ذاك أشرب القهوة والشاي وأضع السكر فيهما وهكذا كنت أتعاطى قطع السكر وأنا رجبى لى مدرس ولى بعض مقالات إذ ذاك وكتب فرأيت القول منطبقا على فتركت القهوة والشاي والسكر وقلت ان هذه تمنع نومي وتضرني ضررا شديدا • وما كنت لأعلم أن اللثة وضعفها حاصل من تعاطى السكر وأن ميل سنى للسقوط من ذلك الضعف فمرت أسابيع وشهور وهذه الثنية على حالها ثابتة بل هذه سبع سنين ولم ألتق من هذه السنّ انذارا كما كانت تفعل سابقا بل لا أفرق الآن بينها وبين ماحولها • هذه هى حالى الآن وأنا أجد الله إذ أفعلت عن هذه العادة فكانت النتيجة قوة عامّة فى الجسم ونشاطا لم أعهد من قبل وقوة فى المعدة

﴿ تذكرة ﴾

اللهم إنك أنت الذى خلقتنا وجعلتنا فى هذه الأرض وجعلت الجهل هو الداء الأكبر لنا • اللهم إنى تعلمت فى الأزهر العلوم الدينية وتعلمت فى المدارس العلوم التى يسمونها (دنيوية) وألفت كتبنا واطلعت على كتب الاوربيين ومضت له سنون وسنون وأنا دائب محمّد ومع ذلك بقيت جاهلا • جهلت أن السكر يضرني جهلت ذلك لأن العادة المستحكمة وسوء المملكات وشيوع أكله بين الناس جعله أمرا مألوفا اللهم إنك أنت الذى خلقت الفواكه وأنت الذى ملائمتها سكرًا وقلت للحيوان وللقرود ولأهل البادية كلوا فواكههم وكلوا حبوبهم فأكلوها ولم نرضأ عند هؤلاء الناس ولا الحيوان إلا قليلا لقد أبان الملامة ابن خلدون أن أهل البادية الذين هم أقرب الى الفطرة أبعد عن المرض ويقول علماء البيطرة إن الحيوان الذى لم يذله الانسان بعيد عن المرض والمرض لا يفترس إلا الحيوان الذى يعيش معنا فالمرض تابع للدنية وهذا بيت القصيد • الانسان خرج على الفطرة والطبيعة واستخرج السكر • ذلك السكر الذى خلقه الله فى الطبيعة بحال متوسطة فرأى الانسان أن يستعمل الذات فاستخرجه فأكله فأضر به • ذلك لأنه لم يفعل ما فعله الحيوان والانسان الفطرى فاتبع اللذة ولم يقف عند الفطرة • ترك الانسان فطرته الأولى وحرم من الشمس التى كانت تعطى قوة لآبائه فأخذ الأطباء يقولون لتكثروا فى الشمس زمانما لتقووا وأمروا التلاميذ بالحركات التمرينية لتعويضهم ما فقدوه من الحركات المقتوية للجسم عند طلب المعاش الانسان خرج عن الفطرة الأولى وهو الآن بين فسكى الأسد وقد كثر الضرر والمرض

﴿ عقاب الله للناس أكثره على الجهل ﴾

ها أنت ذا أيها الذكي رأيت الله عاقبنى • لماذا عاقبنى • عاقبنى على جهلى لأنى جهلت أن السكر يضر اللثة فأكلته فأضر بها • وأقول انك أنت اليوم معاقب على أمور كثيرة تجهلها وأنا كذلك • إذن العقاب على الجهل هو العقاب العام والا فكيف أعاقب بقلقة سنى وأنا محمّد فى طلب العلم ولكن جهلت هذه المسألة أنه عتاب مجمل مجله الله فى الدنيا وهكذا سيكون له نتائج فى الآخرة • ألم تر أن الانسان اذا اختلت صحته تسوء أحواله ومتى ساءت أحواله ساء خلقه وقصر فى أمور كثيرة مع أهله وولده وأصحابه وأعماله وهذا

يتبعه ذم في الدنيا وعقاب في الآخرة . كل هذا سراً كل آدم من الشجرة هي شجرة معرفة الخير والشر
فآدم وأنا وأنت أكلنا من شجرة معرفة الخير والشر لأننا عرفنا أن السكر ألد من الفاكهة فقلنا هذا خير
منها فأكلناه . فهذه المعرفة السطحية التي يقول الله فيها - فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوءاتهما - هي التي أوقعتنا في الأمراض والآلام وذل الحياة . إن الإنسان ترك الفطرة وعاش في المدن
وأخذ يتناول الشهوات استعجالاً لها فقال الله لبعض عباده - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها فاليوم تجزون عذاب الهون - وقال في سورة الأعراف استنباعاً لقصة آدم وأكاه من الشجرة - يا بني
آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - والاسراف من نوع الاقتراب من شجرة
معرفة الخير والشر التي هي الجهل بحقائق الخير والشر عند الفلاسفة كسقراط وتابعيه كما تقدم . ولا جرم أن
الخير يمو في النفس والشر كذلك كما قال تعالى - في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً - وقال - والذين
اهتدوا زادهم هدى الخ - . إذن الخير يمو كما تنمو الشجرة والشر كذلك لذلك سمي شجرة . والناس
ذاقوا اللذات الظاهرية فعدوها خيراً فانكبوا عليها وهامهم يذوقون العذاب ألواناً وأخذ كل يحتال على لذاته
بإدناء غيره وقد عمّ الجهل جميع الطبقات في نوع الإنسان . كل ذلك بسبب اتباع اللذات الظاهرية وسأبينها
في فصول

﴿ الفصل الأول . غش اللبن ﴾

حرص الناس على الدرهم والدينار فأخذوا يغشون اللبن بالماء وقد أثبت العلامة (هوار) أن اللبن سبب
في إصابة (٥٠) في المائة من الذين يمرضون كل سنة بالجمل النيفودية و (١٤) في المائة من أصحاب الجمل
الحصية و (٧) في المائة من الذين تعثر بهم الدفتريا وقال إن السبب أن اللبن يمتلئ بالحيوانات الدورية التي
تحدث هذه الأمراض وهذه الحيوانات تكون في الماء الذي يضيفه الباعة إليه . ويزيد الطين بلة
(١) اذا نزع منه (قشدة)

(٢) أو خلط ما حلب منه اليوم بما حلب أمس

(٣) أو أضيف إليه النشا أو الدقيق أو بياض البيض

﴿ الفصل الثاني . الغش في البن ﴾

البن المسحوق الذي يباع عند (البدلين) يضاف إليه مسحوق (الأجر) الطوب المحرق وبعض الأتربة
ورماد الفحم الحجري . فأما حب البن الأخضر فان أهل (لندره) لم يجدوا من (٩١) منه سليماً من الغش
إلا (١٣) والباقي بن صنعي يصنع من نشارة الخشب العادي ورمل وخشب (الأكلجو) وحجر الطلق وحجر
(البومباجين) الذي تصنع منه أقلام الرصاص

﴿ الفصل الثالث مباحث الدكتور (بارودي السكيماوي) بوزارة المعارف المصرية ﴾

لقد بحث الدكتور المذكور اللبن وقال كما تقدم ولزبدة فقال إنه وجد كثيراً منها مغشوشاً وأنه اشترى
سمناً من (٤٣) بقالا فوجد الغش في (٤١) منه وواحد مشكوك فيه وواحد فقط لا غش فيه . وقال في
الزيت أنه زنج إما ظاهراً وإما غير ظاهر زناخته أي تغير رائحته واختفاء الرائحة بأعمال خاصة وقال ما زيت
الزيتون إلا خيال وهكذا وقال في الملح إن فيه (١٥) في المائة من كربونات الصودا وهذا غش يجعل
المعدة قوية لا تستطيع الهضم وقال في الخل أنه غير خل وإنما هو (حامض الخليك) مخفف بالماء وفيه
حوامض معدنية تحدث في الجسم ضرراً بليغاً وقال في البن أنه لم يجد فيه المادة الفعالة في البن (الكافيين)
بل هذه المادة استخرجت منه قبل السحق ووجد في بعض البن طيناً وفي بعض آخر مسحوق الفول وقد
وجد المستر (مورس) في أبي قرقاص نوعاً من البن مركب من الفول (والشكوريا) يعني (السريس)

والطين وقال في المشروبات الغازية ان فيها الزرنيخ وحمض الكبريتيك والنقطة وهكذا من المواد السامة المدنية أو العضوية والماء الذي تصنع منه غالبا يكون قذرا وقال في الدقيق إن الناس في مصر لو شاهدوا صنع الخبز الذي نأكله ما أكلوا منه لقمة واحدة . وذكر أن الحال التي يصنع فيها الخبز تكون مظلمة ويوضع في العجين ماء قدر وانه وجد أنواعا من الدقيق فيها مواد غريبة (٢٠) في المائة من (الطلق) نوع من الحجر وكذلك أنواعا أخرى معفنة وهذا كله يجعل الدقيق مضرا مهلكا من الوجهة الصحية هذه هي الصورة المصغرة لحياتنا في المدن وبها يظهر أن لبننا وبننا وخبزنا ودقيقنا والمواد الغازية التي تأتي لنا فنشربها كلها قاتلات لنا . يقول المؤلف عند طبع هذا حصل اصلاح كبير جدا في الخبز ﴿ خطابي لأُم الاسلام ﴾

أيها الأُم الاسلامية هذا كتاب الله تعالى والله يقول فيه ان آدم لما عصى أى وعصى بنوه اعتراهم الذل ورجعت معصيتنا لاتباع الشهوات فكان ذلك بذرا وكانت سائر الشهوات مفرعة كفرع الشجرة أيها المذكي . أنظر لما حصل لي . جهلت أن السكر ضار بالثقة فلم يغفر الله لي هذا الجهل فتقلقت نيتي ولم يغفر الله عني حتى علمت فتركت السكر . ومن أنا وما سنى التي تقلقت . أنا رجل كبير السن ان لم أمت اليوم فغدا وسنى تذهب معي ولكنى اليوم أكتب لكم أيها المسلمون . أنا لست بطبيب ولكن الصورة المكتوبة هنا من كلام الأطباء في مصر وفي غير مصر والكتابة رسمية فلائن عليها كلامي مع المسلمين واقول إن الله لم يغفر لي جهلى بالسكر وضرره . فلتعلموا أيها المسلمون أن الله لا يغفر لنا جميعا جهلنا بما تقتضيه . انظروا انظروا . نحن نشرب اللبن والبن ونشرب المواد الغازية من زجاجاتها ونأكل الخبز المصنوع عند الخبازين وقد ثبت الغش ثبوتا لا يشك فيه ويتبعه الأمراض المتنوعة . أليس هذا هو عين قوله تعالى - فدلها بفرور الخ - وهامى ذه سوات الانسان بدت في الشرق والغرب لماذا هذا . لأننا قديما خرجنا عن الفطرة وتصرفنا في أمور الحياة ﴿ دواء هذا الداء ﴾

لا دواء لهذا الداء إلا باتباع قوله ﷺ ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ﴾ ومعنى هذا أن الخباز وبائع اللبن والجندي والأمير والفلاح كل منهم موقوف على الآخر فليقم في كل قطر من أقطار الاسلام قوامون على الشعب يفقدون كل صغيرة وكبيرة ويعاقبون الخباز واللبن وكل ذى صناعة حصلت منه هفوة صغيرة وليكن في الأمة علماء بكل حرفة وفن وفوق ذلك لتتعلّم الأمة كلها تعلما اجباريا وليجعل كل متعلم فيما يميل له والله خلق الأميال والغرائز على مقتضى المصلحة كما في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

المسلمون مأمورون بالصلاة جماعة وان لم يفعلوا ذلك عاقبهم الامام . هل كان ذلك في الدين عبثا . ألم تر أن المصلين اذا كان مريضا لا يعقل الصلاة وربما انقطع عنها . الصلاة واجبة وعلى الحاكم أن يجمع الناس لها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ومستحيل أن تتم الصلاة إلا بصحة ولا صحة لمن أكلوا وشربوا سموما كما ثبت رسميا في الشرق والغرب . نحن الآن نشرب السم ونأكل السم في بلادنا . فهل هذه الحياة تطاق . واذا كنا نأكل ونشرب ونحن جاهلون الضرر فأنه يؤاخذنا وان كنا لانعلم . لماذا . لأن الجهل هنا غير مغتفر . واذا كان جهل المسلم بفروض الوضوء يعاقبه الله عليه يوم القيامة فجهله بأمور الصحة التي تتوقف عليها الصلاة لم يرد في الدين أنه يعاقب عليها ولكن الله يعاقبنا فعلا في الدنيا . فأنه عجل عقاب الجهال بأمور الحياة والصحة في نفس الدنيا فليس ذلك يحتاج الى رسول يرسل لنا ويقول احفظوا صحتكم بل أخذ يعاقبنا على جهل الصحة قبل مجيء الرسل و بعد مجيئهم والرسول أكد ذلك بأمرنا بالمحافظة على الصحة . وليس معنى هذا أنني وأنت نعرف كل علم فهذا مستحيل وانما أنا وأنت كالبنيان يشد بعضه بعضا بل

بل الأولون والآخرون كالبنين لأنى أنا قرأت كتب المتقدمين وقرأت قولى هذا المتأخرون . وعلى ذلك يفيض كل امرئ من علمه على غيره ويعلم التعليم العام ونشرات الأطباء وحفاظة الحكومات . وهذا كله داخل فى دين الاسلام الذى أمر بالصالحات وهدد بالعقاب سلبها وعلى بقية أركان الاسلام والله هو تولى عقاب المقصرين فى أمور الحياة فمن عطل أرض الله ومنع زرعها لينتفع بها الناس فهو ظالم مذنب . والأمة التى تعطل مواهب بنيتها فلا تعلمهم تذلل بين الأمم

﴿ عموم الغش فى المدينة الحاضرة وقوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - ﴾

ههنا ظهر تفسير هذه الآية . يقول محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى الشيرازى فى كتابه المسمى ﴿ القاموس المحيط ﴾ فى قوله تعالى - فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - أى فأبين أن يخنها وخانها الانسان . انتهى

فيسير معنى الآية أن الشمس والكواكب والجبال وجميع ما خلق الله حفظت الأمانة التى استودعتها فلا خيانة عند السحاب ولا لهواء ولا الجبال . الجبال فيها مخازن المعادن والبحار فيها الماء فأينها تعطينا أمانتنا ولا تجعلها والطبيعة كلها قائمة بالصدق . فمحض نذر القمح فلا يكون فولاً والقول فلا يكون قطناً

﴿ عبرة ﴾

ها أنت ذا أيها الذكى تقرأ هذا الكتاب وأنت ذوصفة ما إما زارع أو تاجر أو صانع أو قاض أو سياسى فان كنت فى المدن فان الحيز الذى تأكله من السوق أو من عند الخبز واللبن والبن وجميع ما فى الزجاجات للمقلاة كالغازوة . كل ذلك فيه غش ولا علم لك به وهناك الضرر المتوالى الذى ينتهى بمرض وآلام مع الجهل بسببه الله تعالى أوجب أن يكون الناس جميعاً متضامنين وهذا هو المسمى فرض الكفاية فلتنظم أحوال الأمة كلها . إن الانسان ظالم جهول . قد ظلم الناس بغشهم فيما يأكلون وما يشربون وهذا الغش أضرم من الغش فى المحرمات الظاهرة فعقابه أشد لأن ضرره أعم . وإذا عوقب الانسان لفعله قوم لوط بسبب الابتعاد عن النساء الذى به يكون الولد فما أكثر الموت والعقم والخراب بغش اللبن والخبز والدقيق ويكون العقاب أشد من الله على الغاشين . فالانسان بهذا ظالم وهو أيضاً جهول لأنه بهذا قتل أبناء جنسه جهالة لمنفعة حقيرة . فان كنت فى المدينة فاسع فى النظام العام مع بقية الهيئة الحاكمة . وان كنت فى القرى فأنت أقرب الى السلامة لأن الحيز واللبن لا غش فيهما لأنهما من منزلك . وان كنت فى البادية فالغش أبعد عنك . وخير للذين فى المدن أن يكون خبزهم بأنفسهم وان كان فيه مشقة عليهم وأن لا يشربوا من تلك الزجاجات الغازية ولا من محال شرب القهوة المعروفة . يا الله ما أكثر العلم فى المدن وما أعظم الجهل وأكثر الغش . انتهى القسم الأول من السورة

﴿ القسم الثانى ﴾

قد علمت أيها الذكى أن القسم الأول جمع زبدة هذا العالم فذكر المعاش من نبات وحيوان وهواء وسحاب ثم ذكر الانسان وتشرع به الى أن أوصله الى جنة أو نار . وهذا وصف الدارين . ثم أخذ هنا يرتب على ذلك قائلاً - نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم - وذلك حاصل ما ذكر فى الجنة والنار المذكورين . ولما كان ذلك يدعو الى طلب برهان حسى لأن الآخرة لم نرها ولم نطلع عليها شرع سبحانه يذكر لنا ﴿ قصتين ﴾ حصل العذاب فيهما فى الدنيا للكذبين فهذا كالدليل التاريخى على ما سيحصل فى الآخرة فقال ونبئهم عن الملائكة الذين نزلوا عند ابراهيم فساموا عليه فقال إني وجبت منكم فاذهبوا فبشره بأسحق فتعجب من بشرهم وكيف يرزق بولد وقد مبسه الكبر وهذه عجيبه - قالوا بشرناك

بالحقّ فلا تسكن آيساً إنه لا يقنط من رحمة الله إلا من ضلّ فلم يعرف نعمته العظمى وفضله الشامل . ثم قال ماشاً نكم أيها المرسلون فأخبروه بأنهم أرسلوا إلى قوم لوط لاهلاكهم إلا آل لوط ماعداً امرأته فانها مع قومها ثم دخلوا على لوط فأنكرهم وأوجس منهم خيفة فقالوا له قد جئنا لعذاب قومك ثم أمروه أن يسير بالليل هو وأهله ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته وكان ما كان من أهل المدينة وانهم أرادوا فعل الفاحشة بهؤلاء الأضياف وكيف تألم لوط وجرت بينه وبينهم محاوره وهم يأبون إلا أن يفعلوها وهو يدافعهم بالحجة ويقارعهم وذكرهم أن الزواج بنساء قومهم أفضل وأشرف فأزل الله بهم العذاب وهذا ملخص القصة إلى قوله تعالى - إن في ذلك لآية للمؤمنين - ثم أنبعها بقصة أصحاب الحجر إلى قوله - فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون -

ولما أتم القصتين أخذ سبحانه يبين ما يترتب على هذا من علم الأخلاق فأفاد أنه إذا كانت هذه صفة الإنسان وإنه مثاب ومعاقب وأن ذلك حاصل فعلاً في الدنيا وتبعها الأخرى . فاذن الأمر متقن لا خطأ فيه ولا خلط وكل شيء عنده بمقدار فلا بد لكل عمل من جزاء كما تقدم في عجائب المخوفات - وما خلقنا السموات والأرض إلا بالحق - فلا تترك هفوة ولا ذنباً إلا حاسبنا فاعله عليه وعدّ بناه فلا تهم بهم واصفح الصفح الجليل إن ربك خلاق الخلق عليم بهم فكيف يترك المذنب بلا عقاب . كلا . ولما كانت هذه النتائج التي مرت في هذه السورة بديعة محكمة فن خلق المعاش إلى نبات إلى حيوان إلى إنسان إلى جنة ونار إلى تاريخ إلى راحة النفس من هذه النتائج أن كلا ينال ما قدمت يدها كان ذلك داعياً أن توقن أن هذا القرآن عجيب وعظيم وأنه ليس غيره أعظم منه ولذلك أمره أن لا يمتدعنه ﷺ إلى ما في هذه الدنيا من المال وأن لا يحزن على عدم اتباعهم دين الإسلام لأنه سعيد بما أعطى . إن القرآن غنى بما لديه من البرهان

ولما أثلج صدره بما لديه من الثروة العظيمة والغنى العلمي وأن هذه الثروة العقلية فوق كل ثروة وغنى . ونهاه عن اعتبار ماسواه أمره أن يتواضع للمؤمنين لأنهم أعوانه على بث هذه الثروة العقلية في سائر الناس فهذا تنمية لها في هذا العالم الإنساني وأمره أن ينذرهم أن من خالف يعذب في الدارين كما حصل لأولئك الاثني عشر الذين اقتسموا أطراف مكة وكل منهم ينفر الناس من الدين بوجهه من الوجوه فهذا يقول ساحر وهذا يقول كاهن إلى آخر ما تقدم . ثم أقسم الله بذاته وبربوبيته ليسألن هؤلاء المقتسمين جميعاً عما قالوه في القرآن وفي الرسول . ثم أمره أن يجهر بما أمر به وأن يكف عنهم ولا يلتفت إلى لومهم على اظهار الدين وتبليغ الرسالة . وكيف تلتفت اليهم أو تخاف منهم وقد رفعنا عنك مؤنة المستهزئين الذين يجعون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون عاقبة أمرهم ولقد نعلم أنك يضيق صدرك باستهزائهم وقولهم الفاحش والجليلة البشرية تأتي ذلك فيضيق الصدر فافزع إلى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك شرهم ويكشف الغم عنك أو نزّهه عما يقولون حامداً له على أن هداك للحق وقل سبحانه الله وبحمده وكن من المصلين . ولقد كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر أي فزع إلى الصلاة . ويقول العارفون إن الصلاة متى كانت بحضور القلب أشرق الباطن وزال الحزن عن القلب وينفسح ويشرح الصدر فتعلو النفس عن هذه المادة . واعلم أن مثل هذا لا يعرف إلا بعد التجربة ومن لم ينل هذا الحظ لا يتصوره . فاذا أردت ذلك فصل وأنت حاضر القلب وهناك ترى ما يسرك فالعبرة بالعمل

﴿ جوهرة في قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - ﴾

المتوسمون هم المتقربون والفراسة بالكسر اسم من قولك ﴿ تفرست في فلان الخير ﴾ وهي إماما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس ويكون لهم إصابة حدس ونظر وثبت . وأما ما يحصل بدلائل التجارب والخلق وبذلك أيضاً تعرف أحوال الناس . فالمتوسم هو الناظر في سمة الدلائل وسمات الأشياء وصفاتها وعلاماتها . يقول الله إن فيما جاء في قصة قوم لوط الذين تركوا النساء واتبعوا الفاحشة الشنعاء في

الرجال فأخذتهم الصيحة فصار على القرية سافلها آيات لأصحاب الفراسة . وهنا ينظر المسلمون ويفكرون هل هذا القرآن نزل لأجل هذه القصص وحدها ولا متفرس في الاسلام إلا فيها . فاذا قرأ المسلم القرآن يفيض النظر عن أحوال الأمم المحيطة بنا وعن أحوالنا ويقول ان قوم لوط أهلكهم الله بفعل الفاحشة ووضع الشئ في غير موضعه . أم المسلم المتوسم يقول بفراسته وعقله المضيء المشرق . لماذا أهلك الله قوم لوط ويحجب بأنه أهلكهم باخلال نظام الأمة . ذلك أن النساء اذا تركن تعطلت الأرحام وقلّ النسل واكتفى الرجل بالرجل وهذا هو الهلاك لأنه اذا قلّ النسل شيئاً فشيئاً بهذه المخازي ضاعت الأمم ثم يفكر هذا المتوسم فيرى أن قوم هود هلكوا بمعاص مثل قطع الطريق واثيان المنكرات وقوم شعيب هلكوا بسبب نقص السكيل والميزان ونتيجة ذلك خراب مدنهم فيستنتج المتوسم من ذلك نتيجة واحدة وهي أن هلاك المدن وضيعاتها يرجع لأمر واحد وهو الاخلال بالنظام العام وتحت هذا ما لاحصر له من المعاصي ومعلوم أن عذاب الآخرة بعد عذاب الدنيا

ثم يقول ﴿ المتفرس في الاسلام ﴾

لأنظر حال الأمم اليوم اسلامية وغير اسلامية وأحكم أيهم أحقّ بالبقاء وأيهم أقرب الى الهلاك وانما يقول ذلك لأن المتوسمين ليسوا في كل الأمم إلا المسلمين . كلا بل الله الذي خلق الناس خلق المسلمين وقد جعل لكل أمة متوسمين . فهل يكون في الأمم متوسمون والمسلمون يحرمون من هذا النوع . كلا . ثم كلا بل المسلمون أولى بهذه الصفة . ألم يقل الله فينا - كنتم خير أمة أخرجت للناس - فاذا كنا خير أمة فتوسمنا خير متوسم بل ورد في حديث غريب عن أبي سعيد الخدري عنه عليه السلام أنه قال ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - ﴾ أخرجه الترمذي

وحينئذ يقول المتوسم المسلم أنا أولى بالتوسم والفراصة بل أنا للمؤيد من الله والحديث يشهد لي . فيقول لأنظر نظرا صادقا لأهم الاسلام وأهم الفرنجة

﴿ موازنة بين أهم الاسلام اليوم وأهم الفرنجة بطريق الفراسة الخاصة بالمتوسمين ﴾

الفرنجة قد أحاطوا الكرة الأرضية بأسلاك برقية ومدّوا فيها طرقا حديدية واستخرجوا نعم الله المعدنية وغيرها من باطن الأرض وفوق ذلك استعملوا الأمواج الكهربية التي لاسلاك لها في أوروبا وأمريكا اللهم إنك أنت ذوالجلال وذوالجلال . أنت الذي ملأت الأرض والجوّ والسماء بنعمك ولكنك متكبر لاتعطي النعمة إلا لمن يطلبها وهذا من رحمتك . ولو أنك أعطيت النعم لنا جزافا لجهلنا قدرها وأضعفناها كأبناء الرجل الغني الذين ورثوا أرضا وملكا وهم لم يتعبوا فيه فصاروا أذلاء في الطرق والشوارع وهم خاسرون لهذا أنعمت على القوم الذين طلبوا نعمك الخبوءة . تلك المواهب التي خزنتها في جوفنا فوق رؤسنا وفي الهواء المحيط بنا . هناك قوة كامنة بديعة هي قوة الكهرباء . تلك القوة اللازمة لما يسمى (الأثير) ذلك الأثير الذي يملأ هذه الدنيا وقد غرقت فيه أرضنا وشمسنا وكل كوكب وكل قر . هذه الكهرباء تقوم الآن بإذاعة الخطب والأنباء والقصص والأغاني والموسيقى فمن تكون عنده آلة لاستقبال تلك الكهرباء بالحاملة لما ذكر سمع الخطيب والمغني وأمثالهما وبين القائل والسامع جبال وبحار وقارات فيسمع من في برلين نغمات من في الولايات المتحدة . وهكذا تنتقل الصور من بلاد الى بلاد ويخاطب الناس بعضهم بعضا بالتلفون بين أوروبا وأمريكا ويرى المتخاطبان صور بعضهما . وهاهم الآن لا يريدون الاقتصار على ما ذكر بل يريدون أن يرسلوا الكهرباء من محطات خاصة فتذبح في الجوّ ويستعملها من يشاء لما يشاء في أي مكان وزمان بحيث تدور به الآلات في المصانع والمعامل وبه تضاء المصابيح في كل مكان وبه تجري السيارات بلا بنزين ولا احتراق داخلي والمصابيح المضائة تتخذ ضوءها من الهواء ومتى تمّ هذا (وهو قريب) ترى الناس يطبخون ويعزلون

وينسجون ويديرون آلات الحرث وسقى الأرض والطحن والحز والقطر البرية والسفن البحرية . كل ذلك بأمر واحد وهى الكهرباء المنطلقة فى المحطات السارية فى الجوّ . وماعلى الناس إلا أن يلتقطوها كما يشاؤون بالآلات تصنع لذلك فلاخيم ولا بنزين ولا بترول بل هناك الكهرباء وهى القوّة الخفية التى نجعل كنهها ونعرف عملها . وليس هذا أمرا خياليا بل ابتداء الناس يصنعونه فقد أثبت الدكتور (فيليبس توماس) المهندس بشركة (وستنهوس) الكهرباء الأمريكية فى خطبة خطبها أمام جماعة من المهندسين الأمريكيين فى يونيو الماضى سنة ١٩٢٧ أن هذا الموضوع خرج من حيز الفكر الى حيز العمل وبرهن على ذلك بأن أخذ مصباحا كهربائيا غير متصل بسلك ولكنه متصل بقضيب من النحاس طوله نحو متر ووقف على مسافة مترين من أنبوب مفرغ فلما أديرّت الآلة المتصلة بالأنبوب المفرغ وخرجت منه مجارى القوّة الكهرباء بائسة التقطها القضيب النحاسى من الفضاء فأثار المصباح الكهربائى المتصل به . هذا هو الذى يتمّ فى نفس تلك الخطبة منذ ثمانية أشهر . ومعنى هذا أن الكهرباء أمكن انطلاقها فى الهواء بلا سلك ولم تقتصر على نقل الخطب والصور والكلام . كلا بل أضاءت المصباح وغدا استضىء مصابيح على أبعاد مختلفة وتدير الآلات فى المطاحن والمخازن والمحارث وآلات سقى الأرض الخ

﴿ الطرق التى يبحثها القوم اليوم لنقل الكهرباء ﴾

يقول المهندس (يلرد) انه يبنى (برجان) أحدهما على مقربة من القطب الشمالى والثانى على مقربة من القطب الجنوبى . وهذان البرجان تولد فيهما الكهرباء بما فى تلك الأصقاع من الفحم الحزون والبتترول وهذان لا يمكن نقلهما الى الأصقاع المعمورة لطول الشقة وبعد المسافة . وتلك الكهرباء المرسلة منهما تمرّ فى الجوّ المرتفع فى طبقات الهواء العليا وهو أصلح موصل لأموال القوّة الكهرباء بائية وهى طبقة لطيفة لا تفقد الأمواج كثيرا من قوّتها فى اختراقها . فأما عند اختراقها الهواء عند سطح الأرض فانها تفقد كثيرا منها وهناك اقتراح آخر وهو أن تبني أبراج على قنن الجبال الشاهقة مثل جبل (مكنلى) فى الاسكا وجبل (هوتى) بكاليفورنيا ونحو ذلك ولكنهم يفضلون الأوّل لما تقدّم ومتى تمّ ذلك تنتقل الانسانية من حال الى حال ويعيش الانسان فى جوّ مشحون بالكهرباء فيستخدم ماشاء منها بلا تعب ولا مشقة

هذا نظر القوم فى أمر الكهرباء من جهة عمومها لسائر الأقطار مع سهولتها للعموم فى جميع الأعمال . وهذا أمر لا يزال فى معرض البحث والتفكير كما رأيت

﴿ كيف تجرى الطائرة ألف ميل فى الساعة ﴾

وهاهم الآن يفكرون فى سرعة الطائرة التى تطير الآن عشرات الآلاف من الأميال فى الساعة ويريدون أنها تطير ألف ميل فيها . ومعلوم كما سترأه فى أوّل سورة النحل عند قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - أن الطائرات على ﴿ قسمين ﴾ طائرات ترتفع فى الجوّ وتطير بسبب خفتها عن الهواء كأن تكون مملوءة بالادروجين والادروجين أخف من الهواء وعلى ذلك ترتفع فيه الى حدّ ما وهذه تسمى (بالونات) وطائرات لانكون أخف من الهواء بل هى أثقل منه فهى أشبه بالطير فى جوّ السماء . ومعلوم أن الطير أثقل من الهواء لأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والطير يقرب ثقله من ثقل الماء . وهذه الطائرات يرفعها فى الجوّ ويسيرها تلك المحركات الدائمة التى تدفع الهواء بسرعة حركاتها فترتفع الطائرة وتسير الى الأمام فى الجوّ بحلوها محل الهواء الذى طردته تلك المحركات فى الطائرة . وهذا هو ماعليه الطائرات اليوم ولكن القوم الآن يقولون . معلوم أن الكرة الأرضية محيطها حوالى (٢٤) ألف ميل وهى تجرى فى الساعة الواحدة من الغرب الى الشرق حوالى ألف ميل . فما المانع إذن من أن نرتفع بالطائرة الى أمد بعيد فى الجوّ بحيث

لا يكون للأرض على الطائرة سلطان الجاذبية إذ الجاذبية تقل كلما ابتعد الجسم عنها . ومتى وصلنا الى ذلك المكان أوقفنا الطائرة . وحينئذ نترصد الدقيقة أو الثانية التي وصلت فيها الأرض في جريها الى المكان الذي قصدناه ثم نزل بالطيارة على ذلك المكان في الأرض بلا كافة ولا تعب . وعلى ذلك يمكن الانسان أن يسافر ألف ميل في كل ساعة وفي الساعتين يقطع ألفي ميل وهو لم يبرح مكانه ولا أضعاف مالا في جرى الطائرة فالأرض قامت بجريها مقام الطائرة . ومعلوم أن الأرض تقطع في جريها في كل ساعة (١٥) درجة من الدرجات الأرضية . (أنظر الدرجات الأرضية المذكورة في سورة البقرة عند الكلام على اختلاف الليل والنهار في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - الخ هذا ما ابتدأ القوم يفكرون فيه

﴿ اقتراب تعميم التلفون الأثيري ﴾

أما الامور التي اقتربت أن تم فعلا وقد قطعت شوط الفكر وشوط العمل كما تقدم هنا فهي التلفون الأثيري (المسر) التي في الاثير . وهالك ماجاء في جرائدنا المصرية يوم الاثنين ١٦ يناير سنة ١٩٢٨ في باب التلغرافات

نيويورك في ١٤ يناير سنة ١٩٢٨

شهد عدد من العلماء أمس عرضا الغرض منه الدلالة على أن نقل الصور الاثيري قد بلغ من التقدم درجة تؤهله للاستعمال العام في المنازل فأرأوا اللوحة الموضوعة فوق التلفون الاثيري قد أضيئت وظهر فيها وجه رجل يعالج بيده آلة في بعض المصانع الكهربائية على بعد ثلاثة أميال من مكان العرض وكان يدخن (سيجاره) يتصاعد منها الدخان وسمعت أقواله بوضوح تام ثم ظهر وجه شابة تعزف على (المندولين) وكان اللحن الذي تعزفه مسموعا واضحا ثم تناوت بيدها كتابا مصورا ظهرت صورته للحاضرين جليلة وكان القرار أن الجهاز ليس معدا تماما للأسواق ولكنه أفضل من أي جهاز آخر من هذا النوع عرف للآن اه هذا ماسينظره المتوسمون في أمم الاسلام من جهة أم الفرنيجة

﴿ أمم الاسلام في نظر المتوسمين من علماء الاسلام ﴾

ينظر هؤلاء المتوسمون فيحجبون ويقولون ان المسلمين في أقطار الأرض اليوم هم المتوسمون بالجهل بحيث انك ترى غير المسلم في كل أمة هو المتعلم والمسلم غير متعلم . فترى الرجال والنساء في انكلترا وألمانيا وأمثالها وهكذا الممالك المتحدة . كل هؤلاء رجالهم ونسائهم متعلمون وعلى قدر ازدياد العلم تزداد الثروة ثم ينظرون فيجدون اليابان التي هي أمة شرقية قد قرأت علوم القوم وصارت مثلهم بل غلبت دولة من دولهم ثم ينظر المتوسمون فلا يجدون أمة اسلامية لحقت بتلك الأمم إلا قليلا . فلماذا هذا . أهذا طبيعة الدين كلا . فالدين هو الذي حرك تلك الأمم بالواسطة كما تقدم في سورة التوبة موضعا عن العلامة (سديوالفرنسي) فاقراء هناك إن شئت . أم هذه طبيعة هذه الأمم . كلا فهذه الأمم هي التي كان لها القدح المعلى في المدنية إذن من أين هذا فيجدون أن هذا من جهل القائمين بأمر الدين وطريقة تدريسه من عهد بعيد وقرون تبلغ نحو تسع كما هو واضح في موضع من هذا التفسير ثم يضرب هؤلاء مثلا بما حصل أيام طبع هذه السورة وهو أن ملك الأفغان ﴿أمان الله خان﴾ قد خرج من أوطانه ليرحل في ارض الله شرقا وغربا فزار الهند ومصر وهو الآن عند كتابة هذه الأسطر في ايطاليا ويتوجه الى انكلترا وأم أخرى . وقد فرح به المسلمون في مصر فرحا شديدا لأنه أخرج الأعداء من بلاده فصارت بلاده مستقلة تمام الاستقلال فيقرؤن في الجرائد المنشورة بمصر يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٧ مانصه

يقول المهندسون ان بلاد الأفغان غنية بالمعادن وآخر تقرير لهم في ذلك هو تقرير المهندسين الطليمان في سنة ١٩٢٣ وقد جاء فيه أنواع المعادن وأمكنة رجودها وهي الفحم الحجري والحديد والفضة والذهب والياقوت

الأحر والكبريت وسلفات النحاس والملح وملح البارود والزئبق وقد عثروا على ينابيع المياه المعدنية ولكنهم لا يلتفتون إليها كثيرا ولم يستخرج حتى الآن شئ من تلك المعادن . وأرادت الحكومة أن تمنح الشركات الإيطالية والأمريكية بعض الامتيازات ولكنها عدلت عن ذلك مراعاة لشعور الشعب الذي يكره الأجانب لذلك فكرت في ارسال بعثة علمية صناعية الى أوروبا للاختصاص في أمر المعادن واستخراجها اهـ هذا ما يقرؤه المتوسمون من علماء الاسلام ويوازنون بين أمم أوروبا وأمم الاسلام وانما يوازنون بين الفريقين لأن المانع الذي منع أمة الأفغان من سرعة الرقي ليس خاصا بها بل هذه صفة عامة في الأمم الاسلامية المتأخرة . إن الملك ﴿أمان الله خان﴾ يريد الاسراع في الرقي وهكذا كل المتتورين في أمم الاسلام يريدون ذلك فاذا عاونهم رجال الدين بأن فهموا أمثال ما يكتب في هذا التفسير أسرع الرقي الى بلاد الاسلام كما أسرع سابقا في بلاد اليابان وان تباطأ علماء الدين وبقيت دراسة الاسلام على ما هي عليه هلكت هذه الأمة هلاكا لا مناص منه كما هلكت أمتان عظيمتان في زماننا وهما أهل أمريكا الأصليون وأهل استراليا الأصليون .

فهؤلاء لما دخلت عندهم المدنية الأوروبية ولم يجاروا القوم هلكوا وانقرضوا إلا قليلا . ثم يقول المتوسمون في بلاد الاسلام من علمائهم . إن الله أهلك قوم لوط بسبب أنهم - بدلوا نعمة الله كفرا - . وما هي نعمة الله . هي أرحام النساء التي تربي لنا الأجنسة ليعمروا أرض الله فتركها الناس وآتوا الرجال فلا تكون ذرية . إذن هذه قاعدة وهي أن كل من بدل نعمة الله كفرا يهلك وهذا كما في قوله تعالى على لسان ابليس - ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين - . ولا معنى لشكر النعمة إلا عاصمها والانتفاع بها . ومن لم يعرف النعمة لم يشكرها . فاذا كان من عطاوا أرحام الناس أهلكهم الله فمن باب أولى من عطاوا ما في باطن الأرض من المعادن وما في الجوف من الكهرباء وما فوق الأرض من قطع متجاورات مملوآت بالخيرات

ألا انما مثل المسلمين في نومهم عن خيرات ربهم اذا داموا عليها كمثل دابة نامت في معلف الدواب على التبن فلا هي منتفعة به ولا هي تركت الدواب تأكله . ثم يوازن المتوسمون المسلمون

(١) بين قوم استخرجوا ما بأرضهم من المعادن ووجهوا وجهتهم شطر القطبين يريدون أن يعلوا الدنيا نورا من نور الله المحبوه في القطبين لأن الله هناك خفيا وبترولا لا يمكننا الانتفاع بهما إلا بما قدمناه

(٢) وبين آخرين قصرُوا في كل شئ حتى ان معادنهم المحبوة في أرضهم منعوا أنفسهم ومنعوا الناس منها . أفليست هذه الأمم اذا دامت على ذلك (لاسمح الله) يغضب عليها أشد من غضبه على قوم لوط وقوم هود وقوم شعيب لأن أولئك الهالكين عطلوا نعم الله أقل من تعطيل المسلمين اليوم لنعم ربهم ومن هذا ما تقدم ذكره في سورة ابراهيم قريبا من أن دولة خلفاء بني عثمان التركية ملكت بلاد فلسطين وملكها قبلهم دول اسلامية وهم جميعا يجهاون ما بالبحر الميت من العناصر والمواد النافعة لرقى المسلمين ومنعوا الأمم الأخرى أن تستخرجها حتى اذا دخل الانجليز عرفوا قيمتها . وهاهم الآن يستخرجونها وفيها ما قيمته تتجاوز ما عند جميع المسلمين في الأرض من المال . إذن الجهل عام في أمم الاسلام غاية الأمر أن (أمان الله خان ملك الأفغان) يريد رقي بلاده عاملا مجتدا وليس خاملا كملوك بني عثمان فعسى أن يكون من المفلاحين ثم يحكم هؤلاء المتوسمون حكما عادلا على أمم الاسلام فيقولون الآراء التي في هذا التفسير وأمثالها قد أخذ المسلمون يتلقونها بالقبول فأغلب الظن انهم أخذوا يسرون في سبيل الرشاد وهذه الآراء جيدة فستعم رجال الدين في أقطار الاسلام قريبا وسيقوم المسلمون قومة رجل واحد لحوز علوم الأمم فأكثر الفطن منهم قريبا فائزون . فان لم يصدق الظن باتباع هذه الحقائق فانهم والعياذ بالله هالكون وأول الرايين هو الأولى والحمد لله رب العالمين اهـ

﴿ خطاب المؤايف لأُمّ الاسلام ﴾

أيتها الأُمّ الاسلامية هذه المذكورات هنا حقائق وعلى من اطلع على هذا من أهل العلم في أُمّ الاسلام أن ينشرها في المساجد والمجامع وفي كل مكان فلا يترك مجلسا ولا ناديا ولا جماعة إلا أذاع هذه الآراء بينهم
أيتها الأُمّ الاسلامية • إن ربكم عدل وهو بالرصاد • عظمت نعم الله في الأرض ومنعتم أنفسكم وعباد ربكم عن الانتفاع بها • فهل ظننتم أن الله خلقها لتعطواها • كلا والله إن الله لا يغفر للناس منع كرمه وفضله عن عباده • وهأنتم أولاء ترون بأعينكم أن الأُمّ القوية تسعى فتملك الضعيفة المعطلة لنعمة الله • وهذا أمر محتم • نعم استقلت دولة الأفغان ودولة ايران ودولة الترك وملكة الحجاز وهكذا بلاد اليمن فلتعلموا أيها المسلمون أن هذا الاستقلال لا يدوم إذا بقيتم على ما أنتم عليه من جهلكم بنعم الله في أرضكم فلا بد أن تؤخذ منكم عاجلا أو آجلا • أما إذا حفظتم أمانة ربكم واستخرجتم كنوزه ونفعتم أنفسكم والناس فأنتم شاكرون باقون في أرضه • ألم تعلموا أن الله يجعل الأضعف طعمة الأقوى • خلق الله في الأرض نباتا وخلق في النبات دودا يأكله والدود حيوان والحيوان أرقى من النبات ولكن الدود لا سمع له ولا بصر ولا شم ولا ذوق وإنما يتص بجلده فهو ضعيف تخلق الله له طيورا تأكله كأبي قردان وذلك لأمرين ﴿ الأول ﴾ أن هذا الدود ضار بالزرع والزرع نافع للانسان والانسان أرقى من في الأرض • لذلك أرسل الله هذا الطير لأكله ﴿ الأمر الثاني ﴾ أن هذا الدود ضعيف وأبو قردان مثلا قوى فجعل الضعيف طعمة للقوى • فللطير أعين وأذان تسمع بنور الشمس وتسمع بواسطة الهواء وتمتع بالأرض والهواء ولا شيء من ذلك للدود • لذلك جعل غداءه كاملا • هكذا إذا بقي المسلمون (لا سمح الله) كما كانوا في القرون المتأخرة فانهم يكونون أشبه بالدود والأُمّ أشبه بطير أبي قردان • ولنا وطيد الأمل أن المسلمين سيرتقون والله عاقبة الامور والحمد لله رب العالمين • انتهى

﴿ جوهرة في قوله تعالى - لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * لتمدن عينيك الى

مامتنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين - ﴾

لقد علمت فيما سبق أن السبع المثاني هي الفاتحة - والقرآن العظيم - معطوف عليها عطف الكل على البعض • إذن يكون ملخص الآيات إنا أعطيناك العلم فأياك أن ترغب في لذات الدنيا أو تزاحم أهلها وكيف ترغب في ذلك وقد أوتيت القرآن الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها * ويروى أن رسول الله ﷺ كان لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه وقوله - ولا تحزن عليهم - أي ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا ولا تحزن على إيمانهم اذ لم يؤمنوا * روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال ﴿ أنظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعم الله عليكم ﴾ قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصحب الأغنياء فما كان أحد أكثرهما مني كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت واعلم أن هذه الآية موافقة لما جاء في أول السورة إذ يقول تعالى - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - فهذه احتقار للذات والمال وهنا تصريح بطلب غض الطرف عن تلك الأموال والأحوال ﴿ عجائب الفلسفة اليونانية والرومانية وكيف أتى بها وبخير منها القرآن بعد اضمحلالها

وهذا من أعجب معجزات القرآن ﴾

يقول الله هنا - لتمدن عينيك الخ - ويقول في أول السورة - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - ويقول في أول سورة الكهف - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ويقول في سورة الكهف أيضا - المال والبنون زينة الحياة الدنيا - يعني وهذه الزينة لا بقاء لها وإنما الباقيات الصالحات من

الأعمال أفضل ويقول في سورة البقرة - وبشر الصابرين الخ - وهكذا أكثر سور القرآن تذكر فيها هذه المعاني . فلننظر الآن الى علوم الأمم السالفة السابقة على النبوة المحمدية . ذلك أن اليونان والرومان كانوا هم القائمين بالفلسفة قبل التاريخ المسيحي ونبع من بين اليونان سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس . ثم إن أمة الرومان احتلوا بلاد اليونان وأخذوا فلسفتهم وقرؤوها ونمغ فيها نابغون مثل شيشرون وسنيكا . ولقد كان من حكماء الرومان رجل يقال له (أبيكتاتوس) وكان عبدا برومة لصاحب الشرطة على عهد الإمبراطور (نيرون) ولما رآه سيده أنه فيلسوف تركه يقرأ الفلسفة والحكمة وكان على مذهب (الرواقيين) وذلك سنة ٩٤ للميلاد فلما صدر أمر الإمبراطور (قمرطيانوس) باخراج الفلاسفة من إيطاليا هاجر الى بلاد اليونان ومات بها ولا يعلم تاريخ موته وهو من أشهر المتأخرين من الرواقيين وله حكم لاتزال متداولة بين الناس من القرن الثاني الى الآن ومحاورات نشرها تلميذه (أريانوس) والموجود منها الآن في العالم أربع مقالات من الثمانية الأصلية فن حكمه ﴿ أن روح الانسان لها نسبة الى نور الاله بل انها شرارة من ذلك النور ﴾ هذا تعبير مجازي وفيض من ذلك الجوهر وأهم ما في الفلسفة أن نبحث عن تطهير أخلاقنا لتكون أحرارا

وملخص مذهبه يرجع الى ﴿ كلمتين اثنتين ﴾ الصبر على ما يؤذينا والصبر عما فاتنا . يقول ان الحرية أن يكون الانسان متصرفا في أفكاره كما يشاء . والعمدة في ذلك أن يفرق بين ما هو متعلق بقدرتنا وما هو غير متعلق بها . أما ما هو متعلق بقدرتنا فهو ضميرنا وأفكارنا وإرادتنا . وأما الباقي فهو من غير المقدور لنا . فعلينا أن نتحمل ما يلحقنا من الأذى اذا عرض وأن نصبر على ما فاتنا اذا فات . وبالجملة عدم الاكتراث بالأشياء الخارجة عنا التي هي غير مقدورة لنا . ويجب علينا أن نطهر الباطن ونجذب في ذلك حتى نحس بالنور الالهي فينا الذي حجب عنا . ثم علينا أن نعين الاخوان من سائر النوع الانساني لأن الله هو رب الكل وجميعهم تحت كلالته ورحمته . إذن ملخص مذهبه صبر على أذى وصبر على ما فات وحب لله وحب للناس . وهذا كله لا يتم إلا بتطهير الباطن . وهاك بعض حكمه

﴿ الحكمة الأولى ﴾

كل ما في الطبيعة فهو إما أن يكون موقوفا على قدرتنا أو غير موقوف على قدرتنا . أما ما هو بقدرتنا فهو اعتقاداتنا وعواطفنا وأميلنا ومكروهاتنا وجميع الأفعال الصادرة منا . وما هو غير موقوف على قدرتنا هو البدن والمال والصيت والمناصب . وبالجملة كل ما ليس من فعلنا

﴿ الحكمة الثانية ﴾

ان ما يتعلق بفعلنا لا عائق له وما لا يتعلق بقدرتنا فهو ضعيف مضطرب أجنبي عنا

﴿ الحكمة الثالثة ﴾

ينبغي لك أن تذكر أنك اذا تخيلت فيما هو غير حروفيا ليس بقدرتك أنه بقدرتك فانك لاتزال مضطربا حزينا شاكيا الله والناس بخلاف ما اذا اعتقدت فيما هو لك وفيما هو لغيرك أنه لغيرك فقد لاتجد لأفعالك عائقا ولا تفعل شيئا وأنت كاره ولا يكون لك عدو ولا يلحقك ما يؤذيك

﴿ الحكمة الرابعة ﴾

اذا أردت ادراك هذه الغاية الشريفة فعليك بالاجتهاد وعدم التواني والزهد في بعض الأشياء والامساك عن بعض والمراقبة على نفسك فانه لا يمكن لك أن تجمع بين طلب ما هو خير في ذاته وطلب المال والمناصب فان فعلت فقد يفوتك كلا طرفي ما تنقصده . أما المال والمناصب فلائك قد طلبت الخير الحقيقي . وأما الخير الحقيقي فلائك قد طلبت المنافع الأخر

﴿ الحكمة الخامسة ﴾

إذا عرض ما يؤذيكَ فقل له إنك لوهم ولا شيء غيره ثم أعرضه على الأصول السابقة وخصوصاً على الأول فانظر هل هو في قدرتنا أو مما ليس في قدرتنا فإذا كان من غير المقدور فلا يلزم أن يسك بشيء

﴿ الحكمة السادسة ﴾

لا تنس أن القصد من كل ميل طبيعي إدراك ما نشتهيهِ والقصد من كل تطور اجتناب مكروهه فالإنسان قد يكون شقياً سواء فاتته ما طلبه أو وقع فيما كان يحذره وعلى ذلك فإذا كان ما تحذره من المقدور عليه فإنك لا تقع فيه أبداً بخلاف ما إذا كنت على حذر من المرض والفقر والموت فإنك لا تزال شقي الحال فلا يكن حذرُك إلا بما هو في قدرتك وكن مطمئناً البال فيما سواه

﴿ الحكمة السابعة ﴾

أنظر في الأشياء التي تستعملها وفي كل ما تحبه ماهي صفته وحقيقة ذاته من أحقرها فصاعداً فإذا تعلق حبك مثلاً ببناء من خُزف فقل لنفسك إن ما تحببته هو إناء من خُزف فإذا انكسر لا يسوؤك تلفه ومثل ذلك يقال في ولدك وزوجك تذكر أنها من البشر الميت فإن عاجلتهم المنية لم يتكدر ضميرك

﴿ الحكمة الثامنة ﴾

عليك قبل الشروع في فعل أن تنظر فيما أنت فاعله . فإذا أردت الحمام مثلاً ينبغي لك أن تستحضر في فكيرك كل ما يعتاد وقوعه في الحمام من أزدحام الناس وتلاكم بعضهم ببعض ورش الماء على المارين والمشاة وسرقة الثياب . فإذا تصوّرت ذلك في فكيرك لم يضطرب ضميرك وقلت لنفسك إنني أريد الحمام وإنما أريد البقاء على حريتي وذلك يستوجب تحمل ما تقتضيه الطبيعة في خصوص ذلك الفعل فإذا صدّك عائق عن الاستحمام فقل إنني كنت أقصد الحمام إلا أنني كنت أريد أيضاً البقاء على حريتي ومروءتي فإذا لم أكن أصبر على ما يفعله الغوغاء في مثل تلك المحافل ما بقيت حراً

﴿ الحكمة التاسعة ﴾

أغلب ما يضطرب من أجله أفكار الناس هو ما يتخيّلونه من الحوادث لا الحوادث نفسها . فالموت مثله ليس بشيء إذ لو كان شراً لاستعظمه (سقراط) أيضاً نخوفنا الموت ليس السبب فيه إلا ما تخيلناه في حقه . وكذلك إذا أحسنا من نفسنا القلق والحزن فلا نلوم إلا أنفسنا أي ما فيها من الظنون الكاذبة . ومن لام غيره على ما يطرأ له فهو جاهل . ومن لام نفسه دون غيره فقد شرع في الحكمة أما الحكيم فلا يلوم نفسه ولا غيره

﴿ الحكمة العاشرة ﴾

لا تعجب بما هو أجنبي عنك فإن الفرس مثلاً إذا أعجب بحمالة فيحمل ذلك منه وأما أنت فإذا أعجبت بحمالة فرسك فقد افتخرت بما ليس لك . إذن لاحظ لك منه إلا الظن والوهم . نعم إذا قدرت أن تجري أفكارك على وفق الطبيعة فلك العجب به لأن ذلك لك ومنك

﴿ الحكمة الحادية عشر ﴾

إننا معاشر الناس كراكب السفينة فإن الراكب إذا بلغ مرسى على طريق سفره ونزل للبر ليتزوّد ماء فأعجبه شيء من العشب والخصي فلا مانع من أن يلتقطه ويحب عليه مع ذلك أن لا يغفل عن سفينته ويلتفت أحياناً ليبصر أين هي حتى يكون مستعداً مهما أشار له رب السفينة بالرجوع فألقى جميع حمّله وأسرع وكذلك المسافرين في هذه الحياة إذا أعطوا زوجاً أو بنين مكان العشب والخصي فلا مانع من قبولهم إياها وإنما إذا ناداهم الرب فإن عليهم بالتلبية والمصارعة وترك جميع ما يدهم بدون التفات ثم إذا كنت شيخاً فلا تبعد عن السفينة لئلا يتعذر عليك إدراكها عند ما يدعوك ربها

﴿ الحكمة الثانية عشر ﴾

إذا أردت أن تعيش هنيئاً فلا تطلب أن تكون الحوادث على وفق مرادك بل فليكن مرادك على وفق الحوادث

﴿ الحكمة الثالثة عشر ﴾

إن المرض يعوق البدن وليس بعائق للارادة إلا اذا وافقته . اذا كنت أعرج مثلاً فهذا نقص يعوق رجلك ولا يعوق حرية باطنك . فاذا تأملت في بقية الحوادث تجدها كلاً منها يعوق شيئاً مخصوصاً وليس بعائق لك في فكرتك

﴿ الحكمة الرابعة عشر ﴾

كل ما عرض لك من الامور الخارجة عنك فانظر في نفسك تجد أن لك فضيلة خاصة لمقاومته . فاذا كان الطارئ عليك امرأة جيلة مثلاً فابحث في نفسك تجد فيها العفة تعودت ذلك ولم يكن لأوهام خيالك قدرة عليك أبداً

﴿ الحكمة الخامسة عشر ﴾

لا تقل في شيء ألفتته إنك ألفتته بل قل اني قد أرجعته . فاذا مات ولدك فقل اني أرجعته . فاذا قلت إنه قد تمتمى على غاصب جبار فأقول لك فما يعينك على يد من استرده من كان قد أعطاه لك فإدام بيدك فتصرف فيه كما يتصرف في مال الغير وكعابر الطريق يتصرف في متاع المنزل الذي حل فيه

﴿ الحكمة السادسة عشر ﴾

إذا أردت أن تتقدم في الأخلاق الكريمة فلا يرد عنك قول الناس فيك إنك معتوه سفيه لعدم كثرائك بالمكاسب والمال ولا تجتهد في أن يراك الناس عالماً . واذا أخذوا في احترامك فكن على حذر من نفسك واعلم انه يصعب الجمع بين استقامة الباطن وشغل البال بالمكاسب اذا ما تعلق الباطن بأحدهما أهمل الآخر

﴿ الحكمة السابعة عشر ﴾

إذا طلبت أن زوجك وأصدقاؤك يعيشون على الأبد فانك من السفهاء إذ ليس ذلك إلا لطلب من أراد أن ما ليس بقدرته يكون بقدرته وأن ما لا يغيرك يكون لك . وكذلك اذا أردت من عبدك أن لا يأتي خطأ أبداً فانك على مثل ذلك من السفاهة إذ تريد أن لا تكون طبيعة العبد على ما هي في الحقيقة . واذا أردت أن تبلغ مرادك فلا تريد إلا ما في قدرتك

﴿ الحكمة الثامنة عشر ﴾

ان كل من قدر على منع ما يريده أو اكرهنا على ما لا يريده فهو ربنا فاذا أردت أن تكون حراً فلا تطلب شيئاً مما لا يغيرك والا فقد تكون عبداً لا محالة

﴿ الحكمة التاسعة عشر ﴾

كن في الحياة كمن دعى الى وليمة . فاذا قدم لك الطعام نخذ منه قدر حاجتك ولا تزيد . واذا أبعد عنك فلا تمسكه . واذا لم يأت به بعد فانتظر واصبر ولا ترفع صوتك في نداء الخادم . فكن مثل ذلك فيما يتعلق بالزوج والبنين والمال والمناصب جديراً بمنازمة الملائكة فاذا كان في قدرتك التمتع بذلك فاحتقرته وزهدت فيه فقد لا تكون نديم الملائكة بل شريكهم في الملكية

﴿ الحكمة العاشرة والعشرون ﴾

إنك في هذا العالم كالشخص في الملعب لتمثيل الشخص الذي عينه لك رب الملعب فلا يعينك كونه طويل أم قصيراً فاذا عين لك تشخيص الفقر فليس عليك إلا أن تقوم بذلك . وكذلك اذا فرض عليك أن تشخص أعرج أو سلطاناً أو انساناً من جمهور الناس فليس عليك إلا الوفاء بخطتك على قدر طاقتك . وأما

تعيين الشخص فهو من غيرك

﴿ الحكمة الثانية والعشرون ﴾

إن أحببت أن لا تغلب فلا تدخل من القتال إلا ما نيقت الغلبة فيه

﴿ الحكمة الثالثة والعشرون ﴾

إن الأذى الذى يلحق الضرب والشم ليس من الضرب والشم بل مما تتخيله من ذلك . وإذا أغضبك أحد فاعلم أنه ليس هو الغضب لك بل ما تعلق بك من التصور . وعلى ذلك فاجتهد حتى لا تنكدر أو هام خيالك . فإذا دفعتها وانتظرت برهة من الزمان فقد تيسر لك أن تكبح نفسك وتتصرف فيها كما شئت

﴿ الحكمة الرابعة والعشرون ﴾

ليكن نصب عينيك دائماً الموت والخلاء عن الوطن وسائر ما يستعظمه الناس من المهولات لاسيما الموت فلا يدخل ضميرك شئ من الأفكار الخسيسة ولا تكن حريصاً على شئ مزيد حرص

﴿ الحكمة الخامسة والعشرون ﴾

إنك إذا تفرغت لطلب الحكمة فلا تلبث وقد أخذ الجمهور في السخر منكم والهزؤ . يتساءلون عنك انه لقد صار فيلسوفاً من يومه . من أين له هذه الحكمة وهذه النخوة . أما أنت فاسكت عنهم ولا يأخذناك الكبر والخبث والزم ماتراه أفضل وأحسن قدر طاقتك وأعدده مرضاً قد فرضه عليك الاله كالجندي جعل له مكاناً يحرسه ولا يبرح عنه . واعلم أنك إذا داومت ولم تتوان في جهدك سيحبب بك من كان بك يسخر بخلاف ما إذا راعك قولهم فتوانيت فقد لا يزيدهم ذلك إلا استهزاء منك واحتقاراً

﴿ الحكمة السادسة والعشرون ﴾

إذا أحببت أن تعرف وأن يحبب منك الناس فقد انحط بك حالك الى أسفل مما كنت عليه فاقنع بأن تكون حكماً . وإن أحببت أن ترى حكماً فلعين نفسك . انتهى ما نقلته مما كتبه الاستاذ (سنتلانه) الطلياني الذى ترجم هذا من اليونانية

ويقول علماء الفرنجة . إن هذه الآراء هي الشائعة وأمثالها في كلام الصوفية في الاسلام . ويقول (أبيكتاتوس) المذكور أيضاً هو وقابس اليوناني المذكور فيما سياتى في سورة الاسراء وهكذا فلاسفة الاسلام مثل الامام الغزالي في الاحياء ماملخصه

﴿ إن الخير المحض هي الحكمة والشر المحض هو الجهل . أما المال والولد والصيت وقهر العدو وأمثالها فهي ليست بخير ولا بشرى ويكون الخير والشر بحسب ما يقارنها لابلها هي كما يرى كثير من ذوى المال والصيت في شقاء مستمر والعكس بالعكس ﴾

هذا ما أردت ذكره بمناسبة قوله تعالى - ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجنا منهم الخ - وهكذا ما يناسبها من آيات القرآن . وهكذا قوله عز وجل - فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقد ربه فيقول ربى أهانن - الخ

ويقول - يحسبون أنهم آمنوا ثم بهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - ويقول - ولا تحببكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - الخ

فيا عجباً . هذا القرآن نزل في جزيرة العرب و بلاد العرب قاحلة من كل حكمة إلا ما جاء في الأشعار . و بلاد الروم خاوية من حكمة الحكماء . وحكمة هذا الفيلسوف قد جعلت في خبر كان لما علمت من تحرير الفلاسفة في تلك الدولة لأجل الدين المسيحي

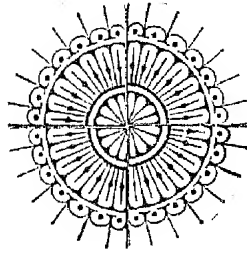
انظر وتعجب من آيات القرآن التى أنت بحكمة كانت مخبوءة عن الناس . ولعمري إن هذا وحده

معجزة وهذا ربما يعرف من قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - فالذين أوتوا العلم من الحكماء جرت على ألسنتهم وقلوبهم هذه الحكمة . فاذا سمعوا القرآن عجبوا من حكمة لم يسموها الناس في زمانهم بل بحيت من الأمم المتمدينة الراقية إذ ذلك لتحريم الفلسفة في الدين المسيحي ويقول الحكماء اذا سمعوا هذا القرآن ان أعظم الأشعار المنقولة عن العرب أيام النبوة في الحكمة ماروى عن زهير بن أبي سلمى

ومن لم يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب وبوطأ بمنسم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * وان يرق أسباب السماء بسلم
ومن لم يندد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يك ذا فضل فيمخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذم
ومن يغترب بحسب عدو وأصديقه * ومن لا يكرّم نفسه لا يكرم
ومن يجعل المعروف في غير أهله * يكن حده ذماً عليه ويندم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق إلا صورة اللحم واللحم

هذه أحسن ما في حكم زهير بن أبي سلمى وحكمه أشهر ما عند العرب . إذن هذه الحكمة مجهولة عند العرب ومكتومة ممنوعة عند دولة الرومان أيام النبوة الحميدة فنزولها في القرآن بهذا المعنى في سور كثيرة هي المعجزة العظمى التي لم تعرف إلا في زماننا . هذا الزمان الذي ظهرت فيه حكم الأمم القديمة وترجت حديثاً للعربية والحمد لله الذي وفق لنشر ذلك في هذا التفسير . وانظر الى حكم ذلك الفيلسوف الروماني المتقدم فانك لا تجد فيها ما جاء في هذه الآيات في السورة إذ يقول الله تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين - الخ

فقد جعل الله في القرآن مخرجاً من الهمم بالتسبيح والحمد والصلاة ولكن الفلسفة المذكورة لم تفتح هذا الباب للنوع الانساني والحمد لله على نعمة العلم والحكمة . انتهى تفسير سورة الحجر



﴿ سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية ﴾

﴿ وهي ثلاثة أقسام ﴾

- ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - ويفاعون ما يؤمرون -
 ﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - وقال الله لاتخذوا إلهين اثنين - الى قوله - وهدي وبشرى للمؤمنين -
 ﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - إن الله يأمر بالعدل - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا لِيُبَشِّرَ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ قَالِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُغِيبُ
 الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَطَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
 كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ * قَدْ مَكَرَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ
 الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ
 تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
 خَيْرٌ وَلَنْ نُعْجِزَ دَارَ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
 كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَذْخَلُوا
 الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ
 فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
 مَا عَمِلُوا وَخَلَقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ
 دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
 الطَّاغُوتَ فَهُمْ مِنْ هَدًى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا
 لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا
 وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
 فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا
 أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
 مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ
 الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَهُمْ
 يَمْجُجُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ
 اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ * يُخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ
 قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

كان المشركون يستعجلون العذاب مستهزئين به ويقولون اذا صح مايقوله فان الأصنام تسفع لنا يوم
 القيامة وتخلصنا من الهلاك في الدنيا فرد الله عليهم قائلاً (أتى أمر الله) وعبر بالماضي وان كان مستقبلاً
 لتحققه كتحقق الماضي فالأمر الموعود به محقق كما ان الماضي محقق (فلا تستعجلوه) وكيف تستعجلون ما هو
 محقق سيحصل بعضه يوم بدر وما يليه والباقي يكون يوم القيامة . ثم رد عليهم في الشق الثاني قائلاً (سبحانه
 وتعالى عما يشركون) تبرأ سبحانه عن أن يكون له شريك فيسدفع ما أراد بهم ولئن سألتهم أى طريق به
 عرفت يا محمد أن هلاكنا محقق لنقولن الوحي هو الذى أخبر به وهذا قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح)
 بالوحي الذى هو فى الدين قائم مقام الروح من الجسد ويحيى القلوب الميتة بالجهل (من أمره) بأمره ومن
 أجله (على من يشاء من عباده) الأنبياء أى أن يتخذهم رسولا (أن أنذروا) أى بأن أنذروا أى أعلموا
 (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) ان الشأن - لا إله إلا أنا فاتقون - ولو كان لى شريك لم يكن النظام الذى سيأتى
 الآن فى خلق السموات والأرض على أحسن ترتيب فان العمل المتقن فيهما دال على وحدة العمل وتمازج
 المنافع واتصال العالم العلوى بالسفلى فلو كان هناك ثان فى العمل لكان هذا العالم غير متفق المشارب ولا متحد
 المقاصد ولا صادق الوجهة الغائية . وهذه صفحة بيضاء من تاريخ عالم السماء والأرض قال تعالى (خلق
 السموات والأرض بالحق) على نهج متين تقتضيه الحكمة ولايسوغ أن يكون له شريك فى خلقهما (تعالى
 عما يشركون) ولما كانت السماء والأرض قد نشأ منهما معا خلق ما على الأرض وأشرف ذلك الانسان .
 وذلك أن العوالم الأرضية تدرجت فى الخلق من أدنى نبات الى أعلاه ومن أعلى نبات الى أدنى حيوان فأعلاه
 وهو الانسان فلذلك أعقبه بقوله (خلق الانسان من نطفة) جاد لاحسن لها ولا حياة (فاذا هو خصيم)
 منطوق مجادل مناظر منكر على الله البعث وقد نسى ما كان عليه من المهانة وهو نطفة (مبين) للحجة .
 ثم انى قد كنت كتبت تفسير هذه الآيات اجبالا فى الخطاب الذى أرسلته لسائر المسلمين فى الشرق والغرب
 وسميته ﴿ القرآن والعالم العصرية ﴾ فلا ذكره الآن كما هو هناك لاختصاره فأقول (والأنعام) الابل والبقر
 والغنم (خلقها لكم فيها ذبء) مايدفأ به فى البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها (ومنها تأكلون) أى

تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والألبان (ولكم فيها جبال) زينة (حين تريحون) تردونها من
 مراعيها الى راحتها بالهشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى مراعيها فان الأفنية تزين بها في الوقتين
 ويجعل أهلها في أعين الناظرين اليها (وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) أى
 تحمل أحمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بكلفة ومشقة (إن ربكم لرؤف رحيم) حيث رحكم بخلقها
 لانقاذكم وتيسير الأمر عليكم (والخيل والبغال والحمير) ذوات الحوافرأى وخلق لكم هذه (لتركبوها وزينة)
 أى لتركبوها وتزينوا بها (ويخلق ما لا تعلمون) غير هذه الدواب التى تركبوها وإنما ذكر هذه بعد البغال
 والحمير والخيل التى تركبها وتزين بها ولم يذكرها بعد الأنعام من الابل والبقر والغنم ليدلنا على ما كنز في
 أرضه ومادفن في باطنها من الحديد والفحم وأن هذه ستخرجون منها قطارا سائرا على البر وأخر مثله في
 البحر فان هذه القطر الجارية الحاملة لأمتعتكم التى تركبون عليها من بلد الى بلد والمناطيد الهوائية التى تسير
 فى الجوّ والغوّاصات التى تجرى تحت الماء مما سأخلق لكم بعد حين تقوم مقام الخيل والبغال والحمير لتركبوها
 وزينة . وكما أبحث لكم هذه الحيوانات وأنعمت عليكم هكذا أبحث لكم القطرات وغمها المخزون فى الأرض
 والبتروى وما أشبه ذلك فلنكم أن تنتفعوا بها وتشكرونى . ولئن شكرتم لأزيدنكم . والشكر صرف العبد
 جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله . ولا جرم أنى أنعمت عليكم بالقطرات والطيّارات والفحم الحجرى
 والبتروى وسائر المعادن فاذا تركتم نعمتى وأبتم قبولها فان ذلك منكم كفرها وعدم شكر . ولئن كفرتم
 إن عذابى لشديد . عليكم فى الدنيا بالدّل وفى الآخرة بجهنم وبئس المصير لتستوفوا العقاب . واعلم أن العلوم
 فى القرآن للهداية ولذلك قال تعالى (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق (ومنها
 جائز) مائل عن القصد والاعتدال (ولو شاء لدساكم أجعين * هو الذى أنزل من السماء السحاب) ماء
 لكم منه شراب) أى ما تشربونه (ومنه شجر فيه تسمون) ترعون * يقال سامت الماشية وأسامها صاحبها
 (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر
 لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم
 فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون * وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا
 هو السمك) وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان تلبسها نساءكم (وترى الفلك مواخر فيه)
 جوارى فيه تشقه بحيزومها من الخمر وهوشق الماء (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة
 (واعلمكم تشكرون * وألقى فى الأرض رواسى) أى جبالا رواسى (أن تميزكم) كراهة أن تميز بكم
 وتضطرب (وأناها رواسى وسبلا لعلكم تهتدون) أى وجعل فيها أنهارا وطرقا - لعلكم تهتدون - الى مقاصدكم والى
 معرفة الله تعالى (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح والبطولة المعروفة فى السفن والبر
 (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى البرارى والبحار (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) والمراد من من
 لا يخلق الأصنام (وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها فضلا عن أن تستطيعوا القيام بشكرها
 (إن الله لغفور رحيم) هذه الآيات ذكر فيها الانسان والحيوان والنبات والبحر وما فيه وذلك كترتيب علماء
 الطبيعة الذين جعلوا العالم العضوى والجمادى هكذا الانسان ثم الحيوان ثم النبات ثم المعادن

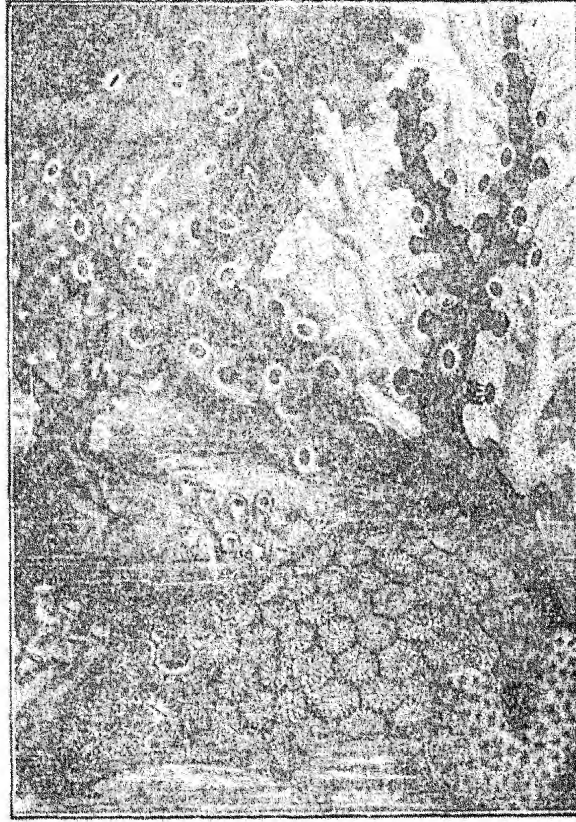
يقول الله . خلقكم من نطفة وأودعكم فى الأرحام وجعلت أعضاءكم مفصلة منظمة من أعضاء بطش
 كاليدى والرجلين وأعضاء حس من سمع وبصر وذوق ولمس ومن فكر وذوكرة وحافظة ومخيلة ومنكم من
 يوحى اليه . ومنكم الحكماء . كل ذلك من نطفة . وسخرت لكم جميع الأنعام وكل ما تركبون من الدواب
 وأبحث لكم ما فى باطن الأرض من الفحم الحجرى والبتروى والمعادن لتركبوها قطرات الطرق الحديدية التى لا
 تعلمونها من قبل وهيات لكم الطيارات الهوائية والغوّاصات البحرية لتشهدوا عجائب الجوّ وبدائع البحر

وتروا ما لعين رأت قبلكم ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب آبائكم الأولين وجعلت لكم الزرع والشجر وبدائع الخلقة وعجائب الطبيعة أنشأتها لكم مختلفات الألوان بديعة الأشكال والخواص والطعم والرائحة منها الحلو والحامض والعفص والمرّ والحريف والقباض والسام والقاتل والشافي والمغذى ومنه طعام الآدميين ومنه ما خلق للدواب مما لا يعلمه إلا أولو الألباب وأنعمت عليكم بالبحر لتأكلوا سمكه ولتستخرجوا الدرّ والمرجان منه ولتسيروا السفن بمخر عبابه جاريات في بحر الظلمات بين أوروبا وأمريكا وفي المحيط الهادى والبحر الأحمر والأبيض والمتوسط وبحر الروم وبحر نيظس والبحر الاسود وبحر البلطيق وبحر الهند وبحر الصين . كل ذلك سخرته لكم لتبتغوا من فضلى بطلب التجارة ولم أخصّ الفرنجة به بل عممته للناس أجمعين أقول ألم يأن للمسلمين أن يعقلوا ويتفكروا وينظروا ويذكروا أن المرجان في البحار والتجارة بالسفن فيها في يد أهم الفرنجة وهكذا الأمريكيون . أما المسلمون فلا ينقصون عن ٣٥٠ مليوناً وليس من العجب أن المرجان في يد الفرنجة وسفن التجارة والحرب لهم وحدهم وليس للمسلمين من ذلك إلا القليل فألهم الله لهم رجال أمتنا الاسلامية روحاً بها يستيقظون من غفلاتهم ويرجعون بحمدكم إنك على ما تشاء قدير

﴿ ايضاح لتفسير آية - وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾
فذكر اللحم الطرى وهو السمك المستخرج من البحر . وذكر عجائب الجبال وبدائع الصنعة من الدرّ المخلق في صدفة العائش في البحار . وكذا المرجان الذى ينبت في قاع البحر . ولعمرك لا ينال مغنمه ولا يحظى بمكسبه إلا الفرنجة . ألا ترى الى فرنسا فانها تحصد حقول المرجان التى أمام تونس والجزائر وهى حافظة لها ومتى تمّ ينهبها حصدها وابتاعها المسلمون نائمون لا يعلمون شيئاً أولئك هم النائمون يقول الله - وتستخرجوا منه حلية تلبسونها - والمسلمون كأنهم لم يقرؤا القرآن وكأنهم لم يخلقوا في هذه الأرض وكأنهم أموات لا أحياء . يقول الله لهم - وتستخرجوا منه حلية تلبسونها - وتتحلى بها نساءكم وهم يقولون ياربنا نحن لانستخرج وانما نشترى من المستخرجين من الأرض فكأنهم ليسوا مخاطبين بالاستخراج المباح فخرموا على أنفسهم ما أباحه الله لهم بل أوجبه عليهم باعتبار انه فرض كفاية ولا كفاية لدينا ولا عمل ولا عمل . اللهم أقض أمتنا من هذا النوم العميق وأيقظهم انك أنت السميع العليم واجعل كتابى هذا نوراً يستضيء به المتقون ونبراساً يهتدى به الصالحون انك عليم قدير

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

اعلم أن شواطئ بلاد الجزائر تنقسم الى عشرة أقسام . ويحصدون المرجان من كل قسم منها في سنة ولا يصل الدور الى آخرها حتى يكون قد نما أولها لأنه يبلغ أشده في عشرين سنة . وقد كان عدد الزوارق التى اصطادت للمرجان في بعض السنين من شواطئ الجزائر (٣١١) زورقاً فيها (٣١٥٠) نوتياً وبلغ ثمن ما اصطادوه منه (١١٣٠٠٠) جنيه وهذا سنة (١٨٧٣) وفى سنة (١٨٨٦) غنم الايطاليون من المرجان المذكور (٥٦) ألف كيلو غرام ثمنها أربعة آلاف ألف فرنك ومائتا ألف فرنك . وغنم اهل فرنسا واسبانيا (٢٢) ألف كيلو غرام ثمنها ألف ألف وخمسمائة وخمسون ألف فرنك . فيكون ما صيد من المرجان كله تلك السنة (٧٨) ألف كيلو غرام ثمنها خمسة آلاف ألف وسبعمائة وخمسون ألف فرنك . كل ذلك والمسلمون لا يعلمون ويقرؤن القرآن وهم نائمون والله سائلهم وهم لا يشعرون وهذه صورة المرجان في البحر



(شكل ٨)

هذه صورة المرجان ظهرت فيها ثغور حيواناته ضاحكة مستبشرة كأنها أزهار النبات

﴿ فصل في بقية تفسير الآيات في هذا القسم ﴾

قال تعالى (والله غفور رحيم) حيث أكثر الذم عليكم ولم يمنعها بسبب تقصيركم مع أنه يعلم سرّكم ونجواكم . فاذن لم يمنعه عن الظلم إلا رحمة الواسعة بكم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من أقوالكم وأفعالكم وسأجازيكم عليه متى حان وقت الجزاء . ولما أتم الكلام على ما خلق سبحانه شرع يذكر الأصنام وإنها لا تخلق فكيف تجعل آلهة فقال (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) هم (أموات غير أحياء) ولو كانت الأصنام آلهة لكانت أحياء دائماً لا يجوز عليها الموت ولكن هذه أموات لا حياة لها ولا حس . (وما يشعرون بأين يبعثون) أي وما تشعروا الأصنام متى يبعث عابدها . فإذا لم يكونوا للعالم خالقين ولا بالحياة موصوفين ولا يبعث عابديهم عالمين . فكيف يعبد الجاهلون مخلوقين أمواتاً جاهلين بالبعث ولا جرم أن هذا برهان على التوحيد (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) للوحدانية (وهم مستكبرون) عن اتباع الحق اتباعاً لأسلافهم وجرياً وراء المألوف (ولا جرم) أي حقاً (أن الله يعلم ما تسرون وما يعلنون) فيجازيهم (إنه لا يحب المستكبرين) * وفي حديث مسلم أن النبي ﷺ قال ﴿ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس ﴾ ومعنى بطر الحق أن الإنسان يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله . ومعنى غمط الناس احتقارهم * يقال غمطت حق فلان إذا احتقرته ولم تره شيئاً وكذلك معنى غمضته بالصاد أي انتقصته وزدريته . وههنا شرع يبين صفات هؤلاء المستكبرين وكيف يبطلون الحق ويغمطون الناس فقال (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) أي أحاديثهم

وأباطيلهم . وكأنه جيء بهذا بعد ذكر الجحائب والنهم في السموات والأرض والزرع والنبات ليكون برهاننا ساطعا أن هذا ليس أساطير الأولين وإنما هي حجج الحكمة وبرهان الطبيعة وعالوم هذه العوالم التي يشاهدها الخلق أجمعون وهم فيها لا يفكرون ولذلك رب عليه ما بعده فقال قالوا ذلك (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) وبعض أوزار الأنبياء الذين أضلهم المتبوعون حال كون الأتباع لا يعلمون أن ما تبعوههم فيه من العقائد الزائفة ضلال وهذا يفيد أن جهلهم بأنه ضلال لا يعتد عنرا لأن العقل هو الميزان لا اتباع الرؤساء (الأساء مايزرون) أى ألا يئس ما يحملون وهذا وعيد شديد . ولما كان جميع الأنبياء على سنن واحد معروف وذلك أن أعداءهم يكررون بهم فيهلكهم الله فهم جميعا كقوم شيدوا بنيانا وأقاموه على عمد فضضع الله البنيان بأن تعتع العمدة التي تحته فوقع عليهم السقف فهلكوا وهم لا يتوقعون ما أضيؤا به . وهذا هو تاريخ كل من كذبوا الرسل كما تقدم في سورة إبراهيم وهذا قوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد) أى قصد تخريب بنيانهم من أصوله فضضع العمدة التي بنوا عليها (نخر عليهم السقف من فوقهم) سقط عليهم السقف فأهلكهم (وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون) وهم آمنون مطمئنون وهذا كقول القائل

فلو بغى جبل يوما على جبل * لك منه أعاليه وسافله

وقولهم ﴿ من حفر بئرا لأخيه يوشك أن يقع فيه ﴾ وهذا الجزاء حصل لكل أتباع الأنبياء الذين خالفوهم في الدنيا ولأهل مكة يوم بدر وما بعده . هذا عذاب الدنيا (ثم يوم القيامة يخزيهم) أى يفضحهم على رؤس الأشهاد ويقول (أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم (قال الذين أوتوا العلم) وهم الأنبياء والعلماء تقريرا للحقيقة (إن الخزي العار والفضيحة (اليوم والسوء) العذاب (على الكافرين) فيزيد ذلك القول في خزيهم ألا وإن عذاب الخزي يوم القيامة والافتضاح أشد أنواع العذاب وقد أوضحناه في سورة ﴿ آل عمران ﴾ ونقلنا أقوال عاماتنا رحمهم الله في ذلك وهذا مشاهد في الدنيا فإن الناس لولا خوف الفضيحة لكانوا أسعد حالا فهم جميعا إلا من رحم ربك يسترون عوراتهم وفترهم وسوء حالهم بالتظاهر والتباه فيضيعون ما قاتلوا من المال ويذيبون مهجهم في عداوات ومشاحنات وحرب خيفة الشامة والعار . إن الناس يفضلون الموت على العار كما يفعل كثير من الناس ويقدم على الموت ولا يعيش ذليلا . فهكذا هؤلاء يخزيهم الله ويفضحهم فانهم لما خزي بنيانهم الذي بنوه من فوقهم وأناهم العذاب لم يكن لهم عذر ويقول الذين أوتوا العلم بأن درسوا هذا الوجود المحكم المنظم الذي هو دائم النظام فاستقرت عقولهم واطمأنت نفوسهم وعرفوا الحقائق . انظروا الى هؤلاء كيف سقط عليهم بنيان بنوه بلا روية وهو بنيان الاعتقادات الفاسدة فأصبحوا في نظرهم أهل جهالة . حينئذ يكشف الغطاء ويقول العارفون بخلق السموات والأرض والانس والحيوان والنبات والبحار ونعم الله التي لا تحصى مما هو مذكور في هذه السورة وغيرها ان هؤلاء عارون عن الكمالات وأفئدتهم هواء فهم لا يعقلون هذا . هذه المعاني كلها دخلت في قوله - قال الذين أوتوا العلم - ولم يقل المؤمنين لأن الذين أوتوا العلم هم من أصحاب الأعراف وهم الذين - يعرفون كلا بسيماهم - فهؤلاء هم الذين يلهون بأحوال أهل الدارين فيصفون الكافرين بالخزي والسوء ثم وصف الكافرين فقال (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) بالكفر (فألقوا السلم) استساموا وانقادوا وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) أى ما أشركنا وذلك من الهلع (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو مجازيكم ولا فائدة لكم في الانكار (فادخلوا أبواب جهنم) أى فيقال لهم ذلك (خالدين فيها) مقيمين فيها لا يخرجون منها (فلبئس مثوى المتكبرين) عن الحق فلا يؤمنون وهذه الصورة التي يقابل بها المشركون يوم القيامة ويقابلها ما يناله المؤمنون وهو قوله (وقيل للذين اتقوا) وهم المؤمنون (ماذا أنزل ربكم

قالوا خيرا) أى أنزل خيرا وأبدل منه قوله (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافأة فى هذه الدنيا كالنصر والفتح والرزق الحسن (ولدار الآخرة خير) وما أعد لهم فى الجنة خير مما يحصل لهم فى الدنيا (ولنعم دار المتقين) الذين اتقوا الكفر والفواحش (جنات عدن) بساتين إقامة وهو مخصوص بالمدح (يدخلونها) حال (تجربى من تحتها الأنهار) أى تجرى الأنهار فى هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم (لهم فيها) فى الجنات (ما يشاؤون) أى ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين (كذلك) هكذا (يجزى الله المتقين) ثم وصفهم فى مقابلة وصف الكافرين بالخزى وحكم أهل العلم عليهم أنهم مخزيون معذبون فقال فيهم (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) فى اعتقادهم ورأيهم وخلقههم وأعمالهم وأقوالهم مبرئين مما خبثت به طباع أهل الخزى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم (يقولون) أى الملائكة (سلام) فى مقابلة قول أهل العلم لظالمى أنفسهم - ان الخزى اليوم - الخ * قيل اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك الموت فقال السلام عليك ياولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال له فى الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) أى بعملكم فى الدنيا وهذا كترتب الشيع على تعاطى الطعام واستقامة العقل بالنهار فى الدرس على استيفاء النوم وكل من عند الله فالعمل من الله والجزاء من الله فصيح أن دخول الجنة بأعمالنا وصح حديث النبى ﷺ لن يدخل احدكم الجنة بعمله كما فى الصحيحين وهذه التحيات المرسلة من الله للكرام الذى هو أشرف أنواع اللذات فى مقابلة الاخزاء لظالمى أنفسهم بذكر أنهم الخزى والسوء فهذا هو الجزاء العقلى مع الجزاء الجسمى وهما أقوى أثرا فى التهذيب والتنعيم . ثم أخذ يشرح حال الكفار المار ذكرهم فأفاد أنهم بهذه الأعمال والعقائد لا ينتظرون إلا أن تقبض الملائكة أرواحهم فيموتون وتقوم القيامة فيعذبون وهكذا كانت الأمم قبلهم فأهلكوا (فأصابهم سيأت ماعملوا) أى جزاؤها وأحاط بهم جزاء استهزائهم . ثم ذكر بعض الحجج التى يدلون بها إذ يرجعون الى القضاء والقدر فقال (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شئ) قالوا مستهزئين يا محمد إن الله هو القاعل المختار فكفروا بمشيئته وكذلك آبائنا وهكذا تحررنا ما أحل الله على زعمك كالسوائب المذكورة فى سورة الأنعام . فلو لا مشيئة الله ما فعلنا شئ من ذلك فعلام العقاب والتهديد وهم بهذا أنكروا البعثة وكذبوا الرسل وهم يستهزئون بهم وهذه الحجة من الحجج التى يدلى بها أكثر الناس وقد علموا أن من ترك الطعام اتكالا على الله أو قصد الوقوع فى شر أو شرب السم أو تعرض للشد أو أنزل نفسه فى البحر بلا عوم أو وقطع ذراعه بسيفه وهو فى كل ذلك يقول هكذا أراد الله فان مثل هذا لا اجابة لكلامه بل يترك شأنه ويموت غير مبكى عليه . هكذا هنا ذكر الله حجتهم ولم يرد عليهم وأراهم أن هذه حجج الأمم الهالكة وهكذا كل أمة فتحت على نفسها باب القضاء والقدر خسرت وكان ذلك علامة خرابها ودنو أجلها وأقول نجمها فأجابهم الله بمعنى ذلك كله بقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) فهم أدلوا بحجة القضاء والقدر وجهلوا حال هؤلاء الذين يذرون الأعمال النافعة ويحتجون بالقضاء والقدر وليس لهذه الحجج قيمة لأن الأسباب العادية من تعاطى الطعام والشراب وغيرها يلام صاحبها أشد اللوم اذا مات بتركها وهكذا من يتعرضون لخطر الموت بلا فائدة أو يعرقون أنفسهم فكل هذه أسباب عادية أخذنا أوتركا . أفليس ابلاغ الرسل من أسباب الهداية . وأى فرق بين تعاطى الطعام وتفهم العلم فى حصول الشيع والفهم وهذا قوله تعالى (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أى إلا البلاغ الموضح . وليس على من وجبت عليه الزكاة أو اراد الصدقة إلا أن يحضر المال للفقير ويقدمه له فاذا ضرب عن أكل الطعام فليس على المتصدق ملام فقد أخذ بالأسباب . هكذا الأنبياء والعلماء يرشدون الأمم فاذا ضلت فليس عليهم ذم ولا ملام . وهذا هو الذى كان فى الأمم السابقة وهذا هو معنى قوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) كما بعثنا محمدا ﷺ (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) والطاغوت اسم كل معبود من دون الله

(فمنهم) أى فن الأمم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) أى هسده الله الى الايمان (ومنهم من حققت عليه الضلالة) أى وجبت عليه الضلالة فبات على الكفر على مقتضى الاستعداد السابق الذى تعلق به القدر (فسيروا فى الأرض) مئة برين متفكرين لتعرفوا كيف أهلكنا الأمم المكذبة قبلكم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من الأمم السابقين . واذا كان استعداد الكفار غالبا عليهم والقضاء نافذا فيهم فالله لا يهديهم وان حرصت على هدايتهم وهذا قوله (إن تحرص على هدايتهم فان الله لا يهدي من يشاء) أى من يريد اضلاله أى من حققت عليه الضلالة (وما لهم من ناصرين) أى من يدفع عنهم العذاب (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) معطوف على - وقال الذين أشركوا - * يقال حلف الرجل جهد يمينه اذا حلف بالله (لا يبعث الله من يموت بلى) أى يبعثهم وهو إثبات لما بعد النفي (حقا) هو مصدر مؤكد لما دل عليه - بلى - فقوله - يبعث - وعد منه تعالى ولا جرم أن الوفاء بهذا الوعد حق (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لجهالتهم بما حولهم من آيات الله تعالى انه اذا وعد لا يخلف فهو يجعل كل نبات يلد مثله وكل شجر يأتى ثمرة الخاص به ويجعل الأيام والليالي والشهور والسنين فى مواعيدها التى سنها . ولا جرم أنه بهذا بنى للناس بما عاهدهم عليه بمقتضى جريان عادته بها فهكذا هنا وعد الله على لسان رسوله فهو حق كما كان كل ما حولنا حق فانه يعد بمقتضى الحال ولا يخلف الميعاد . واذا كان عدد النبات على وجه الأرض مائتى ألف نوع وبعضهم زاد كثيرا فقد صدق وعده ولم يخلف وعده بحيث أثمر كل نبات ما هو منتظر منه وهل بعد هذا وفاء . هذا وعد الله وهذا وفاؤه وانما يبعثهم (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) وهو الحقائق العلمية ويرون كل ما جهلوه فيفصل بينهم (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون لظهور الحقائق لهم . وكيف ينكر البعث و (انما قولنا لئن اذا أردناه أن نقول له كن يبيكون) واذا كان كذلك فلا تعجب على فى احيائهم وبعثهم فأجازى هؤلاء المنكرين والمؤمنين المهاجرين بالقسط (والذين هاجروا فى الله من من بعد ما ظلموا) وهم رسول الله ﷺ وأصحابه الذين هاجروا الى الحبشة ثم الى المدينة وقوله - فى الله - أى فى حق الله ولوجهه (لنبوأهم فى الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهى المدينة (ولأجر الآخرة أكبر) مما يجعل لهم فى الدنيا . وكان عمر رضى الله عنه اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) أى لو علم الكفار أن الله يجمع للمهاجرين خيري الدنيا والآخرة لوافقوهم هم (الذين صبروا) على منارقة الوطن وعلى المجاهدة وبذل الأرواح فى سبيل الله تعالى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يفوضون الأمر الى ربهم راضين بما أصابهم فى دين الله . ولما قالت قريش الله أعظم من أن يرسل بشرا قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى اليهم) فان كنتم فى شك من ذلك (فاسألوا أهل الذكر) الذين يعرفون ذلك إما بما ورد فى كتبهم كعلماء اليهود والنصارى واما بما بحثوا فى الحكمة كعلماء الحكمة وعلماء الأرواح إذ يعلمون أن الروح لا يتجلى للناس إلا فى أحوال خاصة بشروط يستحيل أن تتوافر فى الأحوال التى يكون فيها الأنبياء ولا بد أن يكون الأنبياء من البشر وقد مرّ تحقيق ذاك فى سورة الأنعام (إن كنتم لاتعلمون) الخطاب لأهل مكة . وهنا يرد سؤال فيقول القائل . بم أرسل الله الرسل . فأجاب الله تعالى (بالبينات والزبر) أى أرسلناهم بالمعجزات والكتب (وأزلنا اليك) يا محمد (الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) فى الذكر بواسطة انزاله عليك فيعرفون المأمورية والمنهى عنه والمتشابه ومعنى تبينه انه ينص على المقصود تارة ويرشد الى القياس أخرى ويعول على العقل ثالثا (ولعلمهم يتفكرون) فى تنبيهاته فيعرفوها أى وارادة أن يتأملوا فيه فيقفوا على المقاصد الحقة . وهنا أوضح الوعيد الواقع على الذين عاندوا ولم يؤمنوا بالذكر ولم يتفكروا بل مكروا مكرا سيئا فقال (أفأمن الذين مكروا السيئات) وهم احتالوا هلاك الأنبياء (أن يخسف الله بهم الأرض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون)

بغته من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم في قلوبهم) أي متقلبين في متاجرهم (فماهم بمحجزين * أو يأخذهم على تخوف) أي على أن ينقص شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم * يقال تخوفته إذا انتقصته * روى أن عمر رضى الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذيله لغتنا التخوف انتقص فقال هل تعرف العرب هذا في أشعارها فقال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته

تخوف الرحل منها كما قدرا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعرا جاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم وقال تعالى (فان ربكم لرؤف رحيم) إذ لم يتنلحكم الارض ولم ينزل عليكم من السماء عذاب ولم تأخذوا في متقلبكم ولم يتنقصكم شيئاً فشيئاً بل أبقاكم سالمين فلاسماء ترجعكم ولا أرض تبليكم ولا أحوال تعرض بينهما فيها هلاككم لا بل النعمة عليكم أتمّ والمغن عليكم أعظم . فإنا بدل أن نسلط عليكم عذاباً من فوقكم ومن تحتكم ومن حولكم جعلنا ذلك كله نعمة عليكم حافظاً لكم . ألم تروا الى الأشجار كيف أظلتكم بظلالها الظليل والى الجبال أكنستكم في كنفها من الحرّ الشديد . فهذه الظلال أرسلناها لكم لتأووا اليها من حرّ الشمس التي هي من أجلّ النعم عليكم فكان هذا الظلّ ملطفاً لفعليها حارساً لكم من سمومها وهو من المعقبات التي تحيط بكم لسوء الشرّ عنكم فلم تقتصر في نفعكم وحفظكم على السموات وخيراتها والأرض ونعمها والسحاب ومطرها بل الظلال التي هي أعراض حالة في أقطارها أرسلناها اليكم فأى رحمة أعظم من ذلك وأى سعادة أكمل وليس ذلك بمستعص علينا فالأجسام والأعراض طوع إرادتنا فحولناها الى منافعكم ولم نجعلها نقمة عليكم . ألم تروا أن مافي السموات ومافي الأرض خاضعون لنا مسخرون لقدرتنا مطيعون لأمرنا . فتري ظلال الجبال وظلال الأشجار وظلال كل نبات وشجر وشاخص تمتد صباحاً ثم تنقص ثم تمتد مساءً وتزيد الى منتهائها وهي ساجدة خاضعة ولاصقة بالأرض لصوق جبهة المصلّي بها . ذلك تبع للشمس المسخرة بأمرنا الساجدة لتقهرنا الدائرة هي وأمثالها من الشمس والكواكب الجارات في مداراتها وهنّ صاغرات خاضعات . وكما خضع وسجد كل ملك حافظ لهم مهيمن على سببرهنّ . وهكذا كل مخلوق من معدن ونبات وحيوان فوقهنّ كما ترون في أرضكم مع اختلاف الأحوال فان الكواكب الثوابت شمس لا تساوى شمسكم بالنسبة لها شيئاً وحوطن أرضون لا تقلّ عن ثلثمائة ألف أرض فيها عوالم لا تعلمون أشكالها وأوصافها كل هؤلاء مسخرون صاغرون ساجدون سواء أكانت الأحياء الحيوانية أم الأحياء الملكية وهم الملائكة ولم يكن خلوصهم من المادّة وقربهم من ربهم مانعاً من خوفهم منه بل يشتدّ الخوف كلما ازداد القرب ولذلك يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا قوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شيء) استفهام إنكار أي الى الذي خلق الله ومن شيء يبان له (يتفيؤ ظلاله) يرجع من موضع الى موضع (عن اليمين) عن الأيمان (والشمال) جمع شمال (سجداً) حال من الظلال (وههم داخرون) صاغرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظلّ وجمع بالواو والنون للتغليب . والداخرون الاستسلام طبعاً أو اختياراً * ويقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب عليه . ثم قال تعالى (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) يبان لما في السموات وما في الأرض (والملائكة) معطوف على مافي السموات عطف العالم المجرد من المادّة على غير المجرد منها فكأنه قال - ولله يسجد - الدواب والملائكة في السموات والأرض فالقسمان في المسكنين (وههم لا يستكبرون) * يخافون ربهم من فوقهم) هذه الجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وقوله - من فوقهم - أي غالباً لهم قاهراً (ويفعلون ما يؤمرون) فهم مكفون بأعمالهم بين أمر ونهي وخوف ورجاء . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأوّل

﴿البلاغة﴾

واذا فرغت من التفسير اللفظي لهذا القسم فهالك موازنة بين أول معلقة طرفة بن العبد وأول سورة النحل من كتابي ﴿أدبيات اللغة العربية﴾ صفحة (٤٥) * قال طرفة بن العبد
ان لخولة محبوتي أطلالا جمع طلل أى ماشخص من آثار الديار حتى يرى بأرض ذات حجارة مختلفة
الألوان يعبر عنها ببرقة بمكان يقال له ﴿ثممد﴾ لبني دارم وتلك الآثار تبرى كأنها الوشم في ظاهر اليد وقد
وقف أصحابي مطاياهم لأجلى وقالوا لانهالك من أجل خزنك عليها وتجلد وكأن الهودج المخصوصة المسماة
بالحدوج تحمل تلك الفتاة من بني مالك في أوائل النهار سفن عظام في مسيل الماء الجارى في المكان المسمى
﴿دد﴾ وهذا معنى قوله

خُلُولَةٌ أَطْلَالٌ يَبْرِقُهُ ثَمَمِدٌ يَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْنِكُ أَسَى وَتَجَلَدِ
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءٌ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

الحدوج جمع حدج مركب من مراكب النساء المالكية من بني سعد بن مالك خلایا جمع خلية السفن
العظام والنواصف جمع ناصفة وهي مسيل الماء المتسع ودد اسم مكان . ثم قال كأن هذه السفينة من سفن
(عدوى) وهي قرية بالبحرين أو من سفن ابن يامن ملاح من أهل البحرين وتلك السفينة يجور بها الملاح
فيضل الصراط السوى تارة ويهتدى أخرى فيسير وأن حيزومها أى صدرها يشق زبد الماء وموجه كما يقسم
التراب الرجل الذى يصنع الفيال بيده . وذلك أن توضع الخيئة في تراب أورمل ويقسم بيده ففى أيهما
كانت الخيئة فالحكم تابع فى القمار له أو عليه . هذا معنى قوله

عَدْوِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي
يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ بِالْيَدِ

واذ سمعت ابتداء معلقة طرفة بن العبد فاسمع الآيات فى مبدأ سورة النحل وتعجب كيف جاء المبدأ
مباينا لما يقرع آذان العرب فى أفصح كلامهم قال - أتى أمر الله فلا تستعجلوه - الى قوله - وماتعلون -
ألا تعجب كيف ذكر خلق الانسان من ماء مهين ثم تلاه بخلق الحيوان ثم أتبعه بالنبات متديلا من
أعلى الى أسفل مع ذكر الماء ثم ترقى فى أسباب هذه المواليث الثلاثة فأخذ يشرح عجائب الليل والنهار والشمس
والقمر ثم عزم فذكر بقية الدرارى اللامعات فى السماء فقال - والنجوم مسخرات بأمره - ثم تلاها بما
يوازىها فى الجمال وهو ما فى الأرض من ذوات الألوان الجميلة من كل نابتة ونسمة حية وأعقبه بالبحار الملحة
ذات الزخارف والزينة من المرجان والجواهر المضاهية فى جلالها والمشاكلة فى حسناتها تلك الماواع والنجوم
المشرقة والأصباغ البهجة فى النبات الناجم والشجر البهيج البديع . أفليس عطف البحر لما فيه من الجمال
والبهاء والزينة على ما فيه الألوان البهجة من النبات والنجم من أعجب ما سمعه أولوالألباب . ثم تلاه بالجمال
والسفن والأنهار والسبل والاهتداء . ولا جرم أن السفن تناسب الأنهار لتمنحها وتوافق السبل والاهتداء
بالنجم فى البر والبحر وللسفن بالنجم أشد العلاقات إن فى ذلك لآيات . تعجب من هذه المعانى
وطف من بعد ما بيناه آفاق القصائد فى الجاهلية فهل ترى إلا الظعائن والحدوج والنياق وبرقة ثممد التى
تشبه الوشم كما فى قول طرفة بن العبد المتقدم وكما تراه فى قول زهير بن أبى سلمى إذا ابتداء قصيدته

بذكر أم أوفى وهى محبوبته إذ يقول * أمن منازل محبوبتى أم أوفى دمنة * أى آثار مسودة بالبعر
والرماد سألتها فلم تتكلم وتلك الدمنة بمكان غليظ أى الحومانة التى بالمكان المسمى بالدراج والمكان المسمى
بالمثلثم ثم قال ولها دار بين روضتين وهما الرقتان احدهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة كأن تلك
الدار إذ عفت آثارها ماعلى ظاهر اليد من الوشم المكرر فى نواشر المعصم والنواشر أعصاب النراع واحدها
ناشرة فهذه الدار ترى العين أى البقر الوحشى ذات العيون الواسعة والآرام الظباء الخاصة المياض عيشين
ويختلف بعضهن بعضا وانهن يمن أولادهن وإذا ظن أن أولادها خلت أجوافها صوتين بهن فينهضن من كل
مجت أم أمسكة نومهن فيرضعن وهذا معنى قوله

أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْتَمَلْ
وَدَارُهَا بِالرَّقَّتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ
بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِيَنَّ خَلْفَهُ وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضُنَّ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ

(المعصم) موضع السوار من اليد (العين) جمع عيناء البقر الوحشى لسمعة عينها (الاطلاء) جمع طلا
وهو ولد الظبية والبقرة

وازن هذا المبدأ الذى لا يتعدى بيت أم أوفى والدمنة التى لا تتكلم والأرض الغليظة وبقر الوحش والظباء
يتبع بعضها بعضا وهن يرضعن أولادهن . افهمه وتأمل مقاصده وكيف تقاربت أوائل القصائد فى تلك المعانى
العاكفة على البيداء وأطلالها والبطحاء وبعرها والبقر وأطلالها لتجدها تتعدى دائرة ضاقت فلم توسع نطاق
العقول وعريت عن أكثر جبال الطبيعة فخدوا عن اتساع نطاق المدنية وظلوا فى البيداء متشاكسين وانظر
أول النحل هنا كما تقدم وما يقاربه من أول سورة الأنعام إذ يقول - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض
وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون * هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى
عندهم أنتم تمترون * وهو الله فى السموات والأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون -

ابتدأ بالحمد على أنه خلق السموات والأرض وهما العالم العلوى والسفلى وما يحيط به من أنوار النهار وظلمات
الليل ومع ذلك ترى الكفار يعدلون بالمبدع لهذا الجلال سواء . وكيف تكفرون به وهو الذى خلقكم من
طين فجعله نباتا فأكله الحيوان فصار الطائفتان طعام الانسان فصار الطعام ماء دافقا فنشأ منه بشر سوى فجعل
له أجلا لموته وله أجل آخر لحياته الأخرى . ثم أتم أيها الناس بعد هذه العجائب والحكم تكفرون وكيف
تكفرون به وهو الذى أحاط علمه وشملت قدرته أكناف السموات ونواحي الأرضين . فلاجرم يعلم سركم
وجهركم ويعلم ما تنفعلون من خير ومن شر . أليس فى ذكر الظلمات والنور تشويقا لنفوس الناشئين الى
جمال الأنوار فيعشقون محاسن أنوار النجوم والأقمار وبهاء الشمس وتنطبع على ألواح قلوبهم صور الأنوار
المتلائية من النار والشرر المتطاير من الزناد ومن نور الكهرباء وجمال المصابيح وغير ذلك

لن نقوم أمة إلا بالكلام البليغ المملوء بحكمة وصورا جميلة من المعانى البديعة . ان نقش صور العجائب
السموية والأرضية وانارة العقول بفهم الجلال فى أكناف العوالم إحياء لها وإخصابا لمزارعها وانماء لما أجنث
من الفضيلة والحكمة . إن الأمم توابع لما يسمعون وهم أبناء ما يعطون ألا ان الجلال فى الانشاء واختيار
أحسن القول والتطواف بالقارىء فى الأنوار والظلمات والنجوم والبر والسهل والجبل وإيرائه دقائق الأشجار
وبدائع الأزهار وأعاجيب الثمار وتلاؤ الأنوار وبهجة الأصباغ أن ذلك لمحى نفسه وشائق روحه الى التطلع
الى درجات المعانى فيرى الفضيلة خير ما يبتغى ويحيط علما بأتمته ويتعالى عن السفايف ويتهيأ للحكمة ولقيادة

الأفكار في القرى والأمصار

اعلم أن هذه السورة أشبه بما قبلها من سورة الحجر وإبراهيم والرعد حافلة بالجانب غنية بالحكم والبدايع مرصعة بالجواهر الفلسفية والآراء الحكمية والدرر الطبيعية فهذه السور المكية التي تليق على الجاهل في مكة ساقط النام إلى الإيمان وتشابهت في أسلوبها وهي مقسمة إلى ﴿ثلاثة أقسام﴾ الحكمية • الموعظة • المجادلة فتري في الرعد وفي إبراهيم وفي الحجر وفي هذه السورة الحكمة مفصلة واضحة

﴿ماهى الحكمة وماهى الموعظة الحسنة • وماهى المجادلة﴾

أما الحكمة فهى نظام هذا العالم وجماله في الرعد ذكر البرق والرعد والسحاب والمطر وأرحام النساء وازديادها ونقصها وما أشبه ذلك وفي إبراهيم ترى ذكر الثمرات والأنهار والشمس والقمر الخ وفي الحجر ترى القاح الأشجار والهواء والمخازن المودعة في الطبيعة بأمر خالقها وخلق الإنسان وبعثه وجنته وناره وفي هذه السورة تجد الترتيب بهيئة غير ما في السورة التي قبلها • ففي الحجر ابتداء بذكر المعاش وقفي بخلق الإنسان وانتهى إلى نهايته • فأما في هذه السورة فإنه ابتداء بما انتهى إليه هناك فإنه انتهى في الحجر بالبعث وابتداء هنا به نفسه فقال - أتى أمر الله - وأعقبه بخلق الإنسان ثم الحيوان ثم النبات ثم الماء والهواء والسفن الجارية والبحار • فهناك ابتداء بالمعاش وختم بالإنسان والبعث وهنا ذكر البعث فالإنسان فالمعاش • هكذا كان الأسلوب هناك والأسلوب هنا وهذا تنبيه وإيقاظ كأنه يقول هذه سلسلة متصلة لها أول وآخر وكأنها شخص واحد وإنسان واحد وحيوان واحد - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - فهذه السلسلة المنتظمة عندي كأنها شخص واحد بحيث يفتقر أعلاها لأدناها ويخضع أدناها لأعلاها • والجميع في السجود لي والخضوع لي كأنسان عابد خاضع • وهذه هي العلوم الشائعة اليوم المسماة بمسألة ﴿النشوء والارتقاء﴾ وهى التى درسها المتقدمون وتعامها المتأخرون وهى تسمى فى كتب العرب دائرة الوجود وتسمى فى العلم الحديث النشوء والارتقاء فعلماء الفلسفة قديما وعلماء الطبيعة حديثا جميعا يرتبون هذه العلوم كترتيبها فى سورة الحجر من أدنى إلى أعلى وذكرت هناك كذلك ليدل على أسلوب التعليم فإن المبتدئ يجب أن تلقى إليه أبسط المسائل ثم يرتقى لأعلاها فلما أنس المتعلم بهذا النظام وفهمه فى سورة الحجر كى راجعا إليه فأعطاه إياه مبتدئا بأعلاه كما يدرس له معلم الحساب بسائط الأعداد ثم مركباتها وبعد ذلك يعطيه المسائل مركبة فيحلها إلى بسائطها ويرجعها إلى أوائلها وهكذا على النحو والصرف وجميع العلوم • وفى هذا المقام سبع لطائف

(١) فى دائرة الوجود

(٢) وفى تعريف انبهايم والأنعام وفى قوله - ويخلق ما لا تعلمون -

(٣) وفى النبات

(٤) وفى الخلية المستخرجة من البحر

(٥) وفى النجوم والاهتداء به

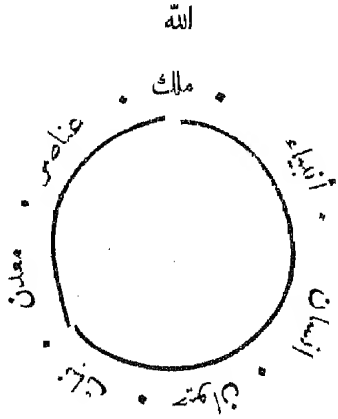
(٦) وفى السفن وجريها بالرياح

(٧) وفى الظلال

﴿الطيفة الأولى • دائرة الوجود المشتملة على مملكة المعدن والنبات والحيوان﴾

لست فى هذا المقام بمكرر ماضى • كلا وإنما أنا الآن أقدم لك وصف هذه الممالك فى كتب الطبيعة وكيف رتبوها على النسق الذى فى سورة الحجر وجعلوه دائرة أولها صائر إلى آخرها وراجع لأولها • وذلك انهم يقولون إن العناصر التى تركب منها هذا العالم هى ما شاهد من أجزاء الأرض • وقد امتاز عن هذه الأجزاء المعدن ويليها النبات ويليها الحيوان ويليها الإنسان والإنسان أدناه أقرب إلى البهائم وأعلاه أقرب

الى الملك والملك قريب من الله والله هو الذى خلق العناصر ومنها تكون المعادن فالنبات الى آخره
أفلمست ترى أن القرآن فى سورة الحجر ذكرها على هذا الترتيب من أدنى الى أعلى وهنا كرت عليها من
أعلى الى أدنى . وهذا النظام عينه هو الذى استخرجه الحكماء فى العصور الأولى وفى هذا العصر
أيها المسلمون . حرام عليكم فوالله ما كنت لأعلم قبل هذا اليوم أن هذه الأعاجيب فى القرآن أى أن
تكون الدائرة فى سورة من أدنى الى أعلى ثم فى التى بعدها تكون من أعلى الى أدنى وهذه صورتها
فانظروا كيف ابتداء بهذه الدائرة فى سورة الحجر من الله



ومرّ بها على العناصر حتى انتهى الى آخرها وهو البعث ورجوع
الأرواح الى عالم أشبه بالعالم المجرد وهسم الملائكة . فلما كانت
سورة النحل ابتدأ من البعث أى النقطة التى وصل اليها فى سورة
الحجر فقال - أتى أمر الله - وذكر الملك ثم الانسان فمرّ بها من
جهة اليمين على الحيوان والنبات والدرّ والمرجان وهما من المعادن
ثم الجبال وهى من العناصر الأصلية وفيها المعادن أيضا .
فيامعشر المسلمين أئمة هذا كتابها ترجع القهقري وتقول إن الله
حرّم على النظر فى علم الطبيعة . وهل علم الطبيعة علم غير هذا

. هذا علم الطبيعة أوله وآخره . وهذا هو عينه المذهب المشهور فى أوروبا وأمريكا الذى يسمونه مذهب
(داروين) والناس أكثرهم لا يعقلون مقصود هذا المذهب . وكيف يعلمون ما يجهلون . ومعرفة معناه
الوقوف على الحقائق

إن هذه العوالم كأنها شخص واحد آخرها مرتبط بأولها وأولها مرتبط بأخرها كما أرى ناك . فهل
تحب أن تقف على بعض التفصيل فى هذا الترتيب . المعدن أدناه الخصب والزاج والشب وأعلاه الياقوت
والذهب . والنبات أدناه خضراء الدمن والكمأ وأعلاه شجرة النخل وأمثالها والكشوتى التى تنبت على
غيرها والحيوان أدناه الحلزون وهى دودة فى جوف أنبوبة وتلك الأنبوبة تنبت على الصخر فى سواحل البحار
فليس لها إحاسة اللمس ومثلها سائر السود وأعلاها أشبه الانسان فى شكله كالقرد أو ذكائه كالقيل أو أدبه
كالفرس ولأعد لك الدائرة ككرة أخرى وهما هي ذه

﴿النخل﴾ أقرب الى الحيوان فهو نبات حيواني اذا قطع رأسه مات وقوة الذكورة منفصلة عن قوة الانوثة وهاتان الصفتان للحيوان بخلافه نباتي ونفسه حيوانية والسكشوقي نبت يتعلق بالأشجار ويلتصق عليها وعلى الزرع والشوك فيمتص ويفتدى من رطوبتها

﴿الحزون﴾ دودة تقدم تعريفا قريبا تخرج نصف شخصها من الأنبوبة وتنسبط يمنة ويسرة وتطلب مادة تغتذى بها فتى أحست برطوبة انبسطت واذا أحست بخشونة انقبضت ودخلت في الأنبوبة وليس لها إلا حاسة اللمس

﴿القرد﴾ صورته تقرب من صورة الانسان . والفرس قد بلغ من أدبه أنه لا يبول ولا يروث مادام بحضرة الملك أو حامله . وفي هذا التفسير ذكر (الحصان) الذي جمع وطرح وضرب وعرف النقود * وقال الشاعر العربي

واذا شكما مهري الى جراحه * عند اختلاف الطعن له أقدا

لما رآني لست أقبل عذره * عض الشكيم على اللجام وهمهما

هذه هي دائرة الوجود وفيها مجلدات ضخمة تدرس في الشرق والغرب ومنها اشتق مذهب (داروين) الذي جاء فيه الكلام على النشوء والارتقاء وأن العالم يسير الى الرقي ولا يبقى إلا الأقوى الخ ما هنالك اللطيفة الثانية في البهائم والأنعام وماشاكلها وفي قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون -

الأنعام كل ماله ظلف مشقوق كالبقرة والجاموس والغنم والمعز . والبهائم كل ماله حافر كالخيل والبغال والخيول . والسباع كل ماله أنياب ومخالب . والوحوش ما كان مركبا من ذلك والطيور ما كان لها أجنحة وریش ومنقار والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوى ومخالب معقربة وحيوان الماء ما يقيم فيه ويعيش والحشرات ما يطير وليس له ريش والموام ما يدب على رجليه أو أربعة أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبه . وفي هذه السورة من هذه الحيوانات الأنعام والبهائم والحشرات كما سيأتى عند الكلام على النحل . وأما الطير ففي سور أخرى كالنور ويدخل فيه الجوارح

قد ذكرنا في تفسير هذه الآيات المختومة بقوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - . ان الله إنما ذكر هذه الجلة بعد الأنعام وركبها لعلنا نعلم أنه سيخلق علوما يفهمها يركب الناس في البر والبحر بلادوا وبلا شمع للفسن وقتلنا إن قوة البخار قامت مقام الدواب في تسيير القطرات وفي إدارة الآلات النافعة للانسان فلا وضح هذا المقام بعض الايضاح فأقول

إن السواب هي التي كانت تحملنا وحدها وهي التي بها نوصل البريد من بلد الى بلد وندير الآلات الطاحنة والساقية لأرضنا فأرسل الله نورا من عنده على بعض العقول الانسانية فأظهروا للناس بعض الحجاب فكان ما نراه من البخار الضاغط بارتفاعه من الحرارة الواصلة اليه فأجرى المركبات وأدار الآلات وفوق ذلك فتح الله للناس باب الكهرباء . وقد ذكرناها في أول سورة الأنعام مفصلة بحيث يكون عمود النحاس مع التوتيا يحدثان تلك الكهرباء بشرط أن يكون هناك سائل ملحي . فهذه الكهرباء هي التي أتمت ما ابتدأه البخار فأدارت وحركت وسقت وأغنت . فهذه مما ذكره الله بقوله - ويخلق ما لا تعلمون - بعد مسألة الأنعام . ولقد استبان للناس بعض السر في الطبيعة وكما زادوا علما ازدادوا غنى وسعة وراحة بحسب الظاهر واتصل الناس ببعضهم في أقرب وقت

إن الكهرباء تحملنا كما يحملنا البخار وتوصل لنا الأخبار وذلك بالبرق (التلغراف) وبالسرة (التلفون) فأصبح الانسان يكلم أخاه وأحداهما في الشرق والآخر في الغرب بل انه في هذه السنة أي سنة ١٩٢٦ م قد اخترعوا طريقة في أواخر شهر (يوليو) بها يرى الانسان من يخاطبه حال مخاطبته . وذلك أن صورة

المتكلم يحولونها الى كهرباء تمر في السلك ومتى وصلت تلك الكهرباء الى الآخرة وجدت أمامها حاجزا من الفوسفور فتحول بسببه الكهرباء الى لون كما كان أولافيرام . ومعنى هذا أن وجه المتكلم متى أخذت صورته بالآلة التي أمامه تحوّل الصورة الضوئية الى كهرباء بالخاصية التي في الآلة وتمر في السلك وهناك ترجع بالفوسفور الى حالها الأولى . هذا آخر كشف للناس في عصرنا وهذا من قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - نعم خلق الله ما لا نعلم . أليس هو الذي علم العالم الذي يسمى (فولطا) الكهرباء بأبي المولود سنة ١٧٤٥ المتوفى سنة ١٨٢٧ بإيطاليا كيف يستخرج من الصفدة الميتة ارتقاء الكهرباء في العالم . رأى هذا العالم صفدة معلقة بعد موتها وساقها يتشجن كلما اتصل بهما شرارة كهربائية أو اتصل بهما معدنان فقال في نفسه هذا سرّ عجيب يرق صناعات العالم . فإذا حصل . صنع (بطارية) وذلك انه أتى بكؤوس من الزجاج ووضع في كل كأس منها قطعة من الفضة وقطعة من التوتيا ووصل كل قطعة من التوتيا من كأس بالقطعة من الفضة التي في الكأس الثانية ووصل قطعة من التوتيا في الكأس الأخيرة بقطعة الفضة التي في الكأس الأولى وصب سائلا ملحيا فتولد من ذلك مقدار كبير من الكهرباء بآلية وبهذه تنقل الأخبار (بالبرق وبالمسرة) أي التلغراف والتلفون . ثم انه صنع ما يسمى (العمود الفلطاى) وجعل المعدنين بينهما نسيج نخين يمتص السائل الملحي الذي يفعل بالمعدنين وجعله صفيحة من النحاس فوقها بعض من النسيج ثم من التوتيا ثم من النحاس ثم من النسيج وهلم جرا الى الصفيحة الأخيرة وهي من التوتيا . ولما وصلها بالصفيحة الاولى وهي من النحاس بسلك معدني تولد مجرى كهربائي يدوم مادام النسيج رطبا وهذا المجرى قوى جدا يهيج أعصاب الميت ويحرك أعضائه حتى يظهر كأن الحياة عادت اليه كما تقدّم في الصفدة . فانظر كيف استخرج الانسان من تحريك صفدة بسبب معدنين التقيا الى هذه الكهرباء التي تدير آلاتنا وتنقل أمتعتنا وتفسر لنا قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - أى تفسر لنا هذا العطف أى عطف الجملة على الجملة التي فيها اننا نركب الخيل والبغال الخ فهذه هي البلاغة فالبلاغة في الواو والعاطفة تعرف بالخيار وبالعمود الفلطاى اننا في الأرض نعيش في وسط الجبال ونحن غافلون . كيف نرى أمامنا نحاسا أو فضة أضيف الى أحدهما التوتيا ووضع ملح بينهما فخرج من بينهما كهرباء فالتفاعل بين المعدنين قام مقام الخيل والبغال والخيول

﴿ اشراق النفس الانسانية تمثله الكهرباء والمغناطيس ﴾

عاش الانسان قرونا وقرونا وهو عيشى برجلين ثم اهتدى الى تسخير الحيوان في أعماله ثم زاد الانسان عقلا شيئا فشيئا . الانسانية كلها أشبه بطفل غمو قليلا قليلا . سخر الله لنا الخيل والبغال والخيول فركبناها ثم (١) أخذ العقل الانساني يتحرك فقال (طاليس) اليوناني لذي نشأ في القرن السابع قبل الميلاد أن جذب الكهرباء والمغناطيس نشأ من قوة روحية كامنة فيهما وحث تلاميذه على درس ظواهر الطبيعة ليعرفوا أسبابها

(٢) ثم قام (ثيوفوستس) اليوناني المولود سنة ٢٧٣ ق م

(٣) وكذلك (بلينيوس) الايطالي المولود سنة (٢٣) ب م للمسيح فقالا . إن هناك حجرا آخر يجذب القش اذا فرك كالقهر بآلة وله منه أومن (الراينج) ولم يزد أحد هذين العالمين على ذلك ولكن الثاني ذكر السمك الكهربائي المعروف بالترعاد

(٤) وقال (لقرينيوس) الشاعر الروماني في نصف القرن الأول المسيحي ﴿ ان المغناطيس يجذب برادة الحديد ولو كانت في إناء من نحاس ﴾

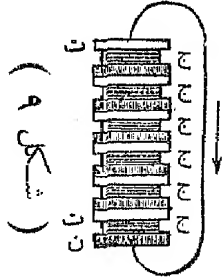
(٥) وقال الصوفي من علماء العرب وهو جابر بن حيان ﴿ ان المغناطيس يفقد قوته أحيانا ﴾

(٦) وقال القزويني في عجائب المخلوقات ﴿ إن الكهرباء بحجر أصفر مائل الى البياض وربما كان الى

الحجرة ومعناه جاذب التبن وهو يجذب التبن والهشيم الى نفسه وهو صمغ شجر الجوز الروحي (٧) وأهل الصين تنبهوا لما في المغناطيس من القوة وأنه يتوجه بنفسه الى الشمال والجنوب . وقد صنع أحد ملوكهم ابرة مغناطيسية سنة ٢٦٣٤ قبل المسيح وبها يهتدون في المفاوز والقفار وفي البحار هتدوا بها سنة ٣٠٠ بعد الميلاد . ههنا عرف الانسان كيف يستفيد من هذه الخاصية . وانتقلت هذه البوصلة المفيدة الى العرب في القرون الأولى الاسلامية

(٨) ثم جاء العالم (غلبرت) الانكليزي المولود سنة ١٥٤٠ فعرف ان خاصية الجذب المذكور بطريق الفرك تكون في الزجاج والكبريت والشمع الأحمر والراتينج والماس الصغير وهكذا كل جسم متساو ولبست تكون في المعادن ولا الرخام ولا الأبنوس والعاج والصوان والزمرد واللؤلؤ والمرجان . ههنا رأيه ولكن العلم بعد ذلك اتسع فعرف الناس أن الكهرباء تكون في المعادن أيضا وغيرها (٩) ثم جاء (كولون) في فرنسا المولود سنة ١٧٣٦ . وابتدع طريقة قياس الكهرباء مثلا ان القوة اذا كانت تساوي رطلا واحدا على بعد قدم تصير ربع رطل على بعد قدمين وتسعة أرطال على بعد ثلاثة أقدام أى عكس مربع البعد في المسافة

(١٠) ثم جاء (كلفاني) من ايطاليا في أواخر القرن الثامن عشر وعمل تجارب سنة ١٧٨٦ واتفق أنه على عددا من الضفادع بصناير من النحاس في درازون فرأى أنها تشنج وظن ان هذه كهربائية حيوانية (١١) ثم معاصره (فولتا) المتقدم ذكره وأخذ يبحث ٢٧ سنة حتى عرف أن الضفدعة المذكورة هي والخرقة المبللة . تساويتان في تأدية الغرض فاخترع العمود الكهربائي المتقدم ذكره المسمى (رصيف فولتا) وهو صفايح من النحاس (ن) والتوتيا (ت) مرصوف بعضها فوق بعض كما أوضحناه سابقا . والنسيج قد يكون من الجوخ (ج) وهو مبلل بحامض أو بماء ملح فاذا بل الانسان يديه ولس بأصبع يده الواحدة الصفيحة السفلى من الرصيف وبأصبع يده الأخرى الصفيحة الأخرى شعر بهزة عنيفة . فهذه الهزة مبدأ تعرف به قوتها وهي التي تسرى في أسلاك (البرق والمسرة) التلغراف والتلفون وتدير الآلات وتجري السيارات وهاك صورة (رصيف فاطا) شكل هـ



هنا نحن أولاء قد وصلنا من الكهرباء التي تجذب التبن الى الكهرباء التي تحرك الأجسام العظيمة وتحمل الانسان في البر والبحر وتقوم مقام الدواب . هذا هو الذي أريد أن أقوله . أقول ان الله عطف قوله - ويخلق ما لا تعلمون - على خلق البغال والخيول الخ

ليشير الى أن استعمالنا للدواب سيخلفه شيء لا تعلمه . وهنا نحن علمناه . اللهم إنا علمنا . علمنا يارب ما خزنه في الأجسام من عجائب الكهرباء . خزنه لنا ونحن أطفال فلما ترعرع نوع الانسان كشفت له عن خزانك العجيبة وأريته الكهرباء وحلته عليها في البر والبحر . اللهم إن اخترعين كانوا من الصين والعرب أولا ومن أوروبا ثانيا والناس كلهم عبادك فانتفع الناس جميعهم مما اخترعه بعضهم . اللهم إن الانسان اليوم لا يزال طفلا جهولا يخدم بعضهم بعضا وهم لا يشعرون . الانسان ارتقت مدنيته المادية بنمو عقله فتناطح العقول قامت مقام الدواب . والعقل عرف بهدايتك وهدايتك تأتي بالتدريج . هذا هو الذي يشير له قولك في التنزيل - وعلى الله قصد السبيل - بعد قولك - ويخلق ما لا تعلمون - فالسبيل العدل والطريق المستقيم عليك أنت وان يسلك السبيل المستقيم إلا بالعقل الذي لا يهديه إلا أنت . فاذا قلنا - اهدنا الصراط المستقيم - فقد أجبنا الى ذلك بأنك تهدي الى قصد السبيل . خففت عن الدواب بما فتحت على عقول الناس من خزانك في الأرض كالفحم الحجري وخزانك في الأجسام من الكهرباء فاستخرجها الانسان

• وكما استخرج الانسان تلك المنافع من المادة يقدر أن يستخرج نظائرها من روحه • إن الروح تزاغة الى شرفها ومقامها الرفيع • إن في الناس عاطفة الخير وهم يودّون لو يعرفون سرّ كل شئ ويحبون النظام والحكمة وهذا الذي ظهر لهم في الطبيعة سيغير بهم عما هو أشرف وأكمل وهو استخراج ما كمن في النفوس من الجلال والكمال

عجبا • في الأجسام كهربائية قلبت ظهر البسيطة أفلا يكون في نفوسنا ما هو فوق الكهرباء ومتى ظهر سرّ الأنفس انقلب نظام النوع الانساني وأصبحوا عالما ملكيا انسانيه وزال ما بينهم من الجهالات والعداوات أنت خلقت ما لانعلم فعرفناه فنفعنا وذلك في الماديات وسيكون بعد ذلك المعنويات والفضائل والقوى النفسية • ذلك كله من قوله - وعلى الله قصد السبيل الخ - بعد ذكر خلق ما لانعلم الذي ظهر سرّه في الكهرباء التي قامت مقام الدواب من المنافع الانسانية والمساكن في زماننا مكتفون بالقشور كأنهم في القبور وكأنهم لم يقرؤا قوله تعالى - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - انتهى الكلام على اللطيفة الثانية ﴿ جمال اللطيفة الثانية ﴾

وذلك في ست فرائد

(١) استخدام الكهرباء في الزراعة

(٢) وفي المرقب الذي لاسلك له

(٣) وفي التلغراف والتلفون المدين لاسلك لهما

(٤) وفي الفلاح عندنا وعندهم

(٥) وفي سفينة الصحراء

(٦) وفي سفن الهواء والطيارات

وانبدأ بالكلام على ﴿ الفريدة الأولى ﴾ فنقول

﴿ استخدام الكهرباء في الزراعة في مزرعة مستر (ماثيوز) العالم الزراعي الانجليزي ﴾

(١) هو استعمالها سبعة وستين استعمالا في مزرعته

(٢) هو استعمال مسقطا مائيا بعيدا عن المزرعة وهذا المسقط أنتج الكهرباء ويحمل التيار الى المزرعة بواسطة أسلاك حول بناياتها فتي أراد أي عمل أمكنه أن يوصل أسلاك الآلة بالأسلاك العلوية من أي نقطة وكل الآلات التي تستعمل في المزرعة تديرها محركات كهربائية تختلف قوتها باختلاف العمل الذي تؤدّيه

(٣) مثل حلب البقر

(٤) ومثل درس الغلال ومثل طحن القمح

(٥) ومثل عمل الأسريس

(٦) ومثل عمل الزبدة وفصلها من اللبن

(٧) ومثل غسل زجاجات اللبن وملئها باللبن وتغطيتها

(٨) وبهذه الكهرباء أمكنه الحصول على النظافة والسرعة في العمل

(٩) تكاليف استعمال الكهرباء المسماة بالكيلوات تير ما قوته (٤) شمعات مدّة (٢٥) ساعة أو

تخرج (٢٦٠) جالونا من اللبن أو تفصل (١٦٥) رطلا من الزبدة أو تطحن مبلغا كبيرا من القمح

(١٠) يربي الدجاج بطريقة الكهرباء فيضئ بيت الدجاج في ليل الشتاء بجهاز كهربائي ويكون نورا ضعيفا يشبه نور الفجر فيستيقظ الدجاج ثم ينيرها نورا كاملا فتأكل الغداء المعد لها ثم يضعف النور كضوء الغسق فيرجع الدجاج الى اماكنه • ونتيجة هذا أن البيض في زمن الشتاء يكون من الدجاجة الواحدة

من ٣٠ بيضة الى ثمانين بيضة . ولا جرم أن الشتاء فيه البيض أعلى منه في زمن الصيف وهذا ربح عظيم (١١) وهناك جهاز كهربائي للتفريخ سقته ٢٢٤٠ بيضة وبواسطة هذا الجهاز الكهربائي يمكن ضبط درجة الحرارة ويحصل له ٨٣ في المائة من البيض أى انها تفرخ

(١٢) لوازم المنزل من الماء الساخن بواسطة الكهربية

(١٣) والتدفئة في كل الغرف بالكهرباء (١٤) والطبخ بها (١٥) والغسيل بها (١٦) وعمل الثلج بها (١٧) وتنظيف الأبسطه (١٨) يصل لكل غرفة جهاز لاسلكي به يستمعون النغمات والأخبار (١٩) جهاز لتسوية الحشائش يدار بالكهرباء وقصها كذلك

(٢٠) بالكهرباء تنمو الأزهار في بيت زجاجي ففيه كهرباء قوتها ألفا شمعة وهذا يؤثر في الأزهار فتفتح في أربعة أيام بدل أربعة أسابيع

(٢١) هناك أوان لغلي الماء وفرن كهربائي

(٢٢) اذا طبخت السيدة طعاما فليس عليها إلا أن تسلط الحرارة على ما تطبخه بواسطة الزر الذي تضغط عليه ومعلوم الزمن الذي يتم النضج فيه فتذهب حيث تشاء وترجع فتجد الطعام قد تم نضجه

(٢٣) النحل في زمن الشتاء لا يخرج فيضع له نورا خارج بيته فيخرج فيجد شرايا فيتغذى منه فيكثر العمل هذا ملخص ما لاحظته جماعة من اخواننا المصريين زاروا هذه المزرعة . رجعنا الى تفسير الآية .

عجائب القرآن وبدائعه . هذه هي الكهرباء وهذه نتائج أعمالها

ههنا لنا الحق أن نبدي عجبتنا من القرآن . وأى عجب أكبر مما ترى . يقول الله في الآيات السابقة - والأنعام خلقها لكم - الخ جعل منها منافع كثيرة كالدفء والأكل والجل الى البلاد البعيدة والزينة . هذا كل ما ذكره القرآن للبهائم والأنعام . فالمنافع في الآية عامة وفصل منها أربعة . أما الخيل والبغال والحمير ففيها الركوب والزينة فحسب . أفلا تعجب كيف أعقب هذه الآيات بقوله - ويخلق ما لا تعلمون - يعني والذي لا تعلمونه وهو ما سيخلقه جعله لنا كالأكل منه ويكون دفاً ويحملكم الى بلاد أخرى وزينة . هذه هي الحكمة في عطف هذه الجملة على ما قبلها والا فلماذا لم يذكر ذلك إلا هنا

يقول الله خلقت هذه الحيوانات للمنافع المذكورة وسأخلق ما يقوم مقامها ونعطيك نفس هذه المنافع وذلك منه الكهرباء المذكورة . ألم تر أن المزرعة المذكورة قد كانت الكهرباء فيها سبب ظهور الأزهار بسرعة وسبب كثرة البيض بتغذية الدجاج ليلا على ضوء الكهرباء . فاذن الكهرباء زادت في البيض وزادت أيضا في لحوم الدجاج ثم ان نورها مدهش وجبل فهو زينة وهي تسير القطارات الى المسافات البعيدة بدل الخيل والبغال والحمير والابل وهي تدفئ كما تقدم وفيها منافع كثيرة غير ما ذكر . فاذا أخذ الناس من جلود الأنعام نعلا مثلا ومن أظلافها غراء . فههنا أنت الكهرباء بمنافع وافرة كالغسل والطبخ وغيرها مما تقدم هذا هو بعض الأمر الذي تضمنه قوله - ويخلق ما لا تعلمون - . علم الله أن العالم سيصبح فيه أعمال غير ما يعرفه الناس سابقا فأتى بهذه الجملة ليعرف المسلمون أن نعم الله ليست خاصة بما كان ظاهرا زمن النبوة بل هناك من أنوار الله ما هو مخزون وسيظهر وقد تم . ولا جرم أن هذا التفسير على هذا النمط لم يقله المتقدمون وذلك لأن الله لم يظهره إلا في هذا الزمان فاما ظهر أظهرناه . وانما أظهرناه لأن الله هو الذي أسس ذلك على قرار مكيين فجاء بهذه الجملة عقب الحيوانات النافعة ليقول لنا ان الذي سيخلق ولا تعاونونه يقوم مقام تلك الحيوانات النافعة

﴿ عجائب الأنوار الربانية ﴾

أفلا تعجب معي من المادة كما تعجب من القرآن . المادة التي نعيش في وسطها هي الأرض وما عليها

ظاهرها أنها لأشئ فيها سوى هذه المحسوسات ولكن ظهر بهذه الكهربية أنها متدخلة في جميع أجزاء الأرض والهواء • هي في كل شئ غاية الأمر أنها ضعيفة في شئ قوية في آخر

نحن نعيش في عالم كله جمال • وكيف لا يكون كذلك وقد ثبت عند قوم أن الأرض نفسها وكل ما عليها إن هي إلا كهربية متجمدة أي أن هذه المادة أصلها هي الكهربية ومتى استعملنا عقولنا في استخراجها ظهرت لنا • فيها نحن أولاء نوصل معدنين ببعضهما كالنحاس والتوتيا ونؤلف بينهما بسائل ملحى فعندئذ تظهر الكهربية التي هي أصل هذه المخلوقات والكهربية المذكورة تنقلب ضوءاً وحرارة ونورا كما هو مشاهد فالضوء يشتق من الكهربية وكذا الحرارة وكذا الحركات فكل إلى كل ينقلب • إذا ثبت هذا فالكهربية كامنة فيها النور أو هي نور مخبأ عن الأعين يظهره التفاعل

- الله نور السموات والأرض - فهو منورهما بل هو منور كل حجر وكل صخرة وكل جبل من داخله وإن كان في ظاهره مظلمة في حاله الليل المدهم • لماذا هذا • لأن الكهربية متدخلة في أجزاء جميع الأشياء والهواء والكهربية ضوء فالنور في كل شئ وإن كان كامناً

خلق الله الحيوانات فانتفعنا بها ثم قال أنا أريحكم وأريح الحيوان فارجعوا إلى النور الذي دفته في المادة وخزنته فاستخرجوه فإنه يقوم مقام هذه الدواب قال تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم -

ولاجرم أن نور الكهربية يكاد يضيء ولولم تمسه نار وهو يوقد من مادة العالم العائمة وهي لاشرقية ولا غربية فإذا أوقدت كانت نورا على نور • ولاجرم أن نور الكهربية لم يهتد الناس له إلا بهدى الله • هكذا العلم لا يهتدى الناس له إلا بهدى الله وسيأتي تفسير الآية تأملاً ولنكتف هنا بما ذكرناه والحمد لله رب العالمين ﴿ الفريدة الثانية • المرقب الذي لاسلك له • أدهش اختراعات هذا العصر ﴾

قلنا إن الكهربية خلقها الله وكان الناس لا يعلمون وأن فيها منافع كثيرة قدّمناها وآخر ما كشفه الناس أن يرى الإنسان أخاه على أبعاد شاسعة أي أنه كما يسمع كلامه يرى وجهه • وهذا مقال جاء في بعض المجلات العلمية سنة ١٩٢٦ ونصه

﴿ أدهش اختراعات هذا العصر • هل وصل العلم إلى آخر درجات رقيه ﴾

﴿ وهل أكمل المخترعون كل ما يدور في مخيلتهم من الاختراعات المدهشة ﴾

نحن الآن لانزال في بدء عصر اللاسلكية واللاسلكي لا يزال يفاجئنا كل يوم بأمور عجيبة مدهشة • فقد كنّا منذ بضع سنوات يوم كمل اختراع التلغراف اللاسلكي نعتقد أنه سيكون خاتمة اختراعات البشر فما لبثنا أن رأينا بعده التليفون اللاسلكي ثم الفوتوغرافية اللاسلكية • وهانحن نشهد اليوم اختراعاً أدهش من كل ما تقدّم ونعني به ﴿ المرقب اللاسلكي ﴾

ذكرنا من قبل أن بعض علماء الفرنسيين اخترع مرقباً لاسلكياً لرؤية الأشباح عن بعد وهو ما يعبر القوم عنه بلفظة (تليفزيون) وشرحنا بالإيجاز ما بين هذا الاختراع واختراع الفوتوغرافية اللاسلكية من الفرق • وذلك أن الفوتوغرافية اللاسلكية تنقل الصور والأشباح الثابتة عن بعد كأن تنقل مثلاً صورة رئيس الجمهورية الفرنسية وتبرزها على ستار خاص • وأما الاختراع الذي نحن بصدده فهو ينقل الأشباح المتحركة بجميع دقائقها فهو أذن أشبه بسينما توغراف لاسلكي ينقل الحوادث والأشخاص كما هي ويبرزها لعين الناظر بجميع دقائقها

وقد اطلعنا الآن على خبر في إحدى المجلات الأوروبية مؤداه أن شابا انجليزيا يدعى المستر (بيرد) وقد أنجز اختراع (المركب اللاسلكي) بحيث صار في متناول الجميع ولكن المخترع لا يزال يعمل على تحسينه وتقائه وهو يعتقد أنه لن تمر سنة من هذا التاريخ حتى يستطيع كل امرئ أن يقتني مركبا لاسلكيا بثمن لا يزيد على ثلاثين جنيهًا فيستعمله في منزله كما يستعمل التلفون ويمكنه بواسطته أن يرى أشباح الذين يخاطبهم وأشباه غيرهم ولو كانوا في أقصى المعمورة . ولا ريب في أن هذا الاختراع سيحدث انقلابا خطيرا في عالم الاجتماع وسيؤدي استعماله إلى تغيير كثير من أنظمة العمران وليس ذلك فقط بل سيقلب القوانين المدنية والجناينة والحربية رأسا على عقب . تصور قائدا من قادة الجيوش جالسا في معسكره بمركز القيادة العاتقة فقد كانت خططه الحربية حتى الآن تتوقف على الأنباء التي يتلقاها من مختلف الميادين . أما الآن فبواسطة (المركب اللاسلكي) يستطيع أن يقف على مجرى القتال في كل جهة ويكيف خطته وحركته على مقتضى ذلك

وكذلك الأمر في أصحاب المهن والصناعات المختلفة فانهم يستطيعون وهم جالوس في منازلهم أن يشاهدوا بالمركب اللاسلكي كل ما يرومون مشاهدته وأن يكيفوا أعمالهم بموجب ذلك

ومما يجدر بالذكر أن العلماء قد كانوا يعملون على انجاز الاختراع الذي نحن بصده منذ عشرين سنة ولكن أعمالهم لم تكمل بالنجاح إلا في الشهر الفائت إذ أتيح للمستر (بيرد) أن يكمل هذا الاختراع . وقد سماه (التليفيزور) أو (المركب اللاسلكي) وسجله ثم عرضه على وزارة المواصلات في إنجلترا فأصدرت مصلحة البريد رخصتين باستعمال هذا الاختراع بقصد مواصلات التجارب . وهاتان الرخصتان هما للمستر بيرد نفسه وللكابتن (هتستسون) مدير شركة التليفيزور أى الرؤية عن بعد . وقد أنشأ هذان محطة للرقابة اللاسلكية وهي أول محطة في العالم من نوعها . ومما يجدر بالذكر أنه بينهما كان بعض أصحاب التلفون اللاسلكي واضعين سماعاتهم على آذانهم في (لندن) سمعوا أريزا غريبا يقطع الأصوات التي كانوا ينصتون لها ثم ثبت بعد ذلك أن الأريز ناشئ عن مركب المستر (بيرد) اللاسلكي فان هذا المركب يحدث عند نقله الأمواج اللاسلكية أريزا يسمعه الذين ينصتون إلى سماعة التلفون اللاسلكي

وقد أجرى المستر (بيرد) عدة تجارب أثبت بها فائدة اختراعه * وشهد الكثيرون من العلماء نتيجة ما قام به من الخدمة للعلم . فهو قد قرب الأبعاد ومزق الحجب التي كانت تستر الناس بعضهم عن بعض والمركب اللاسلكي لا يريك الشبح بشكل صورة فوتوغرافية فقط بل يريك في جميع حركاته وسكناته ويريك أيضا بعض ألوان الشبح الطبيعية ولا سيما الأحمر والأزرق على أن المخترع لا يزال يوالى تحسين اختراعه ليتمكن من اظهار جميع الألوان الطبيعية وظلالها . وهو شديد الثقة بقرب نجاحه بحيث يتمكن الجمهور من استعمال المركب اللاسلكي في خلال العام المقبل

وهذا المركب شبيه جدا بآلة التلفون اللاسلكي ويختلف عنها بكثرة ماله من العدسات وهذه العدسات تتناوب على نقل جزئيات الشبح المراد مراقبته وتناوبها هذا يتم بسرعة تفوق حد التصور وهي تعكس جزئيات الشبح على الآلة القابلة كما تعكس آلة (السينما) جزئيات الأشباح على الستار فتظهر من مجموعها صورة كاملة . والمجال لا يسمح لنا بوصف دقائق هذه الآلة الغريبة ولكن استعمالها على ما يظهر بسيط جدا . وهنالك صعوبة فنية يحاول المخترع تذليلها وهي أنه عند انطباع الشبح المتحرك يحدث ارتجاج يتعب البصر . وقد كان السينماتوغراف أيضا كذلك في أول أمره ثم تمكن مخترعوه من إزالة ذلك النقص والمستر (بيرد) شديد الثقة بأنه سيتغلب على هذه الصعوبة ويعتقد أنه لن تمر بضعة أشهر حتى يتمكن من إزالتها بتاتا . قلنا ان المركب اللاسلكي سيحدث انقلابا عظيما في عالم الاجتماع إذ سيتمكن المرء من رؤية كل ما يجري في هذا العالم من دون أن يحرك ساكنا أو يخرج من منزله . وسيكون هذا الاختراع أكبر مساعد

على مراقبة اللصوص ومركبي الجرائم . والعلماء ولاسيما علماء الفلك يرجون منه نفعا خصوصا لأنه اذا أتيج لهم رؤية الأشباح عن بعد ألوف من الأميال فسيتمكنون بلاريب من رؤية مايقع على أبعاد شاسعة أى في الأجرام السماوية المختلفة (وبعبارة أخرى) أنهم قد يستطيعون بفضل المرقب اللاسلكي رصد الكواكب والأفلاك للتحقق من وجود الخلائق الحية فيها . فإذا تم ذلك فسيكون (المرقب اللاسلكي) أعظم اختراع أتيج للبشر اتقانه

﴿ الفريدة الثالثة . غرائب التلغراف والتلفون اللاسلكي ﴾

أنبا المستر (فردريك كلاواي) مدير شركة (ماركوني) في خطبة فاه بها في (تشاسفورد) بالخطوات العظيمة التي يخطونها في ترقية التلغراف والتلفون اللاسلكي في العالم في القريب العاجل . وقال ان النجاح التجاري الذي نجحته محطات (ييم) التي تنقل الرسائل بين الشرق والغرب فاق أعظم ما كان يؤمله لها المؤمنون علاوة على أنه أجريت في الأربع والعشرين ساعة الماضية تجارب جهاز (ييم) مع استراليا . ومن رأى الثقات في مصلحة البريد أن عهد شركة (ماركوني) قد نفذ (هتاف)

وأنبا المستر (كلاواي) أيضا بأن محطات التلغراف اللاسلكية التي ستربط جميع أجزاء العالم بعضها ببعض ستكون على قاعدة نظام (ييم) وعمما قريب سيتناول الواحد منكم سماعه التليفون ويخاطب والده أو أخاه في ملبورن وأتوني . وقال اننا نقرب من فكرة نقل الرسائل كما هي طبق الأصل فبدلا من أن ينقل العامل الرسالة اللاسلكية على مفتاح الآلة توضع هذه الرسالة في الجهاز الذي يرسل الاشارات فتدون بطريقة ميكانيكية و بعملية واحدة في الطرف الآخر من الدورة في أى ناحية كانت من أنحاء العالم وهذا مما لا يكاد تقدر فائدته من الوجهة التجارية . انتهى

﴿ الفريدة الرابعة . الفلاحة والكهرباء . الفلاح عندنا وعندهم ﴾

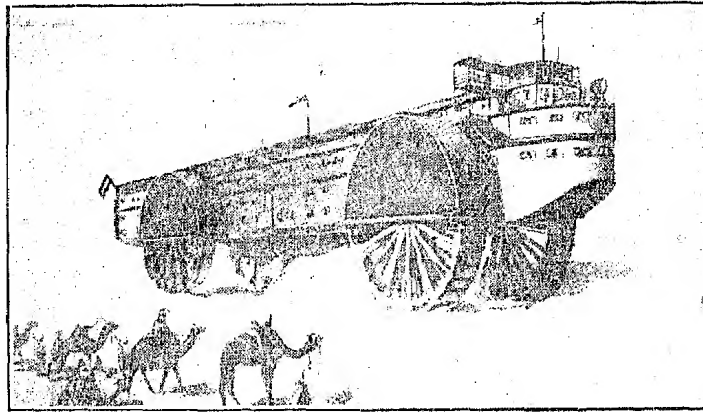
في هذه الفريدة أعطيك أيها الذكي صورة للنجاح عندنا والفلاح في أوروبا
الفلاح عندنا بمصر يقي زرعه بالآلات ورثها عن آباءه منذ آلاف السنين مثل الشادوف والساقية والمحراث المعتاد وما أشبه ذلك ولايحصل ما يحتاج اليه إلا بشق الأنفس . أما الفلاح في أوروبا فقد فاق أجداده في الزراعة أربع مرات . ومعنى هذا أن الحقل الذي كان يحتاج الى أربعين رجلا منذ ثمانين عاما أصبح اليوم لا يحتاج إلا الى عشرة رجال ومع ذلك تسمع الاوروبيين يقولون إن الفلاح عندهم متأخر . لماذا . لأن صناعة الحديد مثلا قد تضاعفت عشر مرات عما كانت عليه منذ أربعين عاما . أما صناعة الورق فقد صارت أضعافا مضاعفة . فلذلك يقولون يجب على علماء الكهرباء أن يسعفوا الفلاحين كما أسعفوا الصناع ويقولون ان الفلاح يحتاج الى ثلاثين في المئة من أعماله للأعمال الثابتة مثل رفع المياه وحلب البقر والى ٢٠ في المائة منها لأعمال النقل والحل والى ٥٠ في المئة للعمل في الحقل . فأما الأعمال الثابتة المذكورة فان الكهرباء تقوم بها بدل الدواب والرجال . وأضرب لك مثلا عندهم مقدار من الكهرباء يقال له (الكيالوات) وهذا المقدار في الساعة ثمة مائتين مليمين و ١٢ مليميا في اليوم الواحد . أتدري ماذا يفيد هذا . إنه يقوم في الحقل مقام عمل الرجل بالشادوف مثلا سبع ساعات

ولقد وجد القوم هناك أن المعامل التي تصنع العدس والآلات الكهربائية فيها (٧٥) في المئة مما يصنع فيها من الحجم الصغير انما يكون للأعمال الزراعية . ولقد وجدوا أن للنور تأثيرا في زيادة عدد بيض الدجاج فاستعملوه فنجحوا . وقد برى الدجاج من أمراض مختلفة بنور الكهرباء وهكذا أثرت الكهرباء في دودة الحرير فأعطت بواسطتها ألوانا غريبة مذهشة

أما أعمال النقل والحل التي تحتاج كما قلنا الى ٢٠ في المائة فهذه معروفة في جميع العالم وقد عمت الكهرباء

سككا حديدية كثيرة في العالم
أما الخسوف في المائة الأخيرة فهي تنحصر فيها يعمه الفلاح من حرث للأرض وتمهيد الخ ثم جمع المحصول
وحصده أودرسه أو تحفيقه كما يحصل في البلاد الباردة فإن هذه الأعمال فضلا عن تعذر أدائها بواسطة الثيران
والبقرة في البلاد التي يندر فيها وجود الأرض المستوية مثل سويسرا والسويد والنرويج وأواسط أوروبا
عموما فإن فائدة الآلات الحديثة تظهر جلية واضحة في البلاد المستوية أيضا وذلك لسرعة هذه الآلات وقلة
مصاريفها . ثم لأنه لم يفكر فيها أحد من أغنياء فلاحينا مع أن منهم الشباب الذي مضى في أوروبا
نسنيين عديدة ويمضي الصيف فيها كل عام حيث يمرّ بشمال إيطاليا وسويسرا وفرنسا وبلجيكا وهولندا
ويرى الآلاف من هذه الآلات في كل مكان

هذا زيادة عما أتت به التجارب العديدة من إمكان قتل بعض المكروبات والأمراض التي تفتك
بالزروع بواسطة الكهرباء مما استعصى على التبخير وغيره وهذه منتهى من به الله على الفلاح وقدّر سبحانه
أن يحرم منها فلاحنا كما حرم غيرها من المميزات . وقد شاع استعمال الأنوار الكهربية المختلفة لأعطاء
الأزهار ألوانا غريبة غير طبيعية أو تنمية بعض الأزهار في غير أوقاتها العادية من السنة وذلك بالتدفئة والمعالجات
المختلفة . وقد نجحت مسألة التنمية الصناعية في الزهور حتى أن الزهور التي تستلزم لاتمام نموها في الطبيعة
ثلاثة أسابيع أو أربعة تمومثل هذه الطرق في أربعة أيام إلى سبعة فقط مع حفظها لرائحتها ورونتها انتهى



(شكل ١٠)

(الفريدة الخامسة . سفينة الصحراء)

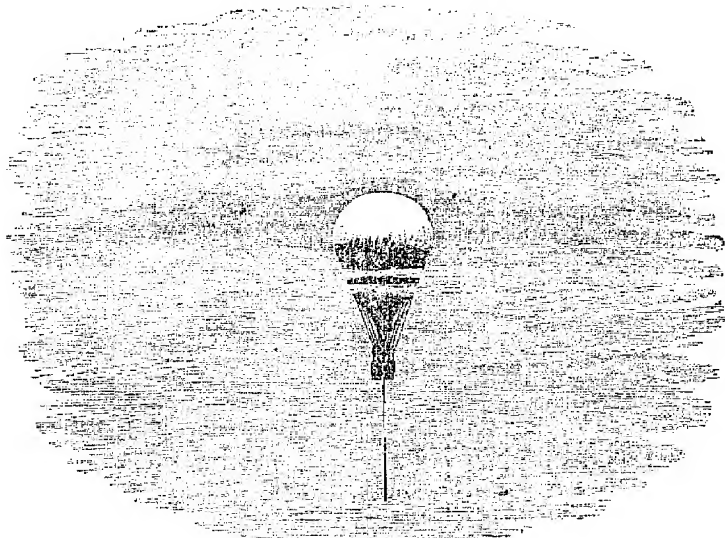
(سيارة هائلة تسع ٣٠٠ مسافرا وفوق ذلك كثير من البضائع)

الكرة الأرضية في تقاص ظاهري مستمر مابق الاختراع ومادامت الصناعة تتغلب على المكان والزمان
فتجعل ممكنا خدما ما هو غير محتمل اليوم ثم تحقق هذا الممكن بعد الغد وتلك القاطرات والسفن والسيارات
والطائرات تربط جهات العالم من أقصاها إلى أقصاها . غير أن ما لم يكن في متناول تلك الوسائل لبث كما
كان معتمدا على وسائل النقل الأولية فبقيت قوافل الجبال في فلول الرمال التي لانهاية لها وظلت عربة الريف
الروسية العتيقة تسير في قفار كرايا وسيبيريا ومن ثم بقي من الأقاليم القابلة للاستعمار أراض واسعة الأرجاء وبقاع
مجهولة جعلت وقفا على الرحلات العامية الشاقة . لكن الصناعة التي لم تعوزها الحيلة إلى التقدم المضطرب
تريد اليوم التوغل في الجهات التي ظلت مجهولة فقد توصل (سترون) لأول مرة بمساعدة عرباته المصنوعة
على طراز (التنكس) إلى تذليل مخاوف الصحراء . واليوم يبشر اختراع المائي جسدريد باجتياز طرق البر
التي مازالت مغلقة في وجه الحضارة البشرية وما إلى ذلك من وصل طرق الصحراء وصلا اقتصاديا بواسطة

سيارة ضخمة • سفينة الصحراء عبارة عن سيارة هائلة توصل إلى بنائها الضخم بمهارة نهر من المهندسين وأصحاب المصانع مخترع ألماني يدعى (يوهان كرسstof بيشوف) في مدينة كيل بعد مجهود سنين عديدة • ويبلغ عرض هيكل هذه السيارة (١٢) مترا وطولها لا يقل عن (٦٠) مترا وارتفاعها (١٨) مترا أما المحلات الهائلة فيبلغ قطرها (١٥) مترا وعرض سطحها ٣ متر ويعمل قرار (الشاسي) عن الأرض بمقدار ٤ متر والسيارة معدة في تركيبها بأحدث مبتكرات الصناعة التي تجعلها غير مقيدة بالسير في الطرق الممهدة وحدها بل تجعلها في حل من التغلب على وعر الأراضي كما تستطيع أن تسير على الأرض المستوية وعلى التلال الخفيفة الانحدار على السواء بسرعة (٣٠) كيلومترا في الساعة وتصل سرعتها في أوعر المسالك إلى (١٠) كيلومترات في الساعة • وهم مزاي (سفينة الصحراء) انعمية امكان الارتفاع بحمولها العظيمة بالنسبة لحجمها فهي اذا بذت لغرض نقل الأثقال تسع (٢٠٠) طن من البضائع • واذا بنيت لنقل المسافرين فانها تحمل (٥٠) طنا ونحو ثمانية مسافره معدة لهم جميع وسائل الراحة المتوفرة في السفن البخارية التي تقطع البحر اه

الفريدة السادسة • السفر في الهواء

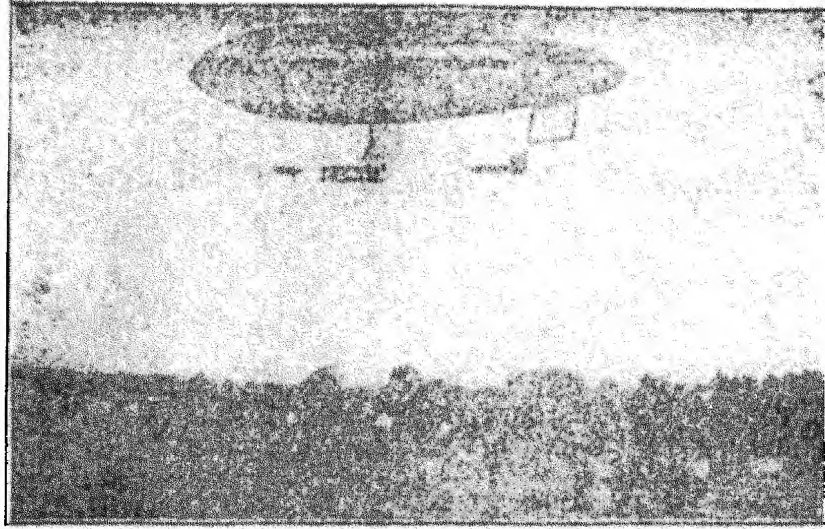
وذلك بالآلات أخف من الهواء أو بأقل منه فالتى هي أخف من الهواء نوعان (البالون) أى المنطاد و (سفينة الهواء) أما المنطاد فهو كيس من الحرير مدهون بالزيت بشكل (الكمرى) مملوء بأحد هذين الغازين (الهيدروجين) وغاز الاستصباح وكلاهما أخف من الهواء • وهذا الكيس الحريرى مغلف بشبكة من الحبال معلق فيها سقف يسع من اثنين إلى (٤) من المسافرين وهو لا يمكن ضبطه في السير فهو يحرق على حسب الريح وقد جرى ألف ميل بلا توقف من (باريس) إلى قرب (موسكو)



(المنطاد • شكل ١١)

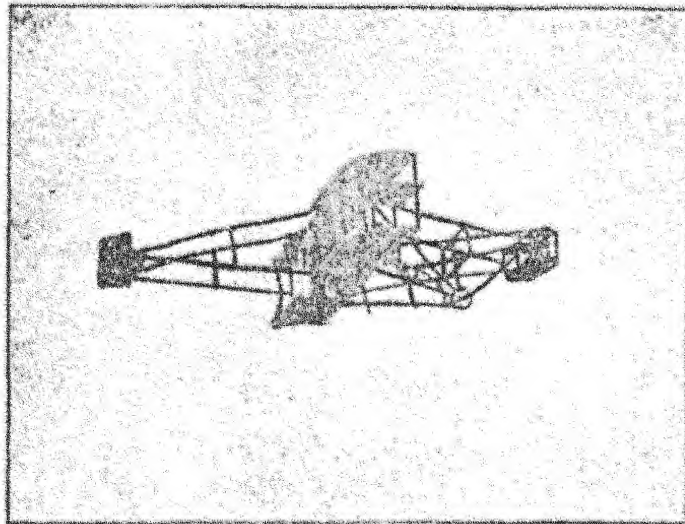
أما (سفينة الهواء) فانها كيس مملوء بغاز الاستصباح مثل (البالون) ولكنه على شكل لفافة الطبايق (السيجارة) وهي مقسمة إلى جلة اما كن وهي تارة تكون مكوّنة من معدن خفيف هو (الومنيوم) قد ثبتت فيه عربة طويلة تحمل مسافرين وآلة محركة مثل التى في السيارة (الاولتوموبيل) وهذه المسكة لها رافعة تدور بسرعة عظيمة وسفينة الهواء يمكن ضبطها في السير اذا هدت الريح ولكنها تكون صعبة المراس اذا غصفت العواصف • إن العاصفة يمكن أن تمزقها تمزقا شديدا • ويمكن أن تحمل من (٢٥) إلى (٣٠) مسافرا في عربتها وترفع (٤٠) طنا وقد أمكن السفر بها (٩٠) ميلا في ساعة واستمرت سائرة (٥٠٠)

ميل بلاتوقف • انتهى الكلام على سفينة الهواء شكل ١٢



(سفينة الهواء - شكل ١٢)

والآلة المحركة التي هي أثقل من الهواء المسماة (ألواح الهواء) ثلاثة أنواع • أما الأولى فهي ليس فيها غاز استصباح وإنما هي مصنوعة من سطحين من القماش الغليظ المتين فوق إطار مصنوع من ألياف الفولاذ وهذه لها ألواح صغيرة رافعة تديرها إلى الجهات المختلفة وهي تحمل آلة بخارية ومحركا مثل ما نقتّم في (سفينة الهواء) ولها عجلات تمشي بها على الأرض قبل استقلالها بالطيران وبعد نزولها إلى الأرض وتحمل من (١) إلى (٤) من الركاب في حجمها الذي يشبه القارب في البحر • وتجري هذه من (٤٠) إلى (٩٥) ميلا في الساعة • ولقد أجراها بعضهم (٤٠٠) ميل بلاتوقف وبلغ سيرها في ثلاثة أيام (١٠٠٠) ميل • وهذه صورة الأولى من ألواح الهواء شكل ١٣



(صورة الأولى من ألواح الهواء - شكل ١٣)

أما الثانية من (ألواح الهواء) فهي كسابقتها ولكنها لها عوامة كعوامة السفينة بدل العجلات فيمكنها أن تنزل فوق البحر وترفع ثانيا وهي تبني على أي حجم بحيث لا يكون ما يضرها بكسر فتكسر

وقد طار بها بعضهم من فوق الدردنيل . وقد جرى فوق البحر وهو هائج جدا بالعواصف في القتال الانجليزي وطلع منه ثانيا وهو يجري (٦٥) ميلا في الساعة
(الثالث) واحدة السطح هي مثل ما قبلها ولكن لها سطح واحد وحجم هذا النوع أشبه بحجم حشرة تسمى (طائر الثعبان) له آلة بخارية ومحرك مثل الذي في سفينة الهواء وبيولين وعجلات للجرى على الأرض وتحمل من ١ الى ٤ رجال وتجرى ٩٠ ميلا في الساعة وجرى من باريس الى وارسو في يوم واحد وهذه صورته



(صورة ذات السطح الواحد - شكل ١٤)

﴿ هذا اجمال ما تقدم تفسيراً لقوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - ﴾
اعلم أيها الذكي أن هذا بيان لما اخترعه الناس فيما بعد العصر الأول للركوب الذي دخل في قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - قد كان السير قديماً بالأقدام أو بركوب الدواب ثم خلق الله مما لا نعلم عجالات تجرى بالناس

- (١) مثل عربات النقل المعتادة كالذي يستعملها الباعة في الطرقات
- (٢) وعربات الركوب تجرها الدواب
- (٣) وعجلات يركبها الناس يحركونها بأرجلهم تسمى (بسكات) باللسان الافرنجي
- (٤) والسيارات التي يسمونها (متركار) وهذه لها آلات محركات بالبنزين
- (٥) وعربات الترام الذي يجري بالكهرباء
- (٦) قطار المسكة الحديدية الذي يجري بالبخار وتارة بالكهرباء . هذا فوق الأرض

﴿ السير فوق الماء ﴾

قد كان قديماً بالسفن ونحوها سواء أكانت بالشرع أو بالمجداف ثم حدث البخار فسارت السفن به في البحر كما سارت القطارات في البر ثم السفن الجارية بالآلات المحركات كما تقدم في اليابسة وتسمى بالافرنجية (متربوتس)

﴿ الهواء ﴾

ثم حدث في الهواء النوعان المتقدمان وهما نوع المنطاد ونوع الطائرة وقد تقدم شرحهما . انتهى الكلام على اللطيفة الثانية وفرائدها الست

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

لقد مضى في هذا التفسير ذكر كثير من جلال النبات وبدائعه ولأذكر لك هنا عجائب مدهشة منه تحلية

وتفصيلا وجالا فأقول . قد قرّر العلماء كالعلامة الطيب النطاسي المسمى (سانكتور بوس) في بلاد البندقية وغيره أن ما يقطر من العرق في جسم الانسان يكون كيولوجيا واحدا في اليوم واليلة . فأما النبات فانه يخرج ماء من أوراقه أكثر من عرق الانسان بالنسبة لجسمه حتى انهم وجدوا نبات عابد الشمس يزيد عن الانسان بالنسبة لجسمه في العرق ١٧ مرة . وقد وضع (كوتارد) غصنا لم يقطع من شجرته في زجاجة وأحكم سدها على الغصن . وتلك الزجاجة من أسفلها قد دلى منها أنبوبا دخل في زجاجة أخرى تحتها وتلك الشجرة يقال لها (القرانيا) فكان مقدار ما يقطر من ذلك الغصن من الماء في اليوم أوقية وثلاثة دراهم أي قدر وزنه مرتين . وهل أريك أعجب من هذا

(١) شجرة الأروم يقطر من أوراقها قطرات ربما باع عددها بضع عشرات في الدقيقة

(٢) الشجرة الباكية . وهي شجرة في جزائر الكناريا يتساقط منها الماء كالمطر فيجتمع عند ساقها

ويستقي منه القوم الذين يسكنون حولها ويملئون من مأها جرارهم

(٣) نبات الأباريق . إن أوراق هذا النبات ترسل من أطرافها زوائد تنتهي بأقداح اسطوانية لها

أغطية تفتح وتغلق في أوقات معينة . وفي أثناء الليل ينطبق الغطاء على فم القدر فيسده سدا محكما والماء يتقاطر من جدرانه حتى يملأه فإذا طلع النهار ارتفع الغطاء فشرب الناس منه وخرج الباقي بخارا . وكمن أناس كادوا يموتون عطشا في الصحراء فأنقذهم الله بسبب ذلك النبات

(٤) أشجار في غابات أمريكا . وهناك نباتات في غابات أمريكا الجنوبية مثل هذه يشرب منها

المسافرون عند الحاجة . ياسبحان الله . كيف رأينا العرق في الانسان دافعا عنه الأذى وفي النبات قد ارتقى قدرا ومنفعة فأصبح ماء نيرا يشربه الانسان . فهذا نبات (الأباريق) كيف خلق له صحن اسطوانى فسد بالليل سدا محكما فإذا طلع النهار زال الغطاء وشرب منه الناس في الصحراء وبه يحيا المسافرون

أفلا تعجب معي من هذه الحكمة . أفلا ترى كيف كانت العناية والحكمة شاملة حتى ان البخار الخارج

من النبات كعرق الانسان لم يدعه الله بلامزية لنا بل رقاها في النبات كما رقى الحياة من أدناها الى أعلاها ولما رقاها في النبات جعله شرابا للمسافرين وحياة لكل حي . أفلا ترى أن هذا كسألة الكلام فانا ننفس كما

يتنفس النبات والحيوان ولكن نفس النبات لا كلام فيه ونفس الحيوان فيه بعض المقاطع ونفس الانسان كان منه الكلام وليس الكلام إلا حروفا والحروف من تقابل بعض أعضاء الفم فتقطع الصوت والصوت ليس

إلا من الهواء الداخل لتصفية الدم فأصل المسألة كلها حياتنا بالهواء النقي ثم أدخل على ذلك تحسين وتحسين حتى صار كلاما عند الحاجة . وهذا وكذلك العرق كان عندنا خارجا لما يضرب بأجسامنا ثم هوى في النبات الذي

هو أدنى منا يكون ماء في أوان تغفل وتفتح على مقتضى الحاجة . وهذا في الحقيقة استخدام لكل موارد الطبيعة وانتهاز لكل فرصة سانحة لرق الانسان . ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما

نزل من الحق - في القرآن ولا يكونوا كمن تقدمهم من أُمم الاسلام المتأخرين الذين طال عليهم الأمد ففتت قلوبهم وكثير منهم مستعبدون أذلاء للفرنجية وآخرون صاغرون . واليوم أن أوان مجدهم وبزوغ شمسهم

وظهور دينهم . وها أنا ذا أبشر المسلمين بيومهم المعهود وسعدهم المنشود وزمانهم الذهبي المسعود وانهم سيكونون خير أمة أخرجت للناس ينفعون الأمم ولا يكونون وبالا عليها كما فعلت أوروبا بالظلمة الغادرة بالشرقين

إني أوصي كل من اطلع على هذا الكتاب أن ينشر الفكر بين المساميين ويطلع العامة والخاصة على كنوز الله للمؤمنين وأن يقول لهم هذا يوم الاقبال والنصر للمبين

(حكاية مصرية في النبات)

بينما أنا أولف في هذا التفسير إذ خرجت ليلة لأمر أقضيته فجلست على دكان بجوار دارنا فحدثني صاحب الدكان وهو رجل صالح قال ان فلانا أصبح رجلا صالحا جدّا وصار يصلي ولا يفتأ يذكر الله ليلا ونهارا

وسبب ذلك انه قال اننى مكلف بأعمال تتعلق بدائرة القصر الملوكى فاقتضت الأعمال أن أسير فى الجبل غربى اهرام الخيرة فأصابنى أنا ومن معى عطش شديد وكان معنا اعرابى فتبسم وقال ستروى بعد قليل فقلت له وأين الماء إن هذه صحراء قاحلة فقال ستروى ثم أخذ ينظر فى الأرض ويتفرس بين الرمال ثم نظر برىقا بين الرمل ضئلا جدا فقال لى هذا هو الشراب فقلت له هذا رمل قال ستروى خفر فى الأرض حفرة فطلع منها نبات مكور فأخرجه وقال كل هذا فقلت أنا أطلب الماء وأنت تعطينى طعاما أتسخر منا ونحن عصابة فقال كل هذا وستروى وهى نباتة أشبه بالبصلة فأكلتها ومامت دقائق حتى رويت وبقيت طول النهار لا أحتاج لماء ولا أشتاق اليه فعرفت أن لهذا العالم إلهام ومن ذلك الحين صرت أتذكره كل حين

﴿ حكاية مصرية أخرى ﴾

أخبرنى رجل من بلاد مديرية الشرقية بالوجه البحرى من بلادنا المصرية قال . بينما أنا فى ليلة واقف فى الماء بنهر يسقى الحقول إذ أنا بالماء قد لمع فيه صور النجوم وكنت إذ ذاك قد وضعت يدي فى الطين لأزخج السد عن مجرى الماء لينزل بحقل أحد أعدائى لأغرق زرعهم . فلما لاحت لى بهجة النجوم فى الماء تذكرت عظمة الله التى تجلت لى فى الماء وقلت هل يجوز أن أعصى الله الذى هذه نجومه وهما ظاهرة صورها فى الماء فرجعت عن ذنبى وتبت لربى

﴿ حكمة ﴾

إن كل قلب من قلوب بنى آدم يقبل صور الجبال الإلهى كما قبل الماء صورة النجم السماوى فلتتجه القلوب الى ذلك الجبال كما قبل الماء نجم السماء . إن فى كل قلب نورا إلهيا كما كان فى كل ماء نور كوكبى

﴿ اللطيفة الرابعة . الدر والمرجان ﴾

أما الدر فقد تقدم فى سورة الفاتحة . وأما المرجان فإنه صنع حيوانات صغيرة تصنعه من مواد كلسية فتجعلها مساكن لها وتبنى تلك المساكن متلاصقة متلاجة فتتكون منها تلك الصخور على اختلاف صورها وأشكالها وهيئة تلك الحيوانات كزهر الاخوان ومؤخر الواحدة منها داخل فى المسكن والمقدم بارز وفى وسطه ثغر صغير وهو فيها يحيط بها غالبا ستة أطراف أو ثمانية كأوراق ذلك الزهر تقبض بها على الفريسة حين تمر بها . ومن هذه الحيوانات ما يجمع لمعانا شديدا كلعان المصباح * قال بعضهم كنت ليلة فى قارب من قوارب الصيادين فى ارلندا فاتفق انهم رفعوا الشبكة من البحر فخرج فى خلالها كثير من الحيوانات الصغيرة المرجانية فكانت تتلأأ كربوات كثيرة من أنقى حجارة الألماس . وتلك الحيوانات الصغيرة لاتبنى مساكنها فى مكان عمقه أكثر من مائة وعشرين قدما وكلما كانت أقرب الى وجه الماء كانت أكثر عملا . ذلك لأنها أقرب الى ضوء الشمس

﴿ جزائر المرجان ﴾

وتلك الصخور المرجانية قد يقترب بعضها من بعض فتتلاحق وتمتد الى مسافة أميال كثيرة ونأتىها الأمواج بالرمال والطين وغشاء ما يصب فى البحر من الأنهار وتحمل اليها الرياح كثيرا من البزور وجرائم الحياة فتكثر فيها التربة وتنبت فيها البزور وتتولد فيها الحيوانات فتمتلئ بالأعشاب والأشجار وغيرها من الأحياء

﴿ حيوان يشبه المرجان وهو أعجب منه وهو (الهيدار) ﴾

الهيدار حيوان يشبه المرجان فى خلقه وكثير من صفاته . يكثر فى حياض الماء العذب والجداول الصغيرة ومن أغرب صفاته وأعجبها أنك اذا قطعتة طولا وعرضا قطعاً كثيرة صارت كل قطعة من تلك القطع حيوانا كاملا . فاذا قطع ثلاث قطع عرضا فى زمن الصيف فلا تمر أربعة أيام إلا وللة قطعة الوسطى رأس وذنب وللذنب بدن ورأس وللرأس بدن وذنب ويصير الرأس حيوانا كاملا قبل سائر القطع فهذا هو المسمى (هيدار)

﴿ اشراق النور في المرجان ﴾

إن المرجان من أجل وأبهج وأحسن وأعجب مانسقة يد القدرة الالهية ولن يكون نباته الحيواني إلا في البحار الحارة وفي البحر الأحمر منه كما يقال أكثر من مائة نوع مختلفات الصفات وهكذا في البحر الهندي والمحيط (الباسفيكي) آلاف من جزائر المرجان وسلاسل الجزائر المرجانية البديعة الأوصاف الجميلة الأصناف البهجة المناظر المدهشة لكل ناظر . ألا وان أولئك الذين نظروا الى المرجان في البحر حيث تكون أنواع منه مختلفة الألوان والأشكال قد قالوا إن منظره يفوق الوصف بهجة ويسحر الطرف زينة وتسرى النفس برؤيته وتدعو الى الايقان آيته وتزين العلم حكمته وتعلو المال قيمته وتشوق للدرس رؤيته

﴿ أنبات المرجان أم حيوان ﴾

إذا نحن امتحننا منه قطعة رأينا كأنه جسم حي ووجدنا فيه خاصية النبات وخاصية الحيوان ولذا سميناه (نباتا حيوانيا) وانما أعطيناه هذا الاسم لأننا نجد له (١) معدة (٢) وفاقا وجهة من أنابيب تقوم مقام الأيدي لتتناول الطعام من ماء البحر الذي تعيش فيه وتدخله في الفم . هذا من جهة الحيوانية . أما من جهة النباتية فاننا إذا اخذنا قطعة من مرجان حي وغرسناها في شاطئ رملي فاننا نراه ينبت كما ينبت غصن قطعناه من النبات وغرسناه في الأرض

﴿ المرجان ومسكنه ﴾

كان الناس فيما مضى يظنون أن المرجان إنما هو مسكن حشرة تخرج من قاع البحر وتبني مساكنها حتى تصل الى سطح الماء وهذا رأى لا يوافق الحقيقة وانما الحقيقة أن المرجان أشبه بكتلة صغيرة من مادة هلامية ودم هذا الحيوان يشبه اللبن لأنه من المدة الجيرية التي استخلصها المرجان من ماء البحر لغذائه

﴿ الحياة الفردية والحياة الاجتماعية للمرجان ﴾

إن بعض المرجان يعيش منفردا وبعضه يعيش مجتمعاً ويعبّد بالآلاف وكل منها له جسم مستقل وهو يتصل بالباقي اتصال الغصن بالشجرة . وإذا مات المرجان بقيت هياكله تتلاصق وتتلاحق وتتراكم وتكون مهذا وأساسا لجبل جديد من المرجان يتخلق ويعيش فوق ذلك ناعم البال في عيش صاف وماء واف فيسبح ويتم كماله كالتي كانت من قبل . ولقد عرف الناس أن هذا الحيوان لن يعيش البتة في عمق يزيد عن ثلاثين مترا ولن يعيش أيضا متى تعرض لضوء الشمس والهواء الجوى . إذن هو محصور في هذه الثلاثين مترا

﴿ جزائر المرجان ﴾

ثم إن جزائر المرجان لا تبني إلا على الصخور أو حول أفواه البراكين التي على طول الزمان وتمتد القرون نفوس بالتدرج في ماء البحر فاذا وصل البناء الى سطح الماء يموت المرجان ثم يتخلق جبل جديد ويتكون بحيرة من الملح ثم إن ماتت من أجسام المرجان الميت بفعل العواصف البحرية أو بأعمال الأمواج فوق سطح البحر تصير رملا مرجانيا . ثم إن ما مات من عالم النبات والحيوان البحري وتفنن تنضم بقاياه الى ذلك الرمل المرجاني فيعطيه طبقة جديدة خصبة تصلح لنمو النبات . وهناك في البحر جزائر ينبت فيها شجر (النارجيل) وهو الجوز الهندي فيسقط فيه من أقرب الجزائر لهذه الجزيرة الجديدة المرجانية الاصول الصالحة للنبات فلا تزال تنقادفها الأمواج حتى تصل الى هذه الجزيرة الجديدة المرجانية . وهناك تمتد جذور تلك الاصول في الجزيرة القوية الخصبة التربة . وعلى تهادى الأيام تكون هناك دوحات وأحراش من شجر (النارجيل) وهذه تكون ملجأ للطيور تبني بها أعشاشها على أغصان تلك الأشجار وهذه الطيور تحمل بزور النبات وتلقيها في الجزيرة بلا قصد منها فتكسي أرضها بالتدرج جلايب سندسية من رائح النبات البهي الأغصان المزدحم الأفنان وجنى جناته دان وفيها روح وريحان وقد يعتري هذه الجزائر انضرة البهجة

الفناء بغيته - كأن لم تغن بالأمس - . ذلك أن كثيرا منها يبني على الصخور التي تسكون عند أفواه البراكين التي هدأت ثأرتها فتحدث زلزلة أو انفجار بركاني بعد زمن قليل أو كثير فتغوص تلك الجزائر في البحر تحت الماء والله مدبر الأمر ومقلب الليل والنهار (أنظر صورة المرجان شكل ١٥ غير المتقدمة)

فلتعجب أيها النكي من هذه الدنيا ونظامها ولتأمل فانك ستري أنه لا فرق بين عالم البر وعالم البحر . ألم تر إلى هذه الجزائر المرجانية الحديثة كيف انتقل إليها من أشجار (المانجيل) أصول مما نبت في أقرب جاراتها وكيف نمت تلك الأشجار وصارت مأوى الطيور والطيور أحضرت البذور وكسيت الأرض جلايب سندسية . اليس هذا مثل ما نرى في الأمم فابن رشد في الأندلس نقل علمه تلاميذه من اليهود والنصارى إلى أقرب البلاد إليها كفرنسا وألمانيا ثم انتشروا وترجع في بلاد الغرب على مدى الزمان وانتقل إلى بلادنا وبلاد اليابان والصين وأمريكا . فيعجبنا كل العجب . ماء في البحر يحمل أصول الشجر وهواء في الجو يطير فيه الطير حامل بذور الأشجار والزرع وعلماء ينقلون العلم ويترجمونه من اليونانية والسريانية أيام أبي جعفر النصور والمأمون وأمثالهما إلى العربية والعربية يقرؤها الأوروبي وقبل ذلك انتقل العلم من المصريين القدماء إلى اليونان . فعالم النبات والحيوان كعالم العلم والحكمة كل منها يتكاثر وينمو بالاقتراس من الأقرب فالأقرب . إن المرجان فعلم ما لم يفعله الإنسان . المرجان أبرز جزائر في البحر تعدد بالآلاف وفيها تربي الحيوانات المختلفة والإنسان قطما أحدث أرضا وغاية أمره أنه بنى ونظم . ولكن ميزة الإنسان أنه فعلم بفكرته والمرجان بنى بغير زته - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - . انتهى الكلام على اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وتستخرجون منه حلية تلبسونها - الخ



﴿ اللطيفة الخامسة - وبالنجم هم يهتدون ﴾
لقد قدمنا أمثال هذا في التفسير ونقول الآن كلاما اجماليا . إن الناس يهتدون في النهار بالطرق والجبال وبالعلامات . فأما بالليل فالأمر عجب فان النجوم مع سرعة جريها في مداراتها كما سبق في هذا التفسير ترى ساكنة وأن المسماة منها بالثوابت أسرع جريا في مداراتها من أرضنا ولكن هذا الجري لا أثر له عندنا بالأرض فهي لشدة بعدها العظيم تعتبر واقفة فهي كأوتاد منصوبة وعلامات نعرف بها طرفنا فنجم القطب وبنات نعش والفرقدان والسمك الراح والسمك الأعزل وغيرها علامات تعرف بها جهات الأرض . وأن علم الفلك وسير النجوم ومعرفة أوضاعها . كل ذلك يدرس اليوم ليهتدى به رباب السفينة في دياجي الظلمات

ولما علم الله أن الناس يحتاجون إلى آلة تقوم مقام النجوم في الظلمات خلق لهم البوصلة التي هي مغنسة

وهي تتجه دائما جهة النجمة القطبية فطرفها الشمالي يدل على الشمال وطرفها الجنوبي يدل على الجنوب وهما ميل يمنة ويسرة وهذا الميل له حساب خاص . فانظر كيف أمر الله هذه الابرّة فقامت مقام النجوم في سير السفن في البحار وفي معرفة القبلة ليلا ونهارا . وتري

(صورة غير المتقدمة للمرجان شكل ١٥)

البحارة معهم جداول للسكواكب السيارة ليعرفوا بها الجهات التي وصلوا اليها فاذن أهل الأرض لآية الحياة لهم ولا مساعدة إلا بالنجوم فلولاها لضلوا الطريق ولم يسعدوا في هذه الحياة فنيحن على الأرض لسنانى عزلة عن العوالم الأخرى . إن العالم جسم واحد

﴿ هذا العالم جسم واحد ﴾

ومعلوم أن معرفة الجسم للطبيب تكون ﴿ بثلاثة أشياء ﴾ النبض والحرارة والبول . هكذا هذا العالم جسم واحد . فركات السكواكب كالنبض في جسم الانسان وحرارتها كحرارته وألوان البول التي يعرفها الطبيب فيستدل على المرض أشبه بألوان الطيف الشمسي فان ألوان الطيف تدل على المعادن التي في السكواكب فان لكل معدن ضوءاً خاصاً عرفوه على الأرض كالحديد والذهب والفضة فاذا رأوه في طيف كوكب عرفوه فأصبح هذا العالم جسماً واحداً والحكماء والعلماء كالأطباء يستدلون على ماغاب بما يشاهدون وهذا معنى قوله في سورة الحجر المتقدمة - إن في ذلك لآيات للتوسمين - فهذا هو التوسم والنفرس من الحكماء والعلماء

﴿ اللطيفة السادسة - وترى الفلك مواخر فيه - ﴾

قد قدمت لك في اللطيفة الخامسة أن هذا العالم جسم واحد وأن الحرارة فيه أشبه بالحرارة في الانسان فاذا فقدت الحرارة من الانسان والحيوان ماتا واذا ارتفعت الحرارة استضر واذا قلت ضعف فالحرارة أشبه بميزان الحياة والطبيب هو القبان وهو يعطى الدواء بقدر الحرارة والبرودة عليهما نظام أجسامنا وجسم هذا العالم واختلاهما . هذه السفن تسير في البحار . بماذا . تسير بالرياح . ومن أين تأتي الرياح . قدمنا في سورة الحجر انها تجري بالحرارة . ونزيد هنا القول بيانا لأن هذا العلم جيل وجيل

﴿ الشمس والرياح ﴾

انظر كيف ألحت الشمس بالحرارة على خط الاستواء وماجوره . فاذا جرى . جرى أن الهواء ارتفع الى أعلى . ثم ماذا . خلا مكان الهواء المرتفع وتخلخل . ثم ماذا . تقاطر اليه الهواء من الشمال ومن الجنوب ليحل الهواء منهما محل الهواء المرتفع الى أعلى . ثم ماذا . ثم يسير الهواء الذي ارتفع جنوباً وشمالاً متباعداً عن خط الاستواء حتى يصل الى ٢٥ درجة في الجهتين أى في المنطقة المعتدلة الشمالية والمنطقة المعتدلة الجنوبية . ثم ماذا . ثم ينقسم هناك ﴿ قسمين ﴾ قسم يرجع الى خط الاستواء وقسم يتجه الى الدائرة القطبية الشمالية والدائرة القطبية الجنوبية . ثم ماذا . ثم ان الهواء في جهة القطبين يتجه الى الدائرة القطبية الشمالية والجنوبية . فههنا أنواع من الرياح

(١) الرياح التجارية وهي المتجهة الى خط الاستواء لتحل محل الرياح المرتفعة
(٢) الرياح التجارية الضدية وهي التي ذكرنا انها اتجهت من الشمال والجنوب الى الدائرتين القطبيتين
(٣) الرياح القطبية وهي التي ذكرنا انها تأتي من القطبين الى الدائرتين لتحل محل الريح التجارية الضدية التي ترتفع هناك وتحل هذه محلها وهكذا . وهناك ريحان أخريان ﴿ ذاك ﴾ أن الماء من طبعه أن يكون بطيئاً في تسخينه بطيئاً في تبريده والأرض بالعكس فهي سريعة البرودة سريعة الحرارة وبناء على هذه الطبائع المركوزة والجبال المخوفة عاش الناس على الأرض . ألم تركيف تسخن الأرض قبل البحر نهراً فيرتفع هواء اليابسة لحرارة الملاقية له على سطح الأرض فيحل محله الهواء المجاور له فوق سطح البحر لأنه أبرد منه والثقيل يهبط محل الخفيف المرتفع عن مكانه فاذا أظلم الليل وأرخى سدوله كان أول ما يبرد هي الأرض والبحر لا يزال هوائه حاراً متخلخلاً فيحل محله الهواء البارد . فاذن تكون الرياح جارية من البحر الى البر نهراً ومن البر الى البحر ليلاً - يقاب الله الليل والنهار -

وهناك رياح في المحيط الهندي تسمى (الرياح الموسمية) تجري ستة أشهر الى جهة وستة أشهر الى جهة

أخرى . وهناك ريح تسمى (الدائمة) تهب من الشرق الى الغرب بين المدارين طول الدهر . وهناك رياح مختلفة فتكون الرياح هكذا

(الرياح التجارية . الرياح التجارية الضدية . الرياح القطبية . الرياح البرية . الرياح البحرية
الرياح الموسمية . الرياح الدائمة . الرياح المختلفة) وهي التي نشاهدها كثيرا لاقانون لها ولا نظام بحسب
مانعها . فهذه ثمان رياح تهب من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال
ومن أماكن مختلفة . ومنها ما ينشأ من القطبين . ومنها ما ينشأ من المنطقتين المعتدلين . ومنها ما ينشأ من خط
الاستواء . ومنها ما ينشأ من البر . ومنها ما ينشأ من البحر

ألا تعجب معي كيف كانت الحرارة هي الأصل في هذا كله والشمس منبع الحرارة . ألا تعجب من
فعل القادر الحكيم . حرارة تنزل على الأرض والأرض مختلفة الطبائع وكذا المياه وكذا تختلف قريبا وبعدا
فبهذا اختلفت الرياح فسارت بها السفن بحرا في جميع الأنحاء . انظر كيف كانت الرياح التجارية تجري
من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال . ولقد كشفوا أن هناك ريحا فوق هذه الرياح بتيار
مخالف لهذا التيار

جرت السفن شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . بماذا جرت . جرت بالرياح . وما هي الرياح ، هي حركات في
الهواء . ومن أين حركات الهواء . من الحرارة . فالحرارة في الجو حرارة الجسم الانساني ولولا هذه
الحرارة لم يجر الهواء ومتى وقف الهواء فلا سحب ولا مطر ولا رعد ولا برق ولا سـفن تجري ولا أشجار تسقى
ولا تنلقح ولا جبال ولا مدن ولا عسا ولا أنبياء . يمثل هذا فليعرف القرآن ويمثل هذا فليفهم كلام الله
يقول الله في غير هذه السورة - ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللان
رواكد على ظهره - الى آخر الآية . بماذا يكون اسكان الريح . يكون بمنع الحرارة . وبمنع الحرارة
تمنع بانطفاء الشمس . يارب تاهت العقول وهارت الأفكار في هذا الوجود . يا عجبنا موقوفة على
حركات في الهواء لولاها لم يكن وجود الهواء كافيا لحياتنا إنما الحياة تتوقف على حركات الهواء لاعلى الهواء
وحده فالهواء لاقيمة له بلا حركة . هكذا الانسان لاقيمة له بلا علم ولا عمل . اللهم إن نظامك جميل وضعك
بديع وفعلك محكم أحكمت الصنعة وبهرت العقول . اللهم أرنا هذا الجمال وأطلعنا على أسرار هذا الكمال
ولقد أرينا بعض ظواهر حكمتك فعمقناها فكيف لو أرينا بقا الظواهر بل كيف يكون شأننا لو اطلعنا
على بعض الأسرار . اللهم لاقيمة لأهل الأرض إلا بالخلع من حكمتك البالغة وآياتك الباهرة وعالمك
العالية إنك حكيم عليم

﴿ زيادة ايضا قوله تعالى - وترى الفلك مواخر فيه - الخ ﴾

اعلم أن أكثر الناس يعيشون غافلين (كما ذكرته كثيرا في هذا التفسير) عما يرون من روائع المشاهد
في الطبيعة وهي مفعمة بالجمال ممثلة بالذلال عروس تتجلى في جمائها وتزدان بعلاها وحللها وتتبختر في
أغلالها مع أنوارها بهجة الناظرين وأنس العلماء العاملين وجنة المفكرين وسعادة الدنيا والدين وعين
اليقين وحياة الأرواح ونماء الأشباح وغذاء العقول وثمرة العقول والمنقول ونور مبين وهداية الصراط
المستقيم . فهناك مشاهد الفلك في البحار وكيف كان لها قانون مسنون وكيف كان الناس يعومون ولا
يعلمون غالبا . لماذا يغرقون اذا كانوا لم يتعلموا طرق العوم وكيف يطأ الانسان على الصخور في البحر
الكثيرة التضاريس وعلى الشوك وقطاع الزجاج فلا تؤذيهم مع انها على البر تدبل الدم من رجله وتؤذي أذى
كثيرا وتهشمه تهشبا

وكيف يرون ذوات الأربع كالبحر والغنم لا تعرف ولا تحتاج الى تعليم وكيف كان السمك قد أعطى الحرية

الثامنة في أن يرتفع متى شاء وينزل في قاع البحر متى شاء . وكيف كان الوزن والبط والوزن والعراق وغيرها تعوم أسهل من الانسان ومن ذوات الأربع . هذه مشاهد تبرز على الناس وهم لا يفكرون فانظر ملائكة الله قلبك جلالا تجد أن الأمر يرجع الى الحكمة والعدل وبهجة النظام والحسن والاتقان وأن هذه الدنيا عروس زينت للناظرين وآية غابت عن الجاهلين ولن يحظى بجماها إلا الذي بذل مهرها ومأمهرها إلا الدراسة مع الحب والشوق لا مجرد الشهادة الدراسية مع الغفلة عن أنها جال وكال (١) فأما كون الانسان يفرق اذا لم يتعلم العوم فذلك لأنه وان كان جسده أخف من مقدار ما يساويه من الماء كما ستراه في مسألة (أرشميدس) قد ثقل رأسه أكثر من أجزائه السفلى فلو وضع الرأس وحده في الماء لغاص فيه وهذا هو السبب في أن من لا يحسن السباحة يكون عرضة للغرق لأنه لا يستطيع رفع رأسه من الماء وما يزيد ارتباكا أن يرفع ذراعيه ويخطب في الماء خبطا فيكون ذلك أقرب لغرقه وهو من الغافلين فان رفع الرأس الثقيل من الماء أولى من رفع العضو الخفيف (٢) وأما كونه لا يناله الأذى وهو في الماء اذا مشى على التضاريس والشوك فذلك لأن جسمه يخف في البحر بمقدار وزن الماء المساوي حجمه فخمس جسمه فهو أبدا مرفوع عن تلك التضاريس ولو كان في البر لآذته أذى كثيرا

(٣) وأما ذوات الأربع فالرأس فيها أخف من أسافلها فلذلك لا تحتاج الى تعليم العوم (٤) وأما السمك فانه أعطي منفذا مملوء هواء إن شاء نفخه فعام أو ضغطه فغاص في الماء (٥) وأما الأوز والبط وماشا كلها فان الله أعطاها زغبا صغيرا ناعما كثيفا على أسافلها لا يخرقه الماء فيحل محل مقدار من الماء يساوي ثقله فلا يغطس من جسمه إلا القليل وهذه قامت عنده مقام ما يتنطق به الانسان من (الفلين) أو (القرع) اللذين يقويانه على العوم فانظر الحكم في هذا المقام عاش السمك في البحر غصص بهذا المنفاح . ولماذا . لأجل أن يكون حرا في تصرفه وجلب معاشه والهرب من أعدائه فلم يكن هناك بد من أن يخاف له منفاح يفعل به ما يشاء فهذا المنفاح في البحر يعطيه الحرية ليعيش بسعادة وهوبه في حصن حصين

فأما الأوز والبط وما أشبهها فانها لا تنزل البحر إلا للرياضة والنزه وانعاش القوى فلم تعط هذا الرق بل أعطيت ما يعين على العوم بسهولة تامة - وما كنا عن الخلق غافلين - فلان أعطى البط منفاح السمك لأنه يكون عبثا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - إنا كل شيء خلقناه بقدر - ومن الغفلة أن نحمل البط ما فوق طاقته فنخلق له المنفاح في البحر مع أنه لا يحتاج الى أن يغطس فيه أو أن نحرم السمك منه فلا يتمكن من معاشه بحدوده ورواحه فيه . وأما ذوات الأربع فاننا جعلنا رأسها خفيفة لئلا تغرق وليس لديها القوة على تعلم العوم فأعطيناها القدرة عليه ولكنها ليست في حاجة الى زغب البط لأنها ليست في حاجة الى طول المكث في الماء مثله ولا الى منفاح السمك من باب أولى . فأما الانسان فاننا جعلنا رأسه ثقيلاً لأنه محتاج الى التفكير والتفكير يعوزده المنح الثقيل . ولا جرم أن هذا التمكن يقوم ألف مرة مقام خفة رأسه فانه يتعلم العوم ويهتدي بنور عقله فأعطيناه أفضل مما منعناه فأخذ يخترع أخيل من قرع يربطه بجسمه أو (فلين) يعينه وهكذا فأما ثقل رأسه فهو رأس ماله وبه اخترع ودبر وضع السفن من عهد سيدنا نوح عليه السلام وهذا الانسان جعلناه من أعاجيب الزمان إن أخطأ كان خطؤه نورا له مبينا

فهناك عبدنا (أرخيدس) أيام (هيرو) الطاغية ملك (سرقوسة) إذ أعطى ذلك الملك صائغا مقدارا من الذهب ليصوغه تاجا فلما أتم اشتبه الملك في أمره وظن أنه مغشوش فقوض أمر ذلك التاج الى الفيلسوف (أرخيدس) المذكور وأمره أن لا يغير فيه شيئا وقال له أما وزنه فهو وزن الذهب الذي أعطيناه وأما الذهب

فأشك فيه فإر الفيلسوف في أمره ووجه فكره الى مطلوبه حتى اذا كان يوما يستحم أحسن بحفة جسمه فخطر له أن الماء هو الذي جعل الجسم خفيفا فبرول من منزله فرحا وهو يصفق بيديه في الأزقة ويقول (وجدتها وجدتها) ثم امتحن التاج فوجده مغشوشا فكان ذلك مفتاح القاعدة المشهورة . ان الجسم اذا كان أخف من الماء عام فيه أو أثقل غرق فيه . وانه يخف بقدر ثقل الماء الذي حلّ هو محله وشاعت هذه القاعدة وعلى مقتضاها امتحن الناس البيض بوضعه في الماء وأنشؤا السفن العظيمة وعرفوا وزنها ونظموها أمرها وعاشوا مجدين

هذه هي الجباب التي ظهرت من آية - وترى الفلك مواخر فيه - . مخترت الفلك في البحار على قاعدة (أرشميدس) تلك التي لم تعط لهذا الانسان إلا بعد تجربته لها وقد حرم عليه التمتع بجمال هذه الدنيا إلا اذا درسها وقد حكم الله على الناس وأمرهم أن يكونوا أمة واحدة . هذا (أرشميدس) كشف الله له العلم ومن علمه تعلمنا فهو معلم لنا مع تباعد الزمان والمكان . إذن نحن لسنا كالسمك في البحار ولا كالذباب في الأرض بل نحن قد حكم علينا أن نكون كإنسان واحد لأن علم الغربي يقرؤه الشرقي وبالعكس يظهر أن هذه الانسانية لا تكمل إلا اذا عرفوا جميعا أنهم كرجل واحد فأما ما داموا يجهلون اتحادهم فانهم معذبون غارقون غافلون . يعلم الأوّل الآخر والغربي الشرقي والشرقي الغربي ومع ذلك هم لا يعلمون أنهم متعاونون والتعاون يلزمه الاتحاد فليت شعري هل يكملون في عالم الأرواح ثم متى ومتى . ذلك موكل لعلم الله - إن الله بكل شئ عليم -

﴿ البلاغة في مشاهد الطبيعة وفي لسان العرب ﴾

هذه أيها الذكي البلاغة في كلمات الله . إن البر والبحر والانسان وذوات الأربع والسمك والبط كلمات ومارأت من العلم فيها بلاغة . هذا هو علم المعاني والبيان والبديع . هذا هو المجاز والكنائية والجناس والطباق والتورية وحسن السبك . ذلك هو الجبال

لقد أضع أكثر المتأخرين من المسلمين أيامهم بعد الصدر الأوّل في الشعر وضروب البلاغة ونشروا كتاب (الأغاني) في الشرق والغرب وهام بشعره وخبره وحسن بلاغة شعرائه علماء الأندلس وغيرهم . وسترى في سورة الشعراء ما يقوله النقادة من علماء الفرنجة ان شعراء الأمة العربية إن عدناهم يفوقون شعراء جميع الأمم شرقا وغربا في العدد ولكن هذا الهيام والغرام بفق واحد ألهى القوم عن العلوم والحكمة وأضع مجددهم وضعضع ملكهم وجعل القوم خياليين . فبينما الأسباب يفكرون كان العرب يتخيّلون وبينما الأوّلون يدبرون الملك كان الآخرون يجرون وراء الخيال حتى قرعت القارعة ووقعت الصاعقة وأزفت الآزفة وجاء اليوم المعهود وأخرج العرب من الأندلس صاغرين

أيها الذكي . إن بلاغة اللفظ ترجع الى لباس المعاني واللباس سياج اللابس وحافظه واللفظ طريق المعنى ومن وقف في الطريق وأعجبه ما رآه فيه من شجر وزهر وقصور وصور وتلهى عن المقصد الذي قصده والبلد الذي أمّه فهو حريّ بالخذلان جدير بالحرمان فيرجع صفر اليدين خاسر الصفتين . ذلك مثل الذي عكف على بلاغة الألفاظ وحلل الجمل وغفل عن المعاني في هذا الوجود فهو مغبون وسيأتي بعدنا أولو عزم وحزم مواعون بالحقائق عاكفون على درس نظام هذا الوجود فيقرؤون الأشعار صغارا و يقرؤون الحكمة والعلم كبارا وكما يدرسون أبا الطيب والمتنبي وأبا تمام والبحرّي وأبا العلاء المعريّ والناطقة وامرأ القيس وأضرابهم صغارا يهيمون بجمال الأزهر وبهجة النجم والشمس والقمر والبر والبحر وعجائب الوجود كبارا

إن هذا التفسير ستتناوله أيدي الأذكاء من أمم الاسلام وسيقرؤون أمثاله من كتب المعاصرين لنا وسيعلمون تماما ليس بالظن . ان بلاغة الكلام الانساني الذي تصوغه الأفواه ويحمله الهواء وتقبله الأذنان

أقل ألف مرة من بلاغة الكلام الذي هو مركب من كلمات الله التي هي هذا العالم فكل زهرة وورقة
وغصن حرف وكل شجرة كلمة ومنذناخ السمكة وما تنفس به كلها حروف والسمكة كلها كلمة وهكذا
الأوز المذكور وغيره كلها كلمات وفيها من البلاغة فوق ما يصفه الراسخون

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفتنى الزمان وفيه مالم يوصف

قال تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي - الكلمات
المنظورة الالهية المجسمة فيها من البلاغة ما لا نسبة بينه وبين الكلمات الملفوظة والحمد لله رب العالمين

﴿ العظيمة السابعة * الظلال ﴾

قد تقدم الكلام عليها في سورة الرعد مستوفى . انتهى الكلام على الحكمة التي تقدمت في هذه
السورة ولها نظائر في باقيها وفيما قبلها من الرعد وإبراهيم والحجر . وقد ذكرنا فيما تقدم أن آخر هذه السورة
جاء فيه ذكر الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن

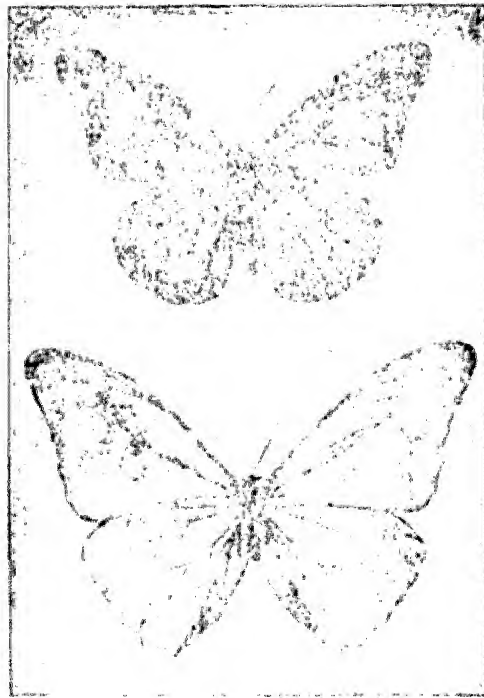
﴿ الموعظة الحسنة ﴾

قال علاماؤنا هي للعامة وهذه كالقصص وكالتشبهات وضرب الأمثال

﴿ المجادلة بالتي هي أحسن ﴾

وأما المجادلة بالتي هي أحسن فهي تكون للمتوسطين في العلم فتقنعهم وفي هذه السورة كثير من ذلك كما
سيأتي في قوله تعالى - وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء
ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب أليساء ما يحكمون - فهنا مجادلة بما يعرفون من أحوالهم وأخلاقهم
فيقولون إنا نستحي ونخجل إذا بشرنا بالأنثى . فهل الله يرضى بمثل هذا ولكن الحكماء والعلماء لا يقال
لهم هذا بل يقال - ليس كمثله شيء - ويؤتى بالبراهين التي تنزه الله عن الولد والوالد

﴿ بهجة الجمال في قوله تعالى - وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه - ﴾



(صورة الفراشة - شكل ١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا رسم الفراسة المسماة (أبا دقيق) تلك الفراسة التي تشارك سائر الفرائش في خواصه وتمتاز بأنها خلقت لاهلاك القطن الذي عليه حياة أمتنا المصرية والذي يزرع في الممالك المتحدة والسودان المصري وفي بلدان أخرى . هذه هي الحشرة التي جعلها الله لنا آية . آية تمثل الدنيا التي نسكنها فهي في الظاهر جمال وفي العمل هلاك ووبال وفي العقول حكمة وكمال ﴿ ثلاث مراتب ﴾ لهذه الحشرة ﴿ ثلاث درجات ﴾ لهذه الدنيا

(١) الدنيا خضرة حلوة والحشرة بهجة المنظر

(٢) الدنيا لاتدع جديدا إلا جعلته رثا ثم أهلكته والحشرة تسطو على القطن فتبيده فيخسر الفلاح

ماصرفه عليه

(٣) الدنيا مدرسة للحكماء والفضلاء الذين اصطفاهم الله بفطرتهم فعمدوا على تفهم أسرارها والوقوف على حقائقها لينفعوا سائر الشعوب بمواهبهم التي أعطيت لهم ويتركون للجمهور ضواهر العلوم وظواهر السياسة فالجمهور يقوم بحفظ الدول من الفساد وخواص الخواص ولياب الباب وهم المصطفون الأخيارهم الذين يعتمدون على حقائق هذا الوجود فيدرسونه ويتغذون به وينشرونه إلى جمهور الأمم ليؤدوا واجب مواهبهم كما أدّى غيرهم ماوجب عليهم بمقتضى فطرتهم . إن دراسة هذه الدنيا لايتسنى لأحد الوصول إليها إلا بدراسة خلاصة جميع العلوم وفي هذا التفسير ما يغني الريب بأسلوب سهل وما أصعب الأساليب العلمية التي جعلها الله سهلة في هذا الكتاب . أما دراسة حشرة أبي دقيق فهناك عجائبها

﴿ ذكرى أيام الشباب ﴾

اللهم إني أجدك على نعمة العلم وفضيلة الحكمة . لقد كنت وأنا مجاور بالجامع الأزهر أمر في الحقول وعلى شطوط الأنهار وأنظر عسى أن أجد حشرة ذات نظام هندسي (وما كنت إذ ذاك لأعرف في الهندسة شيئا) وأقول ياليت شعري . أليس في هذا الكون نظام وإذا كان له صانع أفليس الصانع حكما . إن الحكمة والاتقان هما الدليلان على صانع فان وجدا فهناك صانع والا فلا إله لهذه الدنيا . وطالما كنت أقول يامن خلقتني أراك علمت الطيور في وكناتها والوحوش في أوجارها كل ما تحتاج اليه في نظام حياتها وما تطلبه نفوسها وهما هي نفسى تود الوقوف على نظام هذا الكون لأعرف صانعه . وبقدر علمي بالنظام تكون سعادتى وعلى قدر وقوفى على الحقائق يكون كمالى . إني اذا أيقنت بالنظام أيقنت بالحكيم . وإذا كان صانع الدنيا حكما فهو حريّ بالحب والاحلال وإذا كانت حياة الانسان بيد حكيم فهو جدير بالسعادة . أما اذا كانت في يد المصادفة الرعناء فالحياة خير منها الموت لأنها لا نتيجة لها إلا الخطل والخلل . هذه آرائى

﴿ أما آرائى الآن ﴾

زمن الشباب

أما آرائى الآن فأقول إني أصبحت موقنا بالحكمة والجمال فانتقذت الدول بالمدافع والطائرات والأساطيل وليخترعوا ماشاؤا من أساليب الاهلاك والتدمير وليتدعوا من ضروب الخيل السياسية والأكاذيب الاستعمارية فهانحن أولاء ندعهم فيما خلقوا له في هذه الحياة على أرضنا الصغيرة القصير النظر أكثر سكانها ذات العمران الناقص والمدنية المنحطة والعقول التي لم تصل لعقول أعم أعظم شأنها منها في سكان كواكب أكبر شأنا وأعظم مقاما . أقول ندعهم فاتهم لهذا خلقتوا وهكذا خلق جوق أرضنا واستعدادها واستعداد سكانها ولنعمكف نحن على عالم الجبال ولندرس حشرة (أبى دقيق) لادراسة كلية بل ندرس ما فيها من الألوان المناسبة الآية التي نحن بصدد الكلام عليها اعترافا بنعمة الله الذى علمنى بعد اليأس أيام الشباب واعترافا من الحكمة السكامة فيما حولنا من عجائب هذه الدنيا أدرس هذه الآن لاقوم بحق النعمة قال تعالى . ووجدك ضالا فهدى . ثم قال . وأما بنعمة ربك فحدث . فهنا إذا كنت ضالا أيام الشباب لا أفهم لهذا الوجود معنى . وهأنذا الآن

أقول لقد اهدت على مقدار طاقتي . وهأنذا أتمتع بنعمة الحكمة من جميع وجوهها وأرى الجبال حيث يرى أكثر الناس ان لاجبال وأمضى قدما في عجائب الحكمة المخبوءة فيما لا يعقل له أكثر الناس معنى لأن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . مثل أن يدرسوا حياة هذه الحشرة وكيف تبيض وكيف يبدونها لتخلى لنا قطننا . نعم هذا واجب ولكن نحن الآن نبحث في خلاصة هذا الوجود وخلاصة هذه الدنيا . اللهم لا معنى لهذه الدنيا إلا الحكمة والنظام فهالك ما جاء في كشف أسرار ألوان هذه الحشرة ﴿ عجائب ألوان حشرة أبي دقيق ﴾

(تعليل العالم الأمريكي (فرن كلوج) العالم بعلم (البيولوجي) لألوان حشرة أبي دقيق)
لقد قرأت هذا التعليل في بعض الكتب . وهأنذا أبينه فأقول . إن أجنحة الفراشة الواحدة تبلغ مساحتها (١٥) بوصة وهذه المساحة قد رسمت عليها بيوت صغيرة متجاورة بشكل هندسي منظم . وتلك البيوت تبلغ في البوصة المربعة الواحدة (٩٩) ألف بيت لأنها (١٦٥) صفا وكل صف فيه (٦٠٠) بيت فتكون جميع البيوت المنظمة في أجنحة الفراشة الواحدة (١٥٠.٠٠٠) ألف ألف وخمسمائة ألف بيت تلك البيوت عبارة عن مخازن كل مخزن فيه كيس مختوم وهو إما مملوء هواء وإما مملوء مادة ماونة فالمادة الملوثة متى وقعت عليها الشمس ظهرت لنا بهيئة بديعة تسر الناظرين والهواء المحبوس في الكيس هو الذي يعكس ما تراه في الحشرة السفلى من هذا الرسم إذ ترى زرقة وبيضا وصفرة بانتظام ألا تعجب مع أيها الذكي . ألا ترى أن هذه العلوم التي تتجلى في حشرة أبي دقيق قد خباها الله فيها وجعل عملها مهلكا للقطن . نعم خباها الله لأهل الحكمة الذين يخلقون في هذه الدنيا ويكون عددهم قليلا لأن الكرام قليل وهؤلاء هم الأولى بقول المتنبي

تسترت من دهرى بظل جناحه * بحيث أرى دهرى وليس يرانى

إن الشعراء ليسوا أهلا لذلك المقام وإنما أهله هم عشاق الحكمة فتعال مع أيها الذكي العاشق لما وافرح بنعمة الجبال بدراسة نظام هذه الدنيا معي وتأمل كيف أظهر الله هذه الحشرة بفعالها المهلك وخبا ذلك الجبال الرابع . نعم خباها لأحبابه المصطفين الأخيار ابذروا الناس يتخبطون في السياسة ونظم الحياة مع مشاركتهم فيها ومعاونتهم ثم هم يغوصون أكثر من غيرهم على ما أمامهم من السحر الخلال والموسيقى والنظام الجليل ولما وصلت إلى هذا المقام جاء صديق لي حسن الخلق كبير العقل واطلع على ما كتبت فقال ما هذا الاغراق والاطراء في حشرة (أبي دقيق) فقلت هذا ليس خاصا بها بل هو عام في السموات والأرض . إن النظام في هذه البيوت الهندسية المنتظمة المملوءة هواء ومواد ماونة يذكرنا بنظام الكواكب في السماء . قال أما نظام هذه الأجنحة فهو مقبول لأن النظر إليه بالمنظار يحقق ما نقول أما نجوم السموات فلانظام لها لأن الناس نظروها بالمنظار فأروها أكبر وأكبر مما نرى ولكنها لانظام لأوضاعها كأوضاع هذه الحشرة وبيوتها

قف ليلا وانظر النجوم المقدرة بثلاثة آلاف بالعين المجردة هل ترى هناك صفوفًا منتظمة مهندسة كالتي ترى بالمنظار على جناح هذه الحشرة وإذا قال الله تعالى . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فاني رأيت عدم التفاوت في جناح الحشرة ولكن لم أره في نظام نجوم السموات . فقلت لعلك لم تطلع على ما تقدم في هذا التفسير وكتابي (نظام العالم والأمم) قال ماذا قلت فيسه . قلت إن النجوم أسرها عظيم وعلمها واسع وليس ادراك نظامها بالسهولة التي بها يدرك جناح الحشرة أدركنا نظام البيوت في جناح الحشرة لأنها أماننا أما نجوم السموات فانظر ما أقول لك . نحن نكتفي منها بالمجموعة الشمسية والمجموعة الشمسية مركزها الشمس ويدور حولها السيارات (عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشتري وزحل وأورانوس ونبتون) . هذه سيارات ثمانية وقد وجدوا أن أبعادها عن الشمس بنظام هندسي فكل كوكب يكون أبعد عما قبله ضعف بعده

فاذا كان كوكب منها بعد (١٢) فالذى بعده (٢٤) والذى بعده (٤٨) وهكذا . فهذا نظام يقال له (متوالية هندسية) فأما نظام بيوت جناح الحشرة فانه يقال له (متوالية عددية) . فاذا كان الناس يرون نجمة الصبح ونجمة المساء ويقول علماء الفلك ان تلك النجمة هي كوكب من تلك الكواكب التي تدور حول الشمس كما تدور أرضنا ويقول الناس اذا رأوها انه لامناسبة بين أبعادها بالنسبة للشمس ثم بعد البحث وجدوا مناسبة كما وجدوها هنا في جناح الحشرة فعناه أن هذا العالم نظامه واحد وأن صانعه صانعه بحكمة واحدة وهذا معنى قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

هذه هي الحشرة التي يراها الناس فيزددونها ويهلكونها قد خبا الله فيها حكمته وخصها بالحكمة في هذه الأرض الذين رباهم فيها لينقلوا لعالم أجمع بعد الموت بعد أن يهيجوا الناس بالحكمة الرائعة ويكونون مفرحين للعقول الانسانية كما ان رجال الموسيقى محتضون بهيبة الاسماع وأرباب الجمال الظاهري يسرون العيون وفرق بين ابتهاج العقول وابتهاج الاسماع والأبصار . إن فرق ما بين جمال صور الناس وأصواتهم وبين جمال العقول كالفرق بين بقية الناس وبين الحكماء

فهذا فليفرح المفكرون القارئون لهذا التفسير وهذا من أجل فضل الله الذي قال الله فيه - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون -

اللهم إن المسلمين قصرُوا في زماننا وانك قد جعلت هذا التفسير لايقظ همهم نائمة ونفوس خامدة وعزائم جامدة وسيكون له نبأ - ولكل نبأ مستقر -

اللهم إن المسلمين لن يصلوا لهذا اللب إلا بعد أن يخترقوا القشر وأنى لهم بالقشر واللب ولاقشر ولا لب إلا العلوم التي طارت من بلاد الاسلام وحطت في أوروبا وأمريكا وهناك عششت وباضت وفقسّت وازدهرت وأثمرت وأينعت . إن ظواهر العلوم هي مما يجمعون ونفس هؤلاء العلماء في أمريكا وأوروبا يقرؤون هذه العلوم لأجل ظواهر الحياة الدنيا . أما المسلم في مستقبل الدهر فانه سيقروها كما يقرؤها الاوروبي والأمريكي والياباني للحياة الدنيا ويختص هو بأنه يصل الى جمال العالم إذ يجد في نظام هذه الحجاب كلك الثرات التي على جناح الحشرة التي انتظمت واكتملت وأبهجت الناس بظواهرها وخست الحكماء بهجائها . هذه النظم في الأجنحة أشبهت نظام النجوم من حيث انتظام الأبعاد كما قدمناه

﴿ مافائدة هذا النظام ﴾

إن فائدة هذا النظام وتلك المواد الملونة وذلك الهواء الذي ملئت به تلك الحقائق البالغة ألف ألف ونصف ذلك العدد كل هذا الأمر واحد وهو حفظ الحشرة من أعدائها لأنها اذا رأت عدوا مهاجما ضمت أجنحتها ووقفت على زهرة فصارت تشبهها فتلبس بها فتحفظ من العدو . لماذا هذا الحفظ . لتعيش على ورق قطننا وتمتع في قصور ونور فيخسر الزارعون وهي الجانية الكاسية . فما أعجب هذا الصنع . هواء محبوس يعكس الضوء ومادة ملونة تظهر بنور الشمس . كل ذلك لحفظ هذه الحشرة الآكلة لقطننا . لجل المتقن وما أجل الاتقان وكما انك ترى البيوت على ﴿ نوعين ﴾ بيوت فيها مادة ملونة وأخرى هواء يقوم مقام الزجاج هكذا ترى الحشرات على ﴿ نوعين ﴾ نوع يعيش في بلاد (البرازيل) زاهي اللون بديعه قد أعطى مادة بشعة الطعم والرائحة تفرزها الحشرة على ما يهاجها من الطيور والزحافات فيردعنها . ونوع آخر لم يعط هذه المادة والأول يسمى (الملك) والثاني يسمى (نائب الملك) لأن الأول يخافه أعداؤه لتلك المادة التي يفرزها والثاني لما أشبه الأول في لونه وشكله وجماله ظنت الطيور والزحافات التي تقصده أنه عنده تلك المادة فحجمته وخافته وهذا هو العجب . كلف لانعجب وقد رأينا الحكمة هنا واضحة أي انه لا يخلق إلا ماله فائدة فاذا كان الملك أعطى سلاح الرائحة الكريهة والطعم الكريه فلم يعط ذلك نائب الملك اقتصادا وتعلما لنا كأن الله يقول لنا

افهموا من حشرة (أبي دقيق) أن أعمالي كلها على هذا المنوال فإذا رأيتم الملك قام بأخافة الأعداء واستغنى نائب الملك فذلك مثال لهذا العالم الذي لا تفهمونه وإنما تفهمون على مقدار عقولكم وإنما ملكي كله كما في هذه الآيات كآية - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وآية - وكل شيء عنده بمقدار - وآية - وما كنا عن الخلق غافلين - وآية - إنا كل شيء خلقناه بقدر -

وإذا كنت أبدعت في صفوف جناح الحشرة ولم أذر عملا من أعمالها يضيع وهذا في حشرة صغيرة فما بالكم بأعمالي معكم أنتم وفي سمواتي وأرضي • إن كل أهل السموات والأرض على هذا النظام أسستهم - إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدّهم عددا - وهم جميعا بنظام واحد كما نظمت ألوان حشرة (أبي دقيق) - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير -

﴿ فوائد الألوان في الطب ﴾

ومن أجل ما يناسب اختلاف الألوان فوائدها في الطب وصحة الأجسام فهل خطر ببالك يوما ما أن لون الزرقة كلون السماء والبحر الملم يقويك إذا كنت في دور النقاة أضعف الجسم • وهل خطر لك أن اللون البنفسجي يمنع عنك الأرق والسهر فتنام • وهل قال لك يوما طيب حاذق إن لون الصفرة منشط منه كما قال تعالى - بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين - وهو يفيد أصحاب (الماليخوليا) ويهدئ الأعصاب ويلطف ثورتها ما لم يكثر استعماله فيحصل العكس • وهل علمت أن لون الحرة بتكرار النظر إليه يحدث تخديرا كما تفعل المواد المخدرة • أما أنا وأنت وكثير من الناس فربما اتفق أن قويت أجسامنا أيام النقاة بلون الزرقة وطرد عنا الأرق باللون البنفسجي ونشطنا بلون الصفرة وتخدرت أعصابنا بالحرة • أقول ربما كان ذلك • ولكننا لانعلم من أين جاء ذلك • وهل علمت أن لون الحرة يزيد المجنون جنونا ويهيجه كما يحصل لثيران إسبانيا في صراعها • وهل علمت أن المجنون إذا كان في غرفة زرقاء هدأت أعصابه • وهل ظننت أن الرجل في حال يأسه وبؤسه يطرد عنه اليأس والبؤس إذا داوم النظر للون الحرة • وهل خطر لك يوما أن الزكام والشلل وبعض الأمراض المزمنة تخف آلامها بالنظر للون الصفرة وأن الحموم يستضر بذلك اللون والمجنون • وأن اللون البرتقالي منه • وهل جلست يوما في حديقة وأنت متهيج الأعصاب فهدأت أعصابك بنظرك للون الخضرة

إن ذلك يحصل لنا ولكننا لا علم لنا بهجائب هذه الدنيا وغرائبها • وإذا أردت البرهان على ذلك فاعلم أن الأطباء في بضع السنين الماضية قاموا بتجارب لاختيار تأثير المعالجة بالألوان وفي سنة ١٩١٦ أنشئت (الكلية السولية) في لندن للمعالجة بالألوان فأثبتت النتائج التي انتهى إليها أطباؤها وقائدة تلك المعالجة ولا سيما في الأمراض العصبية وثبت للأطباء أن للألوان فائدة في منع الأمراض وفي الشفاء منها • وأول من أشار بمعالجة الألوان الدكتور (أدوين وايت) من أطباء (نيوجرسي) بأمريكا وقد ألف كتابا في ذلك طبع في أواخر القرن التاسع عشر وفيه أن اللون كالأوسقي يؤثر في المجموع العصبي تأثيرا عظيما وأن هذا التأثير يظهر جليا في معالجة الصدمات العصبية والنورستانيا والسوداء • ويظهر أن اللون يحدث تأثيرا في العقل ثم ينشأ عنه رد فعل في المجموع العصبي على سبيل أشبه بالاستهواء أو الإيهام • والثابت الآن أن اللون الأزرق يفيد في تقوية الضعاف في طور النقاة وأن اللون البنفسجي خاصته الشفاء وهو مفيد جدا في معالجة الأرق • ثم إن اللون (ثلاث مزاي) وهي (١) إنه منبه مقو للعصب (٢) إنه ملطف أو مخفف للألم (٣) إنه مقو في حالة الضعف

فكونه ملطفا أو مخففا يظهر من كونه يؤدي إلى التأمل واعمال الفكرة وعدم الاكتراث والاستسلام وما أشبه • وكونه مقويا يظهر من التغيير الذي يحدثه في الجسم إذ يجعل المرء موزونا سمحا كريما قانعا بحاله أما الألوان المنبهة فانها توجد في النفس الرجاء والأمل والطرب والطموع والنشاط والرغبة في العمل •

وقضلا عن ذلك فإن الطائفة الأخيرة تطلق الفكر من قيوده وتستثير العواطف وتوجد في النفس نشوة وشعورا بتجديد القوى العاملة . وقد ثبت الآن أن اللون الأصفر هو من الألوان المنبهة وأن اللون الأحمر هو من الألوان المخدرة . ولذلك يجب استعمال الأخير منهما بزيادة الحذر لأنه قد يفعل فعل المورفين والكافور فورم إن الإفراط في استعمال اللون الأحمر قد يفسد التوازن العقلي إذا كان عقل العليل يستلزم عناية خاصة . وقد ذكر الدكتور (رابت) أن المجانين والمصابين بأمراض عقلية إذا وضعوا في غرف يسود فيها اللون الأحمر ساءت حالهم بسرعة وبالعكس إذا وضعوا في غرفة يسود فيها اللون الأزرق فانهم يصبحون هادئين واستعمل الدكتور (بونزا) مدير مستشفى المجاذيب بمدينة (اليسانديا بيديمونتي) غرفة حراء لبعض المصابين بحالات يأس فكانت النتيجة مدعاة الى الارتياح

واستعمل اللون الأصفر في معالجة الزكام والشلل وبعض الأمراض المزمنة نغفت الآلام كثيرا . وثبت أن اللون الأصفر مضر بالحليات حتى لقد يؤدى الى الالتهاب والبحران . أما المصابون (بالماليخوليا) فقد أفادهم هذا اللون فائدة عظيمة . ووجد الدكتور (بونزا) أيضا أن اللون الأصفر مهدئ الأعصاب ويطفئ نورتها ولكن استعماله بكثرة يؤدى الى (الماليخوليا)

أما اللون البرتقالى فإنه من الألوان المنبهة . واللونان الثانى والبنفسجى الفاتح هما من الألوان المملطة للأعصاب واللون الأخضر مهدئ للاضطرابات العصبية يفعل فعل المخدر

وذكر الدكتور (بونزا) تجارب أجراها بغرف ملونة فقال انه وضع رجلا مصابا (بالماليخوليا) والعبوسة وقلة الكلام في غرفة حراء فبعد ثلاث ساعات أصبح الرجل طروباً ضحوكا . ووضع عليلاً آخر مثله في تلك الغرفة وكان يرفض الأكل وقد نحل جسمه وأصبح أشبه بهيكل عظام فبعد أربع وعشرين ساعة نشأت في الرجل شهوة الطعام فصار يأكل حتى عادت اليه قواه وأصبحت حالته طبيعية

ويؤخذ من تقارير مستشفى (لندن) أن المعالجة بالألوان قد جاءت بفائدة عظيمة في معالجة أمراض الصدات العصبية (والنورسمانيا) . وأن الألوان الأصفر والقرنفلى والوردى والأزرق السماوى والأخضر والبنفسجى القاتم والبنفسجى الفاتح هي أهم الألوان التى تعالج بها تلك الأمراض

وذكر الدكتور (رابت) أن اللون الأزرق هو أهم الألوان في معالجة اضطراب الأعصاب والاضطراب العقلى وقال إن الألوان عامة تؤثر في الرجال أكثر من تأثيرها في النساء وأن الحيوانات تتأثر كثيرا باللون القرمزى والأصفر الفاتح والأخضر الطبيعى وأن الطيور تتأثر باللون الأخضر والحيات تتأثر باللون الأصفر حتى إن هذا اللون قد يستهويها ويسقطها في شبه سبات مغناطيسى . وأن اللونين الأزرق الباهت والأخضر الباهت يلطنان أعصاب الطفل المتهيج وأن تسعة وتسعين في المائة من الناس يحتاجون الى اللون الوردى انتهى

﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - الخ ﴾

لا يخفى على من درس هذا التفسير وأمثاله من الكتب أن نعم الله لا تحصى في ذرة واحدة كما جاء في آخر تفسير سورة يوسف فضلا عن السموات والأرض . وإنى أريد أن أريك أيها الذكى الآن عجبا في هذا الانسان . يظهر لى أن هذا الانسان من عالم متأخر جدا التأخر . هو يعيش مع السواب والحشرات فهو غافل ظاوم جهول يقول الله فيه - قتل الانسان ما أكفره - وأنى كفراً أعظم من كفر الانسان

سرأيها الذكى في أقطار الارض وسل أكثر هذا النوع الانسانى عن نعمة الهواء وحدها فلا أحد يقول أنه نعمة إلا الحكماء . أما أكثر النوع الانسانى فلا يرون نعمة إلا ما اختص بهم وحدهم واستلذوا به وسد حاجتهم . تجرى الرياح بالسحب وتلقح الأشجار بالهواء وبه نشم الروائح فنفرق بين خبيثها وطيبها ونرى فيه بخار الماء يتخلله ونحن في بحر لجى منهما . نحن نروح ونغسلو ولا نعلم اننا غرق في بحر من احدهما

هواء والآخر ماء بحارى قدامتجا . وهذان البحران المتدخلان ننفس منهما فيصل الهواء الى رئاتنا فيكون ذلك سببا لحياتنا وحياة حيواننا وحياة نباتنا ولوانقطع الهواء لحظة لمات كل نبات وكل حيوان ولكن الانسان كفور والله يقول لنا - إن الله لغفور رحيم - فهو الذى رحنا وغفر لنا جهلنا بالنعمة التى عليها مدار حياتنا فلان شكره عليها ولكن شكرنا خاص بامور نافهة حقيرة صغيرة . هذا هو بعض السر فى قوله - إن الله لغفور رحيم - والله يعلم ماتسرون وماتعلنون

البخار والهواء اللذان غرقنا فيهما شفافان وهذه نعمة عظمى ولولم يكونا شفافين كالدخان لخبيا عنا نور الشمس . إن نور الشمس والكواكب يملآن الأقطار ويحيطان بنا وبأرضنا كأن الفضاء لا مخلوق فيه فلا هواء ولا بخار يحجبه وهذه من عجائب اللطف والحكمة . وهذا النور يهدى الينا صور المخلوقات التى نراها وأشكالها وأحجامها وألوانها . فأما الهواء وأما البخار فانهما لا حساب لهما عند النور ولوانهما ظهرا لنا لخبيا الجبال والأنهار والسماء والنبات وكل شئ وكانت الحياة وبالا

هذا الهواء المحيط بالأرض لولاه لكانت الشمس تشرق وتغرب بغتة فيقتل الحيوان من الظلمة الحالكة الى الضوء الباهر مرة واحدة والعكس بالعكس فلاصبح ولاشفق ولاجمال فى هذين الوقتين وهذه المفاجأة ضارة بالحيوان . لولا الهواء لم تكن زرقعة فى الجوّ بل كنا نراه طامة حالكة طول النهار . والدليل على ذلك أننا اذا ارتفعنا فوق الجبال الشاخخة رأينا سوادا حالكا . ذلك لخفة الهواء . إن الهواء فى جوّنا جرم كثيف وان كنا نسميه لطيفا . ألم ترى ما يقوله علماء الفلك انهم يقولون إن المادّة المحيطة بالكواكب ذوات الذنب لطيفة لطفلا لاحت له فهى ألطف من هوائنا ألف مليون مرة . ومعلوم أن هوائنا ألطف من الماء ثمانمائة مرة والبخار ألطف من الماء (١٧٣٨) مرة

فالعجب لعالم نعيش فيه وهو مفعم بالحكمة ودقة الصنع . فاذا قلنا ان جوّ الكواكب ذوات الذنب بهذا المقدار المتقدم فعناء أن اللطف فى المادّة لاحت له ولانهاية ومن ذلك تفهم قوله تعالى - إن الله لغفور رحيم - بعد الكلام على النعم وتعدادها وعدم إحصائها إياها وبيانه أن هذه العقول التى خلقها الله لنا فى الأرض لاتكون إلا مناسبة لعالمنا وعالمنا قد علمت أنه غليظ . واذا كان الهواء عندنا أصبح غليظا ألف مليون مرة بالنسبة لهواء آخر أفليس هذا معناه بطريق قياس التمثيل أن هناك عوالم ألطف وألطف مئات آلاف الملايين . وعلى مقدار ذلك تكون هناك عقول ألطف وألطف على هذه النسبة واذن تدرك تلك العقول دقائق النعم فى حين أن عقولنا تجهل كل شئ من النعم إلا النادر الذى لا يؤبد له وبهذا يفتح لنا باب فهم قوله تعالى - والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا - واننا سننتقل فى عوالم بعد عوالم ألطف وألطف فيزداد علما وعلما وهو قوله تعالى - وفوق كل ذى علم عليم -

هذا ولست أريد أن أذكرك بنعمة الطيارات المتقدم ذكرها فى هذا المقام وفيما تقدمه وأن الطيارات ﴿ قسبان ﴾ قسم أخف من الهواء وقسم أثقل من الهواء وقد توسعت فى شرحه فى سورة المائدة عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبعث فى الأرض - فهو موضوع متمم لمسألة الطيارات هنا فارجع اليه إن شئت . فاعجب ثم اعجب لجمال ونور نعيش فيهما وأكثرنا عن العلم معرضون وسيكون فى المسلمين إن شاء الله بعد انتشار هذا الكتاب حكاء يرقون الأهم الاسلامية والله هو الولي الحميد اه

﴿ تذكرتان ﴾

﴿ التذكرة الأولى فى قوله تعالى - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين - وبيان مافتح الله به على فى مرضى ﴾ ههنا أحدثك أيها الذكى حديثا وقع لى أثناء شهر ديسمبر سنة (١٩٣٧) فالى قد اعترانى مرض عليل طبع هذا التفسير نحو خمسة عشر يوما . ذلك المرض أصابنى فجأة وماهو إلا انصباب الدم من الأنف بكثرة

هائلة فهو رعايا مكبر • فإذا جرى • خارت قواي وتعاطيت دواء كما أمر الطبيب • هناك تجلت لي هذه الدنيا • هناك تذكرت أن الموت • قاب قوسين أو أدنى • • فقلت علام أحزن على هذه الأرض فسكان الجواب في سرى على ﴿أمرين﴾ تمام طبع هذا التفسير وبعض أمور في أسرتي أرجو أن تتم على يدي فإذا تم الأمران فما أحسن الموت • أما الآن فاني إذا مت كانت الحسرة على عدم تمام طبع التفسير وعلى بعض الأمور الخاصة • فالأول من الغرام يرقى الأمة الإسلامية • والثاني من الشفقة على بعض الذرية الضعاف • هذا ما خطر لي إذ تذكرت الموت وأنه منى • قاب قوسين أو أدنى • • هنالك قلت لأرجع لكتاب الله تعالى فقرأت

(١) - ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير -

(٢) - قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون -

(٣) - ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون -

(٤) - قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم -

(٥) - كل نفس ذائقة الموت -

(٦) - لتبْلُونَ في أموالكم وأنفسكم - الخ

(٧) - وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا - الخ

هنالك قلت إن لهذا العالم صانعا وهذا التفسير قد جمع فيه بين العلوم والدين وكل الدلائل قائمة على علمه بكل صغير وكبير فلم الحزن • ثم أخذت أفكر فيما أحزنني إذا مت فتذكرت التفسير وقلت يا عجباً أنا أكتب هذا التفسير بدافع نفسي وشوق قاي • أليس هذا الشوق من الله فقلت في سرى بلى فأنه هو الذي أودع في قلبي حب هذا التفسير كما أودع في قلب المرأة حب ولدها فترضعه والله عز وجل هو المتصرف فهو الذي يتوفى تلك المرأة تارة قبل تمام الارضاع وتارة يتوفى ولدها قبل تمام الارضاع فيكون الألم للولد في الأولى وللأم في الثانية • هذا فعله وهو أعلم بالمسلمين وأعلم بمرضهم وضعفهم وأعلم بمن يفقدهم على يديه فربما كان هذا التفسير يقف عند هذا المقام ويرى الله في علمه أن هناك أمورا أرق وأرق • إذن أنا لست على حق في حزني على تمام التفسير في الطبع إذا مت لأن الله هو رب المسلمين ومتولى أمورهم • ومن أنا حتى أحزن • هنالك ذهب هذا الحزن • ثم قلت في نفسي لماذا أنا في كدر على بعض ذريتي فتذكرت أن المصائب علم الله وقوعها قبل خلقها وأنه هو الذي يتولى الذرية كما يتولى الآباء • وإذا قال الفلاسفة انه لا سعادة بمال ولا جمال ولا صيت وإنما هي بالعلم وحسن الخلق • وما عدا ذلك فهو صالح للسعادة والشقاوة والأخلاق في النفس يهبها الله فما عملت أنا • فسكنت هنالك ثورة الحزن واطمأنت النفس للموت وتذكرت قوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم - وقلت في نفسي لعل هذه الخطرات التي خطرت في قلبي مما يناسب ما تنزل به الملائكة على قلوب المرضى عند دنو أجلهم • لأن آراء الخير من الملائكة وآراء الشر من الشياطين • هنالك اطمأنت النفس تمام الاطمئنان

﴿ منظر الأشجار والمزارع والشمس والأرض والإنسان ﴾

فلما كانت الليلة الثانية وقد ازداد الضعف وأحست النفس به احساسا أشد خيل لي أنني واقف على جسر

نهر يسمى (أبا الأخضر) بالقرب من قريتنا وفي سفح ذلك الجسر شجر شائك مما كنت أعلمه هناك في نفس هذا المكان وهو شجر (القرطم) النافع في علم الطب وكأني أشاهد ورقة من أوراقه خضراء فيها بقع بيض قليلة كما هو المعتاد فاستوقف نظري ذلك المنظر وصرت في غاية العجب من نفسي . كل ذلك في عالم الخيال وصرت أقول . لم أرني معجبا بورقة من شجرة منبوذة شائكة وهذا الشجر مسلح كله بالشوك المحدد كالحرايب يغشى الشجرة من أعلاها إلى أدناها ودام ذلك العجب مدة ثم خيل لي كأن شبحا أمامي يخاطبني قائلا . إني علمت ما في نفسك وانك متعجب من نظرك لهذه الورقة وتعجبك منها ومن عادة الناس أن يبهروهم صور الأزهار الجميلة لأشجر شائك كهذه . فقلت حقا قد أصبت ما في نفسي . فقال إن هذا التعجب أمر علمي وسأبينه لك . انظر إلى ضوء الشمس المشرق على الورقة لقد أتى لها من الشمس وسار مسافة تبلغ بسير المدفع ١٢ سنة وبسير القطار نحو ٣٦٠ سنة . قلت نعم . قال هذا النور يخاطب هذه الورقة قائلا لقد أرسلتني الشمس اليك وقد أثارت الحرارة التي تصاحبني وتلازمني بخار الماء من البحار والفيض والرطوبات فصار سحبا مطرا ولا يحمله إلا الهواء الذي أثرته بقوتي فأنا ما وصلت اليك إلا بعد ما أرويت أرضك فسقيتك من الماء الذي أثرته بخارا تحمله الرياح الجاريات . ثم قال لي ذلك الشيخ أنظر أيضا إلى نوع هذه الشجرة وتأمل فانها بشوكها قد حفظت بعض الحيوان كالجمال فالجمال عادة تأكله وكأن الشوك القائم على جوانب تلك الفروع الشائكة يقول للانسان والحيوان ماعدا نحو الجمل إياك أن تقربني والا مزقت جلديك وأذيتك أذى شديدا وما أيلاي لك بشوكي لعداوة بيني وبينك وإنما ذلك لنظام سنه مبدع هذا الوجود فحفظني لنوع من الحيوان نافع لك فاذاؤلك بشوكي منفعة لك في الحقيقة لأنني اختصت بحيوان هوسفينة الصحرَاء وهو الجمل وهو لك نافع . فقلت له هذا حسن وجيل . فقال اسمع ما هو أجل . فقلت وما هو قال

﴿ الحشائش المؤذية في الأرض كالأخلاق التي لم تهذب ﴾

اعلم أن تعجبك من هذه الورقة وغرامك بها في حال مرضك هذا مبني على أمر عام فليس المقام خاصا بالشجرات الشائكة بل إن في الأرض من النبات ما يخرج بالفطرة بلا حث ولا بذور ولا زرع بل بدون عمل ما من الانسان وهذه النباتات مؤذيات للانسان فاننا نرى الفول والقمح والشعير والذرة تحتاج إلى حث الأرض وسقيها والقيام عليها والجري على نظام مسنون . فأما الحشائش فانها تخرج بلا تسميد ولا ري ولا حث ونراها تتلف قبحكم وذرتكم وشعيركم وقطنكم وبذورها المبعثرة في الأرض تبقى فيها إلى العام القابل فتنبت في مواعيدها وهذه كلها حرب عوان على كل ما يستنبته الانسان وهذه كلها كشجرة (القرطم) التي نظرت ورقة منها فكأنها تخرج بلا تامل عامل . هذا هو الذي تعجبك منه وإنما كان ذلك منك لما يأتي

إن هذه الحشائش في الأرض لها فوائد جزئية لا كلية ففيها ما يفيد في طب الانسان ومنها ما ينفع لبعض الدواب فتأكله فلم يخلق الله ذلك تعذيبا للانسان بل إن الله قال لكم إن تركتم أرضكم فأنا أتولاها لتعيش حيوانا على ما أنبتته فيها وهكذا الحشرات التي ملأت بها أرضكم . كل هذا وأنا أتولاها فأنت لها ذلك السكاء والحشائش . وأنا الذي أعطيت تلك النباتات قوة بها تصادم الجو وتقابل العواصف والحر والبرد وأنا الذي أعطيت بزورها قوة الانبات في حينها بلا تقديم ولا تأخير . فأما قطنكم وقمحكم وشعيركم وذرتكم فاني لا أنبتهم عنكم إلا بشروط فتحرثون الأرض وتسمدون بها وتقلعون منها حشائشها وتحفظون بذورها في مخازنكم ولا تتركونها في الأرض والا فسدت وهكذا وليس ذلك مني تعذيبا لكم . كلا وإنما أنا خلقتكم على صورتي فأحببت أن تقلدوني في عملي وتنظموا كتظامي . هذا هو الذي أردته ومن تخلق بأخلاق جاورني في العوالم العالية فأنا أنصبتكم وأتعبتكم على مقدار ما وهبتكم لارتقوا لا لتعذبوا

﴿ أخلاق الناس ﴾

فأما أخلاقكم الأولى التي فطرتها على الحرص والشهوة وحب الاختصاص بالمنفعة فهذه أخلاق نافعات
 منافع جزئية كمنافع تلك الحشائش • فكما أن الحشائش تنفع منافع جزئية هكذا الأخلاق الأولية في الإنسان
 تنفع حياته والمحافظة عليها ولكن تهذيب الأخلاق يجعل المرء نافعاً للمجموع • إن زرع الذرة والقمح
 يستفيد منه الإنسان والحيوان لا الحيوان وحده وتهذيب أخلاق الأفراد نافع لهم وللهيئة الاجتماعية فأنا قد
 كلقتكم أيها الناس بتنظيف حقولكم بقلع حشائشها وتهذيب نفوسكم بترك رذائلها والاتصاف بفضائلها
 إن هذا هو الذي كان كامناً في نفسك حين نظرت ورقة شجرة القرطم انتهى

﴿ جبال العلم وانسراح صدرى في مرضى رمظر الشمس والأرض وأسنان نوع الإنسان في عالم الخيال ﴾
 ثم تجلّى لي منظر بهيج جميل بديع • تجلّت لي الشمس بهيئتها والأرض أمامها ففكرت في أمر الشمس
 وأنا أشاهدها وقلت إنها أكبر من الأرض ألف ألف مرة ونحو ثلث هذا العدد فلو فرضنا أن أرضنا حصة
 وكانت الشمس هذه الحصة مكررة بالتقدير المتقدّم لأصبحت الشمس أمامنا أشبه بهضبة أو أكمة عظيمة والأرض
 بجانبها حصة مرمأة ثم خيل لي جسم إنسان فوق الأرض والشمس أمامي أشاهدها وقد قل لي قائل انظر
 ماذا ترى • فقلت ماذا • قال انظر أسنان هذا الإنسان • فلمذا لم تكن في رأسه أو في رقبته أو صدره
 أو في بطنه أو على مخذه أو ركبته أو على قدمه • أأست ترى أن وضع هذه الأسنان في موضع مضغ الطعام يعلم
 فهل هذا الوضع بلا عقل أم هو يدل على أن واضعه تجنب كل موضع في الجسم من المواضع التي تزيد على
 مائة وخصصها بالمضغ الطعام • فهل هذه الأعمال بلا عقل ولا علم • قلت بل هي بعلم وحكمة • قال
 أمامك الآن الشمس وأسنان الإنسان وما الإنسان إلا ذرة على الأرض وما الأرض إلا ذرة بالنسبة للشمس
 فهذه أضران

﴿ العظمة والحكمة ﴾

فأما العظمة ففي هذه الشمس العظيمة فإن من يخلق هذه لابد أن يكون عظيماً ولكن ليس يلزم من
 خالق الأمور العظيمة أحكامها فلذلك أتى لك بأسنان الإنسان ووضعها وتبين لك الحكمة في وضعها ونظامها
 فعرفت أنت حقاً عظمة الصانع وحكمته فهو كما خالق العظيم لم ينس أصغر الأشياء وهي أسنان الإنسان فرتبها
 ونظمها وأحكمها • فتبارك الله أحسن الخالقين • وهذا هو معنى ما مثل لك الليلة

﴿ مغزى هذا المثال ﴾

ثم قال أندري ما مغزى هذا المثال • فقلت أريد أن أعرفه منك • فقال أنت كنت في الليلة الفائتة
 تقرأ الآيات تثبت قلبك للموت • فقلت نعم • فقال فقرأت • قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا • الخ
 وأردت بذلك أنك إذا مت وتركت هذا التفسير فالله هو الذي أراد عدم اتعانه وأن ذريتك الضعيفة الباقيين
 بعدك أراد الله لهم ذلك • ففي هذه الليلة جيء لك بهذه المناظر ليقال لك هل تشك في أن أسنان الإنسان
 موضوعة وضعاً متقناً وأنت طبعاً لا تشك • ويقال لك أليس الإنسان على الأرض كذرة والأرض بالنسبة
 للشمس كذرة • وإذا كان العظيم الذي خلق الشمس العظيمة لم يذر أسنان الإنسان (الذي هو ليس شيئاً
 مذكورياً بالنسبة لجرم الأرض التي هي ضئيلة بالنسبة للشمس) بل سواها وأحكمها فهو إذن ينظر لصغيرات
 الأمور كما ينظر لكبيراتها وما يحصل لكتابك بعد موتك ولا هناك • كل هذا لا يهمله الله كما لم يهمل نظام شيء
 صغير جداً هو أسنان الإنسان وكل ما يعمله في أهلك وفي آثار كتبك موزون عنده معلوم وهو المنظم لكل
 شيء وهذا باب من أبواب عين اليقين انتهى

ثم إني بعد ذلك شفيت من المرض فعلمت أن هذه الخواطر إنما ألهمتها لأكتبها فتكون ذخيرة لي إذا

دنا أجلى وذخيرة لأخ مثلى وتذكيرة لقوم يبقون والحمد لله رب العالمين

﴿ ذكرى مرضى أيام الشباب ﴾

اللهم إني أحمدك على نعمة العلم والحكمة وانك قد أملتني جيل ما أريد . لقد كنت أيام الشباب إذ تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) موظفا بمهنة التدريس بمدرسة دمنهور الأميرية ولم ألبث إلا ثلاثة أشهر حتى انتابني (حى التيفوس) تلك الحى المنذرة بالموت فلما رأي طبيب المدرسة أيقن بموتى فأشار أن أسافر إلى بلدى لأموت عند أقاربى فكان ذلك وشفانى الله فى أسبوعين بجاء أحد أقاربى ومشى بي وسط المزارع بغلسنا بجانب حقل مزروع ذرة وقد برزت ثمراته وأنا فى دور النقاهة ضعيف لا أقوى على المشى إلا قليلا فتفكرت فى أمر الموت وقلت فى نفسى إذا مت الآن فعنأه أنى تربيت وتعلمت على قدر طاقتى ولم تستفد منى هذه الحقول ومزارعها شيئا فأين شكر النعمة . إذن كان أسفى راجعا إلى اننى أموت ولم يستفد منى أهل الأرض شيئا فى معاشهم التى ربونى بها . أما الآن فاني أجد الله جدا كثيرا إن مما يثلج صدرى اننى قد أقدرنى الله على ما طلبت . ومن ذلك ما ذكرته آنفا من مسألة الكهرباء ونفعها فى الحقول وتربية دودة الحرير والدجاج وما أشبه ذلك وفى هذا التفسير كثير مما يحض على رقى الأمم الاسلامية وغيرها والحمد لله رب العالمين اهـ

﴿ الكلام على كتاب التفاحة المنسوب لأرسطو ﴾

(وآيات الجنة مثل ما هنا إذ يقول تعالى - يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة - الخ ومثل قوله تعالى فى سورة البقرة - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل -)
لقد تقدم تفسير هذه المماثلة أى مماثلة الثواب فى الآخرة لمقدماته من الأعمال فى الدنيا ولكن الذى يحق لى بل يجب على تبينه اليوم أن مشابهة عالم الآخرة لعالم الدنيا كان من موضوع المحاور بين (أرسطو) فى (كتاب التفاحة) عند موته وبين تلاميذه قبل الهجرة بنحو تسعة قرون . ولا جرم أن هذا الأمر لم يعرفه أحد إذ ذاك من الأمم بل كان محبوا فى خزائن الكتب فظهوره فى القرآن من معجزات النبوة العالمة إذ كيف تكون المشابهة التى فى سورة البقرة مبرهنا عليها فى الحكمة والناس لا يعلمون . وكتاب التفاحة هذا قد نشر فى مجلة انجليزية سنة ١٨٩٢ نشره الدكتور (مرغليوت) ترجمة فارسية وهو موجود أيضا باللغة العبرية منقولة عن العربية ويشك القوم فى نسبتها إلى (أرسطاطاليس) وهذا لا يمنع انها مملوءة بحكمة وهو محاور بين (أرسطاطاليس) وتلاميذه عند موته كالمحاور بين (سقراط) وتلاميذه المسماة (بالفيدون) وقد كان (أرسطاطاليس) فى مرض موته قد اشتد ضعفه فأخذ يشم التفاحة ليقوى بها . وهذه المحاور ترجع إلى أمر بقاء النفس بعد الموت . والمهم لنا فى هذا المقام أن نذكر ما يناسب آية الجنة فى سورة البقرة لمناسبة ذكرها هنا ولقوله هنا - بما كنتم تعملون -

سأل (اقريطون) الفيلسوف (أرسطو) قائلا ما الدليل على أن العالم الغائب مثل العالم الحاضر فقال (أرسطو) فهل تسلم أنه لا شئ سوى المعرفة ونقيضها قال (اقريطون) نعم قال (أرسطو) هل تسلم أن الشئ لا يكون صلاحه إلا بما يشبهه ولا تكون مضرته إلا بما يخالفه . قال (اقريطون) لاشك فى ذلك . قال (أرسطو) فإذا لم يكن جزاء الحكمة على مثل ما هو فإنه يجب أن يكون على خلافها فإذا كان كذلك فقد يكون جزاء الحكيم الجهل وجزاء البصير العمى وجزاء العمل الصالح العمل الطالح فهذا لا يكون ثوابا وإنما يكون عقوبة وعلى ذلك فن تحمل مشقة الحكمة لا يكون له ثواب وهذا غير صحيح فلا بد أن يصح خلافه فجزاء الابصار تكون البصيرة وجزاء صالح الأعمال يكون الخير وجزاء طلب الحكمة وجدان الحكمة . قال (اقريطون) لا يسعنى إلا الاعتراف بأن الحكمة يكون لها جزاء مثلها وأن الجهل يعاقب عليه . قال (أرسطو)

فقد اعترفت بأن جزء الجاهل يكون على خلاف جزء الحكيم والافزاء العمى يكون الابصار وجزء بغض الحكمة نيل الحكمة وهذا غير صحيح فلزم صحة نقيضه

ثم تلا ذلك بقية الموضوع ومما خصه أن (أقريطون) قال اذا أنا أنكرت أن للحكمة مثوبة وللجهل عقوبة فبماذا تجيب فأجاب (أرسطو) قائلاً ألفتأدة أم لمضرة سؤالك لى . فقال بل لفائدة العلم وللفرار من الجهل . قال (أرسطو) فقد اعترفت أن العلم نافع والجهل مضر . فقال (أقريطون) سلمت بفائدة الحكمة فى الحياة لابعد الموت . فقال (أرسطو) هل فائدة الحكمة اللتأذا بالمعيشة أم الازدياد فى الحكمة فقال (أقريطون) أنا قد سلمت أن للحكمة فائدة وقد كنت من قبل سلمت أن الحكمة مضرة بملاذ الحياة فلزمنى الآن أن تكون فائدتها فى عالم الآخرة . قال (أرسطو) لو أنك أنكرت فائدتها فى عالم الغيب وقد كنت سلمت بأنها ضارة بلذة الحياة الدنيا فتكون إذن نفيت منفعتها فى الدارين وهذا يناقض ما سلمت به من فائدتها . إذن أقررت بأن للحكمة جزء فى الآخرة انتهى الكلام على التذكرة الأولى

﴿ التذكرة الثانية فى قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - ﴾

يقول الله تعالى فاسألوا يا أهل مكة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليخبروكم أن الله لم يبعث الى الأمم السالفة إلا بشرًا لأن الملائكة لا يظهرون للناس ولو ظهوروا لكانوا بشرا فيلبس الأمر على الناس وانما أمرناكم بهذا لأنهم علماء بما أنزل على موسى وعيسى وغيرهما وقد أوجبنا على الجهال أن يسألوا العلماء فيما يجهلون وقوله - بالبينات - الخ متعلق بتعلمون والبينات المعجزات والزبر الكتب . ولما وصلت الى هذا المقام حضر صدقى العالم الذى اعتاد أن يجاذبنى أطراف الحديث فى المسائل العظيمة فى هذا التفسير فقال فى نفسى شئ أريد أن أذكره الآن فى هذه الآية . فقلت قل ما نشاء . قال ها أنا ذا من أبناء العرب وأنالست فى حاجة الى سؤال اليهود والنصارى على الرسالة بل أنا الحامل للدين والنصارى يرسلون المبشرين ليردوا المسلمين عن دينهم ونحن أبناء العرب الذين حملنا هذا الدين الى الهند والصين وجزائر الهند الشرقية وأفريقيا وأوروبا واليابان وأمريكا وذلك إما بنا أو بواسطة الأمم التى أسلمت على يد آبائنا فما فائدة هذه الآية إذن لنا . فقلت اعلم أن العلوم على ﴿ قسمين ﴾ علوم يعرفها الناس بالبرهان بأن تستبين بنفسها أو بالاستدلال عليها عقلا . وعلوم يقرؤها الناس فى كتب الأولين فتوقظهم . فالتقسم الأول نظير المعجزات المذكورة . والقسم الثانى نظير الكتب السماوية واذن نحن الآن معاشر المسلمين ملزمون أن نقرأ العلوم الطبيعية والرياضية بأقسامهما ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ كل علم نعقله ونفهمه فى المدارس كتشريح الأجسام وفهم نظام النبات والحيوان فان هذا كله بين بنفسه يدرسه الناس ويفهمونه وهم يشاهدونه فهذه هى البينات كاستبانة المعجزات فالمعجزات لأجل العوام وهذه لأجل الخواص . فعلم النبات بينات وعلم الحيوان بينات وعلم خواص الأعداد بينات وعلم الهيئة وتعداد النجوم وأقذارها بينات لانها قام عليها البرهان . فبراهين هذه العلوم حية يشاهدها الناس بأعينهم وانظر الى علم السيمياء ذلك العلم الذى يدرسه الناس اليوم ويحللون المواد فى معاملهم ويشاهدون جمال الله ظاهرا واضحا فيه ويعقون به نظام الذرات فيجدونها داخلية فى الأجسام بحساب دقيق تقدم بعضه فى سورة البقرة عند قوله تعالى - وانظر الى حمارك الخ - وفى مواضع أخرى من هذا التفسير وسيأتى فى سورة العنكبوت جدول منظم أبدع نظام يعلم الناس أن الله لما خلقها جعل لها قوانين منظمة وهكذا ما تقدم فى أوراق النبات فى سورة الحجر قرىبا . هذه هى البينات التى أشبهت معجزات الأنبياء فى كونها واضحة ظاهرة للخواص كالأولى للعوام والخواص مما . فأما صكتب الأمم فان هذا الدين يطلبها كلها . فانظر الى أمنا الاسلامية السابقة كيف قرؤا كتب اليونان ومن تبعهم من علماء الاسكندرية الذين لخصوا كتب أسانديهم . ولما لك تذكر مسألة الجزء الذى لا يتجزأ الذى يقول به علماء الأشاعرة وهو من أتهات مسائلكم فانه رأى

(ديموقريطس) الحكيم اليوناني وهكذا ترى مذهب المعتزلة قد استند في كثير من مسائله الى علماء (الرواق) من اليونان وهم تابعون في آرائهم (سقراط الحكيم) وهكذا نرى ابن سينا والفارابي وحكام الأشراف من أممنا الاسلامية قد اقتبسوا فلسفة اليونان من حكماء الاسكندرية وهم الذين لخصوا مذاهب اليونان منهم ورئيسهم رجل يقال له (أفلوطين) عاشوا بعد الميلاد في القرون الأولى وعرفوا زبدة آراء الفلاسفة (سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس) ووقعت كتبهم في أيدي حكماء الاسلام فلم يعرف الناس (أفلوطين) وهذا وشيعته وانما عرفوا (سقراط) ومن عطف عليه لعدم شيوع علم تاريخ الفلاسفة بيننا . فقال صاحبي أنا الآن أسألك في تفسير القرآن وأنت أخذت نشرح مذاهب الفلاسفة وتأخذني في مجاهل يضل فيها السارى مالنا وأفلاطون وأفلوطين وسقراط حدثنا عن ديننا وعلمنا ودع التطويل فيما لا يفيد . قلت أيها العزيز هذا يعلمنا أن آباءنا قرؤا علوم الأمم التي تقدمتهم . وإذا كان الله يقول لأهل مكة اسألوا أهل الكتاب عن (أمرين) المعجزات والكتب حتى تعرفوا الحقائق التي تطلبونها . أفلا يقول لنا اقرؤا العلوم المشاهدة في المدارس والعلوم الغائبة في الكتب وقد تيقظ أبونا فدرسوا علوم الأمم وأيقظوا الشعوب كما تراه واضحا في سورة التوبة من التاريخ وضوحا تاما فوالا ذلك لظلت الدنيا في نومها العميق . وإذا كانت المدينة الحاضرة في الغرب والشرق ثمرة اطلاع آبائنا على علوم الأمم فإن الأمر عظيم وواجبنا نحن أعظم . فقال وما هو واجبنا . قلت واجبنا قراءة تاريخ الفلسفة القديم والحديث ومعرفة نفس الفلسفة أي نقرأ الفلسفة وتاريخها والعلوم بدون تاريخها تكون بترأ ناقصة لأن العلوم الحاضرة مرتبطة بالعلوم السابقة وما العلوم إلا شجرة تنبت وتتفرع . فليكن في أممنا اليوم أناس يدرسون تلك العلوم قديمها وحديثها مع تاريخها . وإذا جهلنا القديم من العلوم لم نفهم الحديث وعلماء أوروبا لم يرتقوا عن علماء اليونان وعلماء الاسلام إلا في العلوم الجزئية . أما المسائل العامة كالإسلام في الله وفي اليوم الآخر والنفس والروح وما أشبه ذلك فالعلم بها قديما هو العلم حديثا . والناس اليوم لا يزالون كما كانوا منذ آلاف السنين يتقدمون خطوة ويتأخرون خطوات . فقال إن هذا القول منك عجب كأنك تقول إن أمثال (سبنسر) و (داروين) و (لامارك) و (شوبنهاور) وأمثالهم ليسوا أعلم من الأولين . فقلت نعم لا فهم أعلم منهم بالعلوم الجزئية وهم مثلهم أو أقل منهم في العلوم الكلية . فقال أريد أن يكون لقولك دليل من كلامهم . فقلت فاسمع ما ذكره السلامة (سنتلانه الطلياني) الذي كان مدرسا بالجامعة المصرية وقد اختاره ملك مصر وملك إيطاليا لذلك فهناك نص ما قاله

كأنني بقائل بقول ما الفائدة في كتبك هذه التواريخ البالية والرسوم الفانية إن هي في نفس الأمر إلا أساطير الأولين وأوهام الأقدمين مالنا وأفلاطون وأرسطو وأصحاب الرواق وبقية القوم وقد اندثر أثرهم وتنوسى ذكرهم . مالك لاتذكر لنا أقوال المعاصرين من العلماء ورأيهم في النفس وأحوالها وتعلقها بالبدن الذي هو موضوع العلم المعروف عندهم (بيسيكولوجي) ولماذا لاتأخذ في تفسير قول الفلاسفة المعاصرين لنا مثل (هربرت سبنسر) وغيره (لأفلسفة إلا الفلسفة الراهنة) هذا هو العلم النافع الذي نحتاجه في مثل وقتنا ماهذا إلا خرافات الأقدمين التي لاتجدي نفعا ولا تشفي غايلا . فأقول إن الفلسفة التي ذكرتها لا ينكر فائدتها إلا جاهل أو معاند أو كلاهما إلا أنك إذا أردت أن تفهمها حق الفهم فلا بد لك من معرفة آراء الأقدمين إذ الفلسفة وسائر العلوم كالمرء يكون طفلا ثم يشب ثم يصير كهلا وهو شخص واحد وكالسلسلة كل حلقة منها ارتبطت بالأخرى حتى لا يمكن حلها من غير أن يفسد الجميع فن لم يقف على أقوال القدماء حق الوقوف لا يمكن من استنباط آراء المعاصرين ولا من سبب اتخاذهم رأيا دون رأي ولا ما آلت اليه الفلسفة في حالها الراهنة . قال (باكون) الفيلسوف الانجائزي (إن التاريخ للعلوم كالبصر لجسد الانسان به يبصر ما تقدم وما بين يديه لكي يعلم الناحية التي ينبغي له أن يقصدها) اه

ثم إنه لا يخفى أن المسائل الفلسفية لا تتغير بتغير الزمان وهي الآن على ما كانت عليه في القرون الماضية من البحث عن ماهية الوجود ووجود الاله وجوهر النفس وكيفية اتصالها بالبدن وادراكها بالحس وماهى حق المعرفة والميزان الذى به تقاس حقيقتها فهذه المسائل وأمثالها التى اشتملت عليها الفلسفة لم تختلف باختلاف الأجيال . أتظن أنا نحسن الجواب أكثر مما كان يحسنه أفلاطون وأرسطو ولا والله إنا لو قدرنا على ذلك لقدرنا على الاتصاف بصفات الالهية وشتان ما بين البعوضة والفيل فلوراجعت (هربرت سبنسر) مثلا الذى ذكرته آنفا لوجدته يعترف فى كتابه الموسوم بالاصول الأولية بأن الأوليات فى الفلسفة ما لا طاقة للبشر عليها وأن لا سابقة لنا على الأقدمين إلا فى المسائل الجزئية والمباحث الفرعية دون ما يهمنى حلها من المشكلات فى الاصول فالمسألة باقية والجواب يختلف وكل جيل أخذ سبب من تقدمه بخطو ثلاث خطوات ويؤخر أخرى وينسأ وبين الغاية المقصودة بون بعيد كاد لا يتصوره عقل البشر فضلا عن أن يتخطاه . ذلك سر الله لا يحيط به إلا هو فلا يغرنك أيها الحبيب شغشة المتفلسفين وانصت الى الفلاسفة تجد كلا منهم راكنا الى من تقدمه يوافقه تارة ويخالفه أخرى الى أن ينتهى النسق الى فلاسفة اليونان ولهم حق السبق وفضيلة التهديد . فاذا لم يكن من السائغ لدى أدب من الافرنج أن يجهل ما كان عليه حكماء اليونان كيف يسع ذلك مصرىا ومسلما والعلوم الاسلامية منذ بدء نشأتها مؤسسة على علوم اليونان وأفكار اليونان بل وعلى أوهام اليونان حتى لا يكاد يفهم آراء حكماء الاسلام ولا مذاهب قدماء المتكلمين ولا بدع المتدعين من لم يكن له بحكمة اليونان معرفة شافية لا مجرد الامام وهذا لا يحتاج الى برهان بل نعول فيه على البيان فصار هذا التاريخ والحالة هذه كالمقدمة الضرورية لتاريخ المدنية الاسلامية لا يسع أحدا من هذه الأمة اهماله ولا طالب الحكمة جهله فأرجو أيها السادة من محبتكم للوطن الاعتناء بهذا التاريخ الجليل الذى به أحرز الاسلام قصب السبق فى القرون المتوسطة ونال به غراياله من نفرا من أمة أخذت فى الترقى إلا وأقبلت على طلب أخبارها واحياء ما ندرس من آثارها فاذا أهملتها كان ذلك أظهر شمار على التلاشى والادبار وفيما قلناه كفاية لأولى الأبصار . نعم إن هذا التاريخ يستدعى من طالبه مزيد العناية وطول الاجتهاد وذلك من شروط كل علم * قال الحكميم اليونانى (العلم فى موطنه كالذهب فى معدنه لا يستنبط إلا بالدأب والتعب والكث والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار) اهـ

فلما سمع صاحبى ذلك قال لقد استفدت الآن فوائد لم تسكن فى الحسبان

(١) الأولى . ان تاريخ العلوم تجب قراءته

(٢) الثانية . أن علماء الاسلام الآن عليهم أن يمتوا دراسة مذاهب الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة

بقراءة كتب اليونان من استطاع لذلك سبيلا

(٣) الثالثة . أن تلك الثروة التى نسمعها فى مصر وغيرها من قوطهم إن فلانا ملحد لأنه قرأ علوم أوروبا باطلة وقبضهم الریح لاهى فى المبرولافى النفي لأنهم هم أنفسهم يقولون ان أهم ما يقصد من الفلسفة وهى الحقائق العامة لم تزل على ماهى عليه من القديم الى الحديث فاذن لاحق لأهل العلم فى بلاد الشرق أن تنخلع قلوبهم ويهلعوا ويحببنوا حينما يسمعون الألقاب الضخمة للفلاسفة المعاصرين وينقل الناس عنهم الكفر فتزلزل العقائد . فالعقل الانسانى قديما وحديثا لا يزال فى دائرة واحدة والآراء القديمة هى نفس الحديثة فى مسألة الله والنفس والعقل والعالم الذى نعيش فيه . وأنا الآن قد عثرت على كنز ثمين من العلم بهذا المقال الممتع الذى نقلته عن الفيلسوف التليانى

(٤) الرابعة . ان قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر - الخ قد فتح لنا أبواب العلوم على مصراعها وهو الذى به أزهت المدنية الاسلامية وتبعثها المدنية الحاضرة . كل ذلك بمر القرآن

(٥) الخامسة • ان فكرة الاتحاد المنتشرة بين بعض المتعلمين في مصر وغيرها من بلاد الشرق • انما يريد هؤلاء المدعون أن يظهروا للناس انهم أعلم من جميع المسلمين • والدليل على ذلك انهم نبذوا علوم المسلمين وعلوم دينهم وذلك يتخذونه سترًا لجهلهم والشعوب الشرقية الآن في مبدأ التطور • فهذه الثروة قد يفتقر بها بعض الرؤساء لجهلهم بتلك العلوم ولكن الشرق أخذ في الاستيقاظ * قال الشاعر

وكاذب الفجر يبدو قبل صادق * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وهؤلاء المدعون سيعرفهم الناس عاجلاً أو آجلاً وتقرض هذه الطائفة ويحل محلها الفلاسفة الحقيقيون والحكماء كما كان المسلمون في أعصر الاسلام الزاهرة • فقلت ان هذا الاستنتاج هو الذي في نفسى وهذه الآراء التي في هذا المقال هي من سرّ قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا -

فحن في الأرض وجميع علمائها قديما وحديثا لا يزالون أطفالا في أصل العالم والحقائق والنفس التي ذكرها القرآن والحمد لله رب العالمين • انتهى الكلام على تفسير القسم الأول من السورة

﴿ الْقِسْمُ الثَّانِي ﴾

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ * وَمَا يَكُفُّ عَنْكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنْ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهَا كُنتُمْ تَقَرُّونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ * تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ إِمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ
يُتُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا
يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى
رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ
رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ
بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَمَنْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ
إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ

كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تُسَلِّمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *
يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُوهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ * وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا
يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا
الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ
يَوْمَ تَذِيقُ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ
عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ * وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدِيَانَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (وقال الله لاتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد) إلهين واله دل كل منهما على الجسدية وعلى
العدد المخصوص فاذا أريد الدلالة على أن المتصور منهما هو العدد أتى بما يؤكده ليدل به على القصد إليه
والعناية به ولوقلت إنما هو إله بلا تأكيد خيل أنك تثبت الألوهية لا الوجدانية (فارهيون) نخافون (وله
الدين واصبا) له الطاعة لازمة أوله الجزاء دائما فلا ينقطع ثوابه ولا عقابه (وما بكم من نعمة) عافية وغنى
وخصب فهو من الله (الضر) المرض والفقر والجذب وأمثاله (تجأرون) تتضرعون والجوار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة ومنه جوار البقر (ثم اذا كشف الضر عنكم) أزال الشدة والبلاء (فريق) طائفة وجاعة
(برهم يشركون) فيضيفون كشف الضر إلى العوائد والأسباب ولا يسندونه لله (ليكفروا بما آتيناهم)
أى لأجل أن يجعلوه نعمة الله عليهم في كشف الضر أن عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء
وكشفنا عنهم الضر والبلاء فاللزم إما لام كي أو لام العاقبة (فتمتعوا) أمر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة
أمركم إلى ماذا تصيرون وهو نزول العذاب بكم (ويجعلون لما يأمرون) أى ويجعلون لأهلهم التى لا يعلمونها
فيعتقدون فيها الأكاذيب فيقولون انها تشفع لهم وتنفعهم فواو يعلمون راجعة للمشركين (نصيبا مما رزقناهم)
جعلوا لتلك الأصنام نصيبا فى أنعامهم وزرعهم تقربا إليها (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) انها آلهة وانها
أهل للتقرب إليها (ويجعلون لله البنات) * كانت خراقة وكنانة تقول الملائكة بنات الله لأنهم مستترون
كالنساء ولدخول التأنث فى التسمية (سبحانه) نزه نفسه عن قولهم (ولهم ما يشتهون) معطوف على البنات
وسبحانه اعتراض أى وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور (ظل وجهه مسودا) أى فصار وجهه متغيرا
من النعم والحزن والغيط والكراهة الحاصلة من هذه البشارة (وهو كظيم) ممتلئ غما وحزنا (يتوارى من
القوم من سوء ما بشره) يخفى من ذلك القول الذى بشره وذلك أن العرب كانوا فى الجاهلية اذا قربت
ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم الى أن يعلم مولد له فان كان ولدا ابتهج وظهر وان كانت أنثى حزن ولم
يظهر أياها حتى يفكر ما يصنع (أيمسكه على هون) أيمسك ما بشره على هوان (أم يدسه فى التراب) أم
يخفيه فيه وذلك بالوآد (ألاساء ما يحكمون) إذ يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم (مثل السوء)

صفة السوء من احتياجههم الى الولد الذكر وكراهتهم الاناث وقتلهن بؤادهن خوف الفقر (ولله المثل الأعلى) الصفة العليا المقدسة وهو أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا إله إلا هو وله جميع صفات الجلال والكمال من القدرة والعلم الخ (وهو العزيز) المنيع تكبرا وجلالا (الحكيم) في جميع أفعاله (بما ظاهروا) أى بسبب ظاهريهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظاهريهم وكفرهم وعصيانهم (ماترك عليها) على الأرض (من دابة) أى دابة ظالمة وهم الكفار وأمثالهم قال تعالى - إن شر الدواب عند الله الذين كفروا - (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) ساء لأعمارهم (ويجعلون لله ما يكرهون) أى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف بالرسول ومن أراذل أموالهم ويجعلون أكرمها لأصنامهم (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أن لهم الحسنى) عند الله وهى الجنة كما في سورة السجدة ولئن رجعت الى ربي ان لى عنده للحسنى (لا جرم أن لهم النار وانهم مفرطون) مقدمون الى النار مجبولون اليها * يقال أفرطت فلانا فى طلب الماء اذا قدّمته (فزين لهم الشيطان أعمالهم) من الكفر والتكذيب (فهو وليهم اليوم) أى وليّ أمثالهم اليوم من مشركى العرب وغيرهم والولىّ القرين والناصر ومن كان الشيطان نصيره فما نصيره (ولهم عذاب أليم) يوم القيامة (إلا تبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد وأمر الدين والاحكام فتعرفهم الهدى والحق والحلال وتصرفهم عن الضلال والباطل والحرام (وهدى ورجة) أى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورجة (لقوم يؤمنون) فينتفعون به (والله أنزل من السماء ماء) مطرا (فأحياه به الأرض) يعنى بالنبات والزرع (بعد موتها) ينسبها (لآية) دلالة واضحة ترقى العقول وتوقظ الأسم وتدل على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف وتفكر ولا عبرة بسمع الآذان إلا كما يسمع الحيوان (لعبرة) اذا تفكرتم فيها عرفتم فتمت عقولكم وبها تعرفون عظم قدرتنا وكما لها (مما فى بطونه) أى نسقيكم مما فى بطون ما ذكرنا من الأنعام (من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) * الفرث مافى الكرش من الثفل ومتى خرج لا يسمى فرثا وقوله - خالصا - أى صافيا لا يستصحب لون الدم الذى هو أصله وكوّن منه ولا رائحة الفرث الذى فصل الدم عنه بواسطة الكبد الذى ورد اليه خلاصة المواد المأكولة فاستحالت الى دم واستحال الدم الى لبن فهو خالص من أصله وهو الدم ومما استخلص الدم منه وانفصل عنه وهو الفرث - سائغا للشاربين - سهل المرور فى حلقهم (ومن ثمرات النخيل والأعناب) ثمر (تتخذون منه سكرا) وهو ماست الجوع من قولهم ﴿سكرت النهر﴾ أى سددته • ولا جرم أن التمر والزبيب مما يستد الجوع وهذا معنى قول أبى عبيدة إن السكر الطعم • يقال هذا سكر لك أى طعم لك * قال الشاعر

* جعلت أعراض الكرام سكرا * أى تنقلت بأعراضهم وقوله (ورزقا حسنا) الرزق الحسن سائرا ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب كالدبس والتمر والزبيب والخل (لآية لقوم يعقلون) أى دلالة ترفع عقولهم هى وأمثالها فيعرفون خالقهم وقدرته (وأوحى ربك الى النحل) ألهمها وقذف فى قلوبها (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) عبر عن التى للتبعيض لأنها لا تبني إلا فى بعض الجبال والشجر وبعض ما يعرش الناس أى يبنون من البيوت والسقوف والسكرم والسكرات (ثم كلّى من كل الثمرات) أى من كل ثمرة تشبهها (فاسلكى سبل ربك) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل والطرق التى ترجعين فيها من المواضع البعيدة عن بيوتك (ذلالا) جمع ذلول وهى حال من السبل فان الله ذللها وسهلها فذلل طرق عمل العسل الصناعية وطرق رجوع النحل من المحال البعيدة الى بيوتها (ينخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلف ألوانه) أبيض وأصفر وأحمر واسود بحسب اختلاف المراعى (فيه شفاء للناس) لأنه من الأدوية النافعة وقل من معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل فهو شفاء للناس من الأمراض التى خلق دواء لها فان لكل داء دواء وقد أكثر الله الأدوية كما أكثر الأمراض (إن فى ذلك

لآية لقوم يتفكرون) فيعرفون كيف اتصف النحل بتلك الصناعات الدقيقة والأفعال العجيبة كما ستره عند الكلام على صنع الشمع وتربية الذرية قريبا . فمن تفكر في هذا وأمثاله ازداد عقله وارتقت مدنيته ثم عرف الله (والله خالقكم ثم يتوفاكم) بأجل مختلفة (من يرد) يعاد (إلى أرواحهم) أخسه وأضعفه وهرأهرم الذي يشابه الطفولية في النسيان وسوء الفهم (إن الله عليم) بمقادير الأعمار (قدير) يميز الشاب النشيط ويبقي الهرم القاني (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فذكركم غنى ومنكم فقير ومنكم مولى يتولون أرزاقهم ورزق غيرهم ومنكم مما ليك (برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ما ملكت أيمانهم) على مما ليكهم حتى يستووا فيه هم وعبيدهم (فهم فيه سواء) متساوون . والمعنى أن الله جعل الناس متفاوتين في الرزق كالمولى والعبيد وقد جرت العادة أن المولى لا يجعل عبده مساويا له في الرزق بل هو أبقي السلطان لنفسه والاعتلاء . وإذا كان هذا طبعكم مع عبيدكم وأنتم مخافون فكيف ترضون أن يكون لى شركاء فى ملكى . فلقد رضيت لى بأخس الأمرين البنات وشركة العبيد فى الألوهية مهي وأنتم لابنات ترضون ولا شركاء تبغون (أفبنتمة الله يجحدون) الاستفهام انكارى أنكر عليهم أن يجحدوا نعمة الله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم لتأنسوا بها وليكون أولادكم مثلكم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) جمع حافد وهو الذى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه ما فى القنوت ﴿ نسئ ونحسد ﴾

ولما كان كل من البنات وأزواج البنات وذرية الزوجة من غير الرجل المعبر عنهم بالربائب وأبناء أبناء الرجل وأبناء بنات الرجل . لما كان كل من هذه الأنواع الخمسة يخدمون الرجل ويعينونه عادة فى مصالحه دخلوا جميعا فى معنى الحفدة فجعل الله الزوجة سببا لهؤلاء الخمسة (ورزقكم من الطيبات) من النعم التى أنعم الله بها عليكم من الثمار والحبوب والحيوان والمستلزمات من ذلك كله (أفبالباطل يؤمنون) أى بالأصنام وبالشيطان (وبنعمة الله هم يكفرون) فيضيفون ما أنعم الله به عليهم الى غيره (مالايملك لهم رزقا) هى الأصنام (شيأ) بدل من - رزقا - والرزق بمعنى المرزوق وهو نفس المطاعم والملابس وغيرها ولفظ - شيأ - المبدلة منه يدل على القلة ومن السموات والأرض صفة لرزقا . فهذه الأصنام لا تملك قليلا من الرزق الكائن فى السموات والأرض (ولا يستطيعون) أن يملكوه وعبر بالواو هنا على معنى الآلهة وقال أولا - لا يملك - على اللفظ (فلا تضر بوا الله الأمثال) فلا تجعلوا الله مثلا فانه لا مثل له أى فلا تجعلوا له شركاء (إن الله يعلم) أنه لا مثل له من الخلق (وأنتم لاتعلمون) ذلك أو يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون كيف تضربونها وضرب المثل تشبيه حال بحال ثم ضرب مثلين فقال فى أولهما (ضرب الله مثلا عبدا) هو بدل من مثلا (محاوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) أى مثلكم فى اشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قدر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه ماشاء . ولما كان العبد يشمل الرقيق والحر لأنهم عبيد الله قيده بالمملوك (هل يستوون) أى لا يستوى القليلان (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) أن الحمد لله لا لهذه الأصنام وقال فى ثانيهما (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ) الى قوله - وهو على صراط مستقيم - أى بين الله صفة رجلين الأبكم الذى لا يحسن الكلام وهذا البكم إما ناشئ عن صمم خاقى وأما لعله غير الصمم مع أنه لعله له فى أذنيه فهو يسمع ولكن لسانه معتل وعليه فكل من ولد غير سميع أبكم لأن الكلام بعد السماع ولا سماع له وليس كل أبكم يكون أصم صمما طبيعيا فبعض البكم لا يكونون صما هذا تحقيق المقام (وهو كل على مولاه) أى ثقيل على من يلى أمره ويعوله (أينا يوجهه لايات بحير) حينما يرشله ويصرفه فى طلب حاجة أو كفاية مهم لايات بنجح لأنه عاجز لا يفهم ولا يفهم (هل يستوى هو) أى من هذه صفته الذميمة (ومن يأمر بالعدل) أى ومن هو سليم الخواص عاقل ينفع نفسه وينفع غيره يأمر الناس بالعدل (وهو) نفسه (على

صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين قويم وليس يتمكن من الأمر بالعدل إلا المستقيم السيرة وهذا المثل الثاني ضربه الله لنفسه وللأصنام لابطال المشاركة بينها وبينه (ولله غيب السموات والأرض) يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد ومنه يوم القيامة (وما أمر) قيام الساعة في سرعته وسهولته (الإكلج البصر) إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها (أو هو أقرب) أي وأمرها أقرب منه فيكون في زمان ربع أو ثمن تلك الحركة أو أول تحريكها لانه بكلمة كن (إن الله على كل شيء قدير) فكما قدر على إحياء الخلائق دفعة قدر على إحيائهم متدرجا ثم أخذ يصف ذلك فقال (والله أخرجكم من بطون أمماتكم لاتعلمون شيئا) أي غير عالمين شيئا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي القلوب تعقلون بها (لعلكم تشكرون) أي أنعم عليكم بهذه الخواص لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (مسخرات) مذلات (في جوار السماء) الجو الفضاء الواسع بين السماء والأرض (ما يعسكن الله) في حال قبضها أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وتلك الآيات كدسخير الطير للطيران وخلق الجوار الذي تطير فيه وامساكها في الهواء (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه في الإقامة كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) هي القباب المتخذة من الادم ومن الوبر ومن الصوف والشعر فهي نابتة على الجلود (تستخفونها) تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) أي وتخف عليكم في اقامتكم وحضركم فهي لاتثقل عليكم في الحالين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الضمير للأنعاء أي ومن أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثانا) الأثاث متاع البيت الكبير من فرش وأغطية وأكسية من أث إذا كثرت كثائف ويقال للابل أثاث إذا كثرت (ومتاعا) أي ماتمتعون به (إلى حين) إلى حين أن يبلى أو تقضوا أوطاركم منه أو إلى مماتكم (والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والأبنية وغيرها (ظلالا) تستظلون بها من حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة جمع كن (وجعل لكم سرايل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وما أشبه ذلك (تقيكم الحر) أي والبرد وخص الأول بالذكر لأن وقاية الحر كانت ألزم لهم (وسرايل تقيكم بأسكم) أي الدروع والسرايل يعم كل لباس (كذلك يتم نعمته عليكم) أي كاتمام هذه النعمة التي تقدمت (لعلكم تسمعون) أي تنظرون في نعمه فتؤمنون وتنقادون لحكمه (فان تولوا) أي أعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) أي فلا يضرك فانما عليك البلاغ فأقام السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) أي يعرف المشركون نعمة الله كالتى عددها ويعترفون بأنها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم وقولهم ان الأصنام تشفع لهم (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون عناد الله ومن النعم هذا القرآن ونبوة محمد ﷺ (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) وهو نبيا يشهد لهم وعليهم بالإيمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار إذ لا عذر لهم (ولاهم يستعقبون) يسترضون من العتبى وهى الرضا (واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) أي العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أو ثنائهم التى سموها شركاء أو الشياطين الذين أغروهم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعومن دونك) نعبدهم وهو اعتراف بأنهم كانوا في ضلال (فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أي أجابتهم الأوثان بالكذب وأنهم ماعبدوهم حقيقة وما عبدوا إلا أهواءهم (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أي ألقى الذين ظلموا الاستسلام لحكم الله بعد الاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) ضاع وبطل (ما كانوا يفكرون) من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصتوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحل على الكفر (زدناهم عذابا) لصنتهم عن سبيل الله (فوق العذاب) بكفرهم (بما كانوا يفسدون) أي بكونهم مفسدين بصنتهم واذكر (يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعنى نبينهم فان نبى كل

أمة يبعث منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك . ثم استأنف فقال (ونزلنا عليك الكتاب تبينا) بيانا بليغا (لكل شئ) من أمور الدين تفصيلا تارة واجالا أخرى (وهدي ورحمة) لجميع الناس ويحرم منه المقصرون (و بشرى للمسلمين) خاصة . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني

﴿ التفسير المعنوي ﴾

تبين في آخر القسم الأول تفسير قوله تعالى - أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة - الى قوله - ويفعلون ما يؤمرون - فلهذا القول فيه ليكون توطئة وصلة لما سذكه بعده من تفسير هذا القسم حتى تكون المناسبة ظاهرة فأقول

ذكر الله سجود الأجسام لله وتسخيرها بارادته وقهره طوعا أو كرها وجاء في آية أخرى ما أفاد أن الله قال للسموات والأرض - إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين - فالعالم من أعلاه الى أدناه مطيع لله مقهور حتى ان الكافر به مسخر مقهور كما سخر الشمس والقمر والنجوم والجبال فكل ساجد ومطيع طاعة تسخير فاذا كانت الأجسام خاضعة ساجدة تبعها ظلالها فتراها ساجدة سجود التسخير تبع الأجسام وهي لاصقة بالأرض لصوق جهة المصلى بها بل هي أكثر التصاقا وأطول سجودا وأدوم عملا ولذلك نص على الظلال وأكثر من ذكر سجودها في القرآن وقد وضع ذلك في سورة الرعد أيما إيضاح . ولما أن ذكر سجود الظلال أتبعها بذكر الدواب في السموات والأرض . وقد بينا غير مرة أن الأرض قد تبلغ ٣٠٠ مليون وقد تكون أكثر على ما يظن في العلم الحديث والنظام الالهي . ومن المظنون أن يكون فيها دواب فهذه الدواب وهي كل ما يدب تشمل ما كان من العقلاء فيها كالانسان على الأرض . فكل هؤلاء ساجدون مطيعون لله تسخيرا كالجماد وعبادة أي من كان منها عاقلا كالانسان . ولا جرم أن الحيوانات قد اتجهت رؤسها الى الأمام فتراها ذاهبة آية ورؤسها ممتدة فهي أشبه بالراكعة والركوع يقرب من السجود بحسب شكله وهو خضوع بحسب معناه . فأما النبات فان رؤسها ساجدة لأنها مغروسة فرؤس النبات منها يستمد قوته وغذائه وهي التي تجذبه الى الساق والورق والأغصان . ولا جرم أن الانسان نبات مقلوب فرأس النبات أسفل ورأس الانسان أعلى فالنبات ساجد بحسب جبلته كما أن الملائكة جميعا ساجدون مطيعون بحسب جبلتهم . ولما كانت رؤس الانسان قد رفعت من الطين واستوت الى أعلى أمر بالسجود ليخضع كما خضع الحيوان والنبات وليتذكر أنه ليس مستغنيا ولا مستقلا عن هذا النظام العام بل هو متصل به مستمد منه فيقول في السجود ﴿ خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصي وما استعانت به قدمي لله رب العالمين ﴾

وكما ذكر الدواب بعد الظلال ذكر الملائكة بعد الدواب ففيه ارتقاء من أدنى الى أعلى . هكذا الأجسام التي لها ظلال فالظلال والدواب فالملائكة أي ما لا روح له من الأجسام ثم ما له روح وجسم ثم ما كان روحا صرفة صافية خالية من أحوال المادة ثم أردف الملائكة بقوله - وهم لا يستكبرون - أي ليس خلوصهم من المادة يعطيهم عظمة . كلا بل هم لقربهم من الله يعرفون جلاله وجلاله فهم منه خائفون ومن قرب من الملك كان أخوف الناس منه ومن عشق الجلال خاف من صده وهجران بل ربما قتل نفسه اذا منع الجليل ابتسامته أو غص عنه الطرف فقد ذكرنا في هذا التفسير في سورة البقرة أن هناك جمالا قد استمدت منه كل جمال كما أن تلك العظمة تستمد منها كل عظمة . الى هنا قد انتهى الترقى في المعارج من أجسام وظلال الى دواب الى ملائكة . ثم جاء بعدها

﴿ وقال لله لاتتخذوا إلهين اثنين - ﴾

هنالك استوى على العرش فهذا هو العرش والملك وأخذ يخاطب من تحته ويلقي الأوامر الى من هم

أسفل من الثقلين وخضعت الأجسام وظلالها والدواب فالملائكة واستوى الله على العرش وخطب قائلا يا كم أن تتخذوا إلهين . وكيف تكون الاثنية وقد رأيتم التسخير واحدا فالمسخر واحد والنظام متكامل .
واذا وجدتم الحيوان والجماد والنبات وكل ما ترونه ساجدا خاضعا فكيف لا تسجدون وإذا سجد الملائكة الذين لم تروهم وانما رأيتم سجود آثارهم على الأرض من المخاوف التي هم عاملون فيها فكيف لا تسجدون فليرهبكم ذلك ولتكونوا وجلين خائفين كما خافوا هم

﴿ - وله ما في السموات والأرض - ﴾

ثم أخذ يذكّر ملكه فأبان أن له ما في السموات والأرض والطاعة له دائمة . ولما كان وجود ما في السموات والأرض لا يكفي للدلالة على وصول الآثار لنا أعقبه بأن كل نعمة واصلّة اليكم فهي منه فهو بعد أن ذكر النعم العاتقة أتبعها بالخاصة والخاصة ﴿ قسمان ﴾ قسم إيجابى وقسم سلبى . فالإيجابى ما يسدى اليك من الأقوات والملابس وبقية النعم . والسلبى ما يسلب عنا عن الضرّ والمرض والغم فذكر الأول قائلا - وما بكم من نعمة فمن الله - وذكر الثانى قائلا - ثم اذا مسكم الضرّ فاليه تجأرون - ثم أتبعه بالتوبيخ على نكران النعمة بعد حصولها كأنه يقول ﴿ دوام النعمة ينسيكم المنعم ﴾ فهذا اذا أعطيت المرض والشفاء والفقر والغنى والعزّ والذلّ والموت والحياة وكنت قادرا أن أجعلكم أغنياء أمحاء كاملين من أول خلقكم كما كانت الملائكة ولكن لم أفعل ذلك لأنى لو بسطت الرزق لكم لبغيتكم فى الأرض ونسيتم نعمتى عليكم فلذلك أتبع كل نعمة بنقمة وكل صحة بمرض . وهكذا جعلت جهلا وعاما وصغرا وكبرا . كل ذلك لتعرفوا ولتعلموا وبغير هذا مستحيل أن تدركوا شيئا لأن الطباع فى أرضكم هذه هكذا خلقت ومع ذلك أراكم اذا مسكم الضرّ ودعوتكمنى وأجبتكم ترجعون بعد الصحة والغنى والقوة تنكرون نعمتى عليكم وهذا قوله - ثم اذا مسكم - الى قوله - اذا فرىق منكم ربهم بشركون -

وهذه الخصلة عامة فى نوع الانسان لأن الانسان يرجع بعد الفقر وبعد المرض (وقد جاء الغنى والصحة) الى ما كان عليه من أخلاقه وأطواره فاذن يجب اصلاحه بطرق تهذيبية شاملة . وهذا وان كان واردا فى الكفار فان كل ما يرد فيهم له نظير فى المؤمن . وهذا القول تبيان لطباع الناس والا فأتى فائدة لقراءته اذا لم يكن هناك لنا به علاقة فالحق ان من الناس من هم كالمحبولين على النسيان ونكران النعمة التى سبقها نقمة فليس نسيان النعمة خاصا بالكافر . كلا . أفلا ترى أن المريض الذى حلّ به المرض بسبب تعاطى ﴿ التبغ ﴾ وهو يدخله كل صباح وكل مساء اذا شفاه الله منه بدواء وقال له الطبيب احذر تعاطيه مرة أخرى فانه كثيرا ما يرجع الى تعاطيه . أليس هذا ككفرنا بالنعمة أى نعمة الشفاء بعد المرض بل المرض نفسه نعمة لقد أثبت الأطباء فى (ألمانيا) و (فرنسا) وهم أكابر أطباء العصر الحاضر أن الرجل الذى يتعاطى اللحم أو البيض أو الثمن وقد أكل منهما كثيرا أو بعضها يمتلئ جسمه قوّة ومثانة وهو أحرار الوجه قوى متين . فقل هذا الكثرة التعذية يفاجئه أجله بغنة وهو لا يشعر . وعلا ذلك بأن هذه أغذية تامة التركيب فلا كثر منها علا الأنسجة غذاء بحيث لا يكون لتلك الأنسجة راحة . أما الأطعمة المتخذة من النبات فانها تكون ليثة على الأنسجة سهلة عليها لا ترهقها بأغذية كثيرة فلا تملئ امتلاء قتالا يرهق الجسم فينخر صعبا فى يوم أو بعض يوم ويقولون إياك أن تقول إني رأيت كثيرا من الناس يعيشون وهم أقوياء البنية كرجال الانجليز الذين يكثر من هذا وهم أقوياء قالوا لأنك اذا رأيت هؤلاء فانما هم من بقايا أولئك الذين ذهبت أرواحهم سدى وأصبحوا ضحايا كثرة الأغذية فلا تحتاج بالأحياء فان أضعافهم من أمثالهم أموات . وقالوا أيضا ان الذين لا يمرضون هم الضعفاء والذين يمرضون هم الأقوياء لأن القوي الجسم الذى لا يمرض جسمه لم يقدر أن يخرج ما فيه من الزوائد الضارة . أما الذى تعزبه الأمراض وهو ضعيف البنية فهو أقوى من مفتول الساقين

غيرى كما تفعلون أنتم إذ تفعلون أنفسكم على مواليتكم ولا تصدقون إلا بما فضل عن حاجاتكم بل فى دينكم ﴿أبدأ بنفسك ثم بمن تعول﴾ وإذا كان هذا من أوامرى أفسا كان من حقى أن أعطى لنفسى الذكور التى أحبها على مقتضى جبلتكم فكيف عكستم القضية واختصصتم بالذكور استبشارا وخصصتمونى بالاناث ولادة . هذه المجادلة مقبولة معقولة فى الاقناع وإخفام الخصم وهذا هو قوله ... وجادلهم بالتى هى أحسن - ثم ساق قصة اسوداد وجوههم اذ: بشروا بالأنثى وهم مقتمون الخ

أما الحكمة فى هذا النمط فاسمع وافرح بما أنعم الله من علم وما أنزل من حكمة بل أقول أعجب من الحكمة والبيان . لما ذكر الله تقصير الناس فى الاعتبار بالنعماء بعد الضراء أخذ يجادلهم بما تقدم ويريهم أنه أحق بالذكور ان اذا كان الأمر دائرا بين الجنسين والحقيقة أنه منزّه عن ذلك كله فلا نبات ولا أبناء كما هو معلوم وينطوى فى هذا المقام مسألة حكمية جليلة

﴿الذكورة والانوثة﴾

اذا كان الناس يأفكون من النبات ولم يحبوا إلا الذكور وجب أن يكون على مقتضى نظامهم الجاهلى ورأيهم الظاهرى وشبهوتهم الحاضرة وهمتهم الفائرة ألا يخلق من الناس إلا الذكور . ولما كان الله تعالى يقول - ماترى فى خلقى الرجن من تفاوت - وجب أن يكون العالم كله على هذا النمط فيخلق النبات والحيوان الذكور دون الاناث ولو تمّ هذا النظام المعكوس لم يبق على وجه الأرض من دابة لأن نظامهم متى جرى العمل عليه فسدت هذه الأرض كما قال تعالى - ولواتبع الحق أهواءهم - لفسدت السموات والأرض ومن فىهن بل أنبأهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون - لذلك أعقب حديث النبات والبنين بآية - ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا مترك على ظهرها من دابة - بعد أن أبان مثل الذين لا يؤمنون بالآخرة وجعله مثل السوء وذكر أن الله المثل الأعلى لأن الذين لا يؤمنون بالآخرة يريدون عدم النبات فيفنى الانسان ومثله الحيوان والنبات ليبقى النظام واحدا - والله المثل الأعلى - لأنه يريد النظام وبقاء الأنواع فلذلك أوضح هذا بعد ذلك بآية - ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا الخ -

والمراد بالكسب هنا ما يشمل الذنوب والجبهالات . أما الذنوب فهى ما تقدم من الكفر بعد زوال النعمة ومن الرجوع الى العادات فى الطعام والشراب بعد زوال المرض فمن قال له الطبيب ان مرضك بعدم مضغ الطعام جيدا يزول ففعل ثم لم يمتضغ جيدا فعادوه المرض والنزى زال فقره بالاقتصاد يرجع فيسرف فيقع فى الفقر كما يفعل الكافر بالله الذى ذهب عنه المرض فيقع فيه كما كان . ويشمل الكسب أيضا الاعتقاد فهو لاه اعتقدوا أن تربية الولد هى المطاوعة وتبرّموا من الأنثى وهذا الاعتقاد تبعه العمل فوآدوا النبات وفهموا أنهم فضيحة فلو يؤاخذ الله الناس على أعمالهم الكفرية والصحية والاسرافية فى المال لأهلكهم بما فعلوه ولم ينهشهم بدواء ولم ينلهم شفاء ولم يرسل هداة وأنبياء ولم يغنهم بالمال . ولو أنه عاملهم باعتقادهم فى النبات لعلم الأمر فى كل حيوان لأنه ليس هناك تفاوت فالنظام شامل حينئذ لا يخلق من العوالم الثلاثة إلا الذكور ولا يمضى سنون معدودة حتى تعلم جميع الدواب بل جميع الحيوانات

هذا هو المعنى الحكيمى من هذه الآية - ولو يؤاخذ الله الناس الخ - وهذا هو الحكمة فى أنها جاءت عقب حديث النبات والتبرّم منه . فهنا يقول الله - ولو يؤاخذ الله الناس - فذكر المؤاخذة وفى آية أخرى يقول - ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فىهن -

فأما هنا فيراد بالمؤاخذة مما يعم الأهواء وهى الغرام بتربية الذكور وحدهم فتجب من القرآن وتأمل فى تعبيره أيضا هناك بقوله - ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت الخ - فجعل الفساد شاملا للسموات والأرض جميعا متى اتبع الحق أهواءهم وكانت الآلهة متعددة لأن تعدد الآلهة ليس الفساد منه قاصرا على الحيوان

والنبات والانسان بل يتعداهما الى السموات والأرض لأن الالهية حاكمة على كل شئ فالفساد فيها باختلاف الشركاء يفسدهما فسادا عاما . فأما هنا فانه قال - ماترك على ظهرها من دابة - بفعل الموت خاصا بالجنس الذى يلد وحده وهو الدواب وقد أتبعناه بالنبات كما هو معلوم . وعندى أن هذا التعبير هنا والتعبير هناك واحكام الأمر فيهما مجزأة وحده . فما هذا الرمز وحسب المعانى وادخالها فى تضاعيف الكلام ومنعها عن النوع البشرى حتى يقرأها قوم فيفهمونها . وما مثل هذا القرآن فى أحكامه إلا كمثل ما خلقه الله وصنعه بحكمته فانك ترى فى العوالم عجائب أخفائها ثم تظهر للناس فى حينها

ولقد علمت أن الملائكة مطيعون فهم يفعلون ما يؤمرون فأما بنو آدم فان شهواتهم تخالف النظام فكما قال فى الملائكة - ويفعلون ما يؤمرون - قال هنا فى الناس ان آراءهم لو اتبعت لهلك كل حى

﴿ خوى الكلام من حيث العمل ﴾

وخوى هذا القول من حيث العمل أن السكال فى هذا الوجود انما يكون لمن كملت نفوسهم فألفوا النظام ولو أن الناس كانوا أرقى مما هم عليه لاطلعوا على الحقائق وساعدوا على حسن النظام وفرحوا بالأننى كما فرحوا بالذكر لأن الجنسيتين يتمان بعضهما وهذا العالم نظام واحد فلجهلهم النظام حوّلوه الى أغراضهم وهذه منقصة عظيمة فى الانسانية . فليكن هذا الانسان أرقى عتلا من كل شئ فليفرح بالموت كما فرح بالحياة وبالمرض كما فرح بالصحة كما مرّ مع معالجة كل حالة بما يناسبها بحيث يكافح المرض ويدافع الفقر بالسكسب وهكذا إذ لافرق بين كراهة النبات وكراهة غيرهنّ فان النظام يقتضى ذلك كله

وإذا كان الملائكة يفعلون ما يؤمرون طوعا فالانسان يفعل ما يؤمر به طوعا وكرها فانه مأجور بحسب السنن الطبيعية أن يربى النبات فكبرهته ومع ذلك سلب عليه الشفقة والقانون المسنون فى الحكومات ونظام البلدان والقضاء أن يحافظ عليهم ويربيهم ويختار لهم الأكفأ فهذا قهر من الله للناس فقد نفذ الأمر كرها كما نفذوه فى الأبناء طوعا وهذا نقص فى الانسانية بل يجب أن تكون القلوب تابعة ومشايعة للنظام العام . أما الشهوات الوقتية فيقال لصاحبها - فتمتعوا فسوف تهابون - فيكون المخلص لآية - ولو يؤاخذ الله الناس - الخ

إن الله يقول أيها الناس انا لا أؤاخذكم بما تصنعون . فالسكافر أبقيته الى أمد معلوم ثم أحاسبه بعد الموت ولا أعجل بهلاكه والمُسرف فى صحته وماله أو أهمل العمل فانى أتحت له الفرص بالانذار بعد الانذار عسى أن يرجع الى الصواب . والذين يكرهون الاناث لم أجازهم على آرائهم لأننى لا أتبع الأهواء فى نظامى ولذلك قهرتهم فربوا النبات ولم أمنع ولادتهم . ومتى حلّ الأجل لآى واحد من هؤلاء لم يؤخر ساعة ولم يقدم . إذن الله منزّه والملائكة مطيعون والناس يضلون والله حلیم غفور . وأما آية - ويجعلون لله ما يكرهون - الى قوله - وانهم مفرطون - فواضحة . وقوله - تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك - الى قوله - وهدى ورحمة لقوم يؤمنون - فانه يقول أنزلت الى الأمم السابقة أنبياءهم فزى الشيطان الى اتباعهم الباطل وتولى قوما اليوم كما تولى من قبلهم من الأمم فأصبح وليهم وانما أنزلنا عليك الكتاب لتبين لهم المواعظ والأحكام كالذى تقدم وغيره

ولما كان القول السابق فيه الموعظة الحسنة وفيه الحكمة كما قدّمناه والحكمة تليق لأولى الأبواب أخذ يصف عجائب السماء والأرض وهى الحكمة الحقيقية المرقية للعقول فقال - والله أنزل من السماء ماء - الى قوله - فان تولوا فاعلم انك البلاغ المبين - ولنفصل القول فى هذا المقام من وجوه

﴿ الوجه الاول ﴾ فى قوله تعالى - من بين فرث ودم لبنا خالصا - الخ

﴿ الوجه الثانى ﴾ فى وصف الحيوان

﴿ الوجه الثالث ﴾ في اختلاف الحيوان في الحركات وغير ذلك
 ﴿ الوجه الرابع ﴾ في قوله تعالى - وانظر الى جوارك - ووجوب علم التشریح . وفي وصف فقرة واحدة
 من فقرات الظهر

﴿ الوجه الخامس ﴾ في وصف أعضاء الحيوان وأن منها الخادم والمخدوم
 ﴿ الوجه السادس ﴾ في الطير
 ﴿ الوجه السابع ﴾ في أن الطير مختصر من حيوانات البر كالانعام وفي تربية الطيور لأولادها
 ﴿ الوجه الثامن ﴾ في تقسيم الحيوان الى ﴿ قسمين ﴾ مستقل وغير مستقل وان هذا كتاب كتبه
 الله بيده وانه حجة عن أكثر الناس

﴿ الوجه التاسع ﴾ في الحشرات كالنحل والعنكبوت
 ﴿ الوجه العاشر ﴾ في الظلال وما عطف عليها

﴿ الوجه الأول ﴾ في قوله تعالى - من بين فرث ودم لبنا خالصا - الخ وفي بعض الوجه السابع
 وهو أن الطيور مختصرة من الحيوانات البرية كالانعام

اعلم أن الحيوانات منها ما هي تامة الحلقة ومنها مختصرة من التامة ومنها ناقصة . فالانعام والبهائم والسباع
 والوحوش أكل بنية وأتم نظاما من الطيور والجوارح وكأن هذين قد جعلتا مختصرتين من الأربعة الأول
 ولو أنك نظرت الى الطير صافات في جوف السماء تحيل لك انها صورة مصغرة من البقر والجاموس اذا كنت
 من الناظرين في علم الطبيعة بعقولهم لامتصرتين على حواسهم . فاذا رأيت (أبا قردان) وهو بأكل اللبنة
 في الأرض المصرية أيام فيضان النيل والجاموس رعى في مرعاه لرأيت للجاموس أسنانا وآذانا ظاهرة ومعدنة
 وكرشا ومثانة وخزرات ظهر وجلدا ثخينا وشعرا كما كان للفم صوف وللابل وبر . وهو يتزوج ويحمل ويولد
 ويرضع أولاده ويربها . أما (أبو قردان) مثلا وسائر الطيور فانها مختصرة من الحيوان البري المذكور
 فليس للطير أسنان ولا آذان بيضاء ولا معدنة ولا كرش ولا مثانة ولا خزرات ظهر ولا جلد ثخين ولا على أبدانها
 شعر ولا صوف ولا وبر

حيوان البر . المبدل منه	الطير البديل
(١) الأسنان	المنقار
(٢) المعدنة	الحوصلة
(٣) الكرش	القافضة
(٤) الجلد الثخين والشعر وما أشبهه	الريش

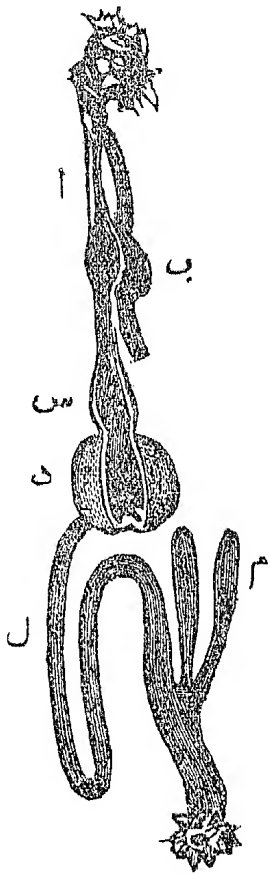
فهذا الريش يجعل لباسا لها ودثارا يقيها الحر والبرد وهو غطاء ووطاء ووقاية من الآفات العارضة وهو
 فوق ذلك يعينها على النهوض والطيران

(٥) الحمل والولادة والارضاع
 البيض والحض وتربية الأفراخ
 فانظر كيف جعلت منافعها مديبة بخلاف حيوان البر عريض الوجه فيسهل على الطير اختراق الهواء في
 طيرانه كما يجعل مقدم السفينة حادا فتشق الماء بحيزومها شقا فلو كان مقدم الطيور عريضا لعارضها الهواء في
 سرعة طيرانها فساقتها عن سبيلها . وجعل للطير بدل الولادة والارضاع أن تبيض وتربي أفراخها في أعشاشها
 لأن الحمل يعوقها عن الطيران في سبيلها ولا تسكف فوق طاقتها من الارضاع الذي يوجب أن يحال الطعام
 في أجسامها الى دم فلبن وهذا مما يثقل عليها وهي في جوارحها . فهذا معنى قول العلماء ان الطيور مختصرة
 من حيوان البر . فأنت ترى أن الجاموس الذي يأكل العشب له فم واسع به تمكن من القبض على

الحشيش والكلاء في المرعى وأسنانه الحادة يقطع بها وأضراره الصلاب يطحن بها ما صلب من العشب والحب والورق والقشر والنوى ولها مرى واسع تزدد به ما تمضغه وكروش واسعة تملؤها وتحمل فيها زادها كالزكائب والحقائب للإنسان . فإذا رجع إلى أماكنه استراح واجتر واسترجع ما بلعه ثم طحنه ثانياً وبلعه وازدردته في مواضع أخرى من كروشه فالكروش الأولى مهيئة للحمل والثانية مهيئة لطبخ الطعام بالحرارة الغريزية فتضجحه حتى تستمره الطبيعة ويميز ثقيله من خفيفه ثم يدفع الثقل إلى الأمعاء والمصارين ويخرج من المواضع المعدة للخارج فأما اللطيف الصافي فإنه يذهب للسكيد فيطبخ ثانياً هناك ويصفي ويذهب عكره في الطحال وتأخذ المرارة ما خفف منه والكليتان الماء والعروق تجذب الدم الصافي فتوصله إلى أقاصى الجسم لتعطيه بدل ما تحلل منه فإن أبدان الحيوان كلها دائماً في السيالان والذوبان من أسباب داخلية وأخرى خارجة

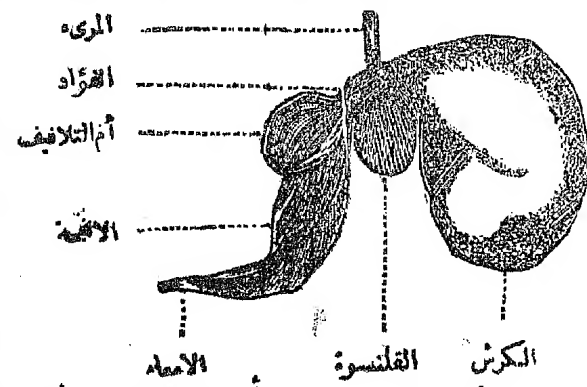
﴿ صورة أحشاء الطيور ﴾

هاك صورة أحشاء الطيور وأحشاء الحيوانات المجتررة كالغزال والبقر والجاموس والمعز وأحشاء الإنسان فترى أمامك في الصورة الأولى التي هي القناة الهضمية لأمثال الدجاج الجزء المشار له بحرف (أ) يصور لك المرى الذى يمر فيه الطعام ثم ينزل منه إلى الحوصلة . حرف (ب) ويمتزج الحب بماء مفرز فيعطن ويلين ثم ينتقل إلى حرف (س) في تجويف يفرز سائلاً حامضاً يؤثر في المأكول . ثم يتجه إلى كيس متين قوى غليظه غشاء يشبه القرن في قوامه وهو القانصة (د) فيؤثر في الحب ويطحنه طحناً ويعينه على ذلك ما التقطه الطير من الرمال والحصى فيصير الطعام قطعة واحدة لزجة ثم ينتهى إلى الأمعاء وهى المصارين وهناك تقابله العصارة المعوية وهى التى تفرز الفضول وتعاون على امتصاص المواد المغذية (انظر شكل القناة الهضمية للطيور شكل ١٧)



(شكل ١٧)

أما في أمثال الجبال والغزلان والبقر والمعز فانها لها أربع معدات مسميات بالأسماء المختلفة وقد شرحناها في سورة الأنعام ونعيد رسمها هنا تكميلاً للمقام . فهذه المعدات الأربع التى تراها أمامك جعلت هكذا . منها واحدة لتخزن الطعام لأن الحيوان إذا أخذ يرعى فإنه لا محالة إما أن يسابق غيره فى الرعى وإما أن يخاف من السباع المفترسة فاذن يحتاج إلى مخزن يخزن فيه حتى إذا استراح فى مربهض أخذ يجتره ثانياً ويمضغه جيداً بعد أن يكون قد عطن بالعصارة فى المخزن الأول . فإذا مضغه جيداً أنزله إلى المعدة الثانية وهناك يقابل الماء الذى يشربه ثم يمر بالثالثة فالرابعة فتلقاه عصارة قوية شديدة الفعل فتؤثر تأثيراً شديداً . ثم ينتقل الطعام إلى الأمعاء . ثم إن الغذاء تصطفي منه القوى النفسية العناصر المغذية فى المعدة والأمعاء لتسير مع الدم لمنفعة الجسم ومابقى يفرز إلى الخارج وهذه صورة أحشاء الحيوانات المجتررة (شكل ١٨)



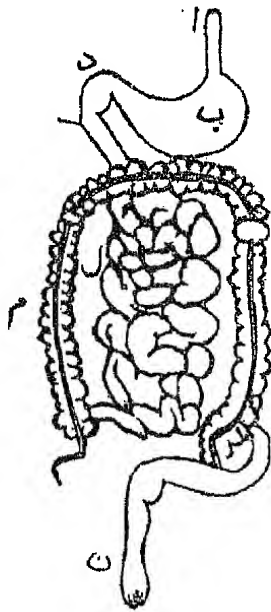
(شكل ١٨ - صورة أحشاء الحيوانات المجترة)

ان طعام الانسان يمرّ في المريء (١) وهو المتصل من الفم الى المعدة ثم المعدة حرف (ب) ثم المعى الدقاق حرف (ل) وهو (ثلاثة أقسام) الاثنا عشرى والصائم والفائى والأول قصير جدًا والثانى نحو (٨) أقسام والثالث (١٢) قدما ثم المعى الغليظ حرف (م) وهو (ثلاثة أقسام) الأعور والقولون والمستقيم والقولون المذكور صاعد ومستعرض ونازل والقولون بأقسامه الثلاثة هو أكبر أقسام المعى الغليظ

﴿ نظام الهضم في المعدة والامعاء ﴾

يخيل للانسان أول وهلة أن هضم الطعام أمر عاى لا سر له ولا مساعد وكأنه المطبوخ في القدور تؤثر فيه الحرارة فينضج وليس كذلك . إن الطعام يعضغ أولاً ثم يمرّ في المريء ثم المعدة ثم الامعاء فهناك يقابله عصارات تحلله تحليلاً كيميائياً . فاذا رأينا الأسنان تمزقه وتطحنه فليس ذلك كافياً . كلا بل هناك عصارة في الفم تتدخل في أجزائه وعلى مقدار جودة المضغ يكون تدخل تلك العصارة ثم تقابله في المعدة العصارة المعدية ثم الصفراء التي تصبّ في رأس المعى ثم عصارة البنكرياس وهي تصبّ بقرب مصب الصفراء ثم العصارة المعوية وهي عصارة الامعاء . فهذه العصارات الخمس تؤثر في الطعام تأثيراً قوياً ويساعدها حركات المعدة والامعاء العضلية ومضغ الانسان (انظر شكل ١٩ القناة الهضمية للانسان)

﴿ نظرة عامة في القنوات الهضمية وهي الدائرة الغذائية في هذه الأنواع الثلاثة وفي سير أغذيتها ﴾



ألا تتعجب من التنوع والحكمة والقدرة . غذاء يسير لتغذية الحيوان نراه يتنوع تنوعاً بحكمة ويعطى كل حيوان بقدره . انظر الأسنان في الانسان قد حرّمها الطير . لا أسنان للطيور . إن للطير مناقير وهذه المناكير محدبة . لماذا . لتخترق الهواء الجوى إذ لو كانت مناقير عريضة كوجه الانسان وذوات الأربع لعارضه الهواء في طيرانه فعاقه عن المسير . إذن فم الطائر لا يصلح للأسنان فكيف بهضم طعامه . فانظر ماذا جرى . جعل الله أسنانه في القنوصة ولكن أين الأسنان هناك . هناك حبوب الرمل والحصى هذه الحصوات القوية التي لودخات معدة الانسان لأضرت بها . ههنا تكون أقوى مساعد على تمزيق الطعام . فانظر كيف أعطى الانسان أسنانياً فهو أدبى دجاجة عوضاً عنها رملاً تلتقطه فيساعد على الهضم وجعلت

(شكل ١٩)

القناصة قوية متينة لذلك . ثم تنظر فتري الحيوانات المجترة اعطيت (بدل الأسنان في الانسان والحصوات في قناصات الطير) أربع معدات تساعد في الهضم فالمعدات السكينة أعطيت لذوات الأربع لتؤدي وظيفة الهضم لأن طعامها عسر الهضم فهذه المعدات قامت مقام الطحن والخبز والعجن وما أشبه ذلك . فالانسان بطحنه وخبزه وشبهه وطبّيه والمجترات بمعدات الأربع كل أعطى ما هو أهل له . أنا أرى الآن أنك

وقفت على مظهر من حكمة هذه النظم المختلفة . أفلا ترى أن النتيجة واحدة وإنما اختلفت الطرق .
 النتيجة حياة الحيوان والطرق تنوعت بتنوع الحيوان . فهذا بحصاه ورماله . وهذا بطبيعته وعجنته . وهذا
 بمعداته المختلفة . عجب هذا الوجود تراه كله بقدر . ترى الوحدة ظاهرة فيه . اختلاف في المقدمات
 واتفاق في النتائج بل اتفاق أيضا في المبدأ أيضا فان الحيوانات كلها من خلايا متجانسة ثم تنوعت في أشكالها حين
 تركبت . أفلا ترى أن هذا هو علم التوحيد . إن هذه المسألة لا تفارق غيرها من مسائل هذه الدنيا
 وفي الفلك وفي المعادن وفي النبات وفي الحيوان وفي الانسان ترى هذا النظام سائدا . اختلاف فائفاق
 ليس هذا هو علم التوحيد بعينه . هذا هو دين الاسلام . دين الاسلام هو ما بينه في هذا التفسير .
 يمثل هذا فليدرس المسلمون علوم التوحيد . إن علوم التوحيد هي علوم النبات والحيوان والمعادن والفلك
 والعلوم الرياضية . هذه العلوم تدرس في المدارس الاسلامية فتقوم بها المدنية ويرتقى الشعب وفي الوقت
 نفسه يكونون قد درسوا علم معرفة الله تعالى . فينبأهم يقومون بنظام مدنيهم اذا هم قد عرفوا ربهم
 وشكروه شكرا عاميا كالذي ذكرناه وشكرا عمليا بما يستنبطون من الأعمال النافعة في الحياة ويخدمون
 نوع الانسان لا المسلمين وحدهم . إن المسلم جاء الى الأرض ليكون نورا يستضاء به لا أن يكون عالة على
 الفرنجة . المسلمون الآن عالة جدا على الفرنجة . اللهم إني أبرأ اليك من التقصير . اللهم إني أعلم أنك
 ستسألني وستسأل كل قارئ لهذا الكتاب . أما أنا فإذا أفعل . كتبت ما أقدرتني عليه وسيقرؤه من
 يقدر أن يتوغل في النشر والتعليم وهو مسئول كما انا مسئول . اللهم إنك أنت المعين فأعن المجتهد من
 المسلمين على العلم والعمل كما أعنتني على نشر هذا الكتاب . وأن الله لمع المحسنين .

﴿ التناسل ﴾

ثم إن تلك المواد التي في أبدان الذكور والاناث اذا فضل منها شيء لم يترك عبثا كالم يترك الروث والفضلات
 عبثا . فالفضلات تكون سمادا للزراع فيأكل منه الانسان والحيوان وفضلات الدم الغريزي في الحيوان
 ذكرانه وانثاه جعلت لها أوعية ومجار في أبدانها فيجري من الأصاب الى الأرحام وينضاف اليه ما ينفصل
 من أبدان الاناث من الرطوبات المشاككة لها وتجتمع ويخلق منها مثل أحد الزوجين . وهكذا يتكوّن من
 الدم العظام والعضلات والأوتار والأعصاب . فشكل هذه تتغير منه . ومن الدم أيضا تكون السوائل التي
 تفرز كالريق في الفم والبنكرياس في المعدة هضم الغذاء هضمًا ثانيًا فان هناك غددا في الجسم تفرز هذه
 السوائل ومن أهم هذه السوائل

﴿ اللبن ﴾

وهو ما يتكوّن بحال مخصوصة من الدم الجاري في العروق ويرسل من محل تسكوّنه الى الضرع والثدي
 فيرضعه الولد . ولما كان اللبن بين الفخذين في الأنعام وكان الدم في سائر البدن جاريًا في الأوراد والشرايين
 وكان القرث في الامعاء قد دفعته المعدة اليها بعد جذب العروق خلاصة الطعام فكانت دما
 جاء في الآية - من بين قرث ودم لبنا خالصا - فالبنية باعتبار المكان أما كون الدم محيطا به فظاهر
 وأما كون القرث في جانب منه فهذا مفهوم لأن الامعاء في مؤخر الجسم والدم في سائر البدن فهو بينهما من
 حيث المكان وكل في وعائه . فلا القرث يختلط باللبن لأن لكل مكانه الذي خلق فيه ولا الدم بداخل في
 الضرع بل اللبن لأن شرايينه وأورده المحيطة بالضرع لا يفلت منها فهذا معنى آخر لا آية . وبهذا انتهى الكلام
 على الحيوانات الناقصة الخلقة والمختصرة منها فلنتكلم على الحيوانات الناقصة الخلقة ومنها البقرة التي ذكرناها في
 مثال الجموسة وأبي قردان والبقر وهو

﴿ الحشرات ونحوها ﴾

هذا القسم لا يعيش سنة كاملة لأن الحرّ والبرد المفرطين يهلكانه وأجسامه متخلخلة المسام وليس له جلد ثخين ولا صدف ولا عظام ولا طحال ولا مرارة ولا كلية ولا مثانة ولا استنشاق الهواء لترويج الحرارة الفريزية لأنها غارقة في النسيم يتخللها من خروق جسمها ويصل إلى سائر بدنها لأن جثتها صغيرة ومسامها مفتحة . فاما الحيوانات الكبيرة في القسم الأول وما ألحق بها فإن جلودها ولحومها وغشاواتها وعروقها وأعصابها وعظامها المصمتة والخوفاة وأضلاعها ومصارينها وأمعائها وطحائها وكروشها ومعدتها وقلوبها وورثاتها وكلاها ومثانها وخوف رؤسها وأشعارها وأوبارها وأصوافها وریشها وصدفها . كل ذلك يمنع وصول الهواء إلى عمق أبدانها وترويج الحرارة الفريزية فيها لجعل لبعضها رئة وحلقوم ومجار للنفس حتى يصل نسيم الهواء إلى عمق أبدانها ومحابس قعر أبدانها ويروح الحرارة الفريزية فيها ويحفظ الحياة عليها . هذا اذا كانت في الهواء فأما اذا كانت في الماء فانها ركبت أبدانها تركيما بحيث يصل برد الماء ورطوبته إلى قعر أبدانها هذا ما قاله القدماء . وقال علماء العصر الحاضر . ان الهواء يتخلل الماء وهو الذي يتنفس منه السمك وعللوا ذلك بأن وضعوا السمك في ماء مغلي ثم برد وقد تخلص من الهواء فبات السمك فيه لأنه فقد الهواء ولم يترك زمانا كافيا ليحركه النسيم ويتخلل أجزائه وطبقاته فيعيش فيه السمك وجعل لكل نوع منها أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لجثته وجعل على أبدانه من أنواع الصدف والفوس لباس ودثارا ليقية البرد وغطاء ووطاء ووقاية لها من الآفات العارضة وجعل لبعضه أجنحة وأذنان تسبح بها في الماء مثل الطيور في الهواء اه . تم الكلام على الوجه الأول والسابع للتناسب بينهما

ولما كانت هذه الآيات السابقة شاملة الأنعام والطيور والحشرات وقد تكلمنا على كل بكلام موجز أتبعناه بما هو أوضح في الثلاثة للدلالة على جلال الله وحسن تديره . واعلم أن الحكماء جعلوا معرفة الاهيات بعد علم الطبيعة والطبيعة بعد علم الرياضيات وهذا التبيين في كتب الحكمة . هكذا أراد الله في القرآن قراءة الطبيعة المسبوقة بعلم الرياضة وهذا هو الذي نطيل الكلام فيه في هذا التفسير

﴿ الوجه الثاني في وصف الحيوان ﴾

ولاسمعتك كلاما كلياً من كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وهاهوذا

اعلموا أيها المسلمون أن الله خالق لنا الأنسام والبهائم والسيباع والوحوش والطيور والجوارح وحيوان الماء والحشرات . كل ذلك ليتيم خلقه وتربيته على أتم كمال وأحسن حال . فالأنعام كل ماله ظلف مشقوق كالبقر والجاموس والغنم والمعز . والبهائم ما كان لها حافر كالخيل والبغال . والسيباع ما لها أنياب ومخالب . والوحوش ما كان مركبا من ذلك . والطيور ما كان لها أجنحة وریش ومنقار . والجوارح ما كان لها أجنحة ومنقار مقوس ومخالب معقربة . وحيوان الماء ما يقيم فيه ويعيش . والحشرات ما يطير وليس له ريش . والهوام ما يدب على رجلين أو أربع أو يزحف أو ينساب على بطنه أو يتدحرج على جنبه . ولقد يحب الناس من خلقه (الفيل) أكثر من خلقه (البقة) وهي أعجب خلقه وأظرف صورة فإن الفيل مع كبر جسمه له أربعة أرجل وخرطوم ونابان خارجان والبقة مع صغر جسمها لها ستة أرجل وخرطوم وأربعة أجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وأمعاء وأعضاء أخرى لا يدركها البصر ولا يعرفها الفكر . وهي مع صغر جثتها مسلطة على الفيل بالأذية ولا يقدر عليها ولا يمتنع بالتحرز منها . ثم ان من الحيوان ماله حاسة واحدة وهي اللس كالأصداف وأجناس الديدان التي تعيش في الطين أو في الماء أو في الخل أو في الثلج أو في لب الثمر أو في الحب أو في لب النبات والشجر أو في أجواف الحيوانات الكبرى وليس له ذوق ولاشم ولاسمع ولابصر وليس له إلا اللس فيمتص المادة بجميع بدنه بالقوة الجاذبة ويحس باللس لاغير . ومنها ماله ذوق وليس

وليس له سمع ولا بصر ولا شم وهي كل دودة تتكّون وتدبّ على ورق الأشجار والنبات ونورها وزهرها .
ومنها ماله لمس وذوق وشم وليس له سمع ولا بصر وهي الحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواقع
المظلمة . ومنها ماله الخواص ماعدا البصر وهي الهوام والحشرات التي تدبّ في المواقع المظلمة ولم يجعل له
البصر لأنه يعيش في المواقع المظلمة

﴿ الوجه الثالث في اختلاف الحيوان في الحركات ﴾

من الحيوانات ما يتدحرج كدودة الثلج . ومنها ما يزحف كدودة الصدف . ومنها ما ينساب كالحية .
ومنها ما يدبّ كالعقارب . ومنها ما يعدو كالفار . ومنها ما يطير كالذباب والبق . ومما يدبّ ويمشي ماله
رجلان . ومنها ماله أربع أرجل . ومنها ماله ستة أرجل . ومنها ماله أكثر . ومما يطير من الحشرات
ماله جناحان . ومنها ماله أربعة أجنحة . ومنها ماله ستة أرجل وأربعة أجنحة ومشفر ومخالب وقرون
كالجراد . ومنها ماله خرطوم كالبق والذباب . ومنها ماله مشفر ووجه (بضم الحاء وفتح الميم) كالزنابير . ومن
الهوام والحشرات ماله فكر وروية وتميز وتدير وسياسة كما قدمنا . وإلى هذا الاختلاف أشار الله فقال - والله
كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله
ما يشاء إن الله على كل شيء قدير -

واعلم أن هذه الغرائب لا يتعجب منها الناس لأنهم ألقوها . أما العلماء فانفتحت أبصارهم وكشفت
بصائرهم فرأوا هذه العجائب فأعظموها وأيقنوا أنهم مبصرون والناس حولهم غافلون فعلمهم أن يفتحوا
أبصارهم حولهم قال تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -
فالعجائب تحيط بنا من كل جانب ونحن مغمضون الأعين عنها كأننا لم نخلق على هذه الكرة وكأن غيرنا
هم المختصون بنعم الله وعجائبه وبدائعه - ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين - ولا يظلم ربك أحدا -
- وكل شيء عنده بمقدار -

ومن الحشرات ما لها أعين . ومنها ما كل عين من عينيها مركبة من مائتي (٢٠٠) عين فيكون لها
(٤٠٠) أربعمائة عين تبصر بها وكل عين مركبة من أعضاء وطبقات خاصة بها كما نقلناه عن علماء الألمان
والنساويين في رسالتنا الموسومة ﴿ بعين الثمالة ﴾ ومنها ماله أكثر من ذلك كالذباب ومنها ما لها (٢٧٠٠٠) سبع
وعشرون ألف عين وهي حشرة كبيرة أكبر من أبي دقيق تعيش على العليق وغيره . وهذه العجائب
البديعة الحسنة لا تعرف إلا بالعلوم التي عرفها العالم الغربي اليوم . وعندهم مناظر معظمة تريك هذه العين والعيون
التي تركبت منها كما رأيتموها أنا بعيني رأسي تحت المنظار العظيم . هذه عجائب الحيوان الظاهرة وهناك عجائب
باطنة أدق من هذه لا يدركها إلا علماء التشريح الناظرون في ملكوت السموات والأرض المبصرون المطلعون
على خفايا البدائع وعجائب الحكمة - إن ربك حكيم عليم -

ولقد رأى العلماء قديما وحديثا أن العين سبع طبقات وثلاث رطوبات لانطيل بذكرها واحدى طبقاتها
وهي الشبكية التي لا تزيد عن ثخن ورقة تتألف من تسع طبقات مختلفة أبعدها تتألف من ثلاثة ملايين مخروط
ونحو ثلاثين مليون اسطوانة وقد رأوا أن في المادة السنجابية التي في الماغ نحو ستمائة مليون خلية تتألف
كل منها من آلاف من اللقائى الظاهرة وكل دقيقة تتكّون من ملايين الجواهر كما في كتاب ﴿ مسرات
الحياة ﴾ للورد (أفبري) وذلك من مطالب قوله تعالى - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وقوله - وفي خلقكم
وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون - وقوله - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين -
وقوله - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - هو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم -
وقوله - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها -

يا عجباً لهذه الدنيا ونظامها ويا غفلة أكثر المسلمين . عجباً لهذه البنية الانسانية وكيف ركب الدماغ بأشكال منظمة بديعة وكيف جعل في العين مادة تشبه الزجاج وأخرى تشبه بياض البيض وكيف كانت الطبقة المقدّمة فيها المسماة بالقرنية أعنى التي تشبه القرن نراها شفافة والنور يأتي من الكواكب والنيران ماراً بالهواء وهو شفاف وبالقرنية وهي شفافة وبالمواد الزجاجية والبيضية في العين وهي شفافة ويرسم هناك على قطعة تسمى (الجليدية) وتسمى (العنسية والبلورية) أيضاً فهي كالبور وتنتقل الصورة منها الى المخ فيراها الانسان والعين لا ترى وإنما هي آلة الابصار

أيها المسلمون . عليكم أن تتغلغلوا في العلوم كما أمركم الله وكيف يقول - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أيها المسلمون . هذا كلام ربكم وهذا صنع ربكم فأين المفرّ ولا مفرّ لهارب فاما أن تعلموا واما أن تتأهبوا للرحيل من العالم ولكن أبشركم قد جاء دوركم وأقبل يوم علمكم - وتلك الأيام نداؤها بين الناس - ولعمري لقد أقبلتم اليوم على العلوم اقبالاً وأنا بتمام أمركم من المؤمنين

﴿ الوجه الرابع في قوله تعالى - وانظر الى حمارك - ووجوب علم التشريع ﴾

أوليس مذكّره في عين الانسان من عجائب علم التشريع التي تدهش العقول وكيف حثّ الله عليه في القرآن والمسلمون عنه نائمون . نعم قد يقرؤه الأطباء وأما بقية الأمة فانهما تجهله . يا أسفا على أمة الاسلام الطبيب يقرأ علم التشريع ولا يعنيه إلا الأعمال الطبية وكثير منهم غافلون عن الحكمة والنظام والجمال التشريع من عجائب العلم ومن مطالب القرآن كيف لا . انظروا أيها المسلمون . ألم يقل الله في قصة العزيز إذ مرّ على بيت المقدس الذي هو مسقط رأسه بعد أن خرّبه بختنصر وأخذ يقول - أنى يحيى هذه الله بعد موتها - أى كيف يحيى هذه القرية الله بعد خرابها - فأما الله مائة عام - أى فأما الله فلبث مائة عام - ثم بعثه - أحياء - قال - له الملك - كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال - الملك له - بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك - وهو التين - وشرابك - وهو العنبر والبن - لم يتسنه - لم يتغير - وانظر الى حمارك - كيف تفرقت عظامه - و - فعلمنا ذلك - لنجعلك آية للناس وانظر الى العظام - أى عظام الحمار المفرّقة - كيف ننشزها - نحياها ونرفع بعضها الى بعض - ثم نكسوها لحفا فلما تبين له - قدرة الله على هذه الأشياء وأنه حفظ الشراب والطعام وأحيا عظام الحمار فرفعها وركب بعضها على بعض وخلق عليها اللحم - قال أعلم أن الله على كل شئ قدير -

يأليت شعري لم ذكر هذه القصة في القرآن . النبي ﷺ وحده . كلا فهو ﷺ مرسل لنا . أهى اليوم تقرأ لأبائنا الذين ماتوا . كلا وإنما تقرأ لأجلنا الآن . فقصة العزيز يقصد بها تعليمنا نحن وإذا طلب من العزيز أن ينظر في عظام الحمار فالنظر في تشريح الانسان أولى بل هو أتم تركيباً من الحمار وانظروا أيها المسلمون كيف يقول بعد أن عرف التشريع - أعلم أن الله على كل شئ قدير - يعنى انه أصبح عالماً ولم يكتف بالامعان . فليذكر المسلمون في هذا القول ولينظروا يطلب الخليل من الله قائلاً - كيف يحيى الموتى - فيقول الله له - أألم تؤمن - فيقول - بلى - أى آمنت - ولكن ليطمئن قلبي - فهنا يقول العزيز - أعلم أن الله على كل شئ قدير - ويقول الخليل - ولكن ليطمئن قلبي - فياقوم كيف يكون هذا في القرآن والناس ساهون . وكيف نجعل التشريح والكتاب يأمرنا به . يظنّ كثير من الغافلين في الأمة الاسلامية انهم متى ظنوا أنهم عرفوا الله ولوثقلدا فقد أتموا كل شئ ولكن الله يريد رقى عقولنا باتساع علومنا ومعارفنا فلذلك أكثر من هذه القصص وقال لنا إن الأنبياء يدرسون كل شئ ويقول لرسوله - وقل رب زدنى علماً - فكان المسلم الغافل بجهله يظنّ انه أعلم من الأنبياء فيعيش غافلاً ساهياً لا هياً . أولم يعير الله اليهود بالغفلة عما في التوراة فقال - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أفلا يكون

المسلم الذي يقرأ مثل هذه القصة في القرآن يكررها بلا عمل ولا علم ولا حكمة ولا تشرح كالجار يحمل أسفارا المسلمون يكررون القرآن صباحا ومساء وهم لا يفكرون إلا قليلا

﴿ فصل في وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر لتعرف أيها الذكي جبال علم التشریح ﴾

(١) لقد جعل الله الظهر خزرات كثيرة ولو كانت قطعة واحدة لم يمكن الانحناء بها
(٢) ولو كانت قطعا أصغر من هذه لكان الانحناء أسهل ولكن النخاع في وسطها لا يكون مصونا لذلك جعلت على هذا الوضع لئتم ﴿ الأمران ﴾ إمكان الانحناء وحفظ النخاع ليوصل الاحساس الى المخ وقد جعل على كل فقرة أربعة أشياء (١) غشاء غضروفي يغشيها وشوكة (٢) نابذة من خلفها وجناحان (٣) و (٤) من يمينها ويسارها . أما الغشاء الغضروفي فثلاثا تنكسر بسهولة عند مصادمتها . وأما الشوكة من خلفها فلتكون وقاية بارزة لها تتلقى الصدمات فلا تصل للفقرات ويقال لهذه الشوكات سناسن جمع سنسنة وهذه السناسن قد ربطت بعضها ببعض برباطات عصبية عراض متينة فتصير كأنها قطعة واحدة فأما الأجنحة فانها مدخل لرؤس الأضلاع ووقاية للفقرات من جوانبها كما أن السناسن وقاية لها من ورأها ولما كان الدماغ هو محل الاحساس والفكر . وكان لابد من ربط جميع أعضاء الجسم به ولم يمكن أن تغرز جميع الأعصاب فيه جعلت الفقرات محوطة وفيها النخاع المتصل بالمخ لتصل به الأعصاب الحساسة والأعصاب التي للحركة . فاذا أصاب الجسم حرّ أو برد أو ألم ظاهر وصله عصب الحس الى النخاع فاتصل بالمخ فيأمر الأعضاء الظاهرة بالدفاع بواسطة أعصاب الحركة في أقل من لمح البصر ومن الصلب من أعلاه الى العصعص (٢٩) زوجا من أعصاب الحس وأعصاب الحركة عند كل خزرة زوجان أحدهما يمتد والآخر يسرة . فانظر كيف كان للفقرة الواحدة غشاء يحفظها وشوكة تحميها وجناحان يحفظانها من جانبيها وينفعان في ربط الأضلاع وكيف كان باطنها أشبه بالبطارية الكبر بائية ترسل الكبر باء من الأسلاك . وكيف كان عصب الحس يوصل اليها الأخبار من ظاهر الجسم . وكيف تقبلها وتوصل في لمح البصر الى عصب الحركة الأوامر بالبطش باليد أو المشي بالرجل وما أشبه ذلك من أوامر الدماغ . أليس هنا أسلاك برقية (تلفرافية) . أليست الأوامر صادرة واردة غادية رائحة . أليس هذا كله يكون في كل فقرة من الفقرات . فهل الذين خلقوا على هذا النظام الجليل البديع ويأمرهم الله بالنظر الى عجائب عظم الجبار أجدر أن ينظروا في عظام جميع البهائم وعظامهم أيها المسلمون قد آن أوان أن يظهر جيل جديد أعلم من السابقين وأحكم من الأولين بعد العصور الأولى التي كان نور النبوة يشرق عليها فالجد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

﴿ الوجه الخامس ﴾

إنه ما من عضو من أعضاء الحيوان صغيرا كان أو كبيرا إلا وهو خادم لعضو آخر ومعين له إما في بقاءه وتتميمه أو في أفعاله ومنافعه . مثال ذلك الدماغ في بدن الانسان فان القلب خادم له ومعينه على أفعاله والقلب يخدمه ﴿ ثلاثة أعضاء ﴾ وهي السكبد والعروق الضوارب والرئة . وهكذا حكم السكبد يخدمه ﴿ خمسة أعضاء ﴾ وهي المعدة والأوردة والطحال والمرارة والكليتان . وهكذا أيضا حكم الرئة يخدمها ﴿ أربعة أعضاء ﴾ وهي الصدر والحلقوم والحجاب الحاجز والمنخران . وذلك أنه من المنخرين يدخل الهواء المستنشق الى الحلقوم ويعتدل فيه مزاجه ويصل الى الرئة ويصفي فيها ثم يدخل الى القلب فيجعل الدم الذي يتشبع بالكربون المنجذب من نواحي الجسم مصفى منه بما فيه من الأكسوجين ثم يخرج ذلك الهواء مع الكربون في النفس ويترك الأكسوجين لادم منقيا له سائرا الى الجسم لتغذيته وهكذا . ذلك أن القلب فيه تجويفان علويان وتجويفان سفليان وهما البطينان والاذنيان والدم يجري بينهما بطريقة لآلة الماصة الكاسية ولذلك شرح بطول في علم التشریح للذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا

سبحانك فقنا عذاب النار - التي تطلع على أفئدتنا يوم القيامة بجهلنا صنعك . و بعدنا عن رحمتك . وغلم شكرنا لك لما أنعمت به علينا إنك أنت الوهاب . وهكذا سائر الأعضاء فلا تطيل به اثلاثا تخرج عما شرطنا في كتابنا أن يكون نموذجاً سهلاً يعرفه العامة والمتوسطون ولا يشذ المفكرون عن سمعه

﴿ الوجه السادس في الطير ﴾

قال تعالى - ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون * والله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير - وإذا اعتبر الإنسان الطيور والحشرات وجدها كلها متزنة الجانبين طولاً وعرضاً وخفة وثقلاً يمنة ويسرة وخلقا وقداماً . ومن أجل هذا إذا نتف من إحدى جناحيه طاقات ريش اضطرب في طيرانه كرجل أعرج في مشيته إذا كانت إحدى رجليه أطول والأخرى أقصر . ومن أجل ذلك أيضاً متى نتف من ذنبه طاقات ريش اضطرب في طيرانه مكبو با على رأسه كمثل زورق في الماء وسفينة في ثقل صدرها وخفة مؤخرها . ومن أجل ذلك صار بعض الطيور إذا مد رقبته إلى قدام مد رجليه إلى خلف ليتوازن ثقل رجليه بثقل رقبته كالسكرانكي . ومن الطير ما يطوى رقبته إلى صدره ويجمع رجليه تحت بطنه في طيرانه كالك الحزين . وعلى هذا المثال حكم سائر الطيور والحشرات في طيرانها . والكلام على الطيور يطول شرحه . إنما الذي يدعش العقلاء ويحير المفكرين مسألة توازن الذنب والرقبة وتوازن الجناحين وأن ذلك بيزان عدل لا نقص فيه ولا خطأ . وهذا أشبه بما ذكره العلماء في الجمل ورقبته فإن رأسه كرمانة (القبان) وعنقه كالذراع الطويل وظهره كالذراع القصير والجل الذي يحمله كالذي يزنه الناس فيه فإذا جل جلا وأراد القيام مد رقبته كما يجعل (القبان) الرمانة في آخر الذراع الطويل لتعادل الجمل الثقيل في الذراع القصير . ولذلك عند علماء الطبيعة حساب عجيب وهذا قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وقوله - والله سريع الحساب - فهذا من أعجب الحساب وأتقنه وأبدعه . فحساب جسم الطائر والحيوان وحساب الفلك في دورانه حساب لا ترى فيه عوجاً ولا تفاوتاً فالنظام عام في كل شيء

﴿ الوجه السابع ﴾

قد تقدم بعضه فلنذكر الباقي وهو الكلام على تربية الطيور لأولادها لمناسبة آية - أولم يروا إلى الطير الخ - (١) النعامة مركبة من طائر وبهيمة تبيض من ٣٠ بيضة إلى ٤٠ وتجعلها ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ تدفن قسماً في التراب وتترك قسماً في الشمس وتحضن قسماً . فإذا خرجت أولادها أخذت هي تكسر ما كان في الشمس وسقتها حتى إذا قويت تلك الذرّة أخرجت المدفون وثبتت ثقباً ليجتمع الذباب فيه والبق والحشرات والهوام فتأخذها وتطعمها لهن . فانظر كيف ألهمت النعامة أن تلك المخلوقات الضعيفة لا تقوى حواصلها أن تهضم إلا مارقاً من الطعام أولاً وإنما إذا اشتدت قليلاً تستأهل لازدراء تلك الحشرات التي هي أمتن وأقسى في الهضم وإنما إذا كبرت انطلقت إلى العشب وقويت واستقلت وذلك بغير تعليم الاستاذين ولا تدريب المعامين ولا مدارس البنات والبنين . فما أجل العلم وما أعجب الحكمة وما أحسن هذا الصنع أيها المسمعون . نعامة جاهلة موصوفة بالحق حتى أنها إذا فاجأها عدوها عمسدت إلى صخرة فأخفت أعينها تحتها حتى لا ترى الخطر الداهم والعندو المهاجم فيأخذها وهي ساكنة . تلك الجماء تعطي علوماً بالظفرة بجهلها الأتومات من نوع الإنسان وليس يدركن أمثال هذه لأبنائهن إلا بالتعليم والتدريب

(٢) الدراج والدجاج وأمثالها والحمام وأمثالها

انظر إلى فرار الدراج والدجاج وكيف تكسر قشر البيض وتخرج وتلقط الحب . هكذا العنكبوت تخرج من بيضها تنسج كما تنسج أمها . هكذا البط يخرج من البيض فيقوم كأد درس ذلك في أيام سابقة وذلك بلا

تعليم ولا تأديب . ولتجيب العاقل كيف نرى الحمام في بيوتنا ونرى أن الذكور من الدجاج لاتساعد الأنثى في تربيتها لأولادها ونرى الحمام بعكس ذلك . وهكذا العصفير فإن الذكور من هذين النوعين تساعد الاناث فما الفرق بينهما مع ان الدجاجة أخرج الى المساعدة إن أبنائها كثيرة فأما ذرية الحمام فهي قليلة فكان الأجدر بالمساعدة من كثرت أولادها . فاعلم أنه إنما اختص الحمام بتعاون الزوجين لأن أفراده تخرج ضعيفة لا ريش لها ولا تقدر على الحركة كما يولد أبناء الانسان فلذلك ألهمهم الحمام والانسان مساعدة الذكر للاثني في التربية . أما الديك فلما علم الله أن الدجاجة لاتحتاج الى مشاركته في التربية لقوة الفراخ على العدو ولما عليها من الريش حين ولادتها لم يلهم مساعدتها بل أبقاه مجبجا بريشه نفورا بحجماله موفرا كل قواه لدجاجاته الكثيرات عاطفا عليهن مساعدا لهن في بعض أمورهن . وإنما جعل الله هذا في بيوتنا ليرينا أن المقصد من وجودنا إنما هي الحكم والعلم . فكم من آكل جاما ودجاجة وهو غافل عن أسرار خلقهما . وكم من قوم عاشوا وماتوا وهم لم يمتازوا عن الحيوان . فكم تحت التراب من عظام نخرة كانت فوق الأرض لانعى ماذا يراد بها وتأكل الطير والأنعام وتمض منها في أجوافها ولا يعرفون تفصيل خلقها ولا عجائب صنعها كأنهم خلقوا ليأكلوا وماتوا وهم لم يتزودوا من هذه الأرض البديعة إلا الجهالة والندامة والخسرة والغفلة أو ما علموا أن لهم عقولا تطالبهم بتغذيتها بالصور الحكيمة كما ان معداتهم تطالبهم بالقطع اللحمية فوفوا للمعدات بميثاقها ونقضوا ميثاق العقول . فليقرأ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها نظام هذه العوالم وايتفكروا في عجائب ما يلبسون ويأكلون ويشربون فقد سبقهم الفرنجة وهم نائمون
ليس من مات فاستراح يميت * إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا * كاسفا باله قليل الرجاء

﴿ الوجه الثامن ﴾

(الحيوانات على قسمين) قسم يعيش في الخلوات مستقلا . وقسم داجن يعيش تحت ارادة الانسان (فالأول كالغزالان والجار الوحشى والبقر الوحشى والفيلة والآساد . والثاني كالمعز والغنم والبقر والكلاب أفلمست ترى أن القسم الأول أقوى بدنا وأذكى نفسا وأقدر على الحيلة والعمل والاستقلال كالغزال والبقر الوحشى أما الثاني فإنه خاضع للانسان أسير ذليل قد ضاعت قواه الفكرية وذهبت مواهبه الادراكية . فبعيشك قل لي أيها أصفى لونا وأصح بدنا وأكثر ادراكا وأعظم استقلاللا الغزال أم المعز . الغزالة تعيش في الخلوات بالعيش الهني وتدبر أمر معيشتها بنفسها . أما الثانية فإنها قد فقدت قوة الادراك ذليلة الحال معرصة للأمراض الوييلة . والحكمة في ذلك أن كل ما أهمل استعماله من القوى يسلب من صاحبه ولا يعطى إلا ما ينفعه . الحيوانات الأهلية لما دبر أمرها الانسان وأطعمها خدعت قوتها الادراكية ونامت غريزتها الفطرية فسلبت ما أعطيه الغزالان وشرف به الآساد في غاباتها والحيات في أوكارها من التدبير العجيب . هكذا الانسان ﴿ قسمان ﴾ قسم خضع للغاصيين وخضع للظالمين فدبروا أعماله ونظموا أحواله فلا جرم تسلب من هؤلاء قواهم وتعطى لساداتهم المستعمرين ويسلبون عقولهم السامية كما سلبت حيواناتهم الداجنة . فهل يعطى الله السيف لغير الضاربين أو يعطى العقل لغير المفكرين . كلا . ثم كلا والمسلمون اذا استناموا للفرنجية المستعمرين وأخذوا منسوجاتهم صاغرين وسلموا اليهم ثروتهم لمصنوعاتهم وهم لا يصنعون خقت عليهم كثرة ربك لأنهم لا يعقلون وأخذتهم صاعقة الطيارات وهم ينظرون وخسفت بهم الأرض وهم غافلون . وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . وظلم المسلمين هنا أهملهم لعقولهم وتركهم لشؤونهم ونومهم خاضعين خاشعين بجهلهم . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

﴿ هذا كتاب كتبه الله بحروف بارزة لا يعقله إلا الحكماء والأصفياء ﴾

الكتاب ﴿ كتابان ﴾ كتاب بالحروف الصغيرة والآخ بالحروف الكبيرة . فأما الذي بالحروف الصغيرة فهو ما كتبه نحن بأقلامنا ونسود به وجوه الطروس . وأما الذي بالحروف الكبيرة فهو الذي كتبه الله بيده وأبرزه بصور وأشباح وقال انظروا . ولعمرك إن أكثر الناس لا يعقلون إلا الحروف الصغيرة . فأما الحروف الكبيرة التي كتبها الله بيده فهي محجوبة عن العقول مكشوفة لأبصار فاعجب لمبرقع مكشوف وظاهر مستور وجيلة زينت للناظرين وهم لا يبصرون وبهجة المنظر ومن حولها لا يشاهدون ما هي . هي تلك المشاهد التي نراها صباحا ومساء ونحن عنها غافلون . فهناك ما ذكرته لك من الدجاج والحمام وأشباهاها كيف برزت علومها وهي مستورة . ألم تركيب سلب فراخ الدجاج عطف الديك وقد وهب نعمته الريش والقوة والادراك كما ذكرناه . وهكذا سلب فراخ الحمام الريش وأعطيت عطف ذكر الحمام على أنثاه كما بيناه فالغنى بالفرم . أليس هذا معناه أن الله يخاطب المسلمين بالقول الفصيح المبين . أيها المسلمون ساعد ذكر الحمام أنثاه في تربية صغارها فسلبت في الحال ريشها لأن كل شئ عندي بمقدار ولم أخلق شياً عبثاً وكل شئ عندي بميزان فوزنت أمر الحمام وهو ضعيف فأريت أن أعده عطف الآباء وعكست القضية في الدجاج فنالت القوة وعدمت مساعدة الأب . هكذا أفعّل في سياسة الانسان . انكم أيها المسلمون لما غلبكم أعداؤكم وملكوكم زمانكم صرتم كالحمام لا كالدجاج فألهتمهم أن ينزعوا سلاحكم كما نزع سلاح الطير من صغار الحمام . ومن جاهد لحفظ بلاده منكم واستقل أعطيته السلاح ومنعت عنه الغاصبين فأنا لا أسلط الأقوياء إلا على الأمة التي استكانت فاستحقت المساعدة . إنا كل شئ خلقناه بقدر . وإن من شئ إلا عندنا خزانته وما ننزله إلا بقدر معلوم . فاذا قلت في كتب السماوية كالقرآن . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون . ومعناه أن الإصلاح العام في الأمة يورث بقاءها وإن كانت كافرة . فإصلاح البلاد هو الذي يؤهلها للبقاء . فلقد أريت الأمثال للناس عياناً ومشاهدة وهم غافلون فطابق قولي فعلى فلا قولي سمعتموه ولا عملى تدبرتموه فأين المفرّ ولا مفرّ لمار بين . وقد مرّ بعض هذا المقال في سورة (آل عمران)

﴿ كيف حجب الله هذا الجبال عن أكثر الناس ﴾

لعلمك تقول كأن في كل مآتراه جمالا وحكما والناس يرونه وكأنهم لا ينظرون ويسبرون في الأرض وكأنهم ميتون ويسمعون القول وكأنهم لا يعقلون . فأى حكمة إذن في هذا الجبال . وأى معنى لذلك السكال وإذا لم يكن للجبال مبصرون وللا حكمة فاهمون فهل خلقت لغير من يعقلها ووجدت لمن لا يفهمها . إن ذلك مما يورث الارتباب ويوقع الشك عند ذوى الألباب . أقول لا عجب في ذلك . لقد خلق الله أمما اسلامية وغير اسلامية وبرقع عن بعضهم وجوه هذا الجبال لا لبخل في العطية ولا للاحقهم بأذية ولكنه يعطى من يستحقون ويمنع من لا يستأهلون . أفلاتراه منع الأطفال أن يتصرفوا في أموالهم وصرف القردة والنزبان عن الحكم العلمية لأن الحيوان والأطفال لا قدرة لهم على إدارة الشؤون ولا على ادراك الصناعات والعلوم فاذا رأيت الأمم الاسلامية القريبة العهد مشته الممالك واقعة في المهالك فما ذلك من منع الحضرة العلية ولا بخل من الذات الربانية وانما كانوا عن المعالى قاصرين وعن ادراك المعاني غافلين فزقت دلوهم وشقت شملهم ومنعهم الماوك والأمراء من درس العلوم وصرفهم علماء السوء عن فهم الكتاب بقشور فقهية وأحكام شرعية وقالوا لهم ﴿ ليس في الامكان ابداع مما كان ﴾ وصرفوهم عن حب الأوطان والمدافعة عن الأهل والأموال مع انهم يقرؤن صباحا ومساء . ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . ويقرؤن أيضا . ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله و . في سبيل . المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . ومعنى ذلك أن

الله يقول للمسلمين قاطبة أي عذر لكم في ترك الجهاد لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدي الكفار وقد بلغ حال المستضعفين ما يبلغ من الضعف والأذى وقد كانوا بمكة لا يقدرُونَ على الهجرة وهم يدعون الله ويقولون - ربنا أخرجنا - وقد استجاب الله دعاءهم ففتح المسلمون مكة والنبي ﷺ كان مبشرا بذلك . أما الأمم الإسلامية القرية العهد وبعض الأمم الحاضرة فانهم ظالمون جاهلون قد حقت عليهم كلمة العذاب . ألا ترى انهم في شمال أفريقيا يلتجئون تارة الى فرنسا وطورا الى اسبانيا . وهذه الأمم الفرنجية يغيبون على مصر وتونس والجزائر ومراكش وكثير من عطاء تلك البلاد يهشون للفتحين ويأمنون بالمفترسين ولقد قال لي احد أبناء مراكش إن الفرنجة لن يقدرُوا أن يقبوا يوما واحدا إلا بمساعدة المسلمين وهكذا كان المسلمون أيام الحروب الصليبية لا يعبأون باخوانهم ولا يبالون بأوطان غير أوطانهم وجرت الحال على هذا المنوال ولكن اليوم قد تنبه بعض المسلمين كأهل الأفغان والترك والفرس فقد طردوا الفاتحين . وهكذا قد تنبه أهل الهند وقاموا قومة الشجعان وقالوا للفرنجة دعوا الشرق للشرقيين . وهكذا أهل بلادى المصريون قد رفع الغطاء عن أعينهم فانتبهوا لأمرهم ونالوا بعض مطالبهم . أولم يقرأ بقية المسلمين في الشرق والغرب القرآن . أولم يعلموا أن غزوة أحد كانت للدفاع عن المدينة وفتح مكة لاستخلاص الضعفاء بمكة من أيدي الكفار والغيب كل العيب على العلماء والملوك أولئك الذين على الإهمال يلامون وعلى اضرارهم بالمسلمين يعذبون وكل عن ذنبه مسؤول - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال -

﴿ الوجه التاسع في الحشرات ومنها النمل والعنكبوت ﴾

قال الله تعالى - وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون - فانظر كيف جعل النحل تبنى من الجبال بيوتا وفي الشجر وفي الخللا التي يصنعها الناس لها وتجمع العسل من الزهر مما ذكرناه في هذا الكتاب وأوضحناه في ﴿ كتاب الزهرة ﴾ وكتبنا الأخرى ثم جعل هذا الشراب مختلف الألوان ويشفي به الأمراض . عجب لهذه الدنيا ونظمها انها جنة للعلاء ليتفكر المسلمون وليعقلوا كيف كانت النحلة الصغيرة التي لا قدر لها سببا في القاح النبات ذكرانه لانائه ثم هي جمعت من الأزهار مالد وطاب فأحاطه عسلا وكان العسل ألد ما يأكل الناس وأشفي ما به يستشفون . فيألت شعري كيف كان الزهر وعسله والقاح إنائه من ذكرانه ثم شفاء الناس بعسله . إني لفي عجب من نظام هذا الوجود المحكم البديع وكيف كانت النحلة وسطا بيننا وبين عسل الزهر وكيف طبخته وكيف كانت شفاءنا وهي لاعلم لها بالقاح في الأزهار ولا بالعسل الذي عنها ورثناه ومن خلایها وبيوتها الجبابة اشتراها . إن في ذلك لعبرة للمسلمين

أما أن لهم أن ينظروا في عجائب الدنيا وعرانها وغرائبها وبدائعها ويتفكروا فيعلموا أن ألد الطعوم من حشرة صغيرة وهي النحلة وأرقى اللبوسات وأشرفها وأجلها ما كان من دودة وهو الحرير وأحسنها وأبهجها ما كان من صدقة في البحر وهو الدر . فيأعجب حشرة دودة وصدقة كانت أعمالها محل إعجابنا وزينتنا وشفائنا وتقارنا . بهذا العلم فليرق المسلمون . وبهذا العلم فليفيقوا من غفلتهم . فإذا أضاعوا هذه العلوم فقد أضاعوا كل شيء وجهلوا ربهم وضعوه ونسوا نعمته كما قال تعالى - نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون - نسوا نعمه فلم يدركوها فنسيهم وأخرهم في مصاف الأمم . العذاب واقع على ذوى العقول الكبيرة من المسلمين . واقع على الأغنياء والامراء والعلاء والعلماء . فعلى العالم أن يذكر الأغنياء وعلى الأغنياء أن يحضوا العساء والا فانهم جميعا آثمون . هذا ما نقلته من كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾

تفصيل الكلام على النحل

ويحسن هنا أن أذكر ما كتبه في كتابي ﴿جواهر العلم﴾ وفي كتابي ﴿جمال العالم﴾ فأما الذي في جواهر العلم فهو على هيئة محاوراة بين فتاة ونبي قال له ما معنى العجب فقال اعلمني أن العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فإن الإنسان إذا رأى خلية نحل ولم يكن شاهداً من قبل ورأى تلك الأشكال المستدسة المنتظمة تحير لعدم معرفة فاعله فإن قيل له إن فاعله هو النحل تحيراً أيضاً من حيث أن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المستدسات المتساوية الأضلاع المهجزة لمهرة المهندسين مع ما لديهم من العدد والآلات والادراك والتجارب وطول المدة . وكيف اهتدت إلى تغطية تلك البيوت بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطاً بالعسل من جميع جوانبه فلا ينشفه الهواء ولا يصيبه الفار ويبقى كالبرنية المنضمة الرأس فهذا معنى العجب وكل ما في العالم بهذه المثابة إلا أن الإنسان يدرسه في زمن صباه عند فقد التجربة ثم يبدو فيه غريزة العقل شيئاً فشيئاً وهو مستغرق الهم في قضاء حوائجه وتحصيل شهوته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فسقط من نظره لطول الانس بها فإذا رأى حيواناً غريباً أو فعلاً خارقاً للعادة انطلق لسانه بالتسبيح فقال سبحان الله وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء . وكأين من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون . فسألته الفتاة قائلة ومن أين هذا الشمع ولم اختار الشكل المستدس ومن أي شيء يجمع العسل . فقال لها أما الشمع فإن النحل يجده على كثير من النباتات مادة بيضاء كالدهن ونشأه بكثرة على قصب السكر وأما تلك الخلايا وتسديسها فإنها اختارت من جملة الأشكال الشكل المستدس وذلك أن أوسع الأشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيق الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا تشكل من الأشكال ذات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجلة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المستدس فهذه خاصية هذا الشكل وما أشبه هذا النظام الصغير بالنظام الكبير نظام السموات والأرض فإنه كله بحسب متقن . إلى أن قال . وأما العسل فإنه وضع في آية . وأوحى ربك إلى النحل . والخطاب للنبي ﷺ أو لكل فرد ممن له عقل يستدل به على كمال الحكمة الإلهية وتنسج به مداركه وتقوى همته فينظر كيف ألهم الله هذا الحيوان الضعيف أن يجعل له ملكة مسلطة عليه وقد قسمت عليهم الأعمال فجعلت على نفسها وضع البيض فتبيض في كل ثلاثة أسابيع من ستة آلاف إلى اثني عشرة بيضة وجعلت على الشغالة التي عندها جميع الأشغال (والشغالة عندها خزانة النحل أي التي ليست إنانا ولا ذكورا) وعدداً يكون من الخلية من عشرين ألفاً إلى ثلاثين ألفاً فمنها البواب الذي لا يسمح لأحد من غير أصحاب الخلية أن يدخلها ومنها ما هو منوط بخدمة البيض ومنها ما هو منوط بتربية صغار النحل ومنها ما يبنى الخلايا ومنها ما يجني مواد الشمع التي تبنى منها الخلايا ومنها ما يجني رحيق الأزهار التي يستحيل في بطونها عسلاً تخرجه من فمها لتغذي به صغار النحل متى خرجت من البيض وينتفع به الناس . وكل من هذه الطوائف تؤدي ماعهد إليها بنشاط وهمة على مقتضى أوامر الملكة المسماة (بالعسوبة) أو (الخشرم) وتسميها العامة (أم النحل) وهي أعظمها جثة وأكبرها خلقة . ومن عجيب أمر تلك الملكة أنها تقتل كل ما وقع على نجاسة من رعاياها . ومن سياستها أنها إذا أرادت الحل ارتفعت في الهواء واختارت ذكراً من غير خليتها ترفعا عما تحت إدارتها فإن عندها ذكوراً لا تشغل لها عددها من خمسمائة إلى ألف في الخلية وتبقى فيها إلى أن تحمل الملكة وتحبل . ومتى ظهر جملها قتلت الخنثى هؤلاء الذكور لئلا يضيق المسكان ويفنى العسل . فسبحان من ألهم تلك الحشرة الضعيفة فعل أعظم الملوك من قدماء المصريين الذين كانوا يحكمون على من لاصعة لهم بالقتل وألهم تلك الملكة أن حفظ رياستها وشرف

ملكها لا يتم إلا بالترفع على من تحت إمرتها ولم ترض لنفسها أن يعلوها أحد رعاياها
ولعمري إن في قتل خنائي النحل لذكورها عبرة وتبصرة تشير إلى أنه لم يخلق في هذا العالم مخلوق إلا
لحكمة - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار -
فيا ليت شعري كيف يرى الإنسان هذه العجائب في الحيوان الضعيف ثم يترك أعضائه ومواهبه الشريفة هملاً
فضلاً عن استعمالها في أنواع المفاسد ثم إن النحل ﴿قسمان﴾ وحشية تسكن الجبال والأشجار والكهوف
وأهلية تأوى إلى البيوت فيبنى لها الناس أبنية . وهنا جاء في الكتاب ذكر اللقاح وأن النبات له فيه
ذكر وأنثى وأنه مختلف الألوان . وهذا المقام تقدم مشروحاً في سورة الحجر إذ اقتضى المقام هناك عند قوله
تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - أن نبين في علاقة النحل والحشرات الأخرى بالنبات واللقاح وثمراته وما
أشبه ذلك والكلام هناك مستوفى فليرجع إليه من أراد . هذا ما أردت نقله من كتابي ﴿جواهر العلوم﴾
وكان الله أهملني تأليف هذه الكتب لتكون مرجعاً إلى هذا التفسير الآن . وجاء في كتابي ﴿جمال
العالم﴾ ما يأتي

قد ذكرنا في كتابنا ﴿جواهر العلوم﴾ النحل وعجائبه وأوسعنا المجال فيه وأوردنا شواهد وآيات ونحن
الآن نذكر ما عثرنا عليه بعد من العجائب والحكم ليكون لكل كتاب منزلة ليست في الآخر
من النحل ما أوتي شعراً (يرى بالمكسر سكوب) أسود أو أحر أو أصفر اختلف ألوانه كما اختلفت طرقه
في طلب الأزهار والنحل الكبير الذي يعيش في السكلا والخقول يموت في الشتاء إلا قليلاً يتوارى في أماكن
تدفئ جنته حتى إذا جاء فصل الربيع وانتشرت الحرارة نفخ الله فيه الأرواح وأيقظها من رقدتها بعد نومها
وبعثها من مرقدها في برزخها فما أشبهها إذ ذاك ببعث الإنسان بعد موته وبعث جميع الحشرات من نومها
العميق في نسيجها المسمى (شرقة) في أول نشأتها وقيامها من سباتها العميق - فبارك الله أحسن الخالقين -
يظهر أن قدماء المصريين ظنوا أن بعثنا على هذا المنوال فخطوا الأجسام مشاكاة لهذه الحيوانات كما
تراه في البرابي والأهرام والمقابر والحفائر القديمة وهيئات هيات . وإنما بعثنا أرفع وأجل من ذلك . فهذا
يتسلى به العوام . وأما خواصهم فكانوا يعلمون أنهم يرتقون في عالم الجبال والسمك . فإذا قامت النحل
أخذت تطير في الحقول لتبحث عن أماكن تبني فيها أعشاشها . فمنها ما يتخذ حشائش يصنعها مسكن ذات
منافذ من أعلى ليدخل النور وتقلعها عند مسيس الحاجة إليها إذا أقبل الليل أو نزل المطر أو الندى ثم تضع على
حيطانها أقراصاً وقاية من الرطوبة . ومنها ما يبحث عن شقوق ومغاور في الأرض أو في الجبل فيضع أقراصه
فيها . وهذان النوعان من البناء هما اللذان اتخذهما النحل فوق الأرض وتحتها وبعده ذلك تضع النحل
بيوضها في البيوت التي تتكون منها الأقراص وتسير سير كل حشرة في القانون العام كما سنذكره في سورة
(النمل) فتكون دودة فتنام في كرة نسيجها كما ينسج دود القز في حريره وإن كان هنا نسيجها ضعيفاً لا
قيمة له ثم تقوم وقد اكمل الله خلقها وخلق أجنتها وخرجت من مهدها باحثة عن غذائها فتذهب إلى
الأزهار وتجنبي منها العسل الذي في أسافلها وتحمل تلك المادة الصفراء في سبط (المقطف) على أرجلها الخفيفة
كأن من شعر يحفظ تلك المادة ثم يجعل جزءاً منها (شمعاً) يبنى منه الأقراص يملؤه عسلاً مما شربه من
أسفل الزهرة وجزءاً آخر يصنعه خبزاً لصغار النحل . فتأمل كيف كانت الزهرة تحوي الشمع وخبز صغار
النحل في مادتها الصفراء المعدة لللقاح وانظر كيف كان العسل في أسافلها وامتد النحل إليها . فما الشمع
وما العسل إلا تلك الزهرة التي نشاهدها كل يوم ونحن غافلون عن حسن الصنع والانتقان الذي قام به النحل
فيها . وإذا كان النحل له قدرة على هذا فإن للإنسان قدرة لا تنهاى وقد ارتقى في الصناعات الآن وأخذ
من المادة ما لا يحصر له من العجائب حتى استخدم الهواء في اصطناع المواد الأوزوتية فنفعته في حربه وفي تسميد

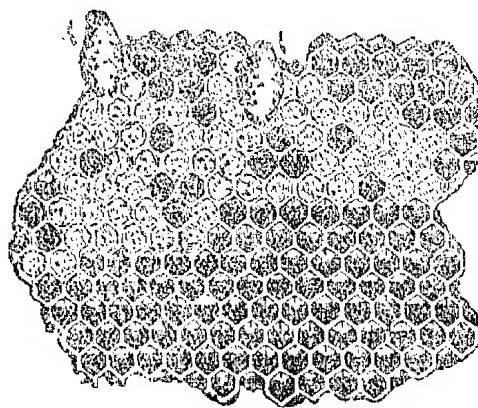
أرضه كما يعرفه من قرأ أخبار أهل ألمانيا وكان المسلمون أولى بذلك . ولنرجع الى مافى كتاب (جمال العالم) ومن العجيب أن النحلة قد تسير ميلا للبحث عن غذائها ولا تنزل طريقها وترجع الى أماكنها وانها تعرف طرق الحيل والدهاء

﴿ حكاية ﴾

ذكروا أن قوقة أخذت طريقها الى خلية نحل فلما رآها ازدحم عليها ولسكن عرف أنه لاسبيل الى ارجاعها فتربصها حتى اذا احتلت المسكن وشربت من العسل تعاون الجميع على إلصاق رأسها في الشمع ففارت تلك المسكينة الحياة . هذا أكثره منقول من كتب الفرنجة مترجما . وهاك ماجاء في ﴿ اخوان الصفاء ﴾ لتقف على مختصر بليغ من ثمرات العقول الناضجة في النحل . جاء في بيان فضيلة النحل وعجائب أموره وذلك من رسالة الحيوان مانصه

﴿ يعسوب النحل ﴾

أيها الملك . مما خص الله به وأنعم به على وعلى آبائي وأجدادي أن آتانا الملك والوحي إذ لم تكن من بعدنا حيوانات أخر وجعلها وراثه من آباءنا وأجدادنا ويصير ذخيرة لأولادنا وذرياتنا يتوارثونها خلفا عن سلف الى يوم القيامة وهما نعمتان مغبون فيهما أغلب الخلائق . ومما خصنا به الله أنه علمنا دقة الصنائع الهندسية ومعرفة الأشكال الفلسفية من اتخاذ المنازل وبناء البيوت وجع النخائر فيها . وما خصنا به أيضا من أنه حلل لنا الأكل من الثمرات من جميع أزهار النبات وجعل في مكاسبنا ما يخرج من بطوننا شرابا حاوا فيه شفاء للناس كما قال تعالى - وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - ومما خصنا به الله أن جعل خلقتنا خلقة لطيفة لجعل بنية جسدنا ثلاثة مفاصل محزوزة فوسط جسدنا مربع مكعب ومؤخر جسدنا مخروط ورأسنا مدور مبسوط وركب في وسط أبداننا أربعة أرجل ويدين متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المستدس المستعين بها على القيام والقعود والوقوع والنهوض وتقدر على أساس بناء منازلنا وبيوتنا مستدسات مكتنفات يعجز عن اتقانها المهندسون الذين يعجزون عن موضوعات أشكالنا وتسديسات منازلنا (رسم بيوت النحل . شكل ٢٠)



(شكل ٢٠)

والغرض من متساوية الأضلاع والزوايا المكشوفات كيلا يتداخلها الهواء فيضر بأولادنا ويفسد شرابنا الذى هو قوتنا وذخائرنا . وبهذه الأربعة الأرجل واليدن نجتمع من ورق الأشجار وزهر الأثمار الرطوبات الدهنية التى نبني بها منازلنا وبيوتنا وجعل الله على كفتي أربعة أجنحة حريرية النسج آلة لى فى الطيران فى جو الهواء مستقلا بها وجعل مؤخر بدننا مخروط الشكل محوفا مدرجا مملوا بالهواء ليكون موازنا للثقل

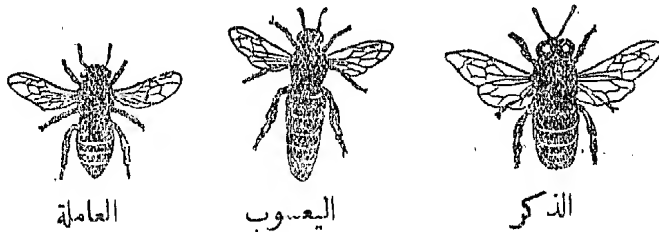
رأسنا في الطيران وجعل لي حجة حادة كأنها شوكة وجعلها سلاحا لي أخوف بها أعدائي وأرجبها من يتعرض ليؤذيني وجعل رقبتى خفيفة ليسهل بها على تحريك رأسي يمنة ويسرة وجعل رأسي مورا عريضا وجعل في جنبي عيينين براقين كأنهما صراحتان مجلوتان وجعلهما آلة لنا لادراك المراتب المبصرات من الألوان والأشكال في الأنوار والظلمات وأثبت على رأسنا شسبه قرنين لطيفين لينين وجعلهما آلة لنا لاحساس الملموسات واللين من الخشونات والصلابة والرخاوة وفتح لنا منخرين لاحساس المشومات الطيبة وجعل لنا فم مفتوحا فيه قوة ذائقة نتعرف بها قوة الطعوم وخلق لنا مشفرين حادين نجتمع بهما من ثمرة الأشجار رطوبات لطيفة

ولقد عجز الطبيعويون والأطباء من اليونان أن يعرفوا طبائع النبات ومنافعه ونحن عرفنا هذا منه وخلق في جوفنا قوة جاذبة وماسكة وهاضمة وطابخة منضجة تصير تلك الرطوبات عسلا حلوا لذيذا شرابا صافيا غذاء لنا ولأولادنا وذخائر للشتاء كما جعل في ضروع الأنعام قوة هاضمة تصير الدم لبنا خالصا سائغا للشاربين وجعل فضلاتنا وفضلات أولادنا سببا وشفاء لأخص خلق الله تعالى إذ في تشكيلنا وتخطيطنا المستدسات وترتيب الزوايا المتساويات جعل شفاء للأرواح الانسانية وفي فضلاتنا وبزاقنا ولعابنا جعل شفاء للجسد الانساني وجعل فضالة فضلاتنا وهو الشمع سببا للضياء في ظلم الليالي عوضا عن الضياء النوراني الحاصل من الشمس

فن أجل هذه النعم والمواهب صرنا مجتهدين في شكرها بالعمل ثم اننا نأوى في رؤس الجبال والتلال وبين الأشجار والاحال ومنا من يجاور بني آدم في منازلهم فأما من بعد منا فانه يسلم من أذاهم في الأكثر ولكن ربما يجيئون إلينا في طلبنا ويتعرضون لنا بالأذية فاذا ظفروا بنا خربوا منازلنا ولم يبالوا بأن يقتلوا أولادنا ويأخذوا مساكننا وذخائرنا ويتقاسموا عليها ويستأثروا بها دوننا ونحن نصبر صبرا مضطرا مكرهين ونارة راضين مسلمين إن غضبنا وهر بنا وتباعدنا من ديارهم جاؤا خلفنا يطلبوننا ويرضونا بالهدايا من العطر وأنواع الحيل من أصوات الطبول والدفوف والمزامير والهدايا المزروجة المزخرفة من الدبس والتمر ويأخذون منا عسلا صافيا لذيذا جعله الله سببا لشفائهم . فنحن من حسن أخلاقنا نصالحهم إذ الصلح خير والخصومة تؤدى إلى هلاك الحيوان وخراب البلاد فنحن نراجعهم ونصالحهم لما في طباعنا من السلامة وقلة الحسد قلبنا صار موضع إلهام الله تعالى لا يجوز أن يكون موضع الحقد والحسد إذ هما ضدان لا يجتمعان . إن الله ألقى الوحي علينا فلا يليق أن نكون فاسقين . ومع هذا كله لا يرضى الانس منا إلا أن يدعوا أننا لهم عبيد وهم لنا سادات وذلك زور وبهتان إذ نحن غير محتاجين إليهم كما يحتاج العبيد لمولاهم بل هم محتاجون إلينا مثل ما يحتاج الخدم إلى السيد . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . انتهى (أخوان الصفا)

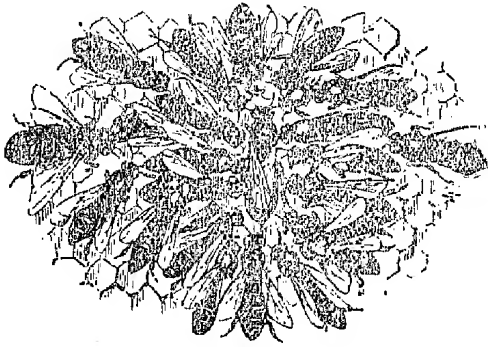
﴿ المملكتان المشابهتان . مملكة النحل ومملكة الأرضة وهي دابة الأرض ﴾
أما مملكة النحل فقد أسهت الكلام عليها وأريتكم صورة بيوتها المستدسات . وبقى أن ترى صورة الذكر وصورة اليعسوب وصورة النحلة العاملة

(شكل ٢١ - صورة ذكر النحل واليعسوب والعاملة)



وهاك أوصافها . اليعسوب مؤخرها طويل يصلح لحفظ البيض أجمعته قصيرة لأن حياتها لا تتعدى السكورة ويقوم بخدمتها طائفة من النحل وهاك صورتها وهم حولها

(شكل ٢٢ صورة مملكة النحل وهو اليسوب وحولها خدمها نحو ٢٠)



(شكل ٢٢)

﴿ النحلة وخدمها ﴾

الذكر • منظره ضخيم ومتى حلت الملكة يقفله النحل لأنه أصبح لأعماله

العمال • هي أصغرها جثة وكل له عمل (١)

سقاء (٢) مربى النرية (٣) راع (٤) بناء (٥)

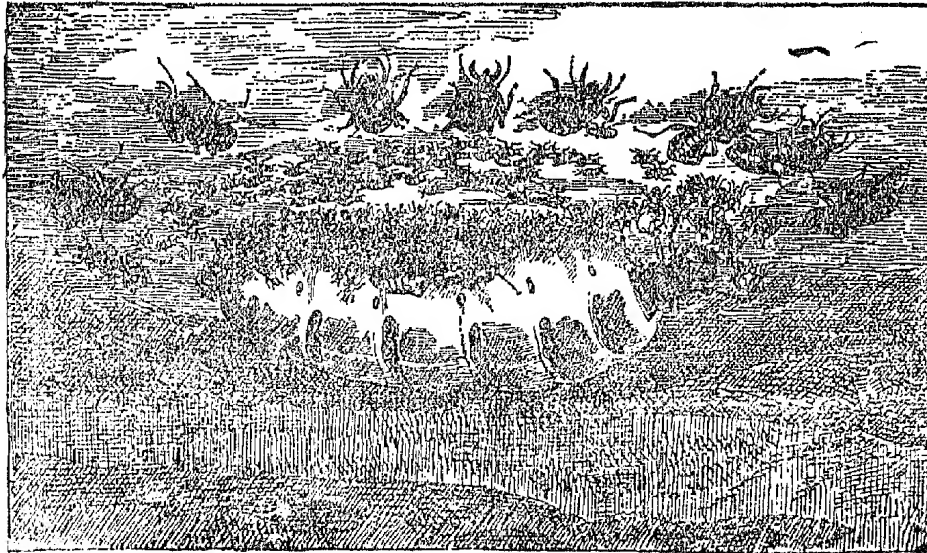
معماري (٦) مهندس (٧) جندي (٨) زبال

(٩) خدام

فالسقاء يمد السقارة بالماء والمربي يربي الصغار والراعي يجمع غبار الأزهار وعسلها والبناء وما بعده لبناء بيوت العسل والأمر ظاهر في البقية • فهذه الراعيات تمتص العسل بلسانها الطويل وتدخله كيس الشهد فيتحول الى عسل فتتغذى ببعضه وتخزن ما بقي الى وقت الشتاء اه

وأما ملكة (الأرضة) فان أمرها عجب وقد تقدم وصفها في سورة هود فقد أبنت لك هناك انها على وزن بقرة وتسمى النمل الأعشى وليست بالبيضاء بل هو (أغبس) أي كلون الأرض التي يقيم فيها أي لا يبيض فيه • ولا أطيل في وصفها فقد تقدم هناك وسيأتى زيادة شرح لها في سورة (سبا) ولكن الذي يهم في هذا المقام أن تطلع على صورتها وحولها العمال

(شكل ٢٣)



(شكل ٢٣)

(صورة الأرضة المالكة وأتباعها وهي الكتلة البيضاء الضخمة وهي الملكة والى جانبها الملك ومن حولها

العمال يقبلونها ويلحسونها فالقائمون بتغذيتها يتألبون عند فها ويبقى في الطرف الآخر من وكل اليهم التقاط البيض ومن العمال جند من الشرطة صغير الحجم وفي الصف الأول في شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراستها لمنع هجمات عدو مفاجئ • وهذه هي التي تسمى عندنا (النوسة) و (العثة) التي تلحس الصوف والشياب • وهذا الرسم للعالم الألماني (ازريك) كما نظرها نقلته من كتاب «مملكة الظلام» المترجم حديثا للعلامة (موريس مترلنك) بلجيكي المنشأ فاعنكي الأصل مؤلف في النحل وفي الارضة)

فهاتان مملكتان احدهما في الهواء فوق الأرض وثانيتهما تحت الأرض في الظلام والنظامان يرجعان
لناموس واحد ملكة تبيض وتلد وعمال تقسم الأعمال عليهم . غير أن العجب أن تكون الأرض تدبر
ملكها وهي عمياء وتحكم عشرات الالوف من رعاياها المنفردات الآلات تبنى مباني ضخمة عظيمة تعلو فوق
الأرض بضعة أمتار وتمتد مسافات عظيمة . فكيف حكمت العمياء التي لا حركة لها هذه الجوع كلها وكيف
كانت هذه كلها قائمات بالأعمال ولا أعين لها . أما النحل فأمره معلوم مما نقتم فاقراً - ما ترى في خلق
الرجل من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - واقراً - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم
هدى - . والى هنا انتهى الكلام على النحل

أما النمل فقد أفرد له العلماء في عصرنا التأليف ولقد رأوا عجائب ذكروها وآيات يندوها وغرائب صنفوها
فن ذلك أن فيها ما يبني مساكنه كما يبني الناس ويهيئ قري - صغيرة وكبيرة ولها أطوار يربى أولادها
الصغار ولهن حجرات مخفورات أو مبنيات فوق الأرض لكل جيل من أجيال النملية مكانها مدرّس ذات
فصول ولهن من نظام الجند وصفوف الحرب وتربية الناشئة الخاصة بهن ما تحرّله عقول العلماء سجداً
ويقولون سبحان مبدعها الحكيم . ولا يظنّ القارئ أن في ذكر الجند هنّ مبالغة أو أن في الحرب عجباً
فان لها من أنفسها ملاح كبيراً يشاهدونه محافظاً عليها في غدوها ورواحها ثم هي تحارب ملاحاً آخر وتأني بالأسرى
وهؤلاء الأسرى يحضرن الطعام لساكناتهنّ الأسرات هنّ ولهنّ حيوان صغير يسمى (أفد) سماه علماء هذا
الفن جاموس النمل فانه يريه ويسمونه ويمتص منه مادة يتغذى بها كلبن البقر والجاموس عندنا ورأوا له
مزارع يحافظ عليها وهي نباتات صغيرة لها نظام هندسي وطرق نمليّة عجيبية بديعة متقنة قد اطلعت على رسمها
ولها ملكة تقوم بأمرها وتحافظ على مجموعها واليه يولى النمل وجهه في غدوه ورواحه ويستروح لرؤيتها
ويهشّ لاقبالها ويفرح لطاعتها ويسعى لخدمة القرية النملية ارضاء لها - ألاله الخلق والأمر تبارك الله ربّ
العالمين - وقد قصّ القرآن قصص النمل فقال - حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكاً من قولها - وسترى ان شاء الله
في سورة النمل مساكنها مصوّرة بالتصوير الشمسي منقولة من الكتب الفرنجية . وهناك تشاهد الحشرات
والحيطان وأعمدة تنكئ عليها السقوف والممرق والسهاليز والمخارج والمخازن . وترى فوق ذلك مزارع الارز
التي يزرعها النمل وطرقها الهندسية التي رسمها النمل ونظامها الجميل منقولاً بالتصوير الشمسي من الطبيعة بحيث
نقرّ بأن الفلاحين في مصر لم يصلوا لهذا النظام . واذا ذلك تقرأ - وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحه إلا آم أمثالكم - وتقرأ أيضاً - وما كنا عن الخلق غافلين -

﴿ العنكبوت . من كتابي (القرآن والعلوم العصرية) ﴾

ومن الحشرات العنكبوت ذات النسيج الجميل والفزل الرقيق والريق الذي اذا تعرض للهواء انقلب الى
مادة أشبه بالقطن أو الحرير فيغزلها خيطاً دقيقاً وينسج تلك الخيوط نسيجاً محكمًا منقنا حتى قال علماء الحشرات
ان هندستها التي رسمتها في نسيجها ونظامها البديع الذي توخه في عملها أدق ما صنعه المهندسون وأبرع
ما نظمه البارعون حتى انها لم تخطئ يوماً في نظامها ولم تغلط يوماً في نسيجها . وان أبرع المهندسين وأعظم
المحسنيين الذين درسوا في المدارس العالية وتخرجوا على أعلم علماء الهندسة يخطئون في تقديرهم ويشذون في
عملهم ويحيدون عن سواء السبيل وهذه الحشرات لا تخطئ في نظامها ولا تخطئ في هندستها ولا تخيب في أحكامها
ذلك لأن معلم المهندسين من المخلوقين ومعلم العنكبوت خالق المهندسين فتلميذ الله لن يخطئ وتلميذ المخلوق
قد يضلّ مع الضالين . ولقد شاهد الناس صغارها وصغار الحيوانات تخرج عالمة بفنونها محكمة لعملها

تقدّم الكلام عليها فانها فضلا عما فيها من بدائع الصنعة الالهية والحكمة الصمدانية دلالة على حكمة الخالق واتقانه ونظامه وعجيب صنعه فان لها أثرا عظيما في الزراعة . إن تربية النحل في البساتين الضرّة موجب ثمره بالنحل الكثير الذي يربو اذا كانت الخلايا في وسط الأزهار ويقلّ بل يموت النحل اذا كانت الأرض المحيطة به متفرقة ولها فوق ذلك شروط وأحوال خاصة يعرفها المارسون لاستقرارها ومستودعها من علماء الزراعة الساهرين على مصالح الأمم . الناظرين فيما حدث به يد الخالق من العجائب والبدائع ولما كانت هذه الحشرات الضعيفة ربما غفل الناس عن أسرها وصغروا من شأنها وجهلوا صنعها سمي الله عز وجل سوراً من القرآن باسمها فسمى النمل والنحل والعنكبوت . أفليس ذلك نبأ سيئ يهتدى به الملبسون فيرقون صناعاتهم ويننون مجدهم ويدرسون كل مذهب وكل ماطر وكل حيوان ونبات . إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار كما قرئناه . انتهى من كتابي ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وسيأتي في سورة (العنكبوت) زيادة على هذا

﴿ الوجه العاشر في قوله تعالى - والله جعل لكم مما خلق ظلالا * وجعل لكم من الجبال

أكنانا - الى قوله - لعلكم تسلمون - مع ملخص ما تقدم ﴾

هأنذا قد اطلعت على الطيور في أوكارها والحشرات في أعمالها والأنعام في حقولها وعلمت درتها ونسلها ثم قرأت ما في آية - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون -

قرأت ذلك من قبل وهأنذا تقرأ أن الظلال مسخرات لنا والجبال أكنان لنا وسرايل من القطن والكتان والحريز والتيل لنا وختم ذلك بالسرائيل التي تقيتنا السلاح الذي يقذفه العدو لقتلنا . وههنا قد تمت النعمة فانه بعد تسخير الطيور والأنعام والحشرات لحياتنا وتسخير كل الثمرات والظلال والجبال ونبات القطن والكتان وأمثالها . بعد هذا كله لم يبق إلا الدروع السابغات في الحرب لتتقي العدو بها وههنا تمت النعمة فقال - كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون - والاسلام هنا الانقياد والاخلاص وأن تنهج النهج الذي يرق عقولنا ونستخدمها فيما خلقت له ونستفيد الامور العقلية والمادية معا لأنه قال في أثناء ذلك انه خلق السمع والأبصار والأفئدة لعلنا نشكره

﴿ ايضاح مقام الشكر ﴾

انظر أيها الذكي في هذه السورة وتفكر في نظم الآيات . لقد قرأت الآيات التي في أول السورة وقد ابتدأ فيها بالانسان وختمها بالمواد العنصرية أو ما هو أقرب اليها من الماء ونعمة الهواء الذي تجري به السفن فابتدأ هناك من أعلى الى أدنى وقد ابتدأ في سورة الحجر قبلها من أدنى الى أعلى وقد بينا سبب ذلك هناك فلانعيسده . انما الأمر الغريب انه هنا لم يكن الأمر على نسق الأول ولا الثاني بل هو نسق يخالفهما فانه ابتدأ بانزال الماء ثم السماء فالأنعام والنحل ثم الانسان ثم الطير فجعل الانسان في هذا في وسط الجميع . فما حكمة هذا . إن الحكمة التي طويت في هذا انه صرح بأنه خلق السمع والبصر والأفئدة لنا وقال إني خلقتها عسى أن تشكروني ولا معنى للشكر إلا قبول النعمة والعامل بها وصرفها فيما خلقت له فهو هنا يقول أي عبادي أتم مركز السائرة فالأنعام على الأرض والحشرات والزرع والطير من فوقكم وأنتم بينهما ولكم السمع والأبصار . وإذا كان كذلك فلاحق لكم أن تناموا عن قراءة هذه . أنتم على الأرض والطير فوقكم والأنعام والحشرات على الأرض وأنتم بينهما أي بين الدواب والطير هذا في العالم الكوني الذي أنتم فيه فكما فعلت في العالم فعلت هنا فلم أراع في هذه الآيات السلسلة المنظمة لامن أعلاها كما فعلت في أول هذه السورة ولا من أسفها كما فعلت في سورة الحجر بل راعيت ما تشاهدونه بأبصاركم فأتم تشاهدون الأنعام والحشرات وهي أقرب اليكم

ثم تشاهدون الطير وقد قلت لكم إني خلقت لكم السمع والأبصار والافتدة وأنتم بين هؤلاء وهؤلاء أى بين الأنعام وما هو مختصر منها وهى الطيور فأنتم بحسب وضعكم فى الأرض بين هؤلاء وهؤلاء والعقول فيكم والحواس فكان عليكم أن تدرسوا وتعلموا وإن لم ينزل لكم كتاب لأن العقل والحواس يوجبان ذلك فلما علمت ضعفكم وغفلتكم ونومة عقولكم نهتكم الى ذلك بهذا القول وقلت لتكن عقولكم مسلطة على هذه العوالم فتدرسوها فأقسم بالطير وقدرتها والحشرات ونظامها والأنعام ونفعها إني ما خلقتكم إلا لتعلموا وما وضعكم فى الأرض إلا لتدرسوا

﴿ أعجب ما ذكر فى هذه الآية وبعض رموزها ﴾

لقد تقدمت كيفية دراسة هذه العوالم . ولكن أذكر هنا ما هو أعجب . ذلك أن الحيوان ﴿ ثمانية أقسام ﴾ كما قدمناه فى هذه الآيات أربعة منها وأربعة لم تذكر فذكر الأنعام والحشرات وقد جاءت البهائم فى أول السورة وذكر الحشرات النافعة والطيور ولم يصرح بذكر الوحوش ولا السباع على الأرض ولا الهوام كالحيات وكذا لم يذكر الجوارح من الطير بنصها وإن كانت داخلية فيها . فهذه أربعة غير مصرح بها وهنا أربعة مذكورة وهى جملة الحيوانات . واعلم أن جميع هذه نعم علينا فالوحوش والسباع لازالة الرمم وإزاحة الغمم وأن تكون أجوافها مقبرة للحيوانات البرية . هكذا الهوام نافعة لنا كالحيات والعقارب كما قدمنا فى سورة (آل عمران) لأنها تنظف لنا الأرض من قاذوراتها فتحيلها الى أجسامها . وهكذا كواسر الطير ومثلها بعض حيوانات البحر الكاسرة القوية فانها تكون منظفة للماء من الحيوانات الميتة فيعفن الماء وإنما لم يذكر الله ذلك صريحا لأن أكثر الناس جهال لا يعقلون إلا ما عسى شهواتهم كما تقدمت فى مسألة النبات وهى ظاهرة واضحة ولكن الانسان لجهله وغفلته المستحكمة لا يعقل ذلك ولا يفهم حكمه عليه حكما قاطعا أن يربى النبات شاء أم أبى . فاذا كان هذا فى نوع الانسان وهو جاهل به فما بالك بما هو أبعد عن فهمه من الحيات والسباع والوحوش والجوارح من الطير . إن أكثر الناس لا يفهمون ذلك ولذلك ضرب عنها الذكر صفحا واكتفى بذكر العقل والسمع والبصر وقال اشكروا واذكروا . هذا هو العجب فى هذه الآيات

﴿ جوهرتان ﴾

(الأولى) فى قوله تعالى - سراييل تقيم الحرة - (والثانية) فى قوله تعالى - وسراييل تقيم بأسيكم كذلك يتم نعمته عليكم اعلمكم تسامون -

﴿ الجوهرة الأولى ﴾

اعلم أنه تقدم فى سورة (الأعراف) على علم الصحة عند قوله - وكأوا واشربوا الخ - وفى سورة النساء عند قوله تعالى - ما يفعل الله بعذابكم الخ - أقول تقدم فى هذين المقامين الكلام على أن صوف الغنم ووبر الجبال وشعر المعز لها ﴿ خاصيتان * الأولى ﴾ انها تحفظ حرارة الجسم ﴿ والثانية ﴾ انها تنشف العرق . والحرير أقل والتيل والقطن أقل من سابقيهما وأن المواد كلها مختلفات فى توصيل الحرارة فجاءوا الفضة مائة (١٠٠) وغيرها أقل منها وهكذا الى الخارصين (١٩) والحديد (١١٩) والبرزموث (١٨٨) فهذه المعادن موصلة جيدة للحرارة بهذه النسب . ومعنى هذا أنك لو وضعت ملاعق من الحديد والفضة والخارصين فى ماء حار وأمسكتها من الخارج وصبرت زمنا ما لم تقدر على أن تمسك ملعقة الفضة من خارج الماء لشدة الحرارة ثم بعد ذلك تلمسها ملعقة الخارصين فالحديد

أما غير المعادن كالخشب والزجاج والفحم والصوف والحرير والوبر وجميع الاجسام العضوية فانها رديئة فى توصيل الحرارة . هذا بعض ما ذكرته هناك فاقراءه إن شئت . وإنما الذى أدهشنى اختصاص الدواب بالصوف والشعر والوبر . أريد أن أحدثك حديثا عن الانسان . إن المولود يخرج من بطن أمه عارى

الجسد من الصوف والوبر والشعر والجلد المتين . عارى العقل من العلوم والمعارف . يدرج ويهوى ويكبر
فيرى طيوراً فوقه ذات ريش لطيف وبقراً وجاموساً وغنماً وبلاً ذات شعر وصوف ووبر . ثم يرى أن الناس
يتخذون من الصوف ومن الوبر ومن الشعر ملابس ومساكن يحملونها من مكان إلى مكان ويراهم فوق
ذلك يزرعون القطن والتيل والكتان ويستخرجون الحرير ويلبسون من ذلك كله ويراهم يجدون التحصيل
ذلك كله فيتخذون الأنعام ويربونها ويكتون في جمع المال لما يأكلون من ذلك ويلبسون ثم يموتون
ولا هم يذكرون . هذا تاريخ الإنسان العادى الذى خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً ثم لم يرتفع نظره إلى ما
فوق الماء كل والمشارب والملابس . ولكن الله يقول له - وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم
تشكرون - ولا جرم أن مبدأ الشكر العلم ولا علم إلا بالتعلم . ومتى أخذت البصائر تفتح بالعلم صارت أشبه
بالزهرة في أشجاره والورد في أكمامه والكهرباء في قناديلها والكواكب في سمائها . هنالك تضىء له أركان
هذه الطبيعة التي استعبده . ينظر فإذا يرى . يرى أنه

(١) خلق عارياً والدواب من حوله مكسوة فيقول ما السبب فيجواب إنك منحت ومنعت وما منحت
أفضل مما منعت . منعت شعراً وريشاً ووبراً ومنحت عقلاً وحكمة وبهذا العقل شاركت الدواب في أشعارها
وأوبرها الخ وزرعت القطن والكتان الخ . فيقول ولماذا أعطيت فوق ما أتخذ من الدواب قدرة على
ما أتخذ من غيرها مع أن ماعداً الشعر والصوف والوبر أقل منها لحفظ الحرارة . فيجواب إنك أعطيت
عقلاً والعقل حر فوجب أن يعطى الحرية فيتخذ ما يشاء ويختار قطناً أو تيلاً أو صوفاً على حسب الزمان والمكان
فيلبس الجلود في الأقطار الباردة ويلبس أخف الثياب في الأقطار الحارة . فيقال ولم يجعل على الحيوان
قطن أو تيل ولم يختص بالصوف والوبر الخ . فيجواب أن الريش والوبر والصوف فيها (خاصتان * الأولى)
أنها تحفظ ما تحته فلا تدخل عليه حرارة من الخارج كما في (الثلى) المغلف باللبد فان ما أحاط به قد منع الحرارة
الخارجية أن تصل إليه فيبقى نلجاً وهكذا الإنسان يتقى الحرارة بالكساء وقت الظهيرة في جارة القيظ

(الخاصة الثانية) أنها تحفظ حرارة ما تحيط به فلا تنقل إلى الخارج . ألا ترى إلى الإنسان كيف كان في
كثير من الأزمنة والأمكنة يحتاج إلى حرارة أعلى من حرارة الجو المحيط به وهكذا الحيوان فلذلك أعطى الحيوان
تلك الأشعار والأوبر التي تحفظ حرارته الداخلية ولو كانت الأشعار وأخواتها موصلة جيدة للحرارة كما يوصل المعادن
كالحديد والنحاس الخ لتسربت الحرارة إلى الخارج ومات الحيوان فمن حكمة الله أنه لم يجعل طبع الأصواف
والأوبر والأشعار كطبع الذهب والفضة والبلاطين وسائر المعادن بل جعلها موصلة رديئة للحرارة فخفظت للحيوان
حرارته فعاش إلى حين ولم تعط للحيوان الحرية في اتخاذ ما يشاء كالإنسان لأنه لاروية عنده مثله بل أعطى
الكساء الحافظ له مرة واحدة فالزينة تغطي للأعلى وهو الإنسان لأنه يستمد الحرية من الملاء الأعلى وقد قلد
الإنسان ربه . انظر إلى ما ذكرته في سورة النساء عند الآية التي أشرت لها آنفاً وهذا نصه

(وترى الناس يغلفون أنابيب المياه الحارة وأنابيب البخار وجميع الأجزاء التي قد تكون معرضة للهواء
من مراحل بعض الآلات البخارية بغلف من الفلين أو خليط من طين بتبن أو طين بشعر أو نوع من طوب
قد صنع من قنات الفلين . كل ذلك لأن هذه موصلة رديئة للحرارة أى الطين المخلو بالبتن والطين المخلو
بالشعر مثلاً يمنعان ويحبسان الحرارة في المراحل فلا تنبعثر في الخارج . فهذه الأجسام الرديئة التوصيل
للحرارة أشبه برعاة الغنم والامراء والحكام والوعاظ الذين يحافظون على الأثم) . انتهى

هذا هو الذى قلته هناك وأقول هنا نحن في الأرض اصطفيينا هذه الاجسام التي لاتوصل الحرارة فجعلناها
محيطه بالأتان . ولما نظرنا في الحيوان وجدناه قد فعل به ما فعلناه نحن في أعمالنا . هنالك يأخذ الإنسان
كل العجب ويقول ما بالنا نعيش ونموت ولا ندرى هذه الظاهرة العجيبة . صوف ووبر وشعر تتحالف كلها

على حفظ الحرارة في داخلها ثم لا يحصل خطأ البتة . ولماذا لم نر هذه الخليقة أخطأت في هذا التركيب ينظر الانسان فيراه يدرك جمال الوجوه وجمال النغمات ويهجه حفيف الأوراق وتمایل الأغصان وتجاوب الرياح . الانسان يعرف هذا لأول وهلة ولكنه قط لا يفتن لمثل هذه الظاهرة الشعرية والوبرية والصوفية والمثل أدرك الحجر في سقوطه بالتربيع المذكور في أول سورة (آل عمران) وأشياء أخرى عجيبة في سور غيرها كالرعد وذلك بالبراعة في العلوم الرياضية إنه مع ذلك لا يشعر بالتعجب من هذه الظاهرة الحيوانية إلا بعد دراسة العلوم الطبيعية . تلك العلوم التي تفتح للعقول بابا كان مغلقا وترينا جمال الله وأنه ليس خاصا بجمال الزهر والنهر والبحر والوجوه الجميلة بل الجمال الأوفى هو الذي اختفى عن أعين الجاهلين . هناك حساب دقيق في خلق الحيوان . هناك ابداع واحسان وجمال ولكن ذلك الجمال لا يراه العامة ولا أكثر المتعالمين . يعلمون ظاهرا من الفرح بتملك الأنعام وهم عن عجائبها معرضون . ثم يتأمل الانسان في نفسه ويقول اذا كان كساء الحيوان قد بنى على علم وحكمة والناس يعيشون ولا يعقلون وقليل منهم الذين أدركوا هذا الجمال أى التناسب والتوافق . فعلام يدل هذا . فيقال له إن هذه الطاقة التي أدركت ذلك الجمال وفرحت به أرقى من بقية نوع الانسان وهؤلاء هم الذين يربون في الأرض مع عاثة الناس وتموت قوتهم العاقلة ويزيدون جالا في نفوسهم ويشعرون بأن الناس حولهم عصى صم بك من ذلك الجمال وهذه الطاقة القليلة قد أعدت في الأرض لعوالم أرقى . ومن جهة أخرى ذلك يدل أن هناك عوالم ونفوسا مشرقة فوق أهل الأرض غايتها في حياتها ادراك هذا الوجود على ما هو عليه . فاذا كانت هذه الأرض أكثر أهلها من الناس غافلون عن عجائب الذرة والقمح مثلا المذكور بعضها في تفسير الفاتحة ومجائب الأشعار والأوبرا المذكورة هنا وفيهم أناس عرفوا وفرحوا بفعاله أن أكثر الناس مع الحيوان بعقولهم وأخلاقهم وأقلهم بل النادر فيهم هم القادة وهم السادة وهم الذين يشبهون نفوسا أعلى دأبها أن تفرح بهذه العلوم . ذلك لأن العقل يقتضى أن يكون الحى إما أن يكون صاحب شهوة وحدها وإما صاحب عقل وحده وإما جامعا بين الخصلتين . فالأول الحيوان والثاني الملك والثالث الانسان . ولكن هذا الانسان إن غلبت عليه الشهوات كأكثر الناس في الأرض جهلاء ومتعالمين فهو إلى الحيوان أقرب وإن غلب عليه العقل فهو إلى الملك أقرب . وقد وصلنا إلى المطلوب الآن وهو أن أولئك الذين يشعرون بجمال هذه الخليقة ويدرسون سر وجودها هم أقرب إلى الملائكة والناس حولهم جميعا كالحيوان . ذلك هو معنى قوله تعالى - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم - وذكر الطير والمساكن والجبال والسرابيل وتمام النعمة . ولا جرم أن الطير قد تقتم في أول سورة المائدة عند قوله تعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض - والجبال ستأني في سورة (الغاشية) وتقلمت اجالا في سورة (الرعد) عند ذكر القطع المتجاورات وفي سورة البقرة عند ضرب موسى الحجر بعصاه فتفجر الماء فان ذلك الصنع حاصل في الجبل فاقرأ هناك وبقية الآية قد ذكرته هنا

إن لله كتابا قد كتبه بيده وهذا الكتاب هو سمواته وأرضه . هذا الكتاب أنزله قبل خلق الناس ولما خلقهم أعطاهم عقولا . فهذه العقول غشت عليها المادّة فجعلت بينها وبين جمال العالم الذي نحن فيه سدا حصينا فأرسل الأنبياء فأخذوا يرشدون الناس إلى دراسة هذا الكتاب الذي كتبه الله بيده الذي حروفه كبيرة ففعل أكثر قادة الديانات واكتفوا بحفظ ألفاظ الدين وغرهم في دينهم ما حفظوه وما فهموه فرجعت الانسانية التهقرى . فاذا يفعل الله في عوالم منحطة كهذه . يرسل عليهم البلاء ويخلق في الأرض من يشعلون نار الحرب فتظهر علوم وصناعات تدهش أولئك المتدينين الغافلين فان ظهر فيهم مصلحون بعد ارسال العذاب عليهم ومحاربتهم وسمعوا لقولهم فازوا وإن لم يقم مصلحون أو قاموا ولكن الأمم لم تسمع لقولهم أهلكت تلك الأمم ولات حين مناص

فيا ليت شعري كيف نعرف قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم - إلا بمثل هذا المقال ولوسئل صوف الغنم ووبر الجبل وشعر العز عن عمله وهي قادرة على النطق لقات بلسان فصيح إن الله منحني قوة حفظ الحرارة لنفع هذا الحيوان فهو تعالى منزّه عن العبث مقدّس عن اللهو واللعب ووضع الشئ في غير موضعه . هذا هو التسبيح العملي وكيف نعرف معنى بسم الله الرحمن الرحيم أو - ورحمتي وسعت كل شئ - أو - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - إلا بمثل ما بيناه . وكيف نعرف - وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام إلا بنحو ذلك وهكذا - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - بكسر اللام . ثم كيف نفهم الأثر المشهور ﴿ مارأيت شياً إلا وجدت الله قبله ﴾ وفي رواية (بعده) وفي رواية (معه) . كيف نعرف هذا إلا بمثل هذه المباحث والمعلوم . وهكذا قوله تعالى - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم الخ -

إن فهم عجائب الحيوان بالعلوم الطبيعية يجعل للانسان قوة أن يفهم نفسه لأن السمع والأبصار والأفئدة التي أعدت فيه للشكر (وأسّ الشكر المعرفة) تقوى بدراسة الطبيعة المحيطة بنا على فهم تركيب أجسامنا المذكور في أول سورة (آل عمران)

هذا الهيكل المنصوب المحيى هو الذى سكن الملك وجنوده فى الطبقة العليا منه وهى العقل والحس المشترك والخيال والذاكرة والمفكرة ثم السمع والبصر وبقية الحواس . كل هؤلاء كانت سكناهم فى الغرفة العليا وهى الطبقة الثالثة فى الجسم فلم نرى هؤلاء النّواب ورئيس جهور يهتم فى باطن السماغ ولا يبينه وبين حكام الأقاليم الذين اختصوا بها كالسمع لأقليم المسموعات والبصر لأقليم البصرات وهكذا . أقول لم نرى بينهم أحدا من سكان الغرفة الوسطى كالقلب وكالرئة اللذين كان شأنهما إصلاح الدم وتوزيعه الى سائر الطبقات بعدل ونظام مبين فهذان تأدبا بأداب الله الذى حكم عليهما ألا يجلسا فى مجلس نواب هذه المدينة الذين هم أولى أن يكونوا فى أعلى المكان ليشرّفوا على الجسم كله وليحصلوا منفعته من تلك الأقاليم . وهكذا لم نرى الطبقة العليا ولا فى الطبقة الوسطى أحدا من سكان الطبقة الدنيا فلم نر المعدة المعدة لهضم الطعام . وكذلك الامعاء الدقاق والغلاظ ولا السكبد المعدة لمساعدة الدم فى تقويمه ولا الطحال ولا السكيتان اللذان لهن عمل فى الدم إما بحفظ السكرات البيضاء وإما بجذب الماء من الدم . أقول لم نر أحدا من هذه كلها خرج من الطبقة الدنيا فعاش مع القلب والرئة وألى الطبقة العليا فجلس رئيس الجمهورية أو أعوانه الذين هم داخل القصر ولا أعوانه الذين يحكمون الأقاليم كاللسم وكالشحم وكالدوق للمعوسات والمشومات والمأكولات . فهؤلاء جميعا مؤدبون فى أما كنهم قائمون بأعمالهم كالملائكة الموكلين بهذا العالم - وما لنا إلا له مقام معلوم -

هذا هو الذى يفهم هو ونظيره من قوله تعالى - وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون - ومن قوله - كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون -

اللهم لا شكر إلا بالعلم وأجل العلم ما به عرفنا أنفسنا . فإذا وجدنا سكان الطبقات السفلى لم يتكبروا فيجلسوا فى الطبقات العليا . فهكذا سكان الطبقات العليا لم يتنزلوا الى سكنى الطبقات السفلى لئلا تعطل أعمالهم فلم يكن العقل وهو الرئيس المذكور ولانائب من النّواب معه كقوة الذاكرة ولا حاكم من حكام الأقاليم كالبصر تنزلن فى الصدر أو أمامه ولا فى المعدة والامعاء أو أمامهن ذلك لئلا يحصل الاختلاط بالمواد الغليظة فلا يقمن بأعمالهن . كذلك لم نر القلب ولا الرئة تنزلا الى وضعهما بجانب السكبد أو المعدة أو الطحال أو الامعاء لئلا يستضرّ تلك المواد الغليظة فيفسد سيرهما

ثم ان الانسان يرى أن هناك شرطين لا يفتان يلهبان هذا الانسان والجوف بسوطهما ﴿ أحدهما ﴾

هو الجوع فكما كان أحد سيفا وأقوى عصا كان الانسان أقدر على حفظ حياته بالطعام . وكلما ضعفت عصاه أو فلّ سيفه ضعف الغذاء فضعف الانسان ﴿ وثانيهما ﴾ الشبح الذي يأمره بالكف والنزول بضربه بسوط السامة والكراهة للطعام . وهناك عضوان آخران ﴿ أحدهما ﴾ جالس أمام الرئيس والنواب قريبا من حكام الأقاليم والعضو الآخر جالس أسفل الطبقات كلها . فالأول هو سفير الدولة يبلغ الدول كلها ما يريد من نواب الأمة أو يفعله حكام الأقاليم عند الاقتضاء . وهذا هو اللسان والثاني وهو الذي جلس في أسفل الطبقات هو عضو التناسل لأنه انما جعل ليكون لهذا الانسان نظيره يبقى بعده وانما وضع هذا في الأسفل لأن عمله فردي والأعمال الفردية قيمتها أرخص القيم . أما ترجمان الدولة وحامل علمها وسفيرها المعبر عن آراء عظمائها فهو أعلى مقاما وأكبر سلطانا ولذلك كان في الطبقة العليا ونظير ذلك العلماء والحكماء في نوع الانسان الذين هم ممدوحون في كل كتاب وعلى كل لسان بخلاف الاعتكاف على اشباع البطن أو عضو التناسل امتثالا لسوق الشرطين القويين الجوع والشبق . فالاعتكاف على ذلك تنزل عن الانسانية الى درجة البهيمية

إن هذين الشرطين قد وضعا في أسفل الطبقات للإشارة الى أن هذه منزلتهما فهما مأموران لا آمران والمأموران اذا أصبح أمرهم فسدت المدينة ولو كان المدار على حفظ الشخص وحده لكان الدود في الفاكهة أعزّ وأسهل لأنه محفوظ لا يحتاج الى شئ آخر . ولو كان المدار على التناسل لكانت الحيوانات النقيعية التي تتكاثر بطرق شتى كالانقسام وكالازرار التي تنبت على ظاهر جسم الحيوان وتصور بصورته تدريجا ثم تفصل عنه وتكون حيوانا مثله . أقول لو كان المدار على التناسل لكانت هذه الحيوانات أشرف من الانسان ألف ألف مرة فان العلامة (ارنبرج) حسب أن الحيوان الواحد منها يصير ٢٦٨ ألف ألف حيوان في مدة شهر واحد . إذن عملية التناسل أقل الأعمال الحيوانية ولذلك وضع عضوها أسفل من غيره . فأما الترجمان وسفير الدولة فقد جلس في الطبقة العليا كما قدّمناه لشرف مكانته . ولا جرم أن سفراء الدولة يجب أن يكونوا على اتصال تام بالهيئة الحاكمة فلذلك لم ينزل اللسان الى الطبقتين الأخريين فلم يجلس مع القلب والرئين ولا عند المعدة والامعاء لأن هؤلاء عمال ولا علم عندهم وانما العلم عند الرئيس والنواب وحكام الأقاليم

ولما كانت الدولة لا بد لها من صحافة وكتاب لدواوينها لتدوين أعمالها وجب أن يكون بجانب هذا الترجمان (الذي كثيرا ما يعطى لقب سفير بل سفراء لعظم مقامه) كاتب يكتب كل ما يلزم فوق الاختيار على اليد وقربت اليه جدا بحيث كانت في أعلى الطبقة الوسطى فهي قريبة من اللسان وهي التي تكتب آثاره وتسطر أعماله . ذلك هو الانسان . ذلك هو الكتاب المسطور الذي سطره الله لقرأه ومتى قرأناه استعدنا للقاء الحضرة الربانية لأنه لا يرى الله إلا من أحبه . وكيف يكون الحب للمجهول والعلم العام لا يعطى محبة

واعلم أن هذا القول ليس يذوقه كل من قرأه فان أحبيته وفرحت به فاعلم انك رجل مفتوح عليك وان رأيت قلبك غير فرح به فادع الله واعبده فيشرح صدرك

ففر بعلم تعش حيا به أبدا * للناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

﴿ جمال الجوهرة ﴾

أيها الذكي القارئ لهذا الكتاب اعلم أن هذا المتقدم هو الذي فتح به الله على في هذه الليلة (١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧) فهذا أنا أقول صباحا في نفس التاريخ ماله انشرح الصدر في المنام واليقظة معا وهما ﴿ حكمتان ﴾ موضحتان لهذا المقام

﴿ الحكمة الأولى ﴾

اننا قد فهمنا أن لهذا الانسان ما يشبه الجمهورية ورئيسها وأن هناك نوابا عن الأمة كالذاكرة والمحيلة الخ

وأن هؤلاء النواب هم المعبرون عن حاجات مجموع الجسم وأن لهم ترجانا ونفس هذا الترجان هو السفير للخارج وأن هناك رجال الصحافة والمؤلفين لهذا السفير ولهذا المجلس من نواب ورئيس الخ وهذه الأعمال قد اجتمعت في اليد فهي السكابة لهذا كله . وأقول الآن فوق ما تقدم ان لكل دولة كأممتنا المصرية مصالح من زراعة ومعارف ووزارة لداخل البلاد وأخرى لخارجها ووزارة للأشغال ووزارة للحرية ومصلحة المساحة ومصلحة المواصلات . وهذه كلها موفرة في الانسان . فاليد تزرع كالأولى وتساعد العقل واللسان في الثانية وتحافظ على الجسم من الدرن ومن الحشرات المؤذية كالبراغيث وذلك كوزارة الداخلية وأما وزارة الخارجية فهي اللسان واليد واليد تحفر الأنهار بالفأس وهذه هي الأشغال وتمسح الأرض وهذه هي المساحة والرجل تقوم بالسير في الأرض بدل وزارة المواصلات واليد تدافع العدو تارة والرجل تهرب به أخرى وكلاهما بدل وزارة الحرية . انتهت الحكمة الأولى

الحكمة الثانية

(محاورات بين الدودة والغزالة والانسان والملك في السعادة والشقاوة)

كأنى الآن في نفس صباح هذا اليوم في عالم الخيال وكأننى أرى (١) دودة (٢) وغزالة (٣) وانسانا (٤) وملكاً والثلاثة الأولون يتحاورون والملك يستمعهم

قالت الغزالة للدودة في بطن التفاحة إذ عثرت عليها وهي تعالج أكل التفاحة . أيتها الدودة لقد عشت هنا في حصن حصين ونعيم . إن الله أعد الجنة للمتقين فهأنت ذه في جنة عرضها التفاحة وماؤها حلو ولذيذ وسماؤها وأرضها روح وريحان وجنة نعيم لا تعب ولا نصب وأنت في عز مقيم أما أنا ففي نصب وتعب أفر من الآساد والذئاب ومن هوأظلم منهما وهو الانسان كلهم يطاردونني فأنت في نعيم وأنا في حجيماً فأنا لا أدري أين العدل في هذا التقسيم . نعيم لقوم وحجيماً لآخرين ولا فضل لك ولا ذنب علي . فقالت الدودة قد أخطأت يا أختي المرمي وجهلت قدر النعمة . كيف تكفرين بنعمة الادراك والجلد والشعر والحواس والقوة . منعك الأدنى وأعطاك الأعلى وأنا فهمت نعمتي ورضيت سعادتي وأنت لم تفهمي . منعك الراحة ولكنه أعطاك القوة وهذه الأعضاء والحواس وسهل لك سبل المعاش فزرع لك الأرض وملائها بالكلا وقال كلوا واشربوا وما السعي إلا ترقية لكم وذلك فتح لباب الحرية والاستقلال وأنت اليوم فتح لك بابهما بهذا السعي فأنا في سجن مع تمام اللذات وأنت في شبه حرية مع السعي . - فأى الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعلمون - فجاء دور الانسان فقال . لئن شكوت أيتها الغزالة لأنا أحق بالشكوى منك . قد أظلمت الدنيا في وجهي وفتحت لك أبواب السماء وأكناف الأرض فأنت موفاة الغذاء والماء تأوين كل مكان وتشربين من كل نهر والكلا قد ملأ السهل والوعر وقد أعطيت كساء دافئاً من ولادتك الى موتك . أما أنا فاني قد حكم علي أن لا آكل إلا ما صعب الحصول عليه من حب وفاكهة ولحم . كل ذلك لأناله إلا بمشقة عظيمة وعرق جبين وأعمال ونصب وتعب وحكومات وعلماوات مما يطول شرحه ولا مطمع في استقصائه . فقالت الغزالة انما مثلي ومثلك كمثلك الدودة معي . لقد أعطيت أنت العقل واليدين فأما أنا فلي أربعة أرجل ولا يدلى أقلب بها الأرض فأستخرج زرعها وأحصل الشعر والوبر والصوف من غيري لذلك وفر الغذاء لي وأمرني بالسعي اليه برجلي وأنت لما أعطاك اليدين والعقل وغيرهما أمرت أن تعمل بهما فتستخرج الغذاء والكساء اللذين أكثرهما عندي ولو أنه منحك الغذاء والكساء موفرين لأصبح عقلك ويداك بلا عمل فتصرفهما في الشر وهذا قوله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - والمطالب لانهاية لها ومنافع المادة لا تنفي ووراء كل كشف سر - وفوق كل ذي علم عليم - . انما فعل ذلك معي ومعك لأنه عدل فأعطاك حيث منعك ومنعني حيث أعطاني . فهناك غم وغرم وأنت أعلى مني لأن هذا النصب فتح لباب اتمام الحرية

والله ليس بخيلا وانما هو حكيم والحكيم يفعل على قدر المصلحة فلوامرنى أن آكل كما تأكل أنت وألبس كما تلبس أنت بحيث لا آكل إلا البر واللحم ولا ألبس إلا الخزّ والديباج لكان ظالما . ولوسهل لك الملابس والمساكن مثل ما سهل لى لكان ظالما لأنه أقعدك عن المعالي وهى الحرية والعلم فكل حركة من حركات العقلية والجسمية مفتاح من مفاتيح أبواب الجنة والخروج من أسر هذه المادة والقرب من ربك الذى تنزه وتقدس عن المادة . فهذا كله جهاد علم الانسان أم جهل شاء أم أبى - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - . - إن الله عليم قدير - وكل من منحه علما وقدرة من مخلوقاته كان أقرب اليه وازدياد العلم يزداد القرب والعلم بالسعى والاكتساب قال تعالى - وزاده بسطة فى العلم والجسم - الخ وإن لك لعبرة بالجنين منكم فانه لما منع القوة العقلية والجسمية أعطى غذاء من أمه فثله كمثله الدودة ولما ولد وأخذت أمه ترضعه فانه يكون أشبه به موفر الرزق ولكن عنده بعض السعى إذ يبكى لأمه ويضحك ويمسك الثدي ويمتص اللبن وكل ذلك عمل أشبه بعملنا نحن الغزلان فى طلب القوت الموفر فى الأقطار فاذا كبر هذا الطفل واستغنى عن لبن أمه سعى بنفسه وجد فى طلب الرزق فارتقى عن هاتين الحالين فهل تقولون ان حال الطفولة أفضل من حال الرضاغة أم تقولون إن هاتين أفضل من حال البلوغ فى السن . هذا معنى قوله تعالى - قتل الانسان ما أكفره - فهذا هو الكفر المذكور فى هذه الآية من القرآن . فاما سمع ذلك الملك قال (وأنا أسمع) أن هذا القول هو تفسير قوله تعالى - وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا - الى قوله - فله الجنة البالغة - فهذه الحجج من حجج الله البالغة فحجج الدودة وحجج الغزالة فتعجب باب لفهمكم حجة الله البالغة

واعلموا أيها الناس انكم مادتم لم تتقفوا على الحقائق بحيث تفهمونها كما فهمتم أمر الدودة والغزالة والانسان فانكم لاتصاون لرؤية ربكم . وكيف يجالس الملوكة من هو مملوك ذليل وضع . إن هذه الآراء تعطى الناس رضا بما يمر عليهم من عزّ وذل وغنى وفقير . ومتى ارتقت عقول الناس أدركوا أن الدليل منهم والعزيز والفقير والغنى الخ لم يكن هذا لهم إلا الحكم مخفية على الناس كهذه الحكم التى ظهرت فى الدودة والغزالة والانسان فالحكم فى تفاضل الأنواع كالحكم فى تفاضل الأفراد والأول قد فهمتموه والثانى يجب عليكم أن تصبروا عليه حتى تفهموه وهذا أيضا معنى قول نبيكم ﷺ ﴿ وَأَنْ تَوَكَّنْ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْتَقِصَ مِنْهُ ﴾ فلا شرّ إلا مثل ما ادّعت الغزالة بالنسبة للدودة وما ادّعاها الانسان بالنسبة للغزالة . كلاهما ظن أن نصبه شرّ وما هو بشرّ بل هو خير . فاذن لا شرّ وانما تلك مراتب وضع الله المخلوقات فيها فلم يفهموا وهذا معنى جد الله على السراء والضراء لأن الحمد لا يكون إلا على نعمة فاذا كان قول المسلم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ﴾ يشمل القضاء بالخير وبالشّر فإن لم يكن الشرّ المذكور خيرا فى الواقع كان الحمد رياء فيحمد المؤمن ربه على الشرّ والخير وسيأتى يوم يفهم فيه أن الشرّ خير فى الواقع كما فهمت الغزالة فى هذا المثال

وهذا فى دين الاسلام هو نفس المحاوره التى بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام . فالسفينه التى لما كين يعملون فى البحر قد عابها الخضر خوفا من الملك أن يأخذها . فهل هذا شرّ . وهل موت الغلام الذى كان شرّا على والديه شرّ . وهل اقامة الجدار الذى يحفظه يحفظ مال الأيتام شرّ إلا اذا قال الانسان ان كدحه لولده الذى سيموت وتأليفه العلم شرّ ونفعه الناس شرّ وانفاقه على المساكين شرّ لأنهم يأخذون عوضا كالا بل اقامة الجدار وما بعده كلها خير كبير لأنها وان لم تقابل بفائدة مجله فإن النفس ارتقت بهذا العمل ولا علم لها به وهذا المقام يعرفكم السرّ فى الأمر بالرضا بالقضاء والقدر . فهذا الصبر الذى أمرتم به على مثل ماتصبر الغزالة وما يصبر الانسان بالنسبة للغزالة يكون اليوم تكلفا فاذا ارتقيتم الى عوالم أعلى بعد الموت وقفتم على سرّ ما جهلتم الآن وأدركتم سرّ كل ما صبرتم عليه وعامتم حكمته كما عامت الغزالة وعلم الانسان كل

منها سرّ نصبه وتعبه بالنسبة للآخر
فما من عزّ أذلّ أو استعباد أحرّية أوفقر أغنى أوجهل أعلم أو إيمان أو كفر إلا لحكم استترت على
الناس والناس مأمورون أن يصبروا وحرم عليهم أن يعلموا الحقائق وسيأتى يوم يعلم الناس أن حقائق الديانات
هى نفسها عاوم هذه الطبيعيات فى الأرض والسموات . فلما سمعت ذلك انتبهت من الخيال وكتبت هذا
المقال . انتهت الجوهرة الأولى
﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى - وسراييل تقيكم بأسمكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلمكم تسامون - ﴾
قد جعل الله خاتمة النعم السراييل وهى الدروع التى تقينا بأسنا تقينا الحرب والضرب والقتال . يا عجباً
لهذا الانسان وحياته

﴿ عجائب الانسان وحربه وقاتله ﴾

هل يدور بخلد الناس أنهم لاسعادة لهم إلا بالقتال . هل يعلمون أن الحرب نعمة عليهم . يا عجباً إن
السباع والوحوش نعمة كما ذكر والحيات والعقارب آية باهرة كما ذكرناه وجوارح الطير خير من عند الله
وقد أصبح الانسان يرى بعقله أن كل ما هو موجود نعمة من عند الله . هذا هو الذى قضاه العقل الذى ذكر
فى الآية وانه انما خلق لشكر الله ولكن هل يعلم الانسان أن حرب الدول والممالك كالخرب الكبرى العامة
التي ابتدئت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ هل يعلم أنها هى وأمثالها نعمة كنعمته تلك الحيوانات واصطياد
كبارها لصغارها واجتياح أقواها أضعفها فان لم يعلم الناس ذلك فليقرؤا - سراييل تقيكم الحرّ وسراييل
تقيكم بأسمكم - وجعل هذه خاتمة النعمة . جعل الله الحاية من الحرب نعمة . وبليت شعري أى فرق
بين الغازات المعمية والحارقة والطائرات الجوى والقنابل اليدوية والديناميت . أى فرق بين هذه وبين
الدروع . لا فرق بل هذه أبعد منالا وأشرف وأرقى مثالا . يجعل الله ذلك نعمة علينا ويأمرنا بشكرها
ويقول هذه العقول خلقتها لتشكرونى بالتفكر والعمل . وأى نعمة فى هذه . إن فى ذلك نعماً عظيمة
يجتد نشاط الأمم ويحيى قوتها ويرقى آمالها ويبعث فيها فكرة التجديد وتموت الأمم الخاملة وتحيا العاملة
لأن هذا العالم عالم نشاط والله خلاق فلا يجب إلا العاملين لاسيما فى مستقبل الزمان إذ تكون أمم ودول قويات
عالمات نشطات . فأما زمن الكسل والتواكل والاستعارة فقد مات وفات وطفن الناس وسيرتقون
ولقد أوحى الله لسكل أمّة وحيا إلهاميا أن تحافظ على كيائها وتلم شعنها وتسابق جيرانها لجعل الأمم
أشبه بأنواع الحيوان تهجم فرقة على فرقة وبثّ فى قلوبهم الحمية سواء أكانت جاهلية أم دينية أم وطنية
أم جنسية أم غير ذلك وجعلهم يقتتلون . وهذا الاقتتال هو الذى يبعث اليهم النشاط ويقوى الآمال . فأما
الموت الذى تكون الحرب سببه فانه مقصود من مقاصد هذا الوجود فهو أشبه بموت الوباء أو قلة الغذاء أو منع
المطر أو غير ذلك . هذا بعض من قوله تعالى - وسراييل تقيكم بأسمكم - فهو يأمر المسلمين والناس أجمعين
بشكره على هذه السراييل الحربية والأدوات القتالية للأمم لأنه هكذا خلقت وهكذا يريد ترفيتنا فاذا لم نفكر
فى ذلك ولم نعمل به أرسل أممنا لينا فقتلتنا بهذه الآلات والمدمرات . تمّ الكلام على القسم الثانى من السورة

(القسم الثالث)

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي

تَقَضَّتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ قَتَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْهَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ * مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ *
فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّكُمْ لَعِنْدَهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحُمَ الْخَنْزِيرَ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا
حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ
قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ
يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ *
وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ *

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (العدل) في اللغة المساواة في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلوة ولا نقصان فيه ولا تقصير
فاذن هو المساواة في المكافاة إن خيرا فخير وإن شرا فشر (والاحسان) أن تقابل الخير بأكثر منه والشر
بأن تغفو عنه (وإيتاء ذى القربى) اعطاء الأقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيصهم بعدتهم للعناية بهم
(والفحشاء) الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا وشرب الخمر والحرص والطمع والسرقة (والمنكر) هو
مانكره العقول من دواعي القوة الغضبية كالضرب الشنيع والقتل والتناول على الناس (والبنى) هو ما كان
من مجموع القسمين السابقين كأن يسرق ويقتل معا وكان يرتقى ويحكم بالباطل فالبنى يجمع الفحشاء والمنكر
معا وهو وصفه الشياطين (يعظكم) أى أمركم بثلاثة ونهاكم عن ثلاثة لكي تعظوا فتعظوا بما فيه رضا الله
تعالى (اعلمكم تذكرون) تعظون (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) هو كل ما يلزمه الانسان باختياره ويدخل
فيه الوعد أيضا لأن الوعد من العهد (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) ولا تنقضوا الأيمان فتحنثوا فيها

ومنها إيمان البيعة بعد توثيقها وتشديد لها (كفيلاً) شهيداً بالوفاء بالعهد (إن الله يعلم ما تفعلون) من وفاء بالعهد ونقضه . ثم أخذ هنا يضرب مثلاً لنقض العهد بأن امرأة من قريش يقال لها ربيعة بنت عمرو من بني تميم كانت حواء وسوسة تغزل هي وجواريرها غزلاً ثم تأمر بنقضه (من بعد قوة) إبرام وإحكام (أنكنا) طاقات جمع نكث وهو ما ينكث قتله مفعول ثان لنقضت أى صيرت والمراد تشبيهه ناقض العهد بهذه المرأة الحقاء أو من هذا شأنه من كل من يغزل وينقض غزله حياقة أى ولا تكونوا متشبهين بهذه المرأة حال كونكم (تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) والدخل ما يدخل الشيء وليس منه فيكون ذلك دغلاً وخيانة وخديعة فيظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون أمة هي أربى من أمة) لأن تكون جماعة أوفر عدداً من جماعة . وقد كانوا يحالفون فإذا وجدوا قوماً أكثر عدداً منهم نقضوا حلفاً لأولين وحالفوا الآخرين (إنما يبايئكم الله به) أى إنما يختبركم الله بكونهم أربى لينظر أتمسكون بعهد رسول الله ﷺ مع قلة المؤمنين وفترهم وكثرة قريش وثروتهم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) حين يجازيكم على أعمالكم ثواباً وعقاباً (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) متفقة في الاسلام ولكنه لم يشأ ذلك لاختلاف الأمزجة والأخلاق والقابليات كما اختلف كل شيء في العالم (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان على مقتضى استعداده (ويهدى من يشاء) بما استعد للهداية وقوله (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) كرر للتأكيد (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها ووحدت القدم ونكرت للدلالة على أن زلزل أى قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة (السوء) العذاب في الدنيا (بما صدقتم عن سبيل الله) بسبب صدوقكم عن الوفاء وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذ غيرهم نقضهم سنة يستنون بها (ولكن عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) أى ولا تطلبوا بنقض عهودكم عوضاً من الدنيا قليلاً ولكن أوفوا بها (إن ما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) من عاجل الدنيا (إن كنتم تعلمون) أفضل العوضين ثم بينه فقال (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وهو ثواب الآخرة (ولنجزي الذين صبروا) على الوفاء بالعهد على السراء والضراء وعلى جميع الأمور العظيمة كالبأساء والضراء وحين البأس (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) بجزاء أحسن من أعمالهم (فلنجزيه حياة طيبة) في الدنيا يعيش عيشاً طيباً سواء أكان موسراً أو معسراً فالعسر يصرف عنه الطمع المؤدى إلى الفقر الحقيقي والمعسر يتصف بالقناعة والرضا وتوقع الأجر العظيم . فأما السكاغر فالحرص وخوف الفوات يكثران عيشه معسراً كان أو موسراً لأن النفس لانكون مطمئنة البتة (بأحسن ما كانوا يعملون) فهم سعداء في الدنيا بما تقدم به في الآخرة بالثواب كقوله - فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة - (فاذا قرأت القرآن) فاذا أردت قراءته (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله أن يعيدك من وساوسه لئلا يوسوس لك في القراءة وذلك للاستحباب وصورة الاستعاذة ﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾

ولما كان أولياء الله المتوكلون ليس له عليهم سلطان واستعاضتهم إنما هي لما يباغتهم به في أوقات غفلاتهم أفاد ذلك بقوله تعالى (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) كما تقسم في قوله تعالى - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه كميلهم إلى الشهوات واتباع الأهواء (والذين هم به مشركون) أى بسببه . ثم أتى بذنوب من ذنوب هؤلاء الذين يتولون الشيطان فقال (واذا بدلنا آية مكان آية) أى بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظاً أو حكماً (والله أعلم بما ينزل) فهو أعلم بالمصلحة فما كان مصلحة في زمن سيكون مفسدة في آخر فيثبت ما كان مصلحة وينسخ ما لا يكون كذلك (قالوا) باملاء الشيطان عليهم واطاعتهم له (إنما أنت مفتر) متقول على الله تأمر بشئ اليوم وتنهى عنه غداً وجلة - قالوا - جواب الشرط وجلة - والله أعلم بما ينزل - اعتراضية لتوبيخ المعترضين بأنهم

لا يعلمون المصلحة والمفسدة فكلموا بما لا يعلمون ولذلك أوضحه بقوله (بل أكثرهم لا يعلمون) تلك المصالح والمفاسد فلا يميزون الخطأ والصواب (قل) يا محمد (نزله روح القدس) هو جبريل عليه السلام أضيف الى القدس وهو الطهر أى الروح المقدس أى المطهر من المآثم (من ربك) من عنده حال كونه ملتبسا (بالحق) بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان متى عرفوا المصلحة في الناسخ وبذلك يرسخ الايمان (وهدى وبشرى للمسلمين) معطوفان على - ليثبت - أى للتثبيت والهدى والبشرى للنقادين لحكمه تعالى . ثم انه ﷺ كان يجلس مع سلمان الفارسي ومع عبد الحويط بن عبد العزى وكان نصرانيا أعجميا قد أسلم وحسن اسلامه يسمى عائشا أو يعيش فقال مشركو مكة إنما يعلمه هذان الأعجميان وهذا قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كهائش وسلمان فرد عليهم الله قائلا (لسان الذي يلحدون اليه) يميلون ويشيرون اليه (أعجمي) أى لسان الرجل الذي يميلون قلوبهم عن الاستقامة اليه أعجمي اللغة (وهذا) أى القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة وهل الأعجمي الذى لا يبين يعلم الفصحى البليغ في البيان وهل ما يسمعه من غلام سوقى في بعض أوقات ضروره من كلمات أعجمية يصعب فهمها تكون سببا لهذه العاوم الكثيرة في القرآن الذى أعجزكم (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهتديهم الله) الى الحق (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) لأنهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه (وأولئك) أى الذين كفروا (هم الكاذبون) الكاملون في الكذب ثم استأنف فقال (من كفر بالله من بعد ايمانه) فعليه غضب الله (إلا من أكره) على الافتراء وكلمة الكفر (وقلبه مطمئن بالايمان) ساكن به كهار بن ياسر إذ أخذه المشركون هو وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فهؤلاء السبعة ليس لهم عشيرة كأبى بكر إذ منعه قومه ورسول الله ﷺ منعه عمه أبوطالب . فهؤلاء لما كانوا أول من أظهر الاسلام ألبسوهم أدرع الحديد وعذبوهم إذ أجلسوهم في حر الشمس بمكة . فبلال كان يقول أحد أحد فاشترأ أبو بكر فأعتقه وياسر قتل وسمية كذلك وهما أول قتيلين في الاسلام وخاب أوقدوا له نارا فأطفأها وذلك أى دهن ظهره وأما عمار فان بنى المغيرة غطوه في برسيمون وقالوا له اكفر بمحمد ﷺ فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأخبر رسول الله ﷺ أن عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يسكي فقال رسول الله ﷺ ما وراءك قال شريارسول الله نلت منك وذكرتك فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل ﷺ يمسح عينيه ويقول إن عاودوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية . وحكم هذه الآية ماقاله العلماء (ان من عذب عذابا شديدا لا يطاق كالتخويف بالقتل والضرب الشديد أو الاحراق جازله التلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالايمان) ويقولون (إن الأفضل الصبر حتى يموت كما فعلت سمية أم عمار وياسر أبوه وصبر بلال على العذاب ولم يلم على ذلك ولا يقع طلاق باكره خلافا لأبى حنيفة)

ثم أتى بما يقابل المسكره فقال (ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره هو ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) في الآخرة (ذلك) بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (أى ذلك الوعيد بسبب استحبابهم الحياة الدنيا على الآخرة أى إيثارهم إياها عليها) (وان الله لا يهدي القوم الكافرين) ماداموا مختارين للكفر (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) أى الكاملون في الغفلة (لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) إذ ضيعوا ثمار أعمارهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا) أى عذبوا كهار (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد (إن ربك من بعدها) أى الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) متجاوز عن ذنوبهم (رحيم) بهم (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) الظرف متعلق برحيم أى تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها فكل امرئ يقول نفسى ويفر

المرء من أخيه وأبيه الخ (وتوفى كل نفس ما عملت) جزاء ما عملت (وهم لا يظالمون) لا ينقصون أجرهم (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) كان أهلها آمنين من العدو والقتال والجوع والسبي (يأتيهم رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان) من كل بلد (فكفرت) أى أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) أى فعاقب الله أهلها بالجوع والخوف من العدو بما كانوا يقتربون من الذنوب قولا وفعلا . والقرية المضروبة مثلا غير معينة وتعيينها ليس ضروريا للمعنى . يقول بين الله صفة ثم أبدل منها قرية أى صفة قرية وتلك القرية لها ﴿ صفتان * الأولى ﴾ الامن والاطمئنان من الأعداء ﴿ والثانية ﴾ سعة الرزق آتيا من سائر البلدان فكفروا فعمهم الجوع والخوف وذاقوا مرارتها بعد سعة العيش والأمن والطمأنينة . فهذا المثل ضرب به الله لكل قوم أنهم عليهم فبطروا النعمة فكفروا وتولوا فأنزله الله بهم نقمته . وهذا المثل مضروب لأهل مكة ولنا ولكل انسان فى الأرض * وقد قيل ان أهل مكة أصابهم ما أصاب أصحاب هذه القرية فجاءوا سبع سنين بقطع المطر عنهم فأكلوا العظام المحرقة وجيف الكلاب والميتة . وأما الخوف فهو من سرايا النبي ﷺ وبعوثة التي كانت تغير على من حولهم من العرب وذلك يخيفهم ﴿ تنبيه ﴾

إن فى هذا المقام ﴿ استعارتين ﴾ فى الاذاقة والالباس ومؤلف التفسير لا ينبغي له أن يصرف العقول عما أنزل له القرآن الى أمور صناعية بعد ما استبان المعنى وفهمه العقلاء فان ذلك للبتدئين . ثم أخذ يبين ماهى النعمة التى كفر بها أهل مكة ليكونوا كأصحاب تلك القرية المضروب بها المثل فقال (ولقد جاءهم رسول منهم) وهو محمد ﷺ (فكذبوه فأخذهم العذاب) وهو الجذب الشديد (وهم ظالمون * فكأول ما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله) لأنكم ان كفرتموها كنتم كأصحاب تلك القرية وضرب المثل انما يراد ليصبر به فلتكن النعمة مشكورة (إن كنتم إياه تعبدون) إن كنتم تريدون عبادة الله بتحريم الحرث والأنعام فاستحاروا فان عبادة الله فى تحليلها . ثم أخذ يبين المحرم ومتى علموه علموا الحلال المذكور فقال (إنما حرم عليكم الميتة) التى أمر بذبحها (والدم) المسفوح (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وما ذبح بغير اسم الله عمدا أو لأصنام (فمن اضطر) أجهد الى ما حرم الله عليه (غير باغ) على المسامين أو غير مستحل لأكل الميتة (ولاعاد) متعمدا للأكل بغير ضرورة أو لاقطع طريق (فإن الله غفور) متجاوز بأكل الميتة عند الضرورة (رحيم) إذ رخص له أكل الميتة . هذا هو تحريم الله فكيف تقولون هذا حلال وهذا حرام من عند أنفسكم (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب) أى ولا تقولوا الكذب لأجل الذى تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول ولما تصف متعلق بتقولوا - وهذا حلال الخ - مقول قول مخدوف تقولون ذلك (لتفتروا على الله الكذب) لتختلقوا والمفتري الكذب يقصد به تحصيل مطاوب وهؤلاء ليسوا كذلك (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) منعتهم (متاع قليل) ينقطع عن قريب (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) فى سورة الأنعام فى قوله تعالى - وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر - (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ فعلوا ما عوقبوا عليه (ثم إن ربك للذين عموا السوء بجهالة) متلبسين بجهالة كالجهل بالله وعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والافتراء على الله وغير ذلك من كل سوء (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) إن ربك من بعد ذلك (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الابابة . ولما كان هؤلاء أشبه بمن كفروا بآبراهيم الخليل من عمروذ وقومه وقام فيهم يوبخهم ويكسر أصنامهم فقد فارق دين قومه وحده وعلم الناس الخير وجميع الناس يقتدون به ثم أخذ يذكر إبراهيم ثم أتبعه بأن نبينا محمدا ﷺ قد أوحى الله اليه أن يتبعه وهذا قوله تعالى (إن إبراهيم كان أمة) مستجما فضائل لا توجد إلا فى أشخاص

كثيرة فهو رئيس الموحدين كسر الأصنام وجادل الكفار ونظر في النجوم ودرس الطبيعة ليظهر قلبه بالاسلام وهكذا من الصفات الأربعين المتقدمة في سورة البقرة في هذا التفسير (قاتل الله) مطيعا له (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يكن من المشركين) كما تزعم قريش أنهم على ملة ابراهيم (شاكر الأنعمة) بخلاف قريش إذ كفروا بنعمة ارسال محمد ﷺ منهم كما تقدم في قوله ... ولقد جاءهم رسول منهم - وقد حرموا ما أحل الله فحل بهم العذاب (اجتباها) اختصه واصطفاه للنبوة (وهدها الى صراط مستقيم) ملة الاسلام (وآتيناه في الدنيا حسنة) فأحببه الناس وأثنوا عليه من جميع الملل ورزقه ذرية طيبة وعمر طويلا في سعة وطاعة وليس كهؤلاء الذين يدعون اتباعه من أهل مكة فهم يعادون المؤمنين فلائنا عليهم منهم وليسوا مهتدين الى الاسلام (وانه في الآخرة لمن الصالحين) * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فأنت متبع له وعلى قدمه وهم ليسوا كذلك لأنهم يحللون ويحرمون من عند أنفسهم فيسكون وبال ذلك عليهم كما أن وبال الاختلاف في السبت على الذين اختلفوا فيه بالحيلة فإن بعض اليهود استعملوا الحيلة بأن وضعوا السدة على المكان الذي فيه السمك يوم السبت ثم اصطادوه في يوم آخر بفتوى أفتى بها شيوخهم كما يفتى شيوخ المسلمين فتاوى متناقضة جلب الدرهم والدينار . فهذا الاختلاف وبال على أولئك اليهود كما ان وبال الاختلاف في التحريم والتحليل على هؤلاء المشركين وهذا قوله تعالى (لنما جعل السبت) أي وباله (على الذين اختلفوا فيه) فسخوا (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) كما حكم في الدنيا بمسحهم . كذلك أهل مكة يا محمد أحكم عليهم أيضا في الدنيا بالجوع وبالقتل على يديك وفي الآخرة بجحيمهم فاما أنت فستنال مزايأ جدك الخليل فتكسر الأصنام وتكون لك الغلبة عليهم . ولما كانت هذه السورة قد ظهر فيها أنواع الحكمة والمجادلة والموعظة الحسنة أشار الى ذلك فقال (ادع الى سبيل ربك) الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل لشبهة الخواص (والموعظة الحسنة) الخطابات المنقعة للعوام (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هي أحسن) بالطريقة التى هي أحسن مثال الاول - خلق الانسان من نقطة - الى آخر الآيات وآيات الأنعام والنحل والطير كما قدمناه في وسط السورة . ومثال الثانى - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة - . ومثال الثالث الآيات الواردة في البنات وكرهه العرب لولادتهن وما أشبه ذلك (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) انما عليك البلاغ والدعوة . أما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فذلك لنا . ولما كان ما تقدم هو طريق الدعوة بأنواعها وكان لابد من أعداء لهم يخاصمونهم ويجادلونهم في دينهم أشار عليهم كيف يعاملونهم وبين لهم ذلك بحالين ﴿الاولى﴾ أن يكون العقاب على مقدار الذنب ﴿الثانية﴾ أن يتجاوز الانسان ويصفح وهذا الثانى مفضل على الأول * ومن ذاك أنه ﷺ لما رأى حجة وقد مثل به قال والله لئن أظفرنى الله بهم لأقتلن سبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وهذه هي الآية (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو) أي الصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمستقمين (واصبر) فأنت قدوة لتقتدى بك أمة كابرهم الخليل الذى أمرتك أن تتبع ملته (وما صبرك إلا بالله) بتوفيقه وتثبته (ولا تحزن عليهم) على الكفار ان لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكفار (ولا تذك في ضيق) ولا يضيق صدرك يا محمد (مما يذكرون) بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم (إن الله مع الذين اتقوا) المصابى (والذين هم محسنون) فى أعمالهم ومحسنون للناس فهم فى أنفسهم مهذبون وللناس نافعون وهذا تخلق بأخلاق الله والله يساعد من تخلق بخلقها والتجربة تثبت ذلك بشرط استعداد الانسان له . فن هذب نفسه ونصبتها لنفع الناس فهو خليفة الله فى الأرض ملحق بالأنبياء تابع لهم والله معه كما هو معهم . انتهى التفسير اللفظى

جاء في آخر القسم الثاني من السورة - ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - فهذه الأوصاف الأربع للقرآن جاءت بعد ما أفاض في هذه السورة بفاضة تامة ، فلقد تبين فيها من المجائب الحكيمة والنظم الطبيعية ما تخر له العقول سجداً من بدائع النبات ونظام الحيوان والطير والنحل ولم يتفق ذلك في سورة غيرها فانه قد مر ذلك فيها كرتين وأعاد التعليم مرتين فهو هدى للسائلين ورحمة للمسلمين وبيان لهم وبشرى دنيوية وأخروية فان الاطلاع على هذه المجائب يدعو الى الهداية الناشئة من البيان والهداية للعلم تتبعها الرحمة بافاضة الخير في الدنيا من العزة والنصر وحوز العلوم وذلك بشرى أن المسلم ينال في الآخرة السعادة - وأتينا في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين - وبهذا المقال انتهى الكلام على باب الحكمة في السورة ومعها غيرها ثم شرع يفرض القول في الموعظة الحسنة فقال

﴿ - إن الله يأمر بالعدل - ﴾

أما العدل فأنتم تعلم من هذا التفسير وغيره أن هذا العالم لا نظام له إلا بالعدل فلا كوكب ولا شمس ولا قر ولا نبات ولا حيوان ولا شيء مما تراه أو تسمعه من نغمات الموسيقى وجمال الوجوه وحسنها . كل ذلك مستحيل وجوده إلا بالحساب البديع والنظام التام . وفي هذا التفسير وفي كتابنا في الفلسفة العربية وغيرها شرح هذه الامور . ومتى زال العدل زال هذا الوجود وتحطمت الكواكب والأقمار والارضون وتبدد هذا العالم بل متى ذهب العدل ذهب العالم . لذلك ابتداء الله به والعدل هو المذكور في آية الرحمن - ووضع الميزان ألا تظفوا في الميزان - أي ان الله وزن العالم بحسبه بدقة لأجل أن تتعلموا نظامه فتسيرا على نهجه وتنظموا كما نظم وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى . فاذا كان هذا شأن العدل في نظام العالم فليكن هذا شأنه في حياة الأمم والأفراد فويل للأمم لا تقم العدل في المناصب والأحكام والقوانين والأعمال فلاحكومات باقية مالم يكن العدل عمادها . ولقد ضرب أفلاطون لذلك مثلاً في جمهوريته بجماعة الاصوص اذا سرقوا مالا فانهم لا تقوم لهم قائمة مالم يقيم العدل بينهم . فاذا كان الاصوص لجامعة لهم إلا بالعدل في قسمة ماسرقوه فما تكون حال الأمم . إنها لاحياة لها بغير العدل . ولقد ردت عليه بعض تلاميذه بأن الانسان الظالم كثيراً ما نراه كثير الحظ وله أعوان يدافعون عنه كلما كذب أو ظلم فأجابهم قائلاً اذا لم تعش جماعة الاصوص بمثل هذا الفاجر فكيف تعيش أمة طويلة بأمثاله . إن انظام الذي أدخر أموالاً كثيرة يحسن بألم في نفسه اذا رأى الناس حوله في عذاب وشقاء فالنفس الانسانية تحسن بما أجرت فيعذبها ذلك الاحساس في الدنيا مهما تظاهر بالنعمة . وقد أوجب (أفلاطون) على اسان أستاذه (سقراط) أن يفتح لحكام المدينة باب العلم وعشق الحكمة والغرام بعلوم الطبيعة والأدب والفاك وجمال هذه الدنيا لتفتح بصائرهم فان لم تفعل ذلك الحكومات بموظفيها أصبحوا شهوانيين يشاركون الناس في أموالهم وأعراضهم بالرشوة والهدايا والفيجور والجري وراء الفانيات في الأمة . وهذا هو الذي كان حاصله في بلاد مصر وفي بلاد الشرق فتدخلت أوروبا في شؤونهم . إن القرآن الذي هو كتاب ديني أشار الى ذلك بذكر العدل بعد قصة هذه الكائنات فكأنه يقول لاعدل عند حكماكم إلا اذا أغرموا بما تقدم من العلوم فدرسوا هذا الوجود وعشقوا حكمه حتى يقوموا في الأرض بالعدل لأنهم يكونون خلفائى قد نظروا في أعمالى فعرفوا نظامى فقلدوه وهم لا يشعرون ويكون العدل إذ ذاك كالغريزة

﴿ العدل بين الناس ﴾

ومن العدل بين الناس ما ذكره الله في سورة النساء من شهادة الانسان على نفسه وعلى والديه وعلى الأقربين وعلى الفقراء وعلى الأغنياء لا يبالى بنفس ولا بأهل ولا بفقر ولا بغنى بل يكون الحق هو مقصوده

وفما جاء في قصة سيدنا عمر رضى الله عنه مع الجمار (بتشديد الميم) الذى سار معه من المدينة الى الشام فكانا يتراوحان على الجمار هذا يمشى مرحلة وذلك مرحلة مع أن الجمار له أجرة

﴿ جمهورية أفلاطون والعدل ﴾

إن جمهورية (أفلاطون) كلها قد بنيت على هذه الكلمة . وذلك كان قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون والكتاب من الكتب القيمة وليس العدل من الامور الهينة بل هو أمر عظيم فقد جعل هذا الكتاب عشرة أبواب و بين العدل وكيف يكون وهل نعطى الجنون ماله ونعطى السيف لمن به يقتل الصبيان وان كان ذلك ملكهم وهكذا من المباحث وقد انتهى فى آخرها الى أن العدل إنما يكون بما تقره الجماعة المجتمعة وهو ما يسمى بالاجماع عندما فى شريعتنا الاسلامية لأن الرجل كان فى العصر الأولى وشرط فى القائمين به شروطا كثيرة وأوجب على رجال الجيش أن يكونوا مرتاضين رياضة جسمية ورياضة علمية فى الحساب والهندسة سنين عديدة . فأما الحكم فلم يهرم أن يزيدوا فى ذلك وأن يعرفوا صانع هذا العالم ويتوغلوا فى المعرفة حتى يصلوا الى منتهى ما تصل اليه الأفهام

﴿ ايضاح لهذا المقام فى نظام الدولة ﴾

إن العدل فى الجمهورية لا يتم إلا ﴿ بثلاثة أمور ﴾ تتقدمه وهى

﴿ أولا ﴾ أن يكون العامة مطيعين للجند المسيطرين عليهم ولالحكام القائمين بأمر الدولة فهؤلاء العامة من التجار ومن المزارعين ورجل الصناعة ليس لهم على رأيه إلا الطاعة لرؤسائهم والقيام بما يؤمرون به فيدفعون الضرائب ويتركون المفاصد ويتباعدون عن الأعمال الضارة وهناك يحاكمون ويقضى بينهم بالقضاة العادلين وهؤلاء هم القائمون بأمر القوة الشهوية للأمة لأن شهوة الطعام والملابس والزينة لا تتم إلا بهؤلاء فهم عمل أشبه بالمعدة والأمعاء فى جسم الانسان . فكما كان الراع يعملون فى الدولة هكذا المعدة والأمعاء يعملان فيما يماثل أولئك أى فى أعمال جثمانية

﴿ ثانيا ﴾ الجند الذين تربوا ومرتنوا للحرب والضرب والدفاع عن الدولة فهؤلاء يقومون مقام القوة الغضبية فى الانسان ويحافظون على الثغور ويقومون بطرد العدو منها ودفعه عنها . فعلى هؤلاء أن يتقادوا لرجال السياسة كما تنقاد قواتنا الشهوية لقواتنا العقلية فان لم يكبح المرء جماح غضبه بالقوة العاقلة أصبح أضحوكة ومثلا يضربه الناس للذين هم لاثبات لهم . فهكذا الدولة اذا استبدت العسكر بالأمر ولم يراجعوا أولياء الامور فسدت أمور الدولة واحتلتها الأجانب وبئس المصير

﴿ ثالثا ﴾ رجال السياسة وهؤلاء يجب أن يكونوا على بصيرة وعلم كما هو مسطر فى هذا المقام على وجه الاختصار وهؤلاء هم الذين يدبرون الملك

فاذن تكون الدولة مركبة من هذه الثلاثة سؤاس وعسكر وعامة فى مقابلة النمل والغضب والشهوة . ثم ان انتظام هؤلاء وقيام كل بما عهد اليه يسمى عدلا فهذا هو العدل المذكور فى الآية . واياك أن تظن أن انتخاب الأمم للتواب ينافى هذا فان هؤلاء التواب هم الذين ينظمون أمم الحكومات فالحكومة لهم والحكومة تسيطر على الأمة كلها فلا بد من طاعتها للجند عند الاقتضاء والجند يكون تحت أمره الحكومة التى انتخبها الشعب

﴿ العدل فى الأخلاق الشخصية ﴾

لقد قاس هذا الحكيم أخلاق الانسان على أخلاق الأمة فجعل قوة الشهوة خاضعة للقوة الغضبية فان الانسان إن لم يكن عنده حية وشهامة لم يحافظ على عرض ولم يترك نقية وود لو يأكل أموال اليتامى فان لم يقهر نفسه بالقوة الغضبية وبالتواضع فى سره افترض أمره كما تحرب الأمة إن لم يقم الجند بكبح جماح الثأرين

وحبس المعتدين وما أشبه ذلك . ثم إن القوّة الغضبية يجب أن تخضع للعقل فلا يفعل إلا على مقتضى المصلحة
أقداما واحكاما كما لا يفعل الجند في الدولة شيئا إلا بأمر رجال السياسة والا هلكت البلاد وتشتت أمرها
ثم إن القوّة العقلية يجب أن تتحلّى بالعلوم كما أوضحناه في هذا المقام فإن لم تتحل بالعلوم كانت كرجال
السياسة الذين لا علم عندهم ولا رأى لهم وهم غافلون . ثم إن اجتماع هذه الامور الثلاثة وانتظامها هو المسمى
بالعدل كما إن اجتماعها في المدينة يسمى عدلا . فانظر كيف كان العدل نظام كل شيء . وكيف كان هذا القول
في الآية جامعا لهذه العلوم ولذلك سلبت هذه الآية ألباب العرب لما سمعوها كالغبرة بن شعبة حتى إن أباجهل
أعجب بها كما ستره والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

ثم إن أفلاطون يقول (١) إن الأمتة متى كانت على هذا المنوال فأحكامها عادلة وهي المدينة الفاضلة وقد
تمت فيها الامور الأربع وهى العفة للعامة والشجاعة للجند والحكمة للسّواس والعدل بين الجميع . وهكذا
الانسان يكون عفيفا فى قوّة الشهوية شجاعا فى قوّة الغضبية حكيما فى قوّة العقلية عادلا اذا انتظمت الثلاثة
(٢) ثم إن الدولة متى زال منها السّواس من الحكماء المذكورين ترجع الى حكومة عسكرية فيتولى الجند
سياسة الأمتة ويستبدون بها وهذه الحكومة أنقص درجة مما قبلها فان العقل أرقى من القوّة الغضبية التى
لا يعرف الجند سواها (٣) فاذا تمادت هذه وطال عليها الأمد خرج أبناء هؤلاء ولاهم لهم إلا جمع المال فتغلب
القوّة الشهوية وهذه أدنى مما قبلها لأن الشهوة البهيمية هى التى تسلطت فيها كبلادنا المصرية أيام الغز
والاقتطاعات فلذلك كانت البلاد فى حالة محزنة (٤) وهؤلاء الأغنياء متى جمعوا المال أصبحت الأمتة كلها فقراء
خسدا وهم فيثرون عليهم فيها كونههم . وهذه هى الفوضى لارئيس ولامرؤس وقد تمّ هذا فى بلاد روسيا
فقتلوا القيصر . وهكذا فى (الدولة العثمانية) فقد استبدوا فخلعوا وهذه هى حكومة الشعب (ديموقراطية)
(٥) ثم يأتى بعد ذلك رجل واحد يحكمهم بالقهر وهذه أنقص الحكومات وكل حكومة أقلّ مما قبلها وخير
مما بعدها . ومثال ذلك (ماسولينى) فى ايطاليا ومصطفى كمال فى تركيا ولكن هذان حكما بمعونة الشعب
ثم إن رجال السياسة فى (المدينة الفاضلة) لا يتولون الحكم إلا اذا كملوا عقلا وسنا وقرؤا علوما شتى
من طبيعية ورياضية والهيّة

وهنا ﴿ ثلاث نظرات * النظرة الأولى ﴾ فى موازنة نظام المدينة الفاضلة عند أفلاطون بنظام هذا العالم
الذى نعيش فيه ﴿ النظرة الثانية ﴾ فيما لاحظته على الانسانية العامّة فى أيامنا هذه فى القرن العشرين
﴿ النظرة الثالثة ﴾ فى نقل ما ترجم من آراء أفلاطون المتقدمة بتوسع فى المقالة الأولى والثانية لأنه شئ
مافى صدرى من جهة الأخلاق العامّة لهذا الانسان وقد شرحها شرحا كأنه كان فى زماننا فلا شرع فى النظرة
الأولى فاقول ﴿ النظرة الأولى ﴾

لقد رأيت تلخيص جمهورية أفلاطون ووجدت أن قوّة الانسان الشهوية والغضبية والعقلية وانتظامها
موافق لطبقات العمال والزراع ثم الجند ثم الحكماء الذين يدبرون الدولة . فههنا شهوة يردعها غضب يسيطر
عليهما عقل . وهذه الثلاث تظهر أولاها فى البهائم والثانية فى الآساد والثالثة فى الانسان . فالجند كالآساد
وبقية الشعب كسائر الدواب على الأرض وحكام الشعب أشبه بالانسان . فيا عجباً قلت القوى العاقلة فى هذا
النظام الأرضى . انما مثل القوى العاقلة فى هذه الكرة كمثل الحواس الخمس الظاهرة والباطنة والمخ وأعصاب
الحسّ والحركة . فهذه كلها بالنسبة للعظام والعضلات وسائر أجزاء الجسم شئ قليل كقلة الانسانية بالنسبة
لسائر النبات والحيوان وقلة الحكماء بالنسبة لنوع الانسان وقلة حكام المدينة بالنسبة لسائر أفرادها
﴿ نظرتى اليوم فى شارع زين العابدين ﴾

فى هذا اليوم (الخميس) الثانى من شهر فبراير سنة ١٩٢٨ وقفت وقت العصر موجهة وجهى جهة الغرب

ورأيت الناس غادين رائحين وفكرت في الهواء الجوى والبخار الساج فيه والسحاب الذى فى الجو والكواكب والشموس والأقمار وقلت هذه العوالم كلها تستخدم هذا الانسان . فهذه الشمس وسياراتها وقر الأرض والهواء والسحاب كل أولئك نافعات لهذا الانسان ونفس جسم الانسان منظم تنظما مدهشا إذ فيه (٢٤٨) عضوا كل منها ضرورى لحياتنا وكلها موزونات منظّمة . مثلا أصابع اليدين لو كانت كل أصبع منها عظما واحدا لم يكن للناس عمل فى الأرض بل كانوا يعيشون كالبهايم فلولا مفاصل الأصابع ما حرتنا الأرض ولا عملنا صناعة ولا حفرنا نهرا ولا عملنا فى الأرض عملا . فلا كتابة ولا صناعة ولا علم ولا عمل . فهذه مسألة واحدة من آلاف الآلاف وهؤلاء الناس كلهم عنها غافلون إلا قليلا . فيا ليت شعري أيشئ النور للعميان . أم يغنى الموسيقى للصم . أم تزين الغادات لمن لا يبصرون . فلم إذن هذا الجمال . فما كان الجواب على هذا إلا كما بيناه آنفا . فكما أن المدينة يقل فيها حكماء وعالم النبات والحيوان يقل فيهما الانسان وحواس الانسان قليلة بالنسبة الى جسمه . فكذلك الأنفس العالية التى أرسلت لهذه الأرض وقدزنت لها هذه الدنيا بهذا النظام العجيب فنسبتها الى الأنفس الأرضية كنسبة نوع الانسان الى الحيوان والنبات ونسبة حواس الانسان الى سائر جسمه . واذن يكون فى كل أمة من أمة الأرض فى كل زمان أناس عدهم قليل هم الذين يدركون نظام هذا الوجود ويفرحون به وهؤلاء هم الذين قصدتهم العناية الإلهية فى تزيين هذه الأرض وترقيتها فما مثلهم فى هذه الأرض إلا كمثل الملوك تقام لهم الزينات فى المدن وبقية الرعية تابعون لامقصودون بل هم كالشموس والكواكب المشرقات على الناس . هم المقصودون من هذا الوجود

ولعل بقية أفراد الشعوب وان كانوا لا يدركون الجمال قد أخذوا يستعدون لهذا فى الأرض بحياتهم هذه فهى أشبه بمدرسة صغرى لتعليم الصبيان الذين سيرتقون فى عالم بعد عالم فأما الحكماء والمفكرون فهم حشروا معهم فى الأرض لتعليمهم وتنظيمهم . هذا ما خطر لى اليوم . وهذا شرح لناحية من نواحي ماقاله أفلاطون من تقسيم رجال المدينة كما تقسم أصناف النحل فى القفير بأمر اليعسوب وهى ملكة النحل من العمال والذكور الذين لا عمل لهم والحراس والمربيات الذرية والجامعات للعسل والصناعات للشمع الخ فأما النظر للنظام العام والعدل التام فى المدينة بتعادل القوى الذى ذكره فهو أشبه بهذا النظام العام . ومن تتبع هذا التفسير رأى فى كل سورة من السور مسائل مستوفاة من نظام العوالم وأدرك يقينا أن سير الكواكب منظم بعدل ومثلها كل حيوان وكل نبات فلا تظلم به . وكل هذا يشابه ماقاله أفلاطون ولكن لابد من ذكر مسألة واحدة هنا لتكون أنسا للمفكرين وهى وذكرى للعاقلين

انظر الى بنى آدم يغدون ويروحون ويظنون انهم فى الخلاء أوفى الفراغ وهم ليسوا فى خلاء ولا فى فراغ بل مكبلون محبوسون فى محبس عظيم وهو الهواء وبخار الماء الذائب فيه فنحن غرقى فى بحر لجى من الهواء وبخار الماء ونحن نشاهد النور يتخللهما وينقل صور الأجسام وألوانها وأشكالها وأحجامها فتصرف ونعيش ولا علم لنا بالهواء ولا ببخار الماء إلا بعد التعليم ولو كان هذان الجسمان ليسا شفافين لمجباعنا ضوء الكواكب فجعلنا ماعلى الأرض من كل قائم وحصيد . ثم اننا لما عرفنا وجود الهواء واننا غرقى فيه ظننا أنه خفيف لا ثقل فيه وهذا خطأ فالهواء ثقيل يضغط علينا من جميع جوانبنا وكل منا يحمل ثقلا يزن (٦١) قنطارا

والدليل على ذلك أن مساحة جسد الانسان المتوسط القامة (١٦) قدما مربعة أى (٢٣٠٤) قراريط مربعة وضغط الهواء (١٥) ليبرا على القيراط المربع . والانسان فى العادة لا يعقل ما نقوله الآن ولا يفقه أن للهواء ضغطا ولكن الذين يقرؤن العلوم الطبيعية يدرسون ذلك عملا . مثلا اذا طاروا فى الطيارات الى أعلى فأعلى قابلوا هناك هواء لطيفا جدا فينزل الدم من مسام أجسامهم وهكذا اذا ارتفعوا فى الجبال العالية فانهم يرون الدم يرشح من مسامهم والموت يكون منهم قاب قوسين أو أدنى وانما ظهر الدم لأنه محفوظ فى أجسامنا

بالعدل الذي وضعه الله في الأرض . فهذا الهواء بضغطة على أجسامنا من جميع الجهات قد منع الدم من الخروج فانضغط على الدم هو ثقل الهواء ومتى خفّ خرج الدم فبات الانسان . ولقد انتهز هذه الفرصة الانسان ففرغ الهواء من المحجم بحيث يمصّ الحجام ذلك الهواء فيخفّ فتري الدم ينبع حالا . وهذا مشاهد معروف فاذا ارتفع الناس فوق أعلى الجبال صار الهواء أشبه بما في المحجم من الهواء الخفيف فنزل الدم من سائر الجسم . أليس هذا هو العدل عدل الله في نظام الأجسام فجعل الهواء من سائر الجهات فاتزن الجسم وذلك كالعدل في المدن بانتظام القوى فيها من الجنسية ورجال الحكومة والعامة بحيث يطيع الجند أوامر الرؤساء ويخضع العامة لمن فوقهم

فالوزن والنظام في المدينة هو عين الوزن والنظام في نظام الهواء وضغطة على سطح أجسامنا حفظها كما تحفظ المدينة بنظام أصنافها . ولا جرم أن في الجسم عظاما وعضلات وموادّ سائلة وأخرى غازية كالهواء وضغطة الهواء من الخارج على الجسم يوازنه من الداخل الهواء هناك . والموادّ السائلة لا تقبل الضغط إلا يسيرا جدا . والموادّ الجامدة تحمل أثقالا أعظم جدا والغازية تقبل الضغط كثيرا ولكنها تزداد مرونة كلما ضغطت فتقاوم الهواء الخارج وضغطة . ولذلك اذا خرج الهواء من الصدر بالتنفس يشعر الانسان بضيق في صدره من ثقل الهواء الخارج عليه . وللعلماء في مسألة ضغط الهواء تجارب مثل ما فعله (اطوفن كركي المكديرجي) الذي صنع كأسين سماهما الناس باسم بلده ففعل (كأسا مكديرج) وهما نصفا كرتين أشبه بشكل (القبعتين) اللتين يلبسهما الفرنجة . فاذا ركبت إحدى الكأسين على الأخرى وبقى الهواء فيهما يفكان بسهولة . فأما اذا فرغ الهواء منهما بخفية موضوعة في أحدهما ثم سدّت الخنفيه فاذا لا يدخلها هواء فلا يفسد كهما إلا عصبه أولوا قوة من الرجال يشدون معا من ضغط الهواء الخارج لهما . ويقال ان (اطوفن كركي) المذكور صنع كأسين كل منهما نظره قدمان ثم ركبهما وفرغ الهواء منهما فلم تفك الواحدة عن الأخرى حتى ربط الى كل منهما ستا من الخيل وجعلها تشدّ الى جهتين متضادتين . ولسنا الآن أيها الذكي في مقام علم الطبيعة بحيث نشرح الهواء والماء والضوء والكهرباء والحرارة والمغناطيس وما تفرّع عنها ولكن شرحنا هذه المسألة لنفسر بها العدل . فهنا عدل قام بين الموادّ الغازية في جسم الانسان وفي خارجه كالعدل الذي يحصل بين قوى الانسان من شهوة وغضب وعقل كالعدل بين رجال المدينة من عامة وحكام وجند وهكذا

أفلا ترى من ذلك أن العالم نظام واحد . ألا ترى أن الناس على الأرض أشبه بجسم واحد فلا جرم أن كل الأمم كأمة واحدة والأمة الواحدة كشخص واحد والكرة الأرضية يحيط بها الهواء والناس فيه يعيشون فلهم وحدة الهواء والنور والماء والأرض فهذه وحدة عامة . إن نظام أجسامهم كنظام مدنياتهم كنظامهم مع النبات والحيوان الخ . إذن النظام عام في هذا الوجود وكأن هذه العقول في الأرض انما اختلفت ليعول هذا الاختلاف في عوالم أخرى الى ائتلاف كما نرى اختلاف أعضائنا سببا لسعادتنا في الحياة . ولو كان جسم الانسان عظما واحدا متصلا لمكان أشبه بالخجر لافعل له . فلعلم أهل الأرض سيكونون بعد عالمنا هذا أشبه بنفس واحدة كبيرة كل نفس من النفوس الصغار أشبه بعضو من أعضائها مع استقلال كل نفس جزئية كما نرى في نظام النحل والنمل فهناك نظام تام وكل واحد له حرية وتصرف على قدر طاقته

(١) وهذا قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت -

(٢) واذا قال الله لنا - إن الله يأمر بالعدل - فانه ما أمر إلا بما فعل هو وعرفه الحكماء والأنبياء

(٣) إن الله في عدله انما يعمد الى نظام العموم ويجعل الأفراد على مقتضى المصلحة ولا يجعل الحكم

للعواطف التي خلقت لأعمال جزئية بل الحكم للعقل . انتهى الكلام على النظرة الأولى

﴿ النظرة الثانية ملاحظته على الانسانية العامة في هذا القرن العشرين ﴾

اعلم أنى ولدت فى قرية من قرى الفلاحين بالشرقية بالبلاد المصرية وهى (كفر عوض الله حجازى) وكنت ألاحظ انهم يحقرون الصادق ويعظمون الرجل الخبيث الماكر فلما خالطت أهل العلم كنت أظن انهم يخالفون هذه الطبقة فرأيت الآخرة كالأولى ثم لما صرت معلما فى المدارس صرت ألاحظ بعض ما كنت أراه فى القرى حتى ان أحد المدرسين معى بالمدرسة (الحديوية) كذب على كذبة لاتضرنى ولا تنفعه فحجبت كل النجيب كيف يكون الذين معهم شهادات عالية يكذبون كذبا لا ينفع حبيبا ولا يضر عدوا . ثم وليت وجهى شطر الاورو بين لاسيا الطبقة الراقية منهم فوجدتهم أشبه بمن عندنا . ولما حضر (روزفلت) رئيس الممالك المتحدة الى مصر بعد أن انقضت أيام حكمه وتوجه الى بلاد (السودان المصرى) ليصطاد الاسود والنمور هناك بحماية الانجليز ورجع الى مصر التى تحت حاية الانجليز هى والسودان . أقول لما حصل ذلك كله وقف خطيبا وقال . أيها الانجليز ﴿ إما أن تحكموا واما أن تخرجوا يريد بذلك انكم مهملون فى حكم المصريين ﴾ امسكوا البلاد ولا تعطوا حكمها للمصريين لأنهم ليسوا أهلا لذلك ﴾ فهذا القول دلنى على أن أعظم المتعلمين فى أوروبأ وأمريكا يحكمون بالهوى لا بالعدل لذلك ألقت كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ لأنى رأيت هذا الانسان المنظم جسمه الذى قد اتزن بضغط الهواء من جوانبه ومن داخله وانتظمت حركات الكواكب المحيطة به وانتظم له كل شئ من نبات وحيوان خرج هو على النظام فهو اذن طفل وليس فيه إلا قليل من المفكرين العظماء مغلوبون على أمرهم والباقي همج سذج رعاى أتباع كل ناعق . ثم انى رأيت أن كثيرا من المخلصين مغلوبون على أمرهم ورأيت كثيرا من الذين تصدروا لقيادة الشعوب ليسوا مخلصين فيضلون الأفراد بالكذب والبهتان وبموالات الجرائد وامدادها بالمال فيمدحونهم . كل ذلك معاوم ظاهر مكشوف فى زماننا . أفلاتعجب اذا حدثتكم عما قاله (أفلاطون) فى جمهوريته أى اننى أذكر لك ما ذكره فى المقالة الأولى والثانية بأوضح مما تقدم لتعجب كما عجبنا أنا من العقول الانسانية وأن هذا العقل الكبير الذى مضى له نحو أكثر من ٢٣٠٠ سنة كأنه فى زماننا ويقرأ أحوالنا ويعبر عنها ويصف الدواء لسقامها فيشفى القلوب بالعلم ويحفظ الأمم بالحكام الحكماء . ولما أتممت هذا المقام ابتدرنى صاحبي . فقال هذا نظام الله فى العوالم المادية من الهواء وأجسام الحيوان ولكنى الآن أريد أن توازن ما بين نظام الحيوان فى هذه الدنيا ونظام قدماء المصريين وجمهورية (أفلاطون) المتقدمة وما ألفه (الفارابى) من علماء الاسلام فى كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) وما ألفته أنت فى كتاب (أين الانسان) وماذا يقول الله تعالى فى تلك النظم أو أيها أفضل وفوق ذلك كله نريد أن نعرف نظام الجنة والنار من نظام الدنيا أى نعرف عدل الله فى الآخرة كما عرفناه فى الدنيا فهذه ﴿ ثمانية فصول ﴾ أرجوا يوضحها وذلك قبل ما تذكره من كلام أفلاطون فقلت

﴿ الفصل الأول نظام الحيوان فى هذا العالم ﴾

اللهم إنك أنت الحمود على نعمة العلم والحكمة . أنت كتبت بيدك كتابا مفتوحا بحسما وجعلتنا نحن كلمات من ذلك الكتاب أحروفا . أنا الآن أكتب وأنا نفسى كلمة من كتابك المفتوح . خلقت بيدك هذه الدنيا التى نعيش فيها وهى نفسها كتاب يقرأ واصعب شئ على الحى أن يقرأ نفسه . لهذا قل من يفقه هذه المخلوقات التى عاش معها . وقل من يقرأ جسمه ونظامه . وأنذر من ذلك من يفقه علم روحه الذى هو بحر لحي يغشاه موج الطبيعة من فوقه موج الشهوات من فوقه سحب الهموم والنظم الأرضية وتكاليف الحياة وأنا الآن أجدك إذ شرحت صدرى لأذكر ما ألهمنى من بركات الحكمة والهوامك الجليل لى على مقدار استعدادى وأنا فى هذا العالم الأرضى المتأخر فى درجات النظام . فما أرضنا وما شمسنا وما سياراتها وتوابعها وأقمارها وذوات أذنانها التى لاحصر لعددها إلا قطرة من بحر الوجود فما أعرفه وأكتبه الآن بنسبته الى بواطن الامور والحقائق الصادقة كنسبة قطرة الى بحر لحي ولا تكلف نفس إلا وسعها لذلك أقول

انهم إنك جعلت هذه العوالم المذكورة فيما تقدم من سمك في البحار وهوام في التراب وحشرات وطيور في الهواء وذوات اللبن والدم في الفلوات كتابا يقرؤه العقلاء . وضعت في كل طبقة من طبقات هذه العوالم سكنا . ومن عجب إنك خصصت كلا بوظائف وطبائع وهي جميعها فرحة مسرورة فالطير يزق أولاده ويربها وهو فرح نفور محجب مغن في نسمات الهواء والحشرات اللاتي حرمت الجلد والاحشاء الباطنة والعظام مغنيات راقصات فرحات مهنات وذوات الأربع راتعة في خلواتها سارحة غادية رائحة فلاطير السماء بحاسد حيوان الفلاة ولا الحشرات ولا سمك البحار بمزديرات مقامهن في تلك الأفطار فكلهن راضيات فرحات منعيات هذه جمهورية الله . فجمهورية الله هذه التي نراها بأعيننا فكل أمة أمكنها أن تجعل نظامها يقرب من هذا النظام فهي التي أعطيت مقاليد السياسة ونظام المدينة وهي من المفلحين الفائزين

﴿ الفصل الثاني في قدماء المصريين ﴾

إن قدماء المصريين جعلوا نظامهم أشبه بهذا النظام الإلهي من بعض الوجوه فانهم جعلوا للكهنة والملوك وللعاة درجات لا يجوز تخطيا وأحوال يحرم تعديها . فابن النجار والحداد والزارع والكاهن والملك لا بد أن يحذو حذو أبيه ويحمرى على وتيرته في نظام معاشه وصناعته وسيره في الحياة . هذا هو النظام الذي ارتضوه ولذلك دامت الأمة المصرية آلاف وآلاف من السنين . ولكن هذا النظام جاف قاس ليس يناسب الإنسانية من كل الوجوه . ألم ترانهم جعلوا نظام الإنسان كنظام الحيوان أى انهم قلدوا فعل الله في هذا الوجود . فكما كان الطير في الهواء والهوام في التراب وحيوان البر في الفلوات والسمك في البحار . هكذا جعلوا الملوك والعلماء والصناع كل في مرتبته كما ان ذرية الطير طير وذرية الحشرات حشرات وهكذا فأين امتياز الإنسان والحق أن هذه الإنسانية أمرها مشكل . ألم تر أن أصحاب العقول الراجحة والأعمال العالية وأرباب النفوس الغيبة . كل هؤلاء يخلقون في الأمم بلا قيد ولا شرط فليس لهم قانون خاص ولا طبقة معروفة فهؤلاء يكونون في ابن الزارع وابن التاجر وابن الفقير والغنى والملك والصعاليك . فهذا النظام المصرى القديم حسن من وجه وناقص من وجه

﴿ الفصل الثالث في جمهورية أفلاطون المتقدم ﴾

وهذا النظام هو الذى قرأه (أفلاطون) . فإذا فعل . رجع الى الحقيقة فقرّر أن يكون حراس المدينة والقوامون مصطفىين من الشبان اصطفاء بطريق الامتحان والاختبار كما تقدم فليس ذلك بالنسب بل بالاستعداد الى آخر ما تقدم . فهذا تعديل في نظام قدماء المصريين الذى اتحد مع نظام البراهمة فى الهند الذين جعلوا الأمة أشبه بجسم واحد له رأس هم علماء البراهمة وقلب وأحشاء ورجلان تشابه درجات الشعب وكل له مقام معلوم . كل ذلك بالنسب فهذه الجمهورية قد أخرجت الإنسانية من ذلك النظام العتيق نظام النسب الذى فتح باب الاستبداد فأحسن من وجه وأساء من وجه . ويشبه نظام الأمة الانجليزية نظام قدماء الهند والمصريين من وجه . نعم يعلمون جميع الأمة تعليما ابتدائيا ولكن التعليم العالى والوظائف الكبيرة خاصة باللوردات وأصحاب الثروة الطائلة لارتفاع قيم التعليم فى المدارس . والنظام الأوفى أن يكون التعليم كله عاما ويصطفى طلاب المدارس العالية بالاستعداد لا بالمال

﴿ الفصل الرابع ﴾

فما قاله الفارابى فى كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾ الذى لخصته فى كتابي ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ ونشر فى أوائل القرن العشرين الذى نحن فيه إذ لخصت الكتاب تلخيصا وجعلته على مقتضى ما يناسب عصرنا وذلك فى مبدأ نهضة بلادنا المصرية إذ كانوا يطلبون الاستقلال أو الدستور . وملخص رأيه أن الأمم كلها أشبه بنفس واحدة وكل أمة على الأرض لها استعداد كاستعداد عضو من أعضاء الجسم فيجب أن تأخذ قسطها

من الحياة وأعمالها لتساعد المجموع . وهكذا أفراد الأمة الواحدة لكل منهم مقام معلوم وكأنه يقول ماتقول الملائكة - ومامننا إلا له مقام معلوم - فأعضاء القلب والرئتين والكبد والمعدة والأمعاء والكيتين والحالبين والدماغ والحواس الخمس في جسم الانسان يقابلها أفراد في الأمة فليس الصالح لرئاسة الجمهور المشبه للعقل في الدماغ بمفيد اذا وضع موضع المعدة لمضم الطعام ولا القلب الذي يوزع الدم على الجسم بمحسن تصريف الامور كما يصرفها العقل بل لكل عضو عمله اذا تركه اختل . هكذا لكل فرد من أفراد الشعب استعداد اذا تخطاه ضاع من الأمة من المنافع على نسبته . فهذه هي المدينة الفاضلة وسواها مدينة فاسقة . إذن جميع النظم الأرضية اليوم فاسقة عند تطبيقها على آراء الفارابي . ولقد بينت في كتابي ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ أن النواب ينتخبون من هيئات الأمة بحسب أعمالها لا بحسب أمانتها فيؤخذ من كل طائفة نائب أو أكثر ليعبر عن شعورها ومطالبها فلصانع وللزراع وللعلماء ولكل ذي حرفة نواب يعبرون عنهم كما ان لكل عضو من أعضاء الجسم أعصابا توصل الى المخ . ولما نشر هذا قبيل استقلال بلادنا الجزئي الذي نالوه أخبرني بعضهم أن هذا النظام لم يوجد إلا في أمة واحدة من أوروبا لا أنذكرها الآن ولعلها (باجيكا)

﴿ الفصل الخامس . كتابي أين الانسان ﴾

هذا الكتاب ذكرته في هذا التفسير مرارا لمناسبات وهو يبحث في نظام الأمم الحاضرة ومجاسمها وحكوماتها ونسبة أهل الأرض الى استعداد الأرض نفسه فلا تطيل به وهو يرجع الى أن تستخرج جميع القوى والقدر في الناس كما تستخرج جميع المنافع من الماء والأرض والهواء والأمم كلها متعاونات والافهم جميعا فاسقات!

﴿ الفصل السادس في نظام القرآن ﴾

أما نظام القرآن فانه هو الذي كتبته في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ يقول الله - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - ويقول - لا تكلف نفسا إلا وسعها - ويقول - فتارة يقول - لا يكلف الله - فذكر الاسم الظاهر وتارة يذكر بضمير المتكلم مع العظمة والجلال . وتارة يطوى الفاعل ويذكر الفعل مبنيًا للجهول فهو يشير بالأولين الى أنه هو وضع كل شيء موضعه وأحكم الوجود . فكما جعل طير الهواء وأنعام الفلوات وسمك البحار كلا في مقره . هكذا أوجب على الأمم أن تضع كلا في مقامه بحسب استعداده لأنه قال - إلا وسعها - ولم يقل لا تكلف نفس إلا بحسب نسبها . كلا بل ذكر الوسع وهذا عينه هو الذي شرحت في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ . حينئذ يكون الناس جارين على النظام الالهي والحكمة الطبيعية التي سنها مبدعها . فاذا جعل المسلمون كل امرئ فيما خلق له من الاستعداد أصبح أبناء الأمة جميعا في رغد من العيش والسعادة ويكونون في أعمالهم فرحين كما نرى الطير فرحات والحشرات مغرقات والسمك جاريات والأنعام راتعات مهتات كل في نعمة ربه جار على سنته لم يتعد طوره ولم يشارك غيره في نظامه فلم نرا القيلة تشارك الطير في الهواء ولا السمك جرى في الفلوات مع الأنعام . تقسيم عادل ونظام شامل وحكمة نسجت بيد حكمت وابتهج بها المبتهجون

هذا هو نظام الله وهذا نظام القرآن . رجع القرآن الذي قاله الله الى نظام الوجود الذي خلقه الله فكلامه وافق فعله - ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه - والأمم المسالمة وغير المسالمة كلها متعديت حدوده لأنهم لم يدرسوا نظام الطبيعة دراسة تامة بحيث يقيسون عليها نظام الانسان بل درسوها للنافع المادية وهم عن آياتها العلمية معرضون

أيتها الأمم الاسلامية . اسمعي اسمعي . أيتها الأمم الاسلامية . اقبلوا نظم بلادكم رأسا على عقب ولن يكون هذا إلا أن تبتدئوا بالتعليم العام ابتداء ثنائيا وثالثيا ورابعيا وصناعيا وتجاريا وسياسيا وتصطفوا للتلاميذ لما خلقوا له بحسب أميائهم وأميائهم تعرف بدرجات العلوم في الامتحان فن كان في الابتدائي يعيل الى الصناعة

أول التجارة أو نحوهما حوّل إلى مآمال إليه . ومن كان أميل إلى علم من العلوم - خصّ به وهكذا فيوضع التجار والمزارعون وأهل الصناعة والسياسة كل فيما استعدّ له ثم يوزع هؤلاء الأفراد على الأعمال ومن أهمها استخراج ما في الأرض من كنوزها ومعادنها وآثارها . هناك يخرج جيل جديد . هذا الجيل هو الذي يعرف معنى - لانكاف نفساً إلا وسعها - وهذا الجيل هو الذي يعيش على مقتضى نظام الطبيعة الذي جعله الله كتاباً لنا هذا الكتاب الذي أنزله الله للناس قبل أن يرسل الرسل . ولما علم الله قبل أن يخلق للناس أنهم ناسون للتصالح مهملون لعقولهم أرسل الأنبياء لينذروهم

﴿ الفصل السابع في ديانات الأمم ﴾

سيأتي في سورة الأنبياء عند قصة إبراهيم عليه السلام إذ يقول لأبيه وقومه - ماهذه التماثيل التي أقم لها عاكفون - وعند قوله تعالى قبل هذه القصة - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه الخ - ذكر ملخص ديانات الأمم السابقة كديانة قدماء المصريين وكتاب الفيدا في الهند والبراهمة وأتباع (خريستا) وأتباع (بوذا) وهكذا ديانات أهل الصين وآخرها دين (كونفوشيوس) وهكذا دين المجوس ودين (زردشت) الذي قال أنه مرسل للآيرانيين وكيف اختلط هذان الدينان في آخر الأمر بدين البابليين والآشوريين سأذكر تلك الديانات هناك فما كان مذكورا من قبل أشرنا إليه وما لم يكن مذكورا من قبل وضحناه أيما إيضاح . والغرض من ذكر هذا هنا أن تلك الديانات كلها مذكرات بنظام هذا الوجود في أول أمرها وذات خرافات في آخر أمرها ثم يكون الانقراض من الوجود . وإنما الذي يهم الآن أن الفطرة الانسانية كلها معتقة بالدين والذي عرف الأمم الآن هذه الآثار التي كشفوها فقد تطابقت الآثار في القارات كلها وفي الجزائر انسانية أن جميع الأمم لها اتجاه ديني وكلها تؤمن باليوم الآخر . وهذا الاجماع من تلك الأمم برهان قاطع على وجود مدبر للعالم وبقاء الأرواح بعد الموت لأننا لم نر هذه النفوس الحيوانية أجمعت على ضلال هاهنا ذهغريزة الطعام والشراب والاستئناس من الحر والبرد والسعي على الرزق وحب الحياة والذرية وتقابل الذكر والأنثى . كل ذلك فطرة صادقة ومسألة الدين إحدى تلك الفطر وليس ينافي هذه الفطرة أن يخرج عن الدين وينسكبه بعض المتعلمين في المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين الخ أقول ان هذا الخروج من هؤلاء لا ينافي أن الدين فطرة كفطرة الغذاء كما لا ينافي غريزة تحاب الذكر والأنثى شنود الرهبان ولا غريزة التغذية انقطاع بعض العباد عن الأكل تعبداً فالفطرة غالبه - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ الفصل الثامن عدل الله بين الناس في اليوم الآخر ﴾

انك أيها الذي حين قرأت الفصول الست الأولى وجدتها متناسقة ولكن الفصل السابع يظهر بادي بدء أنه أجنبي عنها غريب بعيد فأين الديانات ودرسها وأين مسألة النظام وتوزيع الأعمال . أقول ان الفصل السابع مقدمة لابد منها للذكر العادل في اليوم الآخر . لقد علمت أيها الأخ نظام الله في الحيوان وعلمت نظام الهند ومصر قديما وعلمت آراء أفلاطون والفارابي وما كتبته أنا وما أريد من المسلمين في نظامهم في أنفسهم وفيهم هم مع الأمم التي يعيشون معها . فها أنا ذا الساعة أحدثك في أمر عظيم كما قال تعالى - عم يتساءلون عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون - فنبأ الحياة بعد الموت ونبأ الجنة والنار هو الأمر الذي حير العقول . جميع العقلاء في الأرض يسألون هذا السؤال ﴿ إذا كان الله هو الذي خلقنا فلماذا هذا العذاب المؤبد وأي رحمة فيه . وإذا خلق الله بعض الناس للعذاب فخلقهم إذن لتعذيبهم فعدم خلقهم يكون أوفق للرحمة ﴾

أقول إن الجواب على هذا السؤال عسير وصعب . ذلك لأننا خلقنا في هذه الأرض وهي عالم متأخر كما

قدّمنا فليس من المعقول أن تكون عقولنا كعقول سكان كوكب أكبر من شمسنا كالمسك الراسخ الذي يبعد عن شمسنا مائتي سنة سير النور فعلياً أن تقرّ في الأرض بأن هذه العقول الانسانية بالنسبة لعوالم أخرى كنسبة عقل الناموسة الى عقل الانسان كما تقدّم في هذا التفسير نظيره عن العلامة (أوليفر لودج) الانجليزى فقلنا اذا تكلم عن عدل الله ليس له الا أن يذكر ما ينعق عقله الذي يناسب أرضه . أما الحقائق الجلية فنحن بعيدون عنها في هذه الأرض - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - فتارة أقول لك اقرأ ما كتبنا في آخر سورة هود فهناك نقلنا عن أكبر الحكماء الاسلاميين ولكن لم نتقيد برأيهم كبعض الصحابة وكان تبعية أن النار ستفنى وتارة نقول لك اقرأ كتاب (فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) للغزالي فهناك تراه يجعل أكثر الناس ناجين لأن الدعوة الصحيحة للدين لم تبلغهم وبرهن على ذلك وأطال . ولكن نحن لم نتقيد به وتركنا المسألة لمن بعدنا يفكرون فيها . فأما هنا فأقول . إن الله وضع نظاماً في أرضنا وأراه لنا وألهم العلماء فألفوا فهم ما بين مقترب من نظام ربه ومبتعد عنه وأقربهم الى نظام الله من يفعل ما ذكرناه ونظام الله أن يضع كلاً في مقامه الخاص به فهو رحيم وحكيم . ومماثل أهل الجنة وأهل النار المذكورين في الديانات إلا كمثل نظام الحيوان على الأرض . اللهم إنا نحمدك على الفهم وعلى العلم وعلى السعادة الفكرية العقلية بالنور الهبى والحكمة التي رأينا بصيصها في هذا الوجود . أنت قلت للطير اخترق الجو وللأنعام سيري في الأرض وللمسك كن في البحر ولم نر حيواناً من هذه تحسر على ما فاتته عند سواه فلم يتحسر الطير على أنه لم يستقرّ في قرار مكين كالأنعام ولم تحسر الأنعام على أنها لم تطر في جو السماء . فقال صاحبي . هذا منك عجب من أين جاء لك هذا . فقلت سل الرجال من نوع الانسان وسل النساء وقل للرجل هل تحب أن تكون امرأة فانه يرى هذه منك سبة وإهانة وسل المرأة وقل لها هل تحبين أن تكوني رجلاً فانها تقول لك لا لا وكيف تزيل بهجة وجهي بشعر خشن وتقبح وجهها نضر الله خلقه وحسنه - فتبارك الله أحسن الخالقين - إذن بالتقياس على الرجل والمرأة يكون كل حيوان راضياً بقسمته مسروراً بمقامه . فالسؤال المشهور الذي يوجه الجمهور في كل حين هو (لم كان هذا فاضلاً وهذا مفضلاً يصبح لاقيمة له) أن النظر لهذه العوالم التي حولنا يرينا أننا نرى الأمر ليس قاصراً على ما ذكرناه من الحيوان في الوضع بل هناك هوام لا تعيش إلا في التراب وهناك الحيوانات الذرية وهي لا تظهر للناس . فاذا قلنا الطير في السماء نقول الحيوانات الذرية في ظلمات الطبيعة بأرضنا . ماذا فعل بها الله . وضعها في مستقرّها الذي يوافقها . إذن كل حيوان وضع فيما يوافق مزاجه . ومماثل هذا النظام إلا كمثل النظام في ممالك أهل الأرض إذ يجعلون من لا يصلحون لخدمة المجموع من القتلة والسراق وقطاع الطرق في سجون فهم أشبه بالحيات والعقارب تعيش في ظلمات التراب والشقوق والجحور . ولكن الفرق أن فعل الله جار على سنن الطبيعة وفعل الناس جار بطريق القانون المدني أفلا يقال إن أهل النار أشبه بالحيات والعقارب بالنسبة للصالحين . هانحن أولاء نشاهد حيواناً مخفياً لا يظهر محتقراً منبوذاً كالعقارب وحيواناً يطير مغرداً في جوّنا ولم نر في هذا خروجاً عن النظام بل رأيناه عدلاً لأن لكل من الحيوانات وظيفة يقوم بها واذن نظام الجنة والنار يشبه بعض المشابهة عالمنا . وكما قلنا هنا حيات وعقارب وطير نقول هناك أهل نار وأهل جنة . فقال صاحبي هل هذا مجرد رأي طرأ لك أم لك دليل عقلي أو نقل . فقلت ألم أقدم لك أننا هنا على الأرض في مثل هذا نكتفي بنور ضئيل من العلم واننا لم نؤت من العلم إلا قليلاً . وهذه المسائل أعجزت أكبر الحكماء والعلماء ولكن يظهر لي أن زماننا وما بعده ستظهر فيه هذه الحقائق بقدر ما تتحمّل عقولنا على هذه الأرض . فقال كيف هذا . فقلت ها هوذا علم الأرواح قد جرى في هذه المسألة شوطاً بعيداً . فقال هذا العلم غير موثوق به . قلت نعم ولكن اذا رأيناه ينحون نحو الدين ذكرناه على سبيل أنه يكون موضع بحث وتنقيب لمن بعدنا . فقال هات ما وقفت عليه . فقلت يقولون

ان هذه الحياة الدنيا لا تتم إلا بنظام أدبي ومدني مع الناس وجميع الناس متساوون في الظاهر صالحهم وطالحهم فهم جميعا يتعاملون ببشاشة ومودة . ولكن تختلف قلوبهم فمن كان عنده قوة روحانية أى انه يصنع المعروف من أجل الله الذي خلق السموات والأرض ولأجل حب الناس كما يفعل الأبوان مع الأبناء . فهذا من أهل الجنة . ومن يكون صالحا ظاهرا ولولا القانون أو الصيت والذكر الحسن ومراعاتهما لاستحوذ على مال غيره أوزنا أو سرق الخ فهذا من أهل جهنم وهم درجات بعضها فوق بعض . ويقولون انهم شاهدوا أن الذين زهدوا في الدنيا وانقطعوا عن الناس درجاتهم في عالم الأرواح منسحطة متأخرة لأنهم لم ينفعوا الناس ولم يظهروا ما كن في نفوسهم من القوى والقدر والعواطف التي جعلت الدنيا لظواهرها وهي أجنحة يطير بها الناس في عالم الأرواح فللأرواح هناك أعمال وإدارات في نظام ثابت ولكل امرئ من العمل على مقدار ما استعد له في الدنيا فهم يقومون بأمر ربهم في إدارة عوالم يحفلها أهل الأرض ولن يكون هناك أحد في عمل إلا ما استعد له في الدنيا وعلى مقدار العلم وحب الخير والصدق والاخلاص يكون الارتقاء . وليس المعنى أن ذلك أعمال تكليف . كلا وإنما هي أعمال تكون سليقة في النفس لذينة كما في الحديث ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون أنتم النفس ﴾ ولذلك تكون النفوس المنسحطة في الدنيا التي لا تعمل لها إلا الغيبة والنيمة أو السرقة أو إيذاء الناس في أعمال أشبه بما كانت عليه في الدنيا وذلك في جهنم فهم دائماً في تشاجر ومقاتلة وعذاب واصب و بعضهم يلحق بالجن فيلقى الوسواس في صدور من استعدوا لذلك من الناس في الأرض . فهم هناك أشبه بالحيوانات الذرية في أرضنا لهم وظائف إذ لا معطل في الوجود حتى قال بعض علماء الأرواح وهو الاستاذ (سودنبرج) في صفحة (١٥٨) مملخصه

﴿ إن الغم والكدر الذي يحس به الانسان إنما يحصل غالباً من أرواح شريرة كانت في الدنيا وصارت بعد الموت ملحقه بالجن فهذه الأرواح مغرمة بالقاء الغم في النفس عند استعدادها لذلك بفساد الطعام في المعدة وفساد الطعام فيها وعدم هضمه عند تلك الأرواح أشبه بقذارة العين عند الذباب فكما يقع الذباب على العين لقذارتها تقع هذه الأرواح الشريرة على النفوس التي لم يهضم طعامها فتلقى الغم فيها ﴾ انتهى ملخصاً وهكذا قال في موضع آخر من الكتاب ﴿ إن تلك الأرواح تشم روائح الشر والاستعداد له كما تشم السكالب رائحة الرم في الأرض ﴾

وأيضاً قال ﴿ إن بعضها يجلس في مؤخر الرأس ويوسوس للانسان ﴾ أقول ومن عجب انه ورد في بعض الأحاديث ما يفيد أن الشيطان هو الذي يغري الانسان بعدم الاستيقاظ من النوم وذلك مذكور في كتب الشافعية في كتاب الطهارة فراجع ان شئت . وفيه أن الشيطان يقعد على رأس أحدكم الخ

ويقولون انهم شاهدوا أرواحاً لما ماتت طلبت من الملائكة وهم استأذنوا من الله أن يدخلهم الجنة فأجبت تلك الأرواح ان الله لا يمنع أحداً من دخول الجنة لاطأعاً ولا عاصياً والمانع هو الاستعداد فانطلقت الى باب الجنة فضاقت صدورهم ولم تقدر أن تنفس في ذلك الجو اللطيف فرجعت حالاً

فقال صاحبني إنك بما قدمت من أن كلام الأرواح المذكور يكون محل بحث قد خرجت من عهدته وولت الأمر الى النظر العام ولكن أسألك سؤالاً واحداً . هل ما ذكرته عنهم من أن الانقطاع عن العمل الى العبادة مؤخر للناس بعد الموت حق . أنا أسأل هذا السؤال لأن الناس حينما يقرؤن هذا القول يؤثر في نفوسهم بعض الأثر فيظنون أن الانقطاع للعبادة محرّم وهذا لا يقول به أحد من المسلمين . إن المنقطعين للعبادة هم أوكاهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فقات اعلم أن الأمم الاسلامية المتأخرة كثير منها قد حجب عن حقيقة الدين الاسلامي الذي كان عليه الصحابة والتابعون فاقروا كتاب (بداية الهداية)

للامام الغزالي فانه يقول في أوله ماملخصه

﴿ على الطالب أن يجد في العبادة في أول أمره حتى تصير له سجية سهلة وملسكة راسخة وحينئذ يطلب العلم وليقتصر من العبادة على ما هو المعتاد المعروف فيها فان عجز عن العلم فليساعد الناس بالأعمال العامة والخاصة كالأهل والأقارب والوطن فان عجز عن هذا وذلك فليزعم العبادة فما تقوله تلك الأرواح هو ما سمعته عنه لأنهم يقولون ان ارتقاء الروح بوجودها لا يتم في محراب الصلاة إلا بانضمام عمل الخير وفهم الحقائق الى العبادة فأما ارادة الخير للناس بلا عمل فلان نتيجة له خب الخير للناس والعمل له ومعرفة الحقائق الالهية كل ذلك هو المعراج بعد الموت ويوم القيامة ﴾ انتهى

قال قد اكتفيت بهذا فأرجو أن تتم ما تقوله عن الأرواح . فقلت إن تلك الأرواح كما قلت لك التي لم تقدر على دخول الجنة هوت حالا الى جهنم ورجلاها أعلاها ورؤسها أسفل . فقال وهل ورد في ديننا هذا . فقلت قال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وقال - فكسكبوا فيها همم والغاؤون * وجنود ابليس أجمعون - وآيات كثيرة في ذلك . ثم قلت ويقولون طلبت أرواح أخرى من الأشرار أن تدخل الجنة فلم تقدر فسألت عن المانع لها فقلت هو استعدادك وأخلاقك وعوائدك وأحوالك فقالت انتزعوها مني فانتزعوها فأصبحت تلك الأرواح كالغشي عليه من الموت فهي في الجنة ولا تحس ولا تاتي فاضطرت الملائكة باذن ربها أن ترجع لها أخلاقها فاستيقظت وطرحت نفسها حالا في جهنم بدون اعتراض منها لأنها علمت أن هذا في حيز الذي لا يمكن

يقولون أيضا كم من أرواح جاءت الى الجنة ودخلت وضاق نفسها فرجعت أسرع من البرق الى جهنم مع أمثالها وفرحت بقاء الأشرار تقاتلهم و يقاتلونهم كما كانوا في الدنيا وكل منهم عذاب للآخر . وهم في عذاب واصب . وليس هناك هؤلاء قدرة على حياة غير هذه . قالوا وهذه النفوس لا تقدر أن تتحول عن أخلاقها بعد الموت فأما حياتنا الدنيا فهي الفرصة الوحيدة لتهديب الأخلاق وتقوية المبادئ الروحية والعلم بالله وبعوالمه . فقال صاحبي هل رأيت أحدا في الاسلام قال ذلك . قلت الفارابي في كتابه ﴿ آراء أهل المدينة الفاضلة ﴾ . قال ان كلا من أهل المدينة الفاضلة يعيش في وظيفته الخاصة به فرحانها وبعد الموت يكونون متحابين على نظام جيد . أما الأشرار فهم جميعهم في عذاب واصب يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا . ويقرب منه الامام الغزالي في الاحياء فلقد ذكر أن العبادة والأعمال الصالحة اذا كانت لأجل الثواب في الآخرة لا غير وليست معها معارف قلبية وحب لله تعالى فان صاحبها بعد الموت يدخل الجنة الحسية ذات الأكل والشرب ونحوهما . أما أعلى الجنة ومسكنها النفوس العالية التي تكون قريبة من ربها فذلك خاص بنفوس عارفة أمر ربها مستغرقة في جلاله وكمالها فاقرا ما نقلته عنه في أوائل سورة (البقرة) عند ذكر الجنة والنار وأن العارفين هم الذين يفرحون هناك بالعجائب الالهية . وأما سواهم من العامة وعلماء الدين الذين هم أقرب الى العامة فهم اذا صلحوا يكونون في تلك الدرجة المذكورة . فقال صاحبي ماملخص هذا المقال . فقلت ملخصه أن نظام الله في الدنيا وفي الآخرة نظام واحد وعدله عدل منظم لاتفاوت فيه فأهل النار لا يتقربون أن يعيشوا في الجنة كما ان الحيات لاتعيش مع الناس في الدنيا . إذن العدل ظاهر واضح على مقدار عقولنا نحن في الأرض الآن . فالعدل في الجمهورية اقتضى وضع الزراع والصناع تحت أمر الجند وحراس المدينة ووضع الجند تحت أمر الحراس وبغير ذلك لا يكون عدل . وهكذا الطير والحيات والسمك في هذه الطبيعة وضع كل منها في موضعه وهكذا أهل الجنة والنار نفوس تربت في الأرض على حب نفسها وحفظها لاتقدر أن تعيش في الجنة واذا فقدت صفاتها صارت كالميتة . ونفوس عاشت محبة لله وللناس فهذه تكون مشاهدة لربها تعيش مع ملائكته فهذه لاتقدر أن تعيش في النار وانما تعيش بجوار ربها

هذا قصارى الأمر وحجاده فرجع أمر الدنيا والآخرة الى العدل ووضع كل شئ في موضعه . إذن قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل الخ - موافق لما تقدم في هذا المقام من ذكر النحل وذوات اللبث والطير فقد ذكرها أولا لنقرأها فنعرف عدله في وضعها ونقيس عليه العدل في مدننا كما ذكره (أفلاطون) وهكذا عدله في جنته وناره فرجع الأمر الى الامكان وعدم الامكان وقدرة الله لاتعلق لها إلا بالممكن فالله لا يخلق المستحيل وعلماء الأرواح يقولون إن رجوع الروح الشريرة عن أخلاقها مستحيل بعد الموت كما يستحيل أن تتغير أخلاق الحيات والمقارب والحيوانات الدرية ولا تغيرها إلا باعدلهما من الوجود . هذا ما فتح الله به في مسألة العدل في قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل الخ - والحمد لله رب العالمين

﴿ النظرة الثالثة ﴾

(وهي الكلام على تلخيص المقالة الأولى والثانية من كتاب السياسة المدنية أوضح مما تقدم)
انه افتتح المحاورة بكلام جرى بين (سقراط) و (سيفالوس) في الشيخوخة وحذر الموت فأدأهم سياق الحادثة الى ذكر العدالة وماهى فقال بعض الحاضرين انها الصدق في القول وأن ترد لكل أحد ما هو له فعارضه (سقراط) بأنه لا يسوغ أن ترد السلاح لما لكه اذا جئت الليل ولا أن تصدق مع من أشرف على الموت بأن تقول له ما هو عليه من خطر الهلاك . ثم قال بعض الحاضرين إن العدل إنما هو مصلحة القوى القادر فن كان أكثر قدرة كان أكثر حقا وتمثل لذلك بما يقع في المدينة فان الأحكام فيها إنما هي عبارة عن رأى الأكثر أو من بيده زمام الامور فما يفعله فهو عن عدل ويؤيده رأى الجمهور في ذلك . فقد نشاهد القوى الجائر سعيدا مغبوطا والعدل الضعيف شقيا محقرا . وبالجملة فلا سعادة ولا عدل إلا في القدرة والقوة ولا اعتبار فيه بالحقوق فعارضه (سقراط) بأن القصد لمن له الرئاسة في المدينة إنما هو مصلحة الرعية كما ان قصد الراعى إنما هو مصلحة القطيع الموكول لحراسته وقصد الطبيب مصلحة المريض وقصد الملاح مصلحة السفينة وعلى ذلك فن له ولاية على غيره لا يقصد مصلحة الخصوصية من حيث هو مولى على غيره بل منفعة من تولى عليه وذلك عبارة عن مصلحة الضعيف المقتدر الى الولاية لا مصلحة من تولى عليه فان تعدى وجار لم يكن بوالحقا كالأطباء طبيا ولا الراعى راعيا اذا كان له مقاصد غير مصلحة المريض والقطيع فلا يطلق عليه حينئذ اسم الطبيب والراعى وعلى فرض امكانه فان مثل ذلك الالى لا ينال غرضه من السعادة والراحة إذ يكون حاله أسخف بكثير ممن لازم الحق وأوفى بما يجب عليه ويبانه أنه لا يمكن لشركة ولا لاجتماع انساني كائنا ما كان أن يستقيم ويدوم إلا باقامة العدل فالصوص وقطاع الطريق اذا اشتركوا جعلوا فيما بينهم نوعا ما من العدل والا فلا ندوم شركتهم ولا ساعة واحدة . واذا سلمنا قول القائل ﴿ أن الجور هو عين الحق والسعادة ﴾ وأخذ جميع الناس بهذا القول فاعتادوا التعدى بعضهم على بعض فقد يصير الاجتماع الانساني الى الفتنة الدائمة والحرب المستمر فأى سعادة في مثل هذه الهيئة . واذا فرضنا أن يتغلب الواحد على الباقين ويتسلط عليهم بقوته فانه لا ينال من السعادة ما كان يقصده إذ لكل حيوان ولكل شئ في الوجود غاية يقصدها وهو قد تمها لها بطبيعته فالعين معدة للبصار والسكين لقطع والفرس للسبق والغاية التي أعد له الشئ هي قدرته التي فيها خيره فنفس الانسانية قد أعدت للفكر والتدبير والمعرفة فهذه قدرتها التي فيها خيرها وسعادتها بخلاف ما اذا جارت وفسدت فانها قد تخرج عن وظيفتها واستعدادها الذاتي فلا تعيش سعيدة . وبهذا ختم سقراط قوله في المقالة الأولى فأنشأ اثنان من الحاضرين في معارضة (سقراط) في صدر المقالة الثانية فقالا إن العدل ليس بشئ طبيعي للانسان وإنما هو أمر وضعى قد تواطأ عليه الناس طلبا للراحة من شر بعضهم وخوفا من العقوبة . ومصادق انه لو تيقن أحدهم الأمن من العقوبة كما لو كان بيده خاتم يغيب به عن رؤية الحاضرين لارتكب كل فاحشة بلا توقف . ثم ما نشاهده في الحالة الراهنة . ألم نرا الغنى الظالم محسودا متسلطا على غيره

قادرا على الخير والشر . ألم نرا الرجل العدل القويم في سيرته متروكا في زاوية الجول مضغوطة اذا كان فقيرا وضعيفا . فهذا يدل على ما يعتقده الجمهور في خصوص العدل وخلافه . واذا رأى الصبي الحديث السن مثل ذلك كيف يختار العدل وما يتبعه من المذلة والمتاعب والعجز عن الخير وهو يشاهد ميل الناس الى خلافه فاذا كان ذكيا فطنا اكتفى من الاستقامة بظاهرها وسعى في أن يرى رجلا خيرا واتبع هواه في الباقي فكان عاقلا سعيدا ومن سواه فهو إما عاجز وإما مجنون . فأجاب (سقراط) ان مثل هذه الاشكالات لا تنحل إلا بعد استقصاء البحث عن العدل وجوهره بدون التفات لما تراه العامة في خصوصه أو الى كونه نافعا أو مضرا فانا اذا ظفنا بتعيين ماهية العدل ونسبته الى نفس الانسان فقد يمكن معرفة ما ينفع وما يضر حقيقة . وهل ينبغي اختيار الجور عليه . وعلى ذلك يكون مدار البحث على ﴿أمرين ﴾ أولهما ﴿ ماهية العدل ﴾ ثانيهما ﴿ هل سعادة الانسان موقوفة على العدل أم على غيره ﴾ قال لما كان الانسان والمدنية طبيعة واحدة فقد يسهل علينا معرفة العدل الانساني اذا تأملناه في المدنية كما يسهل قراءة الكتاب اذا كان مكتوبا بحروف كبيرة غليظة . فاذا وجدنا ماهو العدل في المدنية لا يصعب معرفة ماهو في الأفراد فابتدأ قوله في البحث عن منشأ الاجتماع الانساني وأن الأصل فيه انما هو افتقار البشر بعضهم الى بعض لست حاجة كل منهم من مأكل وملبس ومسكن فأداهم ذلك الى الاجتماع للتعاون والتمايع وتوزعت بينهم الأشغال فنه نشأ اختلاف الصنائع ثم المقيضة والمعاوضة والتجارة وصورة العدل في مثل هذه الدرجة من الاجتماع انما هي حفظ المساواة والمعادلة فيما يتقارضونه من نتائج أشغالهم . ثم نما التمدن وكثرت أسباب الثروة فدعت الحاجة الى اقامة حكام محافظة على العدل واقامة حراس لدفع العدوان والظلم وحراسة المدينة عن أعدائها . فهذه أول المسائل التي تعرض لنا في تأسيس المدينة وهي مسألة ترشيح أهل هذين الصنفين أى الحكام والحراس انتهى . هذا ما أردت نقله من كلام أفلاطون . والمطلع على قوله يرى انهم يصلون الى درجة القرب من الحق تعالى . وهذا عجيب في أم جاءت قبل الاسلام بتسعة قرون مما يدلنا أن الله عز وجل تجلى على أم قبلنا وأثار البصائر لكثير من الناس فهو الأول والآخر . ولكن أفلاطون كان غرامه في العلم بالعلوم الرياضية ومنها الفلك و بعلم الأخلاق . أما علوم الطبيعة فلم تكن له بها عناية . وهنا في القرآن جاء ذكر علوم الطبيعة قبل هذه الآيات والتعليم العصري في أوروبا يفوق ما عند اليونان يزرع شمس الطبيعة في أفق المدنية الحاضرة . فانظر وتعجب كيف سبق القرآن كل أمة . وكيف شرح علم الطبيعة ثم أتبعه بالعدل والاحسان . فما أعجب العلم والدين . وبليت شعري هل يعلم المسلمون بعد اليوم هذه العلوم . وهل يفتشون على علوم الأمم فيأخذون بالأحسن منها وهل يعرفون أن القرآن في هذا الأسلوب تخطى حكماء اليونان وجاوزهم وأتى بأخر أساليب التعليم فهو يجمع بين الرياضي والطبيعي . فأما أفلاطون فغرامه بالرياضي . أفلا ترى هذه السورة وكيف جمع فيها الطبيعيات مع الرياضيات وذلك في قوله تعالى - وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره - وفي قوله - وبالنجم هم يهتدون - فها هو ذا مزج الطبيعي بالرياضي . إن المسلمين والله لغافلون عن هذا القرآن وعن علوم العالم كاليونان وكأوروبا وأمريكا . ان هذه التعاليم عندهم ونحن ساهون لاهون فانظر كيف كانت هذه الكلمة قد ألقت عليها كتب ونشرت لها علوم . نعم ان الأمة الاسلامية عندها علم الفقه وقد تبجروا فيه ولكن نريد أن تزيد المباحث وأن يكون القرآن مرجع هذه الحكم ومما بحثه أفلاطون في كتابه انه يجب على القائم بالعدل في الدولة أن يمنعوا الناس من كثرة الضحك لأنه يضعف قلوبهم . وأيضا لا يخوونهم من الموت لئلا يجبنوا عن لقاء العدو بل ينشرون ما يزيل ذلك الخوف * وجاء في الحديث الشريف النهي عن كثرة الضحك . وجاء في القرآن بشارات للجاهدين وللذين قتلوا في سبيل الله . انتهى الكلام على العدل مختصرا

الاحسان

أما الاحسان فهو على مناح شتى كالأحسان في الصناعات والأعمال ونظيره قوله تعالى - الذي أحسن كل شئ خلقه - والاحسان في الطاعات وهذا على ﴿قسمين﴾ الأول ﴿الزيادة فيها بالنوافل ويدخل فيه الاحسان للناس﴾ والثاني ﴿اتمامها بحضور القلب في الصلاة والاخلاص في الصدقات . وأما إيتاء ذى القربى فهو معلوم مما تقدم

(١) إذا علمت هذا وسمعت قول ابن عباس ﴿العدل شهادة أن لا إله إلا الله والاحسان أداء الفرائض﴾ فاعلم أن ذلك داخل فيما ذكرناه لأن هذه شهادة حق وهي من العدل . وأداء الفرائض عمل والعمل أحق بالاحسان

(٢) وإذا سمعته يقول ﴿العدل خلع الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه﴾ فالأول ظاهر والثاني كذلك لأن العابد إذا غفل في الصلاة عن المعبود وغاب عنه قلبه فذلك لم يحسن ولم يتقن عمله فليس عمله حسنا والله تعالى يقول - الذي أحسن كل شئ خلقه - فالاحسان في الصنعة أن تكون نضرة بهجة متقنة فهكذا في الصلاة . ولعمري أى حسن في صلاة غفل صاحبها عن مخاطبة محبوبه الجليل وهذه المخاطبة جيلة ومحبوبة ولها لذة وبهجة ولكن لا يعقل ذلك الناس بل لا يصدقونه إلا إذا مروا زمنا طويلا وتكفوا ذلك التوجه في الفاتحة وفي أركان الصلاة وفي الدعوات بحيث يخاطبون ربهم كأنه أمامهم . وهناك يعرفون كيف أحسنوا أعمالهم ويفهمون قوله ﷺ ﴿أن تعبد الله كأنك تراه﴾ وهذا خير احسان

أقسام الاحسان

واعلم أن أعمال الدين بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى من الطريق وهذه البضع والستون قد ذكرها كلها صاحب النقاية وشرحها شرحا وافيا . وليس المقام مقام نقل كتب ولكن لابد من فهم الغرض منها كما فعلنا في جهورية (أفلاطون) لئلا يشذ عنك شئ ينبغى الاطلاع عليه ولتقف على عجائب العلم في هذا القرآن . فانظر كيف يقول الحديث ان الاسلام بضع وستون شعبة . وكيف جعل لها أعلى وأسفل وجعل الأسفل إمطة الأذى من الطريق والأعلى لا إله إلا الله . أفلمست ترى أن جميع أعمال الحياة دخلت في هذا القول وأن النبي ﷺ إذا قال ﴿الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه﴾ فانه ذكر لنا شعبة واحدة من شعب الدين ليمثل لنا الاحسان والاحسان يشمل الشعب كلها من إمطة الأذى من الطريق الى عبادة الله كأننا نراه . إن عبادة الله كأننا نراه يستحيل أن تتم ولا تنتظم إلا بقبلة شعب الايمان فلا بد من نظام الأمة كله فالطرق منظمة والجند مكاملة والحكومة قائمة والثغور عامرة وكل شئ تام . ومماثل الدين وشعبه إلا كمثل الجسم الانساني لا يتم له تفكير إلا بعد أن تكون له معدة وامعاء وحواس ويدان ورجلان فهذه كلها آلات للحياة ولا فكر للانسان إلا اذا وجدت هذه كلها فالدين كذلك فالعبادة واحسانها أشبه بعقل الانسان وبقية الشعب كبقية الجسم . وكما لا يتم العقل إلا بتام الجسم ولوازمه هكذا لا تستقيم لنا عبادة وحضور قلب مع ربنا إلا باحساننا كل شئ في أممتنا والا فبالله كيف يستقر لنا قرار في مساجدنا وفي مصالنا والفرجة كالانجليز يريدون تحويل ماء النيل عن بلادنا فاذا حوّلت فأين المصلون وأين العبادات فضلا عن اتجاه القلوب للمعبود . هناك لآعبادة ولأصلاة ولأدين ولأمتدين بل ترهق النفوس ويهلك الحرث والنسل فليحسن المسلمون جميع أعمالهم وصناعاتهم والا فليرحلوا من هذا العالم وليخلق الله أمما أخرى يقرؤن هذا القرآن ويفهمون كما نكتب الآن وفوق ما نكتب من علوم مخزونة عند الله تعالى

(٣) وإذا سمعت ابن عباس أيضا يقول ﴿والاحسان أن تحب للناس ما تحب لنفسك﴾ فهو ظاهر لأن

هذا من شعب الايمان وكلها يجب فيها الاحسان

إن الشارع الذي أمر بنظافة أهم الأعضاء في الوضوء عمم جميعها في الغسل لأنه يريد نظافة عامة هكذا في الأعمال . فإذا قال أحسن في عبادة ربك وتوجهك اليه فانه يقول أحسن في معاملتك مع الناس بل أحسن في جميع أمور الحياة . فإذا لم يحسن المسلمون جميع الصناعات كما أحسنه الفرنجة أو أكبر فقد خالفوا ديننا ولا فرق في الاحسان بين الاحسان للناس والاحسان في مخاطبة الله واحسان الأعمال الصناعية والتجارية والكيمائية وغيرها غاية الأمر أن العلم ارقى ومخاطبة الله والتوجه اليه والقرب منه هو المقصود الأعظم . وقد قلنا ان الاحسان فيه يستحيل إلا بدولة تحافظ على الناس حتى يقيموها ونرى أصحاب الديانات القديمة المنسوخة آمنين مطمئنين يؤدون عباداتهم في مصر ونحن في شغل شاغل لأننا لم نحسن سائر الأعمال حتى نحسن العبادات (٤) وإذا سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول ﴿ الاحسان أن تحب أن يزداد المؤمن إيماناً وأن تحب أن يكون الكافر مؤمناً ليكون أخاك ﴾ تكميلاً لكلامه السابق . فهذا داخل فيما ذكرناه فيجب الانسان الناس قاطبة

(٥) وإذا سمعته في رواية أخرى يقول ﴿ العدل التوحيد والاحسان الاخلاص ﴾ فهو فيما تقدم (٦) وإذا سمعت بعضهم يقول ﴿ العدل المكافأة خيراً وشرّاً . والاحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بأن تعفوه عنه ﴾

(٧) أو سمعت من يقول ﴿ العدل الانصاف باعترافك بالنعمة والاحسان أن تحسن لمن أساء اليك ﴾ (٨) وإذا سمعت قول ابن عيينة ﴿ العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريره أحسن من علانيته والفرح بالسر والمنكر والبغى أن تكون علانيتك أحسن من سريرتك ﴾

وهكذا من الأقوال المختلفة . فاعلم أن هذا وعشرات أمثاله داخل فيما قررناه . فكل عالم فكري مسألة جزئية والقرآن أعم . فأما النبوة لجلالة قدرها فورد في الحديث عن النبي ﷺ ذكر عبادته كأننا نراه فذكر الأعلى وذكر بعض الشعب كأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك

وبالاجمال الاحسان في كل شيء العبادة والصناعة والتجارة والزراعة وكل هذا دين الاسلام . وهذه كلها فروض كفايات فلا بد من اتقانها والا فلاحياة . فهذا هو الدين وهذا هو العقل . فليحسن المسلمون جميع الصناعات والا فليرحلوا من هذه الأرض الجيلة التي خلقها الله لأهل الجلال . فأما الغافلون فنقدم لعباده أهل الكمال والجمال والعلم والأخلاق . فبذلك فليفرح المسلمون بما آتاهم الله في كتابه من العلوم النافعة . ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

﴿ مزايا هذه الآية ﴾

قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن خير وشر هذه الآية . وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى - ونزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء - بين في هذه الآية المأمور به والمنهى عنه على سبيل الاجمال . فما من شيء يحتاج اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يترك أو يؤتى إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية * وروى عكرمة أن النبي ﷺ قرأ على الوليد بن المغيرة - إن الله يأمر بالعدل والاحسان - إلى آخر الآية فقال يا ابن أخي أعد علي فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر . وهذه الآية كانت سبب اسلام عثمان بن مظعون فانه قال ما كنت أسأمت إلا حياء منه عليه الصلاة والسلام لسكينة ما كان يعرض علي الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان في قلبي . وقال أبو جهل إن إلهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشر . ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لانها جامعة . هذا ما جاء في كتب التفسير اه

ثم أتبع هذه الآية بفروع تتفرع عليها وهي ﴿أولاً﴾ نقض العهد وهو ضد العدل وقرين المنكر والبغى
 ﴿وثانياً﴾ العمل الصالح وهو من الاحسان ونتيجته الحياة الطيبة في الدنيا والثواب في الآخرة والعمل الصالح
 هو الذي تم فيه الاحسان وهو يعم جميع ما قررناه في الاحسان وهو جميع أعمال الدولة وأعمال الانسان نظافة
 وأدبا وأعمالاً عامة وهامة ﴿وثالثاً﴾ أن العمل الصالح كما ينفع في الأمور المعيشية ينفع في دفع الوسوس
 الشيطانية فإن الشيطان لا يجد وسيلة يدخل بها على الذي رتب أوقاته ونظمها وأحسن أعماله لأن الحسن
 والجمال في الأعمال يعود النفس الجليل فلا تقبل القبيح . إن الشيطان لاسلطان له إلا على الجهلاء والفسقة
 والباطلين لأنهم معه لأن أفدتهم هواء ومتى كان الهواء في الاناء دلّ على أنه ليس فيه ماء وإذا أدخلنا الماء
 خرج الهواء . هكذا العقول متى أدخلنا فيها العلم والارادة وكانت الأعمال وصحت العزائم لم يبق مجال لبليس
 ولا الهوى فالعمل هو السعادة والنوم والكسل بلادة ﴿ورابعاً﴾ قولهم للنبي ﷺ - إنما أنت مفتر -
 لجهلهم بحكمة التشريع في الآيات الناسخة والمنسوخة وهذا من نوع المنكر والبغى والفسخاء أيضاً لأنهم نطقوا
 بالقبيح وهو فسخاء وظلموا بانكار الحق وأضلوا غيرهم فقد جمع هذه المنكرات ﴿وخامساً﴾ ان هذا القرآن
 نزل به روح القدس وهذا من نوع الاحسان ﴿وسادساً﴾ ان قوم لا يؤمنون بآيات الله اتهموا النبي ﷺ
 الذي نزل عليه القرآن بواسطة روح القدس انه ماعلمه روح القدس وانما علمه أعجميان هما سلمان الفارسي
 وعمار وهذا غاية البغى ﴿وسابعاً﴾ يبان أن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يخرج
 عن العدل ولم يدخل في باب المنكر والبغى كأنه لما بين الأقسام المتقدمة ذكر ما شتبه أمره ومن أي الأقسام
 هو فينبه هنا ﴿وثامناً﴾ من شرح الصدور بالكفر وذلك من البغاة الظالمين ﴿وتاسعاً﴾ مجادلة النفس أمام
 الخالق يوم القيامة عن نفسها . وهذا من العدل المنصوب بين الله وخلقه ﴿عاشراً﴾ القرية التي كانت آمنة
 مطمئنة ثم طغت وبغت فأهلكها الله . فهذا من البغى ﴿الحادى عشر﴾ عدم العدل في الدين بتحريم
 الحلال في الأنعام والحرث . وهذا افتراء وكذب وبغى ﴿الثاني عشر﴾ قصص ابراهيم الخليل عليه السلام
 ومزايه الشريفة واتباع سيدنا محمد ﷺ له في طريقه . وهذا من الاحسان

﴿ ختام السورة ﴾

ثم ختم السورة بما يجمع سائر ما فيها فإن الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة تجمع كل ما تقدم كما أوضحناه
 سابقاً وأما قوله - وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به - الخ ففيه تطبيق على آية - إن الله يأمر بالعدل -
 فقوله - فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به - هو العدل وقوله - ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - راجع للاحسان
 ويتبعه قوله - واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم الخ -

ثم ختم السورة كلها بما يفيد ما تقدم جميعه وما أطلعنا به من نقل كلام العلماء والحكماء فقال - إن الله
 مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - وقد عرفت الاحسان فيما قدمناه فالله يكون مع المحسنين في أقوالهم وفي
 أفعالهم وفي صناعاتهم . فليتقن المسامون صناعاتهم وليحسنوها وليزيدوا في الكمال كل شئ فقد تقدم أن
 الاحسان يشمل جميع وجوه الحياة كما أوضحناه

﴿ تنبيه ﴾

وقد فاتني أن أنبه على العهد واخلافه وقد أوضحناه في سورة (التوبة) ولقد شدد الله في أمر العهد
 ونام المسامون عن العهود . وهذا هو الذي أوقعهم في نحس الطالع وسوء النكال . فترى بعضهم يكذبون في
 معاملاتهم ولا يصدقون في بيعهم وشرائهم . والأثم حولنا قد أدركت ذلك السرّ فعلموا أبناءهم صدق الوعد
 وعدم اخلاف العهود . فترى أمم أوروبا كاذبة في عهودها مع المسامين لضعفهم صادقة مع دول أوروبا بالقوتها
 ومنفعتها . وترى تجارهم قد ضلوا الشرقيين حتى إنك ترى التاجر الأوروبي يشتري البضاعة من الصانع

المصري وبيعهما ذلك الأوروبي على المصريين لأنه عندهم أصدق من المصري وإن كان خادعا لهم وقد كسب في البضاعة مثلي ثمنها كما أخبرني بذلك صانع أحذية مصري . وذلك لأن الفرنجي يجعل الثمن واحدا وقد علاه كثيرا . فأما المسلم فإنه يحب أن يغالب في الممارسة ويكثر من المشاكسة والمساومة . فالبيع إنما هو مغالبة وذلك يورث عدم الثقة وأيضا يخلف الوعد ولا يصدق في معاملته . واخلاف الوعد اليوم هو الداء الوحيد في هذه الأمم الشرقية فإذا اخلفوا وعودهم لم يأمن بعضهم بعضا في المعاملات لأنهم لا يثقون بموعدهم فيهرعون إلى الفرنج والفرنج هم الآكلون لأهل الشرق . هذه هي الأحوال العامة . ولكن الحمد لله في هذه الأيام قد ظهر في مصر وفي غيرها تجار عظام يفوقون الفرنجة في الموعد والنظافة والترتيب واتقان العمل وسيكون لهذه الأمة شأن إن شاء الله تعالى . وليس هذا الموضوع وما قبله بخارج عن قوله تعالى في آخر السورة - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - فالتقوى ترجع إلى الاحتراس من الفساد في العقائد والأقوال والأفعال والأحسان راجع إلى الأعمال الجيدة فالتقوى تخليّة والإحسان تحلية . فليس يكفي في هذه الحياة الدنيا أن يكون المرء تاركا للشرب فإن الجبر كذلك . ولكن الرجل إنما هو النافع لغيره بعد نفع نفسه وإحسان أخلاقها . فالتقوى في هذه الآيات شملت كل ما جاء في السورة من أعمال السوء والاحتراس منها ومن جميع المنهيات والإحسان شمل نظام كل شيء من عبادة ومعاملة مع الناس وعلوم وأخلاق . فالحمد لله مع من أحسنوا علومهم الرياضية وعلومهم الطبيعية وصناعاتهم المدنية وعباداتهم الإلهية وصالواتهم الدينية وأحسنوا في طهاراتهم ونظافة ثيابهم ومعاشرتهم أهلهم فكيف لا يكون الله معهم وهو يتولى الصالحين الذين صلت نفوسهم وصالح أعمالهم فكانوا للناس نورا به يهتدون وغياثا به يستبشرون . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ مذكرة عامة لسورة النحل وإيضاح لما سبق في السورة ﴾

لقد سميت هذه السورة باسم النحل كما سميت أخرى بالنمل وأخرى بالعنكبوت وأخرى بالبقرة وأخرى بالأنعام وأخرى بالفيل وأخرى ذكر فيها العاديات وهي الخيل . فباليت شعري كيف نام المسلمون قرونا وقرونا عن درس هذه المخلوقات درسا دينيا . وكيف نرى الفرنجة يعلمونها لأطفالهم في مدارسهم وبهذه الملاحظات ارتقت عقولهم . اللهم إنك أنزلت القرآن وأظهرت هذه الحكمة للمسلمين فعرفوها في القرون الأولى وأخذ الملوك في أوائل الدولة العباسية يهرعون إلى ترجمة الحكمة عن اليونانية كللتصور والمأمون ثم في أواخر القرن الرابع كما هو واضح في سورة الأنعام سابقا اعترى هذه الأمة مرض الجشع والشهوات والكسل واكتفوا من العلوم بالشعر والغزل إلا قليلا فأزاحت العلم من الشرق إلى الغرب لما حقر أهل بغداد وأهل قرطبة أي الشرقيون والغريون من المسلمين العلم والحكمة وحرق بعضهم كتب الغزالي والآخرون حرقوا علم ابن رشد هنالك أخذت علومك منهم وأعطيها للفرنجة فنبغوا فيها وعرفوا سر النحل والنمل والعنكبوت وغيرها من الحيوانات التي سميت بها السور أيقاظا للناس . ولما عرفوها وعرفوا سائر العلوم ارتقت عقولهم فصاروا أعلم منا ونحن نأثمون ثم انك سلطتهم علينا كأنك تقول هاهم أولاء تلاميذ آبائكم صاروا أسبق منكم للعلم والحكمة وارتقاؤهم إنما كان بفضل القرآن . وليس معنى هذا أنهم قرؤا الحيوانات لأجل القرآن بل أن القرآن كان سببا في إيقاظ العرب وإيقاظ العرب أيقظ أوروبا تبعا . ولما استيقظت أوروبا بعقولها لا بد منها أرسلتها إليكم لتدلكم فتستيقظون هذه الدنيا وتعرفون مقصود كلامي ولم سميت سور كتابكم بأسماء الحيوانات وأن هذه عناية مني بذلك . وكيف غفلتم عن حكمتي في التسمية . أنا لم أسم سورة باسم الصلاة ولا الزكاة ولا الوضوء ولا البيع ولا الميراث ولا القضاء بل كان جلّ عنايتي بالتسمية راجعة إلى الحيوان وإلى عجائب خلق كل ذلك لأريكم أني لطيف بالعباد لا أفرق في العناية بين الفيل والبقة في نظام أعضائها ولتعرفوا حكمتي فصحبوني

وتحبوا لقائى وتنظموا مدنكم وترقوا شعبكم . فلما طغيتم وبغيتم أنتمكم قرونا وقرونا . وها أناذا الآن أسلط عليكم عبادى لترجعوا الى القرآن والدين فتدرسوا هذه الدنيا وعلومها دراسة أعلى يقول مؤلف هذا التفسير ان كل من اطلع على هذا القول مسئول عن أمته وعن دينه أمام الله فلينبش كل من أهل العلم والجاه هذه الفكرة وليعلم أن الطفل في بلاد أوروبا يعرف من هذا الجلال والحكم ما يجمله الكبار في بلاد الاسلام ويعرف ذلك من درس كتبهم واطلع على علومهم . فليقرن المسلمون العلم بالعمل ولتؤلف كتب للصغار وأخرى للكبار . فأما للصغار فليكتب شذرات من عجائب هذا العالم . وأما للكبار فليدرس نفس علم الحيوان والنبات وغيرها . إن كتابتى لهذا أصبحت فرض عين على لالمى بها وقراءته إما فرض كفاية أى لمن يقرؤن العلوم للنافع الدنيوية وفرض عين على كل من أمكنه الازدياد من العلم ولا مانع يمنعه ليكون زيادة في توحيدة وشكرا لربه فهذا من أعظم الشكر كما هو موضح في كتاب الشكر من الاحياء للإمام الغزالى اه

﴿ نظرة عامة في هذه السورة ﴾

اعلم أن هذه السورة قد ملئت بالعلوم والمعارف والحكمة فقد جاء بها خلق الأنعام والبهائم والانسان والزروع والبحار وما فيها من الحلى الجيلة وكذا الحشرات والطير تذكيرا للمسلمين وتعلما للجاهلين وذكر الرأفة والرحمة عند ذكر الأنعام اللاتى فيها الدفء والمنافع والأكل وأتم تعداد النعم بذكر دروع الحرب وأعقبها بأنه يتم النعمة علينا . فهنا ﴿ أمران ﴾ رأفة ورحمة في أول السورة وتذكير بالنعم قبيل آخرها هاهوذا سبحانه لم يذكر تمام النعمة علينا إلا عقب ذكر الدروع في الحرب . وهاهوذا يقول في أول السورة - إن ربكم لرؤف رحيم - مؤكدا بان اللام . ظهرت رأفة الله ورحمته في خلق الأنعام إذ نأكل ونشرب ألبانها وتجمل بها وهكذا . إن هذه الرحمة واضحة للجاهل والعالم ولكن صناعة الحرب والوقاية منها أمرها مزدوج يعسرفهم الرحمة فيه فلذلك عبر بالنعمة والنعمه قد تكون بمكره وقد تكون بمحسوب فالطبيب نعمة على المريض وإن كان الدواء مرًا والمعلم على المتعلم نعمة وإن منعه الراحة . إذن النعم التى فى هذه الدنيا إما ظاهرة الرحمة فيها وإما أن تكون خفية فما ظهرت الرحمة فيها يعرفها الناس وما لم تظهر فيها الرأفة والرحمة لا تعرف إلا بالبحث والتفتيح فالنعمه تكون بما تألفه النفس وما لا تألفه والرحمة أكثر ظهورها فيما تألفه النفس وهذا نفس ملجأ فى الفاتحة فالتة ربى العالمين ﴿ بأمرين ﴾ الرحمة والقهر وللأول - الرحمن الرحيم - والثانى - مالك يوم الدين - . هكذا الوالدان الأم للرحمة والرأفة والأب للتربية العملية فيوجهه للطالب النافعة له مراعىا المصلحة لا الرأفة به . الله والعالم والأب والأم

وكما ان الأم للسفقة المتناهية التى ترجع أكرها الى مصلحته وتغذيته وتميته والأب لاصلاح عقله وترقيته ناظرا لمستقبله . هكذا بعد أن يستقل فى أمور الحياة يتخذله أمًا أعظم من أمه ويقوم الرب بالعناية بارتقائه بدل أبيه . وبيانه أن ما ذكر فى هذه السورة من الأنعام والبهائم والابن والعسل والشعر والصوف كل ذلك أعد للانسان بعد فراقه لبن أمه فبعد أن كان يعيش على لبن أمه أصبح يعيش بأغذية الأم الكبرى وهى الأرض ففيها النبات والحيوان وأنواع الأغذية أعدّها الله له فى أمه الكبرى . فكما أمته أمه باللبن أمته الأرض بهذه الأغذية . وكما ان أمه الصغرى لم تدره بلاعمل بل كانت تكلفه أمه أن يقم فة الى نديها البرضع وهذه كلها أعمال تناسب الأطفال . هكذا أمه الكبرى كفته أعمالا مناسبة لقوته وللنافعة التى سيجنيها من الأغذية التى عليها . وكما رأينا أباه وجهه الى العمل والدرس والصناعة وأتعبه فى ذلك وشغله . هكذا نرى الله الذى قام برعايته أكثر من أبيه قدفتح له مدارس الحوادث الجوية والحر والبرد والصواعق والحيوانات

المفترسة والقاتلة كالتي تحدث الطاعون والتيفوس والكوليرا وهكذا فان هذه سلطها الله على هذا الانسان ليحبذ وينصب في اتقاء شرها ودفع أذاها فيبقى الحرّ والبرد باللباس والاسود والنور باتخاذ المساكن وحفظ البلاد والاستعداد للطوارئ . ويتقى الحيوانات النورية المحدثه للطاعون بأدوية قاتلة لتلك الحيوانات الداخلة في جسمه المهلكة للجموع الكبيرة من نوع الانسان . ويتقى الأعداء من نوع الانسان بالحصون والسرور والخبز وذلك ليدربه على التعقل والتفكير والأعمال الصناعية والعلمية فالولا اتقاء الحرّ والبرد وحب التجمل والزينة لم تكن تلك المعامل التي تصنع فيها الأنسجة . ولولا أنواع الأوبئة والطاعون التي تحصد الناس حصدا مانع النابغون في علم الطب وظهرت في الانسان قوى انتفعت بها الانسانية . ولولا الحرب بين الدول والممالك ما ظهرت تلك الصناعات العظيمة في بناء السفن في البحار والحصون في البلاد والأسلحة العظيمة . وكل ذلك استخراج لأسرار المادة والعقول . أفلمست ترى أن ذلك من الله استخراج للقوى والقدر في نوع الانسان وفي الأرض . وكما ان الأرض في اعدادها الأغذية والمنافع المذكورة في هذه السورة بإذن الله أبر بالانسان من أمه وأرحم . هكذا الله عز وجل في ارسال الصواعق والحوادث الجوية على الانسان في الأرض وإيقاد نيران الحرب بين الأمم وحصد أرواحهم بأنواع الطاعون والوباء قد علم الانسان وفتح له أبواب التبصرة والتذكرة أكثر من تعليم أبيه له وتدريبه على زراعة أو صناعة . فاذا كان نظر الأب قد أدرك العاقبة فحسب حساب مستقبله فعمله على العمل فالله لم يذره في راحة وطمأنينة تورثه الخيبة والذل والهوان بل جعل له في مقابل كل نعمة نعمة . فاذا خلق له الأبل والبقر والغنم والخيل والبغال والخيول فقد خلق له نظيرها أسودا ونمورا وذئبا ووحوشا أخرى . واذا خلق له النحل ليشرب عسله ويتعجب من هندسة بيوته وهكذا حشرات أخرى كثيرة لتلقح زرعه وحيوانات ذرية (المسكروبات) تنفع في تحليل المادة في الأرض لتستعد لتغذية الزرع بها والسكرات الجراء في دمه حياته وصحته هكذا خلق له في مقابل ذلك كله الحيات والعقارب والحيوانات النورية التي تحدث الطاعون والتيفوس والجدرى والحصباء . واذا جعل الله الأمم ينفع بعضهم بعضا وهكذا رجال الأمة الواحدة يتعاونون والأهل والأقارب والأرحام كل لىكل مساعد . فهما هوذا سبحانه قابل كل نعمة من هذه بنعمة من جنسها . فاللؤلؤ تقع بينها الحروب والأصحاب معرضون للخلاف والشقاق والعداوة والقضايا . أما الأقارب فحدث عن الحسد والاحراج . أقول . أنا أعتقد أيها الأخ الذكى أنك الآن أمامك صورة واضحة مشاهدة معلومة من هذا الوجود تستبين بها أن الله جعل نعمة في مقابلة نعمة وأن هذه النعم مدارس يربى فيها الناس وهذه التربية التي ليست بحرف ولا صوت بل هي تربية صامتة أرقى من تربية الأب الذى لا يفكر إلا في أن يعلمه كيف يحصل قوته ويحفظ أسرته بعد موته فثبت بهذا أن الأرض وضعها الله بدل الأم وهي أرحم بالانسان من أمه وأشار لذلك بقوله في أول السورة - إن ربكم لرؤف رحيم - وأن الله بما خلق من أصناف المؤذيات المهلكات في مقابلة النعم بحيث لم يذرنعمة إلا قابله بنعمة قد أعد له بذلك مدارس منظمات مفتوحات لاتذره ينام لحظة فان سار في الأرض بلا احتراس افترسته السباع وان جلس في مكان وهو ساه لدغته الحيات وان نام في فراشه أو جلس في بيته وهو غير مستيقظ لنظافة بدنه أو ثوبه أو مكانه تلقته تلك الجوع من القمل والبراغيث والبق . وان نامت الأمة وادعة ساهية لاهية تألبت عليها جيرانها من الدول وأقبلت اليها يقتسمونها فيصيحون عبيدا بعد أن كانوا سادة مكرمين . وان تركوا علم الطب وناموا على وساء الراحة الوثير تحالفت عليهم جيوش الحيوانات النورية ففتكوا بهم ففكوا ذريعا فأفنوا أ كثرهم وهم ساهون لاهون . فهذه مدارس الله التي أزعجت الناس فارتقوا في الطب والصناعات وفتحت بصائرهم أليس هذا هو معنى - الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين - فالرجة المذكورة في الفاتحة والمذكورة في أوائل سورة النحل هي التي قامت بها الأم وقامت بها الأرض مما ذكر في هذه السورة وغيرها والشدة المأخوذة

من قوله - مالك يوم الدين - ومن قوله - وسرايل تقيم بأسكم - في هذه السورة نعمة فالوقاية بالدرع من الحرب نعمة والسلاح والكراع نعمة . ولا جرم أن لا بس السرعة محارب فتكون القدرة على الحرب نعمة وهكذا كل ما أحدث لنا جدًا وعملاً لنحتس منه . كل ذلك نعمة كنعمة انقاء الهلاك بالدرع فالنظر ونجيب . رجة وشدة في الفاتحة مرتبتان ذكرنا كما رتبنا وضعها . هكذا هما في النحل رجة ثم نعمة مقرونة بالحرب . وهكذا أم الولد أولاً ثم أبوه يتلقاه لترقية قواه . تشابه الوضع الطبيعي والوضع العلمي الديني . رجة فشدة في الفاتحة . وهكذا في سورة النحل وفي سير حياة الانسان . فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا المقال حسن ولكن ليس ببلغ . ان البلاغة أن يطابق الكلام مقتضى الحال وليس مقتضى الحال أن تشرح النعمة والنعمة واللين والشدة وتطابق الامور وتترك القول سهلاً . جعلت النقم والحوادث والمصائب في الطبيعة أشبه بشدة الأب على ابنه . وجعلت نعم النبات والحيوان والأغذية أشبه بالراقة المتناهية والرجة . هذا كل ما قلته ولكن مقتضى الحال أن تثبت ما تقول ان كثيرا من المؤلفين يحاولون كلامهم وتجود عباراتهم ولكن القارئ يخرج من ذلك ولا علم عنده وانما هي صور في الخيال لا تحقيق ومن ذا الذي يقول ان الحيوانات الفاتكات بالانسان نعمة . وأي عاقل وأي حكيم يحكم بأن من أعطاك ثوباً ثم أردفه بضرب السياط والشم يكون محسناً كريماً والله يقول - قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى - فهل في اعطائنا الابل والبقر والغنم . ثم في مقابلتها تكون السباع المفترسات نعمة تامة أم ذلك صدقة يتبعها أذى . إن الله عز وجل حكيم والحكيم يوافق قوله فعله وأنا لا أفهم الموافقة هنا . فقلت له ليس كل ما يؤذي الانسان نعمة فمن الايذاء ما يكون نعمة كما تقتم . وليس منع الأب ابنه عن الراحة ووضع في عمل إيذاء وهكذا ناديه بالتوبيخ والضرب ليس إيذاء بل هو نعمة عليه . فقال هذا كلام اقناعي فائتني ببرهان يشرح صدرى ويقنعنى . قلت إذن أسمعك

﴿ رسالة منسوبة الى (أرسطاطاليس) للاسكندر في السياسة ﴾

هذه الرسالة نقلت من النسخة الخطية في الفاتيكان بايطاليا في زماننا هذا ونشرت في بعض المجلات العلمية في (برلين) وفي مجلة الشرق . ويرجح العلماء انها مترجمة بقلم حنين بن اسحاق فلاذكر نبذا منها بالحرف لمناسبة المقام

(١) قال . وقد انتهى اليانا انك بعد الواقعة الكائنة لك ببابل وظفرك بدارا ومن لحق به وما ركب من أهوال الحروب وكابدت من شدائدتها استأفقت أشغالا آخر بامور سموت لها وتطلعت اليها فقد ينبغى لك قبل ذلك أن تفرغ نفسك للنظر في مصلحة أمور المدن وتقويم سننها فان هذا أمر كبير يجب عليك النظر فيه ويذهب لك الصوت والذكر الجليل فقد تعلم ما نال من ذلك (لوقرغس) بتقويمه سنن مدينته وعلى حسب سعة ملكك وعدد مدائنك سيكون فضلك على من أصلح مدينة واحدة بقاء الذكر والثناء لك لأن اقامة السنن صلاح العامة ودوام السلامة والهدوء في الرعية

(٢) وقد ظن كثير من الناس أنه انما يحتاج الى المدبر القائم بالسنة في الحرب . فاذا انقضت الحروب واستفاض الامن والسكون استغنى عنه والذي صبرهم الى ذلك ظنهم بأن الاستمتاع بالخيرات سهل ممكن لا فناء للناس وأن معاناة الشدائد الصعبة لا يقوى عليها كل أحد . ولست أرى هذا صوابا بل الصواب عندى خلافه وذلك أن الناس اذا مستهم الشدائد تحنكوا وتيقظوا لما فيه مصلحتهم فاذا أظلمت الأهوال تحركوا فيما يدفع ذلك عنهم . واذا صاروا الى الامن ماوا الى الشره والفساد وخلعوا عذار التحفظ وما أعسر أن نكون مع رخاء البال صيانة العقول بل يذهب ذلك بالعقل كثيرا ويذهله فأحوج ما يكون الناس الى السنن اذا صاروا الى الخفض والمسعة فانه ان كانت الحروب قد تحدث فيها الأحداث فان ذلك يحدث والناس متحفظون حذرون

في حال الخفض فتحدث أحداث كثيرة والناس قارون مهملون لأمرهم . عند ذلك يحتاج العامة الى الأدب والسنة . والسنة انما تكون سنة اذا عمل بها . وانما يعمل الناس بالسنة اذا كان لهم مدبر يحماهم عليها وانما يقوى على ذلك من كانت رئاسته سنة اجاعية ولم تكن رئاسته فتنة واغتصابا فليس الاستمتاع بالهدوء والخفض مما يحتمله كل أحد كما ظن هؤلاء ولوانه كان ذلك كذلك لوجب على الآباء أن يملكوا أبناءهم أموالهم من أول نشئهم . فكما انه لا ينبغي أن تفوض الأموال الى الصبيان كذلك لا ينبغي أن تفوض الامور الى العامة فان أخلاق العوام شبيهة بأخلاق الصبيان وكلا الصنفين يحتاج الى الرقابة والمدبرين

والعبرة في ذلك أيضا قد ترى من تصرف الأحوال وتنقل الدول فبالرئاسات لا تثبت ولا تدوم لصنف واحد وفي مدينة واحدة كالذي رأينا من نقلها في بلاد (آسيا) وفي بلاد (أوروبا) وفي غيرها من المدن فقد ملك (أشور) حيناً لأهل الشام وسورية ثم خلف بعدهم أهل (ماه) ثم خلف بعدهم أهل فارس وكذلك تجده في سائر الأمم . فالقلعة في هذا كاه واحدة هي التي ذكرنا من أن القلب في الخيرات أصعب من مقاساة الشرور وكذلك تجد الذين نالوا الرئاسة بنصب ومشقة ثم زيدوا فيها شيئاً بعد شيء قد حسكتهم وثقتهم التجارب أكثر ذلك ما تطول مدتهم ويؤول الى السعادة وحسن العاقبة أمرهم وتجد الذين نشؤا في الخفض ووافقهم الامور عفوا فلم تصبهم شدة ولم يمسهم خوف يصيرون الى ضد ذلك . وكذلك ترى المدائن تعمر وتكبر بالمشقة والنصب وتصير الى الخراب والوار بالرفاهية والخفض داعية الى البطالة والناس في أكثر ذلك مائلون الى البطالة مستلذون بها . وذلك انهم يكرهون الأدب والسيرة الحسنة هرباً من المشقة ويؤثرون الفراغ والبطالة طلباً للتودع ويفنون أعمارهم في طلب اللعب الى الشقوة . وليس يكون مع البطالة وتعطيل الأدب بقاء ملك ولا ذب عن حريم ولا صلاح عامة . فالأمر على ما وصفت أولاً من الحاجة الى سنة مقومة ومدبر يقوم بها فيحمل العوام على حسن السيرة والصلاح . أما أهل السادة ولؤم الطباع فبالخوف

وأما الأشراف فبالحياء . وكيف تكون سنة عامة إلا بمدبر عام . ومن الذي يجمع الناس على الألفة والاستقامة وينصر السنة وقيمها إلا رجل له قدر كبير وقدرة ظاهرة تكون في مصر عظيم فيكون ظهيرا للسنة رباطاً للألفة . فبمثل هذا الرجل يقدر على استدامة حسن السيرة في المدن ونفي الفواحش عنها . وليس تصلح المدن إلا بصلاح الرؤساء والمدبرين . وينبغي أن يكون هذا الرجل جزلاً كاملاً ليس في الشجاعة والعدل وأصناف الفضائل فقط . ولكن في القوة والعدة أيضاً ليقوى على ضبط العامة وجلهم على السنة فان كثيراً من العوام لا يذعن للعدل ولا يتاد للعق . فاذا لم يكن عليهم خوف مالوا الى البطالة وتعطيل السنة فلا بد من مدبر عام يجمع أمر العائلة كهؤلاء سيما (الباذه ومدائنها) فانها اتصلت كلها بمدينة واحدة . وليس يؤتى صلاح المدائن إلا من صلاح الرؤساء والمدبرين كالذين رأينا في مدائن (لقديمونه) و (اينناس) فانه كان في بعضها سلاطين جبارة وضعوا سنناً وفي بعضها قوام عدول فبنيت لذلك هذه المدائن وبعصوتها وكذلك المدائن التي دخلها الخلل والفساد والانتشار انما أتيت من سوء أثر الرؤساء والمدبرين فصرفوا همهم الى اللذات الزمنية فأهموا التدبير الباقي أثره وذكره على وجه الأرض الى الدهر فقد ينبغي للمدبر أن لا يتخذ الرعية مالا ولا مأكلاً ولا قنية ولكن يتخذهم أهلاً واخواناً وأن لا يرغب في السكرامة التي من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر و صواب التدبير . انتهى المقصود منها

وبقية الرسالة نصائح للوك والمدبرين المدن مثل إنك يا إسكندر تريد أن تغزو غزوات أخرى فأذكر ك بأن للبشر آفات تعرض لهم في أحوالهم . ومثل ان السلطان اذا كان رئيساً لأحرار خيراً من أن يكون رئيساً لعبيد أذلاء واذا أذلهم وكرهوه لا تدوم رئاسته . وأن الرئيس اذا أذل رعيته فقد اختار أن يرأس البهائم لا أن يسود الرجال . ومثل غاصب الملك كشكل المولى وأما الملك فيكون في شكل الأب . وأن ملك فارس

كان يسمى كل واحد عبدا حتى ولده وهذا يصغر قدر الرئاسة فرياسة قليل من الأحرار خير من التسلط على كثير من العبيد . ويقول إن صغير الهمة من الرؤساء يكرمه العامة للخوف منه وعلى الهمة يكرمونه لحسن أثره . والكرامة الأولى مضمحلة والثانية باقية ثم نصحه بأمرين هما ﴿ العادل ولين الجانب ﴾ وبهما دوام الرئاسة والفضلاء يخضعون بالحياء والمحبة والسفهاء بالخوف والسلطان إذا لم يكن عدلا فهو يسمى غاصبا لاسلطانا ونصحه بأنه إذا حارب قوما وانتصر عليهم أن يجعل الرحمة حالة محل الغضب . وأن لا يحتقد على الأشراف . ويقول إن ضيمهم في مراتبهم أشد من ضيمهم في مالهم وأبدانهم ونصحه بأن لا يكون شديد الغضب كالسباع ولا ضعيفا كالصبيان . وأن يكون مستشاره مائلا لفعل الخير وحذره من استشارة الموهين الخادعين وختم المقال ﴿ بثلاث نصائح ﴾ تكسب السلطان حسن الذكر وهي حسن السيرة . والبلاء في الحروب وعمران المدائن اه

هأنذا أيها النكي ذكرت لك المقصود من هذه الرسالة بالحرف . وخلصت الباقي ليفرح بها الأذكىاء . ﴿ وملخص المقصود منها ﴾ ما رأيت من أن البطالة والرفاهية والكسل وإهمال الأجسام والعقول مضیعة للآثم . وبالاجال أن ما يظنه الناس من أن الراحة سعادة والنصب والتعب شقاء قضية فاسدة . فالحكمة عكست آراء العامة وذلك بالبراهين المعروفة في التاريخ وأن المدن التي مالت إلى الراحة يقهرها الغاصبون والرجل الذي جاءت إليه المناصب أو الأموال عفوا تذهب بمنصبه وبماله عواصف الحوادث ومصائب الأيام فهاأنذا أسمعتك حكمة الحكماء في هذه الأرض في سياستها ونظامها . أفلمست ترى أن هذه السياسة بنصها وفصها مأخوذة من سياسة الله في الأرض . فاذا قلت لك إن الله خلق الناموس والحشرات المؤذية والحيوانات الذرية المهلكة بالطاعون وبالتيفوس الخ ليرقى عقول الناس ويستخرج مواهبهم فهى هى بعينها سياسة الأمم في الأرض

الله أكبر . طابق نظام السياسة العالية في الأرض نظام الله في الحيوان . إذن تكون هذه الرسالة وأمثالها تفسيراً لقوله تعالى في هذه السورة - وسراييل تقيكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم - أى إن سياسة أهل الأرض الصادقة أفهمتنا لماذاجيء بذكر اتحام النعمة في الآية بعد ذكر الحرب وسراييله مع أن السورة كلها نعم في البر والبحر . إذن الله تعالى يقول لنا ها أنذا يا عبادى أغدقت عليكم النعم من الأنعام والحرث وأصناف الكرامات ولكن اذا تركتكم بلا موقظ يوقظكم صرتم أذلاء فجعلت في مقابل كل نعمة نقمة لآتم النعمة عليكم فليس انعامى بالحيوان والنبات كل شئ بل الاقتصار عليه اضاعف لهممكم وتنزيل لها الى مراتب الحيوانية . هذا هو المعنى الذى يؤخذ من وضع هذه الجمل . فاذا جعل الله الشدة بعد الرحمة في الفاتحة . وجعل الحرب والانعام بها في أواخر النعم في سورة النحل بعد ذكر الرأفة والرحمة في أوائلها . واذا جعل الأب في تربية الولد بعد حضانه أمه له فقد اتضح سر هذا كله هنا واتفقت النظم وهذا قوله تعالى في سورة الأنبياء - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - وقوله تعالى - فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعيه فيقول ربى أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فيقول ربى أهانن -

فتجب من هذه الآية كيف كانت ملخص الرسالة المتقدمة . يجعل الله ترادف النعم ليس نعماً ويقول كلاماً أردفها بأن الناس مقصرون في عمل الخيرات كإكرام اليتيم والحض على طعام المسكين . وهذا ملخص الرسالة المذكورة لأنها ﴿ قسمان ﴾ قسم يذم التنعم وقسم يأمر بالعمل فأول الآية للاول وآخرها للآخر ياسبحان الله ويسعدانه . أهذا هو القرآن الذى نقرؤه وحفظناه عن ظهر قلب ونحن أطفال لانهقل شيئاً . هل هذا هو كتابنا المقدس . وهل هذه السياسة التى حفظها التاريخ وبقيت في سرائر الأمم العالمة توافق نص الآية . اللهم إن هذه الآيات يقرؤها جميع أطفال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فصارت

أشبه بالشئ المعتاد فهي كالأجسام الانسانية يعيش فيها أكثر الناس وهم لا يعلمون عنها شيئاً
هذا القرآن يستحيل أن ينتفع به المسلمون إلا اذا قرؤوا جميع العلوم ومن أين يعرفون معنى هذه الآيات
التي تعرض على العامة والأطفال لأنها في السور الصغيرة المعروفة لكل قارئ إلا بالعلوم والمعارف وأرجو أن
يتم ذلك بعد انتشار هذا التفسير

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد شفيت ما في صدري وعرفت أن النعم المذكورة في هذه السورة ان لم
تصاحبها هذه المواقظات في عالم الطبيعة كالحرب والحيوانات المؤذية كانت الحياة وبالا وأدركت بعض سر قولنا
في الصلاة ﴿فلك الحمد على ما قضيت﴾ وعرفت أن القضاء بالشر نعمة مخفية وأن جدنا عليه باللفظ لا يفيد
وإنما هذه الألفاظ جاءت في الدين لتذكيرنا بأن نعرف أمثال ما تذكره أنت الآن وأن ماجاء في الصحاح من
أنه ﷺ كان يأخذ البيعة على المسلمين بأقام الصلاة وإيتاء الزكاة الخ ويختتمه بقوله ﴿وأن تؤمن بالقدر خيره
وشره من الله﴾ إنما جاء أمثال هذا الايمان ليفتح لنا أبواب العلم الذي اطلعنا على بعضه الآن وهذا ذكرني
بما ذكرته أنت فيما تقدم من ﴿لغز قابس﴾ المذكور تارة مختصراً وتارة مطوّلاً لأغراض مختلفة في هذا
التفسير وهكذا ما أشرت أنت اليه من كتاب ﴿الكوخ الهندى﴾ فهذان الكتابان نقيضتهما واحدة .
إن السعادة لا وجود لها إلا بالصبر على ما يؤلم . وهكذا كتاب (أبكتاتوس) المذكور في آخر سورة الحجر
ثم قال ولكن أريد أن أعرف معرفة أتم اقتران النعم بالنعم . لقد اتضح فيما ذكرته وجود الحيوان الضار
بإزاء النافع وهكذا ولكنى أريد ما هو فوق ذلك . أريد أن أعرف الخير والشر يكونان متكافئين معاً في
حيوان واحد . فقلت نعم هذا موجود موضح للعدل العام . قال فأوضحه أيما إيضاح . قلت اعلم أن
العقارب والحيات والحيوانات الذرية الجالبة للطاعون وللنفوس وللبلاء العام المسمى (كوليرا) هذه كلها
جعل خيرها مكافئاً لشرها وضرراً مكافئاً لنفعها . وإنما جعلها الله كذلك لتكون درسا محسناً أمام الحكماء
في أمة الاسلام في مستقبل الزمان لتدلم على أن العدل في نظام المدينة وفي أخلاق الانسان ومساوكه وهكذا
نظام هذا العالم كله يرجع الى هذا اللرس الصغير المجسم الذي كافأ خيره شره ونفعه ضره . فقال هذا القول
يحتاج الى برهان . فقلت اعلم انى قرأت في كتب الطب القديمة قاعدة أن لحم كل حيوان سام ترياق لسمه
وفرعوا على هذه القاعدة أن جسم الحية ترياق لسمها بالمدغ وجسم العقرب كذلك و بعد سنين قابلنى ضابط
من الجند المصريين كان مقبلاً بالسودان فدكر مرة أنه لدغته عقرب بمقدار كف الانسان في ظهره قال فضررت
بيدى بقوة على موضع الألم فتهرأت العقرب من الضربة فسكن الألم حالا . فقال صاحبي هذا لا يقنعنى .
فقلت هاك اسمع ماجاء في كتاب ﴿عيون الأنباء في طبقات الأطباء﴾ تأليف العلامة موفق الدين أبى العباس
أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى المعروف بابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ بصرخدا
من بلاد الشام الذى ألف كتابه المذكور سنة ٦٤٣ في مدينة دمشق . قال ان (أندروماخس الثانى) وضع
لحوم الأفاعى في الترياق . قال والذى نشطه لذلك وأفرد ذهنه لتأليفه ﴿ثلاثة أسباب﴾ جرت على غير قصد
وهذا كلامه . قال ﴿التجربة الأولى﴾ إنه كان يعمل عنسدى في بعض ضياعى في الموضع المعروف
(بيورنوس) حراثون يحراثون الأرض للزرع وكان بينى وبين الموضع نحو فرسخين وكنت أبكر اليهم لأنظر
ماذا يعملون . وذكر أن غلامه كان يحمل لهم زادا وشراباً فأحضر لهم يوماً خراً طيباً في إناء طين لم يفتح
فلما فتحوها وجدوا فيها أفعى قد تهرأت فقالوا إن ههنا رجلاً مجذوما يريد أن يموت فاذا سقيناه أرحناه من
الحياة ولنا ثواب عند الله فغضوا اليه فأعطوه زادا وسقوه الخمر موقنين أنه لا يعيش يومه فلما قرب الليل انتفخ
جسمه نفخاً عظيماً . فلما كانت الغداة سقط جلده الخارجى وظهر الجلد الداخلى الأحمر ولم يزل حتى صلب
جلده وبرأ وعاش دهرًا طويلاً من غير أن يشكو وعلمته حتى مات الموت الطبيعى . قال فهذا دليل قاطع على

أن لحوم الأفاعي تنفع من الأوصاب الشديدة والأمراض العتيقة في الأبدان . وأما ﴿ التجربة الثانية ﴾ فان (أندروماخس) كان له أخ يسمى (ابولنيوس) وكان مساحمان قبل الملك على الضياع فصادفه يوما في حجارة القيط أنه نام فنهشته أفعى في يده وكان قد ألقى يده على الأرض من شدة تعبته فانتبه بفزع وعلم أن الآفة قد لحقته ولم يكن به على القيام طاقة ليقتل الأفعى وأخذته السكر والغشى فسكتب وصية وضمنها اسمه ولسبه وموضع منزله وصفته وعلق ذلك على الشجرة كي إذا مات واجتاز به انسان ورأى الرقعة يأخذها و يقرؤها ويعلم أهله ثم استسلم للموت وكان قد غلبه العطش فشرب من ذلك الماء شرابا كثيرا فلم يلبث الماء في جوفه حتى سكن ألمه وما كان يجده من ضربة الأفعى ثم برأ فبقى متعجبا ولم يعلم ما كان في الماء فقطع عودا من الشجرة وأقبل يفتش به الماء لأنه كره أن يفقسه بيده لئلا يكون فيه أيضا شئ يؤذيه فوجد فيه أفعيين قد اقتتلا ووقعا جميعا في الماء وتهرآ فآقبل أخى الى منزلنا صحيحا مسلما أيام حياته وترك ذلك العمل الذى كان فيه واقصر على ملازمتى وكان هذا دليلا على أن لحوم الأفاعي تنفع من نهش الأفاعي والحيات والسباع الضارية قال . وأما ﴿ التجربة الثالثة ﴾ فانه كان للملك (بيولوس) غلام وكان شريرا غمازا خانا فيه كل بلاء وكان كبيرا عند الملك يحبه لذلك . وكان قد آذى كثيرا أ كثر الناس فاجتمع الوزراء والقواد على قتله فلم يتيها لهم ذلك فصمموا أن يضعوا السم في شرابه حتى اذا مات جلوه الى الملك ليس به جراح فلما وضعوه في الشراب لم يلبث إلا قليلا حتى مات فتركوه في بعض البيوت وختموا عليه ووضعوا الحراس عليه وتوجهوا للملك . فلما ساروا بأجمعهم الى الملك رأى الفعلة أفعى قد دخل الى البيت الذى فيه الغلام فلم يتيها لهم أن يدخلوا خلفه ويقتلوه لأن الباب كان مختموما فلم يلبثوا إلا ساعة والغلام يصيح بهم لم أقفلتم على الباب أعيشونى قد لسعنى أفعى فكسروا الباب وخرج ليس به مرض . قال وكان هذا دليلا على أن لحوم الأفاعي تنفع من شرب الأدوية القتالة المهاكة . هذا جلة ما ذكره (أندروماخس) انتهى

وقوله لحوم الأفاعي لعلة جعل اللحوم كالسموم كلاهما ينفعان من شرب الأدوية القتالة . أما علماء العصر الحاضر فانهم وجدوا أن الحيوانات الذرية الميتة اذا حقنوا بها من أصيبوا بسموم تلك الحيوانات أبرأتهم ﴿ وكيفية ذلك ﴾ أن الأطباء في أوروبا لاسما في ألمانيا في زماننا الحاضر قد يربون الحيوانات الذرية المحدثه للطاعون ولحى التيفوس والكوليرا فتتمو وتكثر في أقرب زمن ثم يضعونها على النار بحيث تكون درجة الحرارة (٥٦) لا أنقص ولا أكثر وتبقى تلك الحيوانات على النار (٤) ساعات ثم يرفعونها عن النار فاذا أصيبت أمة بمرض من هذه الأمراض الثلاثة أتوا بأجسام الذرات الميتة التى من نفس نوع الإصابة وحقنوا المرضى بها فيبرؤن . فاذن أصبح جرم الذرات المحدثه للطاعون ومامعها مانعا من اضرار سم الأحياء منها في جسم الانسان . إذن القاعدة واحدة تكافؤ الخير والشر في الحيات والعقارب والحيوانات الذرية أى (المكروبات) وهذا كله معنى العدل . فالعدل هنا تكافؤ السم والترىاق وفي الناس تكافؤ القوى الشهوية والغضبية والعقلية بحيث لا تطغى احداها على الأخرى وفي الملوك تكافؤ اللين والشدة وفي المدن انتظام العمال والجند ورجال الحكومة وقيام كل بما استعد له وخضوع الأدنى للأعلى . وكل ذلك تفسير لنعمة السراييل في الحرب وجعلها خواتم النعم ولقوله تعالى - إن ربكم لرؤف رحيم -

فقال صاحبي هذا حسن ولكنى أريد أن تذكر لى مسألة واحدة تختم بها النظام في عالم المادّة . فقلت وماهى . فقال إن هذه المقالة دخلت فيها علوم كثيرة ومن تلك العلوم مسألة الحرب كيف جعلت الحرب التى دخلت ضمن ذكر السراييل فى الآية نعمة مع انك قلت مرات كثيرة فى هذا التفسير ﴿ أيها المسلمون اقرؤا العلوم وعمموا التعليم ثم قودوا الأمم الى السلم العام ﴾ فاذن ماقلته الآن ينافى ماقدّمته فى هذا التفسير . فقلت إن الأمر سهل يسير . الحرب موقظة مرقية للشعوب كما أوضحناه . ولكن اذا ارتقت أعم الأرض

واتحدوا على المنافع العامة وأبطلوا الحرب فليس معنى هذا أن الأمم تصبح فارغة من الهم . كلا فستجد لهم أعمال وأعمال تكون أكثر عملا من الحرب . ألا ترى أن الناس كانوا يمشون على أقدامهم في الطرقات ويمتطون الدواب فلما كثرت القطارات في الطرق وعبوات النقل ورخصت قيم النقل لم تمنع تلك الراحة الناس من الأعمال التي شغلت جميع أوقاتهم وسائر أيامهم . فهنا نحن أولاء نركب القطار في راحة ونعيم ولكن عندنا أعمال لا حد لها لم يعرفها أبوانا . فاذا فرضنا أن الحرب زالت فكم في استعداد الناس من أعمال لا تدعهم يهدؤن ولا هم يسكنون كالمبارات في استخراج الخيرات من ضوء الشمس ومن الهواء ومن باطن الأرض ومن الماء ومن كل شيء . فقال ألاحيا الله العلم والحكمة التي أنعم الله بها علينا في تفسير هذا القرآن . ألا بارك الله في أقوام أنصبوا أنفسهم واستخرجوا لنا هذه السكنوز العلمية والمصاييح الفنية والنجوم اللامعة والشموس المشرقة والجواهر المكنونة والعلوم المخزونة . فكم من أناس يعيشون ويموتون وهم يرون بأعينهم الحيات والعقارب وتم الأمراض وأنواع الطاعون بلا دهم ويرون هذه الدنيا وقد ملأها الخيرات والشرور فيكونون فيها أشبه بقطيع من الغنم يسوقه الرعاة وهم لا يذكرون . فقلت نعم إن هذا الإنسان أكثره مسوق بعادته موثق في شهواته تمر بهم الحوادث وتنهشهم الأفاعي وهم لا يعلمون عجائبها . أولا يعلمون أن الله لم ينز الإنسان يأكل الطعام ويشرب الشراب من تلقاء نفسه بل سلط عليه جند الجوع والعطش وجند الشبع وكراهة الماء فلا يأكل ولا يشرب إلا إذا أحس بسياط يسوقه بها جند العطش والجوع ولا يذوق الطعام والشراب إلا إذا أحس بسياط جند كراهة الطعام والشراب فساكن من حق هذا الإنسان أن لا يدع ألما لا يعرف سره ولا مسرة إلا أدرك كنهها . ولعمري لم يرسل الله الحيات على الناس إلا ليتذكروا ولا الطاعون إلا ليعلموا بعض سر هذا الوجود ولكنك ترى أن نفس الأطباء الذين يعرفون ما تقدم يجهل أكثرهم نظام العدل وحكمة الوجود في تكافؤ الداء والسواء في جسم الحيات وفي الحيوانات الذرية ولا يعنيه إلا مداواة الأجسام وشفاء العلل والأسقام فاما البهجة بالحكمة وشفاء القلوب بالعلم فأكثر الناس ومنهم الأطباء عن آياتها معرضون ولا هم يذكرون

﴿ عموم نظام العدل في عالم المادة وعالم الأرواح ﴾

فقال صاحبي . قد رأينا العدل والنظام في جسم الإنسان وفي قواه وفي مدنه وفي أنواع الحيوان لاسيما الحيوانات السامة والقاتلة . فاذا كان هذا حقا في عالم المادة أفلا تكون هكذا عالم الأرواح . وإذا رأينا تكافؤ الداء والداء في الحيوانات الذرية للطاعون كما وجدناه في الحيات فاننا بهذا وصلنا الى أدق وألطف مافي المادة فلم يبق بعد ذلك إلا عالم الأرواح . فقلت له عالم الأرواح لا يمكننا الحكم عليه لأننا في عالم الأجسام وليس لنا سبيل اليه إلا من طريق الديانات قديما ومن علماء الأرواح حديثا . فقال نعم وإذا تطابق العلماء في اثبات ما يشابه الذي رأيناه في المادة كان ذلك صوابا لأن علماء الأرواح لاعلاقة لهم بعلماء الدين فاذا تلاقى الحزبان كان ذلك دليل الحق واليقين . فقلت قد ثبت في دين الاسلام أن لكل امرئ ملائكة يلهمونه وشياطين يضلونهم . فقال نعم هذا مشهور في الحديث وفي القرآن ولكني أريد أن أسمع مقالا لأكابر العلماء في ذلك . فقلت قد تقدم في مواضع من هذا التفسير ولعلك ستقرأ ذلك قريبا في قوله تعالى - ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا - في سورة مريم . قال أريد قبل ختام تفسير هذه السورة أن تذكر علاقتها بما قبلها وما بعدها . فقلت أما علاقتها بما قبلها فأذكر الآن منها ﴿ أمرين * الأول ﴾ منهما أن سورة الحجر جاء في آخرها الزهد في الدنيا وأنه عز وجل يجب عليه أن لا يجعل الدنيا محط آماله ولا يجب بما فيها إذ قال تعالى - ولا تمدن عينيك - الخ وأمته تبع له وهذا الاعراض يفتح للإنسان باب العلم إماما بالوحى للأنبياء واما بالاهام للحكماء والأولياء والعلماء ويرقيه يوم القيامة الصغرى وهي الموت ويوم القيامة الكبرى

لذلك ذكر في أول سورة النحل أن القيامة اقتربت وأن الله ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴿الامر الثاني﴾ أن سورة (الحجر) ختمت بقوله تعالى - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - واليقين أخص من العلم لأنه العلم الذي لا يتطرق اليه الشك . ولا جرم أن الموت يوقن به الناس جميعا لذلك اعتاد المفسرون أن يفسروا به هذه الآية . ومعلوم أن اليقين يزيد إذ مامن كمال إلا وعند الله أكل منه والعلم اليقيني لانهاية له إذ العلم لانهاية له . والدليل على ذلك ﴿أمران * الأول﴾ انه جاء في حديث الرجل الذي مدحه الصحابة في إحدى الغزوات وقالوا إنه أبلى بلاء حسنا انه ﷺ قال انه في النار فلازمه رجل أمدا طويلا وهو يقاتل ويميت من الكفار عددا كبيرا حتى اذا جرح رآه قتل نفسه بسلاحه فرجع اليه ﷺ وقال له يا رسول الله لا يزال الله يزيد نابتك يقينا وقص ما تقدم فقتضى هذا أن اليقين يزيد ﴿الامر الثاني﴾ أن اليقين كالغنى فكما ان الغنى لا حد له هكذا العلم واليقين لا حد لهما . ولا جرم أن كل غنى يطلب مطلباً أوسع من ماله فاذا ناله طلب ما وراءه وهكذا . هكذا طالب العلم لا يزال يطلب مطلباً فاذا وصله طلب ما وراءه . وهذا ظاهر في قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم - فهذه قضية كلية لا تدّر علما إلا وجدنا وراءه آخر وقوله تعالى أيضا - وقل رب زدني علما - وقوله تعالى - وللاخرة خير لك من الأولى - * يقول العلماء انه يترقى في كل لحظة عما قبلها في الحياة وبعد الموت لأن علم الله لانهاية له * ويقول الامام الغزالي ان قرب التلميذ من أستاذه انما يكون بالعلم ولكنه قد يرتقى عن أستاذه وقرب العبد من الله بالعلم ولكنه لن يصل لنهاية علم الله الى الأبد . إذن يكون اليقين هنا هو العلم وكلما زاد الانسان عبادة ازداد يقينا فيجدد العبادة لازدياد اليقين فيكون اليقين مراحل كل مرحلة تحتاج لاجتهاد جديد . ولا جرم أن هذا يناسب قوله تعالى في أول سورة النحل من ذكر يوم القيامة لأن ظهور الحقائق العلمية فيها أتم وذكر الوحي للأنبياء . ذلك لأن الوحي انما يكون على مقدار قبول نفس الموحى اليه فلن ينزل الوحي على غير من يستعد له ويقبله والا لمكان الناس كلهم أنبياء فازدياد اليقين بالعبادة يعد نفوس الأنبياء لعلوم أوسع مما عرفوه ونفوس تابعيهم الى ما لم يعاينوه من قبل . وهذا معنى ماورد ﴿من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم﴾ وذلك لأن العلم لا يكون إلا بالاستعداد له كما ذكرنا . وأما مناسبتها لما بعدها فستراه في غرضون تفسير سورة الاسراء موضعا والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير سورة النحل

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن من كتاب ﴿الجواهر﴾ في تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء التاسع وأوله تفسير سورة الاسراء)

﴿ الخطأ والصواب ﴾

صواب	خطأ	صحيفة	ل
تسع	تسعة	٢	٣
خاب	من خلب	١١	٢٢
على	وعلى	١٢	١١
الاول	الاولى	١٢	٢١
أفّ	من السنديان أو	١٧	٨
الضنوبر	ان	١٨	٣٢
شر	البالوط	٢٠	١
السبع	شئ	٤٦	٨
ضرر	السبعة	٤٧	٧
ستضىء	وضرر	٤٩	٢٦
الأبيض المتوسط	استضىء	٥٦	١١
عقابكم	والأبيض المتوسط	٦٩	٦
كما	الظلم	٧٠	٥
وإذا	وكما	٧٤	١١
والأطلال التي	وإذا	٧٥	٢
الفاتحة وستراه في سورة الرحمن	التي	٧٥	٣٤
تقبض	الفاتحة	٩٣	١٨
هلاميّه	تقبض	٩٣	٢١
فيزداد	هلاسيّة	٩٤	١٦
أعطيتني	فيزداد	١٠٦	٢٦
ما	المتى	١١٠	٣
مأمور	ما	١٢٣	٣٣
الطيور وغيرها	مأجور	١٢٤	١٦
محددة	الطيور	١٢٦	٩
ألف بيضة	محددة	١٢٧	٢٣
الذي	بيضة	١٣٧	٢٤
قوقعة	التي	١٣٧	٢٨
بلايين	قوقة	١٣٩	٥
المعدة	ملايين	١٤٣	١٠
عذاب عظيم	المعدة	١٤٨	٢٢
ملكهما	عظيم	١٥٣	٥
الغضبية	ملكهما	١٦٠	٧
كلوكان	الشهوية	١٦٠	٢٢
	كلوكان	١٧١	٣٤

فهرست الجزء الثامن من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صحيحة

- ١ سورة الحجر جميعها مشككة
- ٥ التفسير اللفظي لجميع السورة
- ٩ السورة تنقسم الى ﴿ قسمين ﴾ الأول ﴿ في بدء الخلق ﴾ والثاني ﴿ في القصص ونتائج مافي السورة الخ ﴾
- ١٠ تلخيص المعنى لهذه السورة بقلم المؤلف
- ١١ فصل في قوله تعالى - ولقد جعلنا في السماء بروجا - الخ
- ١١ العائمة والجهلاء في كل أمة لا يؤمنون إلا بما يدهشهم الخ
- ١٢ تحقيق قوله تعالى - إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين -
- الناس ﴿ ثلاثة ﴾ مفكر وجاهل وبين بين . العلوم تراد لأمرين في الدنيا الخ
- ١٤ لطيفة في أن القرآن أقرب للعلم الحديث من العلم القديم وبه وحده تعرف معجزاته كسألة عدم خرق السماء والتثامها عند القدماء و بطلان ذلك عند المحدثين الموافق للقرآن وأصبح العلم الحديث يقول ان الشهب قطع كوكبية سماوية . تحقيق الكلام على الشهب عند القدماء وعلماء أوروبا في علم الآثار العلوية من علم الحكمة نقلا من كتاب المؤلف في الفلسفة وما هو الشهاب والنيزك . والكلام على مجموعة تسمى الأسدية وقطرها مائة ألف ميل الخ
- السكرات النارية وتعريف الفرق بين آراء القدماء والمحدثين في الشهب الساقطة
- ١٥ الكلام على تفسير قوله تعالى - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي -
- دخول العناصر في النبات بالوزن وباختلاف المقادير اختلفت النباتات . الجنود وامتصاصها وان اختلاف النبات لاختلاف المقادير العنصرية وهي مخلفات باختلاف الفتحات الشعرية في جذور النبات وهذا عجب جوهرة في قوله تعالى - وأنبثنا فيها من كل شئ موزون - . لذة المأكول في الفاكهة ولذة استماع بلاغة القرآن والاقطار على هاتين اللذتين جهل من الناس بل يجب ادراك بواطن النبات من حيث وزنه الخ ذكر أن البواطن هنا ليست ما يقوله الصوفية بل هي هنا حكمة . ذكر شك المؤلف أيام الشباب في هذا الوجود وأن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ فيه ذلك الشك ثم اليقين
- ١٧ بيان ما ترجمه المؤلف من كتاب ﴿ علوم للجميع ﴾ إذ ظهر فيه معنى - وأنبثنا فيها من كل شئ موزون -
- فان الاوراق على الاشجار لها حساب منظم بحيث تكون في الفصن ورقات ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ وهكذا ولها دوائر تامة وكل دائرة تشتمل على دوائر صغيرة حلزونية فأوراق الدائرة التامة مع الدوائر الصغيرة تؤلف كسرا اعتياديا بسطه عدد الدوائر الصغيرة ومقامه عدد الاوراق ويكون بينها نسب عجيبة بديعة . إذن الله حسب أوراق النبات وجعلها متناسبة مع بعضها كما ترى في شجر الدردار والزنبق والتفاح والكتان والصنوبر ونبات آخر
- ١٨ بيان هذه النسبة بالحداب ورسم غصن شجرة التفاح رسمين رسما رأسيا ورسما أفقيا وتبيان العجائب المدهشة في الأوراق وفنائها وكيف كانت الاوراق الخمس في كل دائرة حول الغصن محاذية لنظيرتها في الدائرة الاخرى بحيث تنظم هناك خمس خطوط رأسية في كل خط أوراقه المنظمة البديعة . ثم ان الزوايا الخمس متساوية بحيث يكون بين كل ورقتين زاوية مقياسها ٧٢ درجة . فهنا نظام الحساب ونظام الهندسة وهذا هو معنى الآية - وأنبثنا فيها من كل شئ موزون -

١٩ بيان أن أهل هذه الأرض ناقصو العلم ولو كملت نفوسهم لعلوموا أن بينهم نسبة كنسبة الأوراق لبعضها وانهم قد حسبت قواهم وجعلت على مقتضى احتياجهم كما حسب ورق النبات على مقتضى نظامه وأن العقول الانسانية وقواها الى الآن لم تدرس كما درس ورق النبات من حيث نظامه وحسابه وهذا مقصود كتابي ﴿ أين الانسان ﴾

٢٠ رسم صورتين صورة زهر الصنوبر وهو مخروط ورسم الخرشوف والدورات الحلزونية فيهما خمس في كل دائرة والأوراق ١٣ وهنا بدائع الحساب المدهشة للمفكرين وبيان ثلاث جداول لأوراق النبات الدالة على أن الانسان متى عرف أوراق نباتين اثنين أمكنه أن يذكر باقي النبات بدون مذكرات أمامه فكأن جميع النبات جسم واحد

٢١ هذا من معنى قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . أوراق الأشجار أصبحت ذات نظام به يعرف مجهولها من معلومها وغائبها من حاضرها . ما معنى الأعراس في الحدائق والأشجار . وبيان أن الناس في مآثم والكون في عرس وتشبيه النوع الانساني مع ربه ومخلوقاته بقوم سجنوا في قصر ملك وآخرين في ضيافته . وفي القصر قناديل مشرقة بهيئة منظمة . ايضاح معنى هذا في الجداول الحسابية وأن الانسان متى عرف نظام الأوراق تخيل انها قناديل معلقة في عرس الكون وهي مضيئة على أبعاد متساوية فهي من جهة دوائر ومن جهة أخرى خطوط رأسية منظمة ومن جهة ثالثة أشكال حلزونية . كل ذلك تراه مرسوما . وبيان أن الناس لا يعقلون من العلم إلا ظواهره فكل هذا النظام في الأوراق لا يهتم عالم الزراعة إلا من جهة نفس الزراعة أما أنه يفكر في اسعاد الناس باظهار هذا الجلال فهذا لا يكون . إذن أكثرهم محبوسون والمفكرون هم الذين في ضيافة ربهم يشرح صدورهم بهذا الجلال وبيان أن السعادة العامة للانسان أن ينشر الجلال والحب العام في مدارس الأرض كلها حتى يصبح الناس متناسبين تناسب أوراق النبات كله ودين الاسلام يساعد ذلك في قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - . وبيان أن الشرائع انما يكون سلطانها على المتنافرين

٢٣ بيان أنواع النظام في النبات في أجزائه وتوزيعه على المناطق وعلى حاجات الحيوان ومن جهة نظام أوراقه وتوزيع الانسان على الأرض يناظر هذا التوزيع فأفراده خلقوا على هذا النظام ولكن لم يكشف الناس هذا الرأي الآن . وبيان أن دين الاسلام ﴿ قسمان ﴾ هيكل عظمي ولحم وشحم الخ . أما الهيكل فهي الاركان الخمس المعروفة . وأما اللحم والشحم والحواس الخ فهو المتمم للقسم الأول وهو جميع العلوم والصناعات فاذا لم يضم الثاني الى الأول ذل المسامون كما هو الحال الآن

٢٤ ذكر المثليين المذكورين في آخر سورة الفتح وبيان أن ضرب المثل للمسلمين في التوراة بأنهم أشداء على الكفار الخ يرجع الى فتح البلدان وقد تم انتشاره بذلك وأن ضرب المثل لهم في الانجيل بزرع نما وترعرع واستغلظ راجع لارتقاء العلم وهذا سيحصل من الآن ان شاء الله تعالى بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله . والاسلام ﴿ قسمان ﴾ ظواهر العبادات وحقائق الموجودات . والأول قد انتهى دوره الآن والثاني قد أقبل زمانه

٢٥ الملك اذا زار قرية استعنت له ثم زارها . هكذا دين الاسلام انتشر ثم ظهرت معانيه في علوم أوروبا وغيرها ثم تظهر للمسلمين في زماننا هذا وما بعده . ويكفي المسلمين (٢٠) سنة لتعلم ما أقوله لهم وفتح البلدان مقدمة وفتح العلوم مقصود . كل ذلك يناسب قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - وفتح البلدان خاف منه ﷺ في حديث ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا ﴾

والخوف منه قد تحقق فعلا بذهاب دول الاسلام قديما . وبعد نشر هذا التفسير وأمثاله يستعد المسلمون لجنى ثمار العلم ثم ان سورة - اذا جاء نصر الله - فيها الأمر بالتسبيح والتحميد بعد فتح البلدان والحمد لا يتم إلا بعلم بالمحمود . إذن علينا نحن قراءة جميع العلوم اليوم بعد أن تم فتح البلدان الاسلامية ووقف الآن وبغير العلم بالخلقوات يكون الحمد رياء منا نحن بخلاف صاحب الشرع ﷺ لأنه أفرغت عليه العلوم

٢٧ لانسبة بين فضيلة العبادة وفضيلة العلم فثانيتها أرفعهما مقاما . ازدياد المسلمين عاما دنيويا في الطبيعة والرياضة الخ يزيدهم قربا من ربهم كما اننا لم نعرف نظام أوراق النبات فيما تقدم تفسيرا للآية إلا بعد نبوغ الأمم الاوروبية في علم النبات فعرفة الله ثمرة علوم الدنيا . إذن لا آخرة إلا بدنيا منظمة . علم النبات مثلا فرض كفاية لأجل المعاش وفرض عين على القادر لزيادة الشكر وللتوحيد ولا قرب لله إلا بالعلم . العبادات في الدين الاسلامي خاصة بالمسلم والعلوم التي هي المقصودة يشارك فيها أوروبا وأمريكا واليابان الخ وستكون هذه الأمة خليفة لربها قريبا . ذكر ملخص ماتقدم وهو أربعة أمور

(١) رقى العلوم النباتية بأوروبا (٢) وبها عرف نظام الأوراق (٣) وأن الآية فيها أن الناس كالنبات على الأرض (٤) وأن الفتح ﴿ فتحان ﴾ فتح البلاد مضى وفتح العلم الآن أقبل موسمه والأول خاف منه نبينا ﷺ والثاني مأمون العواقب ونحن أمرنا بالزيادة فيه والاستعداد التام له في زماننا لا قبله . كتاب الفتوحات المسكية وأمثاله عويص على المسلمين وغزير المادة أغرق كثيرا من الأذكىاء في لججه وهذا التفسير فتح لباب الحركة الفكرية والاجتهاد فهو لحفظ التوازن مع تلك . مثل ذلك . قوله تعالى - وجعلنا لكم فيها معاش الخ - وذكر أنواع الرياح وتفاوت سرعتها من (٥) أقسام الى (٣٠٠) قدم في الثانية . وذكر سرعة قلة المدفع وهكذا وأن هذه الحركات خرائن الله . والكلام على خرائن الهواء كالرياح الدائمة المنظمة والرياح الدورية والرياح المختلفة

٣٠ الحركات الهوائية وحلول الرياح الباردة في خط الاستواء مثلا محل الرياح التي ارتفعت بالحرارة وهكذا الحركات المائية . كل هذا يشبه حلول الأحياء محل الأموات في أرضنا . كيف كانت الشهوة فينا قائمة مقام صانع الفخار من طين والغضب فينا قائما مقام النار الموقدة عليه

٣١ النبات مؤذ ونافع وكذا الحيوان . هكذا هناك جنّ ثبتت بالعالم الحديث وملائكة لآحداث شرّ وخير . بيان أن قيام الحيوان بطاعتنا أثر من آثار سجود الملائكة والعلماء منا أشبه بالملائكة والمعرمون بالشهوة والغضب أشبه بالشياطين وطرده إبليس كقلع الشوك والتباعد عن الآساد

٣٢ زيادة إيضاح لهذا المقام وبيان أن فهم ذلك يحتاج الى العلوم كلها وأن الجنة والنار يرجعان الى الاستعداد لا غير أى على مقتضى الطباع فالقوة العلمية والقوة التهذيبية لاحداهما وغيرهما للثانية

٣٣ بماذا وصف النار وبماذا وصف الجنة . فانظر كيف ابتدأ بذكر المعاش في الأرض الخ . وههنا لطائف (الأولى) في قوله تعالى - والأرض مددناها - الخ . ذكر السمك الصغير الذي كثر حتى أوقف السفينة

٣٤ خزنت يا الله في الفحيم منافع الضوء والصبغ الخ كما خزنت في القرآن علوما تظهر الآن وهما ذه فتحت خرائنه الآن (الطليقة الثانية) في الرياح والقاحها . ذكر ما كتبه في كتاب ﴿ الزهرة ﴾

جمال النبات وبهيجته في الأزهار ونظامها . خرافات قدماء أوروبا وأن الأرواح تهدي الى من تحبهم الأزهار الخ . نظم في الزهر . ثم نظم صفى الدين الخلى ﴿ ورد الربيع الخ ﴾ . تعجب المستر (جون لبيك) من جمال الزهر وان فهم الزهرة وسر الطبيعة يحتاج لصرف العمر . شجر السنط ونحوه لاجال

زهرة والرياح تلقحه والأزهار الجيلة في أشجارها أعدت للحشرات لأجل الالتصاق ثم اوضح هذا المقام
وبيان السكاس والتويج وبقية أجزاء الزهرة • غبار طلع النبات يظهر في (اسكوتلانده) كسحاب في
الجو يصيب إناث النبات • نبات فيه أوراق التويج كأنوبة لهاو بر تمتع غير النحل من الدخول
٣٧ شعر ﴿أوماترى الأزهار الخ﴾ وشعر ابن زنباع ﴿أبدت لنا الأيام الخ﴾ في الزهر أيضا
الكلام على الزهرذى الأقفال والمفاتيح والزهرذى الحراس والزهرذى الجند والزهرذى السياسة الحقيقية
والوهمية وغير ذلك من عجائب النبات

٣٨ عجيبة عن الحشرات والنحل وانها كالدول في السياسة فالذبابه تخدعها زهرة الأشراف دخلت للاستدفاء
بها فألقعتها والنحلة لا تغتر بذلك لأنها أذكي فؤادا • الزهر المنظم كالجند

٣٩ زهر عجيب محكم الترتيب • نوم الزهر • ينام الزهر ويستيقظ في أوقات معلومة كالحيوان على مقتضى
نوم الحشرات المخصصة له فكل حشرة تستيقظ في الوقت الذي تستيقظ فيه زهراتها مثل زهرة اسمها
(حنا ذهب لينام) تستيقظ في الهجرة حتى ان أولاد الفلاحين يجامون ذلك موعد التناول طعام الظهر
شعر ﴿وعلى سماء الياسمين الخ﴾ • الزهر الأسمر والأزرق خاصان بالنحل • أما الأصفر والأبيض
فيكونان لغير النحل من الحشرات • شعر ﴿زار الربيع الخ﴾ وغيره أيضا ﴿تأمل رياض الارض الخ﴾
يقول (أرسطاطاليس) ان النحلة تشرب من الأزهار التي من نوع واحد ليحصل اللقح ويقل نصيبها الخ
٤١ هذه العلوم أصل الاسلام فلم عكس الأمر • فائدة في الحلم وهي رؤيا رآها المؤلف وهي أضغاث أحلام
وقد استيقظ بسببها من النوم حفظته من البرد وكان ايقاظها له بنظام عجيب • فهذه عجائب في النفس
فوق عجائب الزهر لمنفعة الجسم • وكأن هذا خطاب من الله لنا أن ندرس نفوسنا فوق دراسة علوم
الأرض • فهذا ليس تهديبا بل هو تهذيب

٤٢ جوهرة في قوله تعالى - وان من شئ إلا عندنا خزائنه الخ - مع قوله - ونزغنا ما في صدورهم - الى
- متقابلين - • ابتهاج المؤلف أثناء كتابة هذا الموضوع • الكلام على الأجسام المتباعدة (١) كنقطة
من الزيت فوق ماء ممزوج بالسكول (٢) قطرات السدي والمطر (٣) الصودا السكوية مع الماء الحار
إذا بردت تسكون على هيئة هرمين تأمين (٤) الشب الأبيض بدل الصودا يكون كذلك (٥) الشب
الازرق بدل الشب الأبيض في العملية السابقة يكون شكل مكعب فهذه ثلاثة أشكال مصورة بالتصوير
الشمسي (٦) هكذا قطع الثلج والصقيع وسطح الماء إذا جدد بعد البحث يعرف تبلوره (٧) وأكثر
تراب الأرض مؤلف من متبلورات محلبة • تعجب المؤلف من هذه المناظر

٤٤ استمداد هذا من اسمه (الحفيظ) ويعبر عنه في الطبيعة بكلمة (جاذبية الملاصقة) قوة الجذب وقوة
الدفع وقوة الملاصقة لولاها لتبددت هذه العوالم لأن الفضاء لانهاية له وهذه الجاذبيات في المادة تشبه
امتياز المجرمين من الصالحين في عالم الأرواح • وهكذا نزع الغل من القلوب يوجب الاتحاد كنظام
جاذبية الملاصقة فنظام العالم أولا وآخر واحد • أكثر الناس عصى عن هذا الجلال

جوهرة في قوله تعالى - واذا قال ربك للملائكة - الى قوله - من الغاوين - وموازنته بلغز قابس
في أن جهل الخير والشر هو سبب شقاء الناس • قصة آدم كررت في القرآن ونصف النوع الانساني يؤمن
بأكل آدم من الشجرة والشجرة هي معرفة الخير والشر فمعرفة الخير والشر السطحية وهي الشهوات
الحاضرة أوقعت الناس في المرض بتعاطي الطعام الضار مثلا ونفس هذا العمل هو المسمى في لغز قابس
عدم معرفة الخير والشر • إذن عمم الله العلم ونشره فعند المتدينين بذكر الشجرة والأكل منها وعند

الفلاسفة جهل الخير والشر . إن الناس ﴿قسمان﴾ حكماء سعداء وجهلاء أشقياء ذكر ﴿ثلاثة أمثلة﴾ للضرر الناجم من تعاطي شجرة معرفة الخير والشر في الناس (١) ان قوى الانسان كشمعة ذات أربع فتائل الخ (٢) في القمح (١٦) مادة يتكوّن منها اللحم ولما نخلوه أذهبوا أكثر المواد منه ولوأكلوه برمته منع الامساك وقوى أجسام الفقراء وسعدوا بأكل القمح كله والأغنياء أضربهم الافراط في نخله

٤٨ نتيجة هذا المبحث . الناس أكثرهم في غفلة وهم مقلدون والعالم والطبيب لا يمتازان عن الجهال في التقليد . الانسان الأول أكل الثمر والحب فصبح جسمه . والانسان الثاني اتبع اللذة فرض جسمه . والانسان في المستقبل يعرف بعامة الضرر والنافع بالعموم فيصبح جسمه لأن العلم اليوم لا يزال ناقصا ﴿المثال الثالث﴾ ما يزاله الناس من أكل السكر الصناعي والفش في الدقيق والبن والاكثر من اللحم وتعاطي الخمر والتبغ والشاي وهكذا . كل ذلك يرجع لمعنى الأكل من الشجرة وللجهل الخير والشر . كيف كانت حال المؤلف عند قراءة هذا الموضوع . وأن ثنية من ثنياه كادت تقلع . ولما ترك السكر والقهوة الخ ثبتت الى الآن مع انه لم يعلم أن السكر ضار بالثة . ذكر ما قاله ابن خلدون من أن أهل البادية أصحاء وأهل المدن اتبعوا اللذات فأضربتهم . عقاب الله للناس أكثره على الجهل . الناس في قلوبهم مرض الجهل فزادهم الله مرض الاجسام وذلك الحياة

٥١ غش البن بالآجر أى الطوب المحرق وبالرماد والبن الأخضر يصنع من نشارة الخشب والرمل وحجر تصنع منه أقلام الرصاص . الزبدية كلها مغشوشة إذ يحتمل البارودى الكيماوى والملح والخل والبن والمشروبات الغازية فيها زرنبيخ ومواد سامة وماؤها قذر ومحال صنع الحبز مظامة وماء الحجين قذر وفي الدقيق نوع من الأشجار وهو الطلق . خطابي للأهم الاسلامية وأن الله لا يغفر لنا جهلنا فيعاقبنا في الدنيا على جهلنا بنظامها كما حصل لى أنا ولسكل انسان . وجوب التفتيش على كل صغيرة وكبيرة وعقاب كل غاش . واذا صلى المسلمون جماعة فالجماعة في أمور الحياة أولى لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب والناس مشتركون جماعات في دينهم ودنياهم

٥٣ عموم الغش في المدنية الحاضرة وفي هذا معنى حل الأمانة في الآية أى غشها كما في القاموس خطاب لقارئ التفسير أنه اذا كان في المدن فليخبر في بيته لأن أغلب الخبز ضار ﴿القسم الثانى﴾ يذكر الله هنا ﴿قصتين﴾ كالدليل التاريخى على ما تقدم قصة ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام وقصة أصحاب الحجر

٥٤ فاذا كان أمر الدنيا والآخرة متمنا كما تقدم فالنتيجة أن خلق السموات والارض بالحق الخ جوهره في قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - ليس التوسم في قوم لوط كافيا اليوم فليتفرس العامة في أحوال المسامين . موازنة بين أمم الاسلام اليوم وأمم الفرنجة بطريق الفراسة الخاصة بالتوسمين أما أمم الفرنجة فهى (١) جمعوا الكهرا بء اليوم تذيع الخطب والأنباء والقصص والأغاني والموسيقى (٢) فيسمع المصرى اليوم مغاني برلين وأمريكا وهو في داره (٣) ويفكر القوم اليوم في اذاعة الكهرا بء من محطات خاصة بذلك كما يقوله (فيليبس توماس) وقد جرب ذلك . الطرق التي يبحثها القوم اليوم لنقل الكهرا بء وهى إما أن يبنى برجان قريبا من القطبين والكهرا بء تذاع منهما وإما أن تبنى أبراج على الجبال العالية لهذه الغاية . تجري الطائرة ألف ميل في الساعة بطريق فسكروا فيه ولم يتم . وهو أن ترتفع الى أعلى الجو ولا تأثر للجاذبية عليها وتنزل متى حاذت الموضوع الذى تريده (٤) وهكذا التلفون

الأتيرى به رؤيت الأشباح وسمعت الأصوات يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٨ فرأوا شابة وسمعوا صوت الآلة التي تعزف عليها . أما أم الاسلام فانهم اذا رأوا جميع الرجال والنساء في أوروبا وأمريكا تعلموا فعلهم جميعا أن يتعلموا مثلهم وتزداد الثروة بازدياد العلم وبسبب الاسلام ترقى القوم كما تقدم عن (سديو) الفرنسي . سياحة أمان الله خان ملك الأفغان وزيارته لمصر أيام طبع هذه السورة . وهو يريد رقى بلاده والدين يطلبه وعلماء الاسلام اذا أدركوا ما نكتبه الآن في هذا التفسير وأمثاله ساعدوا فينبغ في المسلمين نابغون لم يكن لهم نظير لأنه ينضم الى العلوم العقيدة فيكونون أرقى من هذه الأمم وان خذل علماء الاسلام هؤلاء الداعين كأمان الله خان هلكت هذه الأمة الاسلامية (لاقتل الله) إن المعادن في الارض بأكثر بلاد الاسلام لم تستخرج والله لا يعطل المنافع لأجل جهل المسلمين فان فهموا ما نقوله ارتقوا وان تقاعسوا فليس الله معطلا ملكه لأجلهم

٥٩ خطاب المؤلف لأمم الاسلام وذكر أنى قردان والدود فجعل الله الدود آكلا لنباتنا لأن الحيوان أرقى ولكن أبو قردان أرقى بسمعه وبصره الخ فأكل الدود التي لا سمع لها ولا بصر ولا تنتفع بالشمس . فليحذر المسلمون أن يكونوا كدود والأمم كأبى قردان . جوهرة في قوله تعالى - ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم - الى قوله - للمؤمنين - وذكر حديث ﴿ انظروا الى من هو أسفل منكم الخ ﴾ عجائب الفلسفة اليونانية والرومانية وكيف أتى بها وبخير منها القرآن وهذه معجزة للقرآن . موازنة بين هذه الآية الآمرة بترك زينة الدنيا وبين حكم (أبيكتاتوس) وكان عبدا برومه وملخص حكمته ﴿ أمران ﴾ الصبر على ما يؤذينا وعما فاتنا . وهنا ذكر (٢٦) حكمة من حكمه مثل ان مافى قدرتنا هو عواطفنا وكل ما هو خارج لائتملكه كالأهل والصيت والمال والولد فلنجعل كل ذلك ودعة عندنا فاذا أخذنا وجب ألا نسبأ به وأن نصبر وبهذا تكون الحرية . فأما الاتسكال على الامور الخارجة عن طاعتنا فهذا هو الاستعباد . ومثل ان الناس أشبه بداخل الحمام . فسكنا أن من في الحمام يوطن نفسه على كل نازلة تنزل به هناك هكذا من في هذه الدنيا كلهم معرضون لما لا يملكون . الحوادث لا تحزن والمحزن هو مانحسب به في نفوسنا من الحوادث وليكن الانسان مستعدا لنزول البر من سفينة الحياة في كل لحظة لاسيما كبير السن وهكذا

٦٣ ان الخير المحض هي الحكمة والشر المحض هو الجهل . هذه الحكم تناسب آيات كثيرة مثل - فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه - الخ ومثل - يحسبون أننا نمدهم - الخ

٦٤ ذكر أن العرب في الجاهلية كانوا لا يعرفون هذه الحكم . وأفضل ما أثر عنهم حكم زهير بن أبى سلمى مثل ﴿ ومن يصانع الخ ﴾ وحكمة (أبيكتاتوس) كانت مخبوءة لأن الفلسفة حرمت بسبب الشريعة النصرانية . إذن هذه معجزة للقرآن جاءت حديثا مصداقا لقوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - الخ

٦٥ سورة النحل وهي ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ آيات القسم الأول مشكلة الى قوله - ما يؤمرون -

التفسير اللفظي لهذا القسم الى قوله - أفن يخاف كمن لا يخاف - الى قوله - إن الله لغفور رحيم -

٦٦ كلام عام بقلم المؤلف ملخصا لمعنى هذه الآيات كقوله خلقكم من نطفة وأودعكم في الأرحام وجعلت أعضاءكم مفصلة الخ . وبيان أن أكثر المرجان في البحار والسفن في يد الفرنجة

ايضاح آية - وهو الذي سخر البحر - الى قوله - لعلكم تشكرون -

وذكر أن شواطئ بلاد الجزائر مقسمة عشرة أقسام يحصد قسم من المرجان فيها في كل سنة ولا يصطاده

إلا الاوروبيون ورجحهم عظيم الخ . صورة المرجان شكل (٨) وله ثغور باسمه . تفسير بقية الآيات من قوله - والله غفور رحيم - الى قوله - ويفعلون ما يؤمرون -

٧٥ البلاغة . موازنة ما بين معلقة طرفة بن العبد ﴿ لحولة أطلال الخ ﴾ وأول هذه السورة . فهنا ابتداء السورة بخلق الانسان والحيوان والنبات الخ وهناك يقول ﴿ إن محبوبتي أطلالها ببرقة الخ ﴾ وهكذا مبدأ قصيدة زهير بن أبي سلمى الذى لا يتعدى بيت أم أوفى والدمنة التى لا تتكلم والأرض الغليظة وبقرة الوحش والظباء الخ

٧٧ هذه السورة تشبه ما قبلها وهى مقسمة الى حكمة وموعظة ومجادلة . تعريف هذه الثلاثة . فالحكمة ترجع لنظام هذه الدنيا من أسفلها الى أعلاها وهى تسمى النشوء والارتقاء اليوم وعند آبائنا دائرة الوجود . وشرح دائرة الوجود المشتملة على مملكة المعدن والنبات والحيوان . حث المسلمين وتوبيخهم على ترك هذه العلوم . رسم دائرة منظمة عليها نظام العوالم فهى دائرة أولها آخرها ﴿ ملك . عنصر معدن . نبات . حيوان . انسان . أنبياء . ملك ﴾ وهكذا

٧٩ رسم دائرة أخرى كبيرة أعظم وأكبر . بيان تقصير الأمة فى هذه العلوم وانهم قديما حاربوا العلماء كابن رشد فسلبهم الله ملكهم وعلمهم . ايضاح بعض كلمات الدائرة مثل خضراء الدمن الخ

٨٠ ذكر النخل والحازون والقرد وهى من تلك الدائرة . تعريف الأنعام والبهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح والحشرات . تبين أن آية - ويخلق ما لا تعلمون - بعد ذكر الأنعام والبهائم ليدلنا أن الكهر باء تقوم مقام الأنعام تارة من الابل والبقرة الخ ومقام الحمار والبغال الخ تارة أخرى . إن الكهر باء تقوم مقام الابل والخيول والبغال والحمار فى توصيل الأخبار وأيضا أصبح الانسان بذلك يتكلم بالهاتفون ويرى المتكلمان كل منهما صورة الآخر . والكلام على العالم (فلطا) الكهر باءى وبطاريته والعمود الفلطاى . اشراق النفس الانسانية تمثله الكهر باء والمغناطيس . تاريخ الكهر باء من مبدأ طاليس اليونانى فى القرن السادس قبل الميلاد ثم (ثيوفواستس) اليونانى ثم (بلينيوس) الايطالى سنة ٢٣ (ب م) ثم الشاعر الرومانى (لقرينوس) ثم الصوفى وهوجابر بن حيان العربى وهكذا علماء الصين منذ سنة ٢٦٣٤ ق م عرفوا الابرة المغناطيسية ثم اهتموا بها فى البحر سنة ٣٠٠ ب م والعالم غلبت الانجليزى ثم كولون الفرنسى ثم كلفانى الايطالى ورسم (رصيف فلطا)

موازنة بين كهر باءية المادّة واشراق نفوسنا . جبال الماطقة الثانية . وذكر ست فرائد (الأولى) استخدام الكهر باء فى الزراعة . المستر (مانيور) إذ استعملها (٦٧) استعمالا فى مزرعته مثل حلب البقر ودرس القمح وعمل الدريس والزبدية وتربية النحل والتدفئة والطبخ . وهكذا الكهر باء تزيد بيض السجاج وأسرع فى ظهور الأزهار . عجائب الأنوار الربانية . وصف هذه العوالم الدنيا بأنها جميلة بل الأرض كلها كهر باء متجمدة . المرقب الذى لا سلك له . أدهش اختراعات العصر واختراع مرقب لاسلك له يرينا الأشباح عن بعد وهو (التليغريون) الذى ينقل الأشباح المتحركة بجميع دقاتها وهذا الاختراع قارب الانتهاء

٨٧ (الفريدة الثالثة) غرائب التلغراف والتلفون الذى لاسلك له وستنقل الرسائل كما هى قريبا طبق الأصل (الفريدة الرابعة) الفلاحة والكهر باء . الفلاح عندنا وعندهم . الفلاح فى أوروبا فاق أجداده أربع مرات وصناعة الحديد تضاعفت عشر مرات وصناعة الورق أضعافا مضاعفة . تقسيم أعمال الحقل الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أعمال ثابتة ٣٠ فى المائة من العمل وأعمال نقل ولها ٢٠ فى المائة من العمل

- وأعمال في الحقل لها (٥٠) في المائة من العمل وإيضاح ذلك كله
- ٨٨ (الفريدة الخامسة) السيارة التي تسير في الصحراء وفوق الجبال وتسمى (سفينة الصحراء) شكل ١٠
اخترعها ألماني وقطر عجائتها (١٥) مترا لتسير على التلال وفي الأرض الوعرة جدًا
- ٨٩ (الفريدة السادسة) السفر في الهواء . رسم البالون (شكل ١١) وسفينة الهواء (شكل ١٢)
والطيارة المسماة (ألواح الهواء) شكل ١٣ والطيارة ذات الألواح الواحد (شكل ١٤) . كل هذا
اجمال تفسير قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - . بيان ما اخترعه الناس للسير بعد العصور الأولى
وهي عربات النقل وعجلات يركبها الناس والسيارات الخ . بيان السير فوق الماء وفي الهواء
- ٩٢ (اللطيفة الثالثة) في ذكر عجائب الأشجار كشجرة الأروم قطراتها كثيرة والشجرة الباكية في جزائر
(كناريا) يملؤن منها جرارهم . نبات الأباريق يحيي المسافرين في القفر بمائه وذكر أشجار في
غابات أمريكا يشرب منها المسافرون
- ٩٣ حكاية مصرية في النبات الذي جعل من رآه في الصحراء (التي لاماء فيها وقد أرواه) رجلا صالحا
مستغرقا في العبادة والتقوى . وحكاية الذي رأى صورة النجوم في الماء فترك الاضرار بالناس
الدّر والمرجان وأن الدّر مضى في الفاتحة وستراه في سورة الرحمن . جزائر المرجان . حيوان يشبه
المرجان وهو الهيدار . القطع المقطعة من جسمه يصبح كل واحد منها حيوانا تاما
- ٩٤ اشراق النور في المرجان . أنبات المرجان أم حيوان . المرجان ومسكنه . الحياة الفردية والحياة
الاجتماعية للمرجان . جزائر المرجان ينبت فيها شجر النارجيل فيكون مليحاً للطيور والطيور تحضر
البذور من أقرب الجهات اليها فتكسي جلايب سندسية . وهذا الانتقال كانتقال السلم من اليونان
الى العرب فأوروبا الأقرب فالأقرب
- ٩٥ (اللطيفة الخامسة - وبالنجم هم يهتدون -) . صورة غير المتقدمة للمرجان (شكل ١٥)
- ٩٦ هذا العالم كجسم واحد . (اللطيفة السادسة - وترى الفلك مواخر فيه -) . الحرارة في هذا العالم
أشبه بالحرارة في الانسان الخ . الشمس والرياح . الرياح التجارية . الرياح التجارية الضدية
الرياح القطبية . الرياح التجارية . زيادة ايضاح - وترى الفلك مواخر فيه الخ - . الناس
يعومون ولا يعلمون غالبا لماذا يفرقون . وكيف يسير الانسان على الشوك وعلى الزجاج في الماء ولا
يسيل منه السم . ولماذا لا تغرق ذوات الأربع اذا غامت كما يفرق الانسان
- ٩٨ لماذا يعوم الوز العراقي والبط أسهل من عوم الانسان ومن عوم ذوات الأربع . وبيان أن هذا كله
راجع لمسألة (أرشميدس) . وأن رأس الانسان أثقل من جسمه ورؤس ذوات الأربع أخف من
جسمها الخ والأوز والبط لم تعط منفاخ السمك لأنها تنزل الماء لتنزهة والسمك يعيش فيه فاحتاج الى
ذلك وهكذا . كل هذا تفسير قوله تعالى - وترى الفلك مواخر فيه -
- ٩٩ البلاغة في مشاهد الطبيعة وفي لسان العرب
- ١٠٠ (اللطيفة السابعة) الظلال . الموعظة الحسنة . المجادلة بالتي هي أحسن
بهجة الجبال في قوله تعالى - وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه - . صورة الفراشة (شكل ١٦)
ذكرى أيام الشباب وحيرة المؤلف وحنه على جهله بهذه العوالم ونظامها ورأيه الآن وإيقانه بالحكمة
كمثل مسألة حشرة أبي دقيق هذه المرسومة وفيها ألف ألف وخمسمائة ألف بيت كل بيت فيه كيس مملوء
هواء أو مملوء مادة ملونة وكلاهما يظهر بهيئة جميلة

- ١٠٣ بيان أن هذا الوضع منظم متناسب في بيوت حشرة أبي دقيق مثل وضع النجوم في السماء . في الحشرات ﴿نوعان * أحدهما﴾ يعيش في البرازيل زاهي اللون وله سلاح يمد به أعداءه وهو المادة البشعة النظم والرج ﴿وثانيهما﴾ يشبه شكلا وسلاح له
- ١٠٤ فوائد الألوان في الطب (١) الأزرق منشط (٢) البنفسجي يمنع الأرق (٣) الأصفر منشط منه الخ
- ١٠٥ اللون الأصفر يفيد راحة في أسقام الزكام والشلل والأمراض المزمنة وهو مضر بالحيات بهجة العلم في قوله تعالى - وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها - . بيان أن الانسان من عالم متأخر جدا سل الناس تجد أكثرهم لا يقدرن نعمة الهواء والبخار قدرهما مع أنه لولاها ما عاشوا على الأرض هما شفافان لا ينعان أشكال الأجسام ولا ألوانها وأحجامها . ولولا الهواء لم يكن جفر ولا شفق فتشرق الشمس وتغيب بغتة ولون السماء لا يكون إلا اسود . جو الكواكب ذوات الذنب أطف من هوائنا ألف مليون مرة الخ
- ١٠٧ تذكرة في قوله تعالى - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين - وأن المؤلف اعتراه مرض نفارت قواه فزن على بعض الذرية اذا مات هو وعلى تقيم طبع هذا التفسير
- ١٠٨ منظر الأشجار والمزارع والشمس والأرض والانسان . خيل الى المؤلف في مرضه أنه يرى ورقة شجرة القرطم وأعجبه ثم تعجب من هذا الإعجاب ثم خيل له قائل يوضح له سر هذا التعجب ثم ان الحشائش المؤذية في الأرض خلقت لمنفعة جزئية والناس يهلكونها لأجل زرعهم للمنفعة الكلية هكذا الأخلاق الشائنة لبقاء الأشخاص ولكن التهذيب يجعلها للمنافع الكلية
- ١٠٩ جمال العلم وانشرائح صدرى في مرضى ومنظر الشمس والأرض وأسنان نوع الانسان في عالم الخيال . الله لا يشغله الأمر العظيم الكلى عن تدبير الأمر الجزئى فهذا من علم اليقين الذى هو أرقى من الايمان ثم شفى المؤلف فكتب هذا تذكرة له ولغيره عند الموت . هذا لمناسبة قوله تعالى - الذين تتوفاهم الملائكة طيبين - الخ
- ١١٠ وقد مرض المؤلف في زمن الشباب فسكان خزنه على الحياة أنه لم يعمل عملا يوازي ما انتفع به من أهل الأرض والآن يحمد الله على ما قدر له من عمل للمسلمين على قدر الطاقة ذكر كتاب التفاحة المنسوب لأرسطو وملخصه أن الحياة بعد الموت تكون على نسق الحياة في الدنيا كل هذا بمناسبة آية - سلام عليكم ادخلوا الجنة الخ - ﴿التذكرة الثانية﴾ - فاسألوا أهل الذكر - العلوم ﴿قيمان﴾ قسم مبرهن عليه وقسم هو كتب الأولين والأول نظير المعجزات والثاني نظير الكتب السماوية . ذكر كلام الفيلسوف (سنتلان الطلياني) الذى اثبت أن قراءة الفلسفة العربية لا بد منها ومن تاريخ مباحث الأمم القديمة وأن الفلسفة الحديثة لم تزد في معرفة أصل العالم والنفس والله عن معرفة المتقدمين وقد أقر بهذه الحقيقة العلامة (سبنسر) . وبيان أن دعوى صغار أهل العلم في مصر وغيرها أن وجود موجد العالم بسبب رقيهم في المعارف يكذبها فلاسفة أوروبا في عصرنا
- ١١٤ ﴿القسم الثانى﴾ الآيات القرآنية مشكلة من قوله تعالى - وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين - الى قوله - وبشرى للمسلمين - . التفسير اللفظى لهذه الآيات
- ١٢٠ بيان أن هناك أرضين يظن انها ٣٠٠ مليون ويظن أن فيها دواب لأنه هنا لم يجعل الدواب خاصة بالأرض . النبات رأسه ساجدة والحيوان راكع فهو أقرب الى السجود
- ١٢١ بيان أن هذا الانسان اعتاد أن يفسر شكر النعمة التى طلبها فناها كالاعتاد على التدخين بالتبغ وعلى

- شرب الشئ الخ وهذا قوله تعالى - ثم اذا كشف الضر عنكم - الخ
- ١٣٢ الكلام على آية - ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم - وبيان أن حب الآباء للذكور وحدهم يستوجب فناء الانسان اذا عم هذا القانون لأن التعبير هنا بقوله - ما ترك على ظهرها من دابة - مناسب لما قررناه بخلاف آية - لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا - وهذا من أعظم أسرار القرآن وأبدع البلاغة والحكمة
- ١٣٥ الكلام على قوله - من بين فرث ودم لبنا خالصا - وبيان اختلاف الحيوان في الحركات . وصف عام للحيوان . وصف معنى - وانظر الى حمارك - . وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر الطير مختصر من الأنعام . الحيوان ﴿ قسمان ﴾ مستقل ومستعبد
- الظلال . ايضاح الطير وانه مختصر من ذوات الأربع الخ والبيض وحضنه بدل الحمل والولادة
- ١٣٦ صورة أحشاء الطيور (شكل ١٧) وشرحها وموازينها بأحشاء الأنعام فان لها أربع معدات مرسومة (شكل ١٨) نظام الهضم في معدة الانسان وأمعانه المرسومة (شكل ١٩)
- نظرة عامة في القنوات الهضمية . وقد أعطيت الأنعام أربع معدات لتقوم بدل طبخ الانسان وخبره لطعامه . إذن كل حيوان يعطى ما يلائمه تبع المصلحة
- ١٣٨ هنا وحدة في الوجود . اختلاف في الطرق واتحاد في المقصد . وهذه قاعدة عامة في هذه الدنيا . التناسل يحصل مما فضل من الدم فيتحول الى نطفة تكون ولدا كما تحولت الفضلات الغليظة الى سماد ينمو به الزرع . اللبن وانه كان أولا دما أو هو بين الدم في عروقه وبين الروث في مؤخر الدابة
- ١٣٩ الحشرات أجسامها متخلخلة المسام الخ والحيوانات الكبيرة ذات جلد غليظ الخ . وتعريف الأنعام والبهائم الخ . وبيان أن البقرة أعجب خلقه من الفيل
- ١٣٠ اختلاف الحيوان في الحركات . ما يرحف وما ينساب الخ وأعين الحيوان اثنان فأكثر الى (٤٠٠) الى (٢٧) ألف عين . وطبقات العين ورطوباتها عشر والشبكية تسع طبقات آخرها مؤلفة من (٦٠٠) مليون خلية الخ
- ١٣١ التجب من هذه البنية الانسانية من زجاج في عينيها ونظام بدعي في منحنى . الكلام على آية - وانظر الى حمارك - ووجوب علم التشريح . واذا أمر العزيز بفهم العجائب في جسم الحمار فالعجائب في الانسان أولى . واذا أمر الأنبياء بالتشريح لينالوا اليقين فنحن أولى وأولى
- ١٣٢ فصل في وصف فقرة واحدة من فقرات الظهر
- ١٣٣ ﴿ الوجه السادس ﴾ في الطير وانه متزن الجانبين طولاً وعرضاً الخ وكيف يضطرب في طيرانه اذا تنف أحد جناحيه لفقد الموازنة وهذا الوزن في الطير كالوزن في رقبة الجمل
- ﴿ الوجه السابع ﴾ النعامة وتقسيمها بيضها لثلاثة أقسام والكلام على السجاج والحمام والبط والعصافير . ساعد ذكر الحمام أثناءه بخلاف الديك والسجاجات . والتأسف على أمم تتابعته الى قبورها وقد أكلت الحمام والسجاج وهي لا تعقل حكمها
- ١٣٤ ﴿ الوجه الثامن ﴾ الحيوان قسمان مستقل وغير مستقل كالغزال والعنز
- ١٣٥ بيان أن هذا كتاب كتبه الله بحروف بارزة لا يعقلها إلا الحكماء والحروف الصغيرة بالمداد يعرفها الناس والكبيرة اختصت بخواصهم . إذن كل شئ يميزان هكذا في الأمم الضعيفة سلب الله عليها القوة فالسياسة في الحيوان والانسان واحدة وبيان أن الدفاع عن الوطن واثقاذا المستضعفين واجب

تذكر المسلمين باحتلال أوروبا مصر وشمال أفريقيا . وأن بعض الممالك الإسلامية استقلت كالأفغان والفرس وهكذا

١٣٦ ﴿ الوجه التاسع ﴾ الحشرات ومنها النمل والعنكبوت . وبيان عجائب النحل من كتابي (القرآن والعالم العصرية)

١٣٧ تفصيل الكلام على النحل . ذكر ما كتبت في كتابي (جواهر العلوم) أن الناس لا يتعجبون مما يرون في مثل بيوت النحل لجهلهم ولأنهم نشؤا فيه فصاروا لا يعجبون به . وبيان السبب في اختيار النحل الشكل المستدس وتركه المدور والمربع لما فيهما من ترك فرج ضائعة لا عمل لها والكلام على ذكر النحل واثاته والشفالة الخ

١٣٨ كيف كان صنع العسل مصحوبا بالقاح الزهر في النبات . وذكر أنواع الأماكن التي يختارها النحل والمقاطف الشعرية على أرجلها لتجمع فيها تلك المواد وأنواع النحل الأسود والأحمر الخ وكيف يموت زمن الشتاء إلا قليلا يبقى في سبات إلى فصل الربيع فيستيقظ

١٣٩ حكاية القوقعة مع النحل إذ هجمت عليها . يعسوب النحل وخطابه في محفل عام (من اخوان الصفاء) رسم بيوت النحل (شكل ٢٠) ووصف النحلة وصفا دقيقا عجيبا

١٤٠ بيان الملكتين المتشابهتين لملكة النحل وملكة الأرضة . صور ثلاثة للنحل (شكل ٢١)

١٤١ صورة لملكة النحل وحولها خدما نحو عشرين (شكل ٢٢)

صورة الأرضة المالكة وأتباعها (شكل ٢٣)

١٤٢ بيان أن هاتين الملكتين متشابهتان ﴿ احدهما ﴾ في الهواء والأخرى تحت الأرض . وكل ملكة تحكم جوعا وجوعا . ومن عجب أن الأرضة الملكة تحكم تلك الأمم وهي لا بصر لها وجميع الرعايا عمى

١٤٣ الكلام على النمل ومساكنه وجيوشه ومدارسه وجامعته . العنكبوت وهندسته في بيوته وأنه لا يخطئ في هندسته والمهندسون من الناس يخطئون . وبيان أن جسمه فيه ألف ثقب يخرج منها خيوط دقيقة تجتمع فتكون خيطا واحدا وهذه الخيوط تصير بيتا . إذن بين النحل والعنكبوت مناسبة من حيث الهندسة الخ

١٤٤ ﴿ الوجه العاشر ﴾ في قوله - والله جعل لكم مما خلق ظلالا - إلى قوله - لعلكم تسامون - مع ملخص ما تقدم . إيضاح مقام الشكر

١٤٥ أعجب ما ذكر في هذه الآية وبعض رموزها . الحيوان ﴿ ثمانية أقسام ﴾ أربعة منها لم تذكر في هذه السورة مع أنها كلها نافعة من وجه

﴿ الجوهرة الأولى ﴾ أن مثل الشعر له (خاصتان * الخاصة الأولى) استعداد الصوف والوبر والشعر لحفظ الحرارة في الجسم والحرير والكتان وهذه الثلاثة أقل مما سبقها . وأن المعادن موصلة جيدة للحرارة وأمثال الخشب والزجاج ونحوها فهي كالصوف . وهنا أسئلة . لماذا خلق الإنسان عاريا دون الحيوان ولم أعطى نحو القطن أيضا ولم يجعل على الحيوان قطن الخ . للريش والوبر خاصيتان الخ

١٤٦ الإنسان يفتن لجمال الوجوه ولكنه لا يفتن لجمال هذه الحكيم

١٤٨ لا يمكن معرفة معنى - تسبح له السموات السبع الخ - إلا بمثل هذا فهو تسبيح عملي . ولا نعرف معنى - الرحمن الرحيم - إلا بهذا . هيكل الإنسان وتركيبه . لم نر القلب جاور الأمعاء فلا يخلط

ولاجوار الدماغ لثلا يتعطل الدماغ الخ . هنا عدل في النظام . ثم هناك سفير الدولة الجسمية يوصل أخبارها وهو قريب من رؤساء الجمهورية في الدماغ و يقرب منه علماء الصحافة وكتاب دواوينها والأول اللسان والثاني اليد . أما الشرطيان الخاصان بالغذاء والتناسل فقد وضعا أسفل الطبقات لأنهما مأموران لا آمران والاعتكاف عليهما جهالة حقا . ولو كان المدار على قوة التناسل لكانت الحيوانات النفيسية التي لا تتناسل تلد مليون حيوان في الشهر الواحد أشرف من الانسان

١٥٠ محاورات بين الدودة والغزاة والانسان والمالك في السعادة . الدودة في التفاحة سعيدة والغزاة تحسدها على نعمتها ففسفه الدودة رأى الغزاة الخ . فهذا هو العدل الذي لا ظلم فيه وعلى مقدار ازدياد العلم والعقل يكون القرب من الله وهذا المقام يفهم معنى الايمان بالقدر وهذا يفسر المعجزة التي بين سيدنا موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف

١٥٢ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - وسراييل تقيكم بأسكم - . هل الحرب نعمة كالخرب الكبرى وهل جوارح الطير والحيات والعقارب الحاربات لنا نعمة الخ

١٥٧ ﴿ القسم الثالث ﴾ ذكر الآيات مشكلة من قوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل - الى آخر السورة وتفسير الألفاظ

١٥٩ بيان أن العدل عام في سير الكواكب وفي نظام الحيوان ولولا العدل لزلت هذه الدنيا . وبيان مقاله أفلاطون في جمهوريته في معنى العدل وذكر بعض عدل عمر رضى الله عنه

١٦٠ العدل في الجمهورية لا يتم إلا ﴿ بثلاثة أمور ﴾ طاعة العامة للجند والرؤساء وطاعة الجند لرجال السياسة العدل في الأخلاق الشخصية يقاس على العدل العام . ثم إن المدينة متى كانت منظمة كما تقدم فهي مدينة فاضلة وأقل منها حكومة الجند وأقل منها حكومة الأغنياء الخ

١٦١ هنا ﴿ ثلاث نظرات * النظرة الأولى ﴾ موازنة جمهورية أفلاطون بالعالم التي حولنا من حيث العدل وأن الخواص في الانسان والقوى المحركة بالنسبة لجسمه في القلة كرجال السياسة في المدينة بالنسبة للشعب كله . نظرتي اليوم في شارع زين العابدين

١٦٢ الناس غادون رائحون وأكثرهم يجهلون نعمة الهواء ونعمة أصغر الأعضاء كفاصل اليدين . فهل خلق هذا الجبال للعميان . كلا بل خلق الحكماء وهم قليل في كل أمة . فهم ملوك العالم وجميع أهل الأرض تخدم لهم . العدل في جسم الانسان كالعدل في المدينة . ضغط الهواء على أجسامنا من جميع الجهات وفي الداخل أيضا فتعادل القوى ولولا هذا هلكنا . الانسان يحبل ٦١ قنطارا من الهواء دائما

١٦٣ برهان العالم (المسكديري) على ثقل الهواء . وأن هذا سرّ قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - ﴿ النظرة الثانية ﴾ ملاحظته على الانسانية العامة في هذا القرن العشرين . رأيت الناس في قريتنا بالشرقية يحقرون الصادق ويعظمون الخبيث

١٦٤ المقالة الأولى والثانية من جمهورية أفلاطون لأنها تعبر عن أخلاق الناس الآن تعبيراً واضحاً وإنى سأقدم قبلها أولاً انتظام أنواع الحيوان في الأرض الخ

١٦٥ (ثانياً) ذكر قدماء المصريين (ثالثاً) أن أفلاطون إنما اشتق جمهوريته من علوم قدماء المصريين ولكنه نوع فيها (رابعاً) كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي وأنه يقول ان الأمم كلها أشبه بنفس واحدة لها أعضاء (خامساً) كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ يبحث في نظام الأمم الحاضرة ومجاسها الخ

(سادسا) نظام القرآن وهو نفس نظام كتابي ﴿أين الانسان﴾ أى أن تكون الأمم كلها قائمات بما استعدت له طوعا أو كرها

١٦٧ (الفصل السابع) ديانات الأمم مثل دين (خريستا) و (زردشت) و (بوذا) الخ وأن الكشف الحديث أظهر أن الدين وجد في جميع الآثار . إذن هو سبجية في البشر كغريزة الطعام والنفرة صادقة مخروج أناس عليها لا ينافيها الخ

(الفصل الثامن) عدل الله في اليوم الآخر . وبيان السؤال المشهور ﴿أن الله خلقنا فلماذا يعذبنا﴾ وأن الاجابة على هذا السؤال صعبة في علمنا هذا . ولكن نقول ارجع الى ما ذكرته في آخر شؤد أولفصل التفرقة للغزالي والذي فتح الله به أن تقول لك ان نظام أهل الجنة والنار كنظام الانسان والحيوان . فالعقارب والحيات أشبه بأهل النار ولا أحد يقول ان اختلاف الحيوان ظلم ولا الحيوان نفسه كالعقارب معترض على هذا النظام . فهكذا أهل الجنة والنار

١٦٩ بيان ما جاء في علم الأرواح أن الغم الذي يحس به الانسان انما يحصل غالبا من أرواح شريرة ملحقة بالجسد عند فساد هضم الطعام وأن إيذاء أمثال هذه ورد فيها الحديث . وبيان أن أرواحا عاصية طلبت دخول الجنة فقبل منها ولكن منها استعدادها ونقصه وأن المنقطعين للعبادة مع قدرتهم على النفع العام معذبون باتفاق الأرواح وكلام علماء الاسلام . روح نزعت شرورها لتدخل الجنة فأغشى عليها فأرجعوا لها قوتها الشريرة ثانيا

١٧١ التكلام على المقالة الأولى والثانية من كتاب السياسة لأفلاطون وشرح مقالة العدل وأن الجور ليس سعادة والسعادة في العدل . بيان قياس أخلاق الشخص على نظام المدينة

١٧٥ أنواع الاحسان وانه يعم سائر الأعمال الدنيوية والأخروية . مزايا هذه الآية . ختام السورة بالحكمة والموعظة الخ والكلام على العهد

١٧٦ تذكرة عامة لسورة النحل وايضاح لما سبق

١٧٧ نظرة عامة في هذه السورة . إن الله خلق الأم وجعلها للرافة والأب وجعله للتربية العقلية والعملية هكذا الأرض أمه الكبرى والله أوسع علما من الأب فأُنزل له الموقظات من الحوادث وجعل في مقابل كل نعمة نعمة . ففي مقابل الأنعام الآساد وفي مقابل النحل والحيوانات الذرية النافعة جسمه والنبات والحيوانات الذرية (المكروبات) القتالة وهكذا وذلك ليستخرج قواه وملسكته فاذا كانت الأمم يساعد بعضها بعضا فالحروب تقع بينها . واذا كان أهل المدن يتعاونون فيكم قضايا ومشاكل تقع بينهم وهكذا مودة الأقارب يتخللها الحسد . كل ذلك لا يقاط الانسان

١٧٩ رسالة منسوبة لأرسطاطاليس أرسلها لالاسكندر في السياسة تبين ما تقدم وملخصها أن الأمم اذا كانت تعيش في راحة وترف ونعيم ضعفت أجسامها وعقولها فنحصدتها الأمم حصدا وتذل والأبناء الذين نالوا المال عفووا بالانصب يذهب منهم سدى ولا يحفظونه وبعكس ذلك الذين حصلوه بتعب وهكذا الممالك المأخوذة بنصب والمناصب تدوم وثالثتها والعكس بالعكس . وعلى رئيس المدينة أن يقوم الأشرف بالحياء وأهل الدناءة بالخوف ثم نصيح الملوكة بنصائحها يدوم ملكهم وهي ثلاثة

١٨٢ من هنا تبين أن النعم لا بد معها من الموقظات من الحوادث وهي أيضا نعم . وهذا سر قول المسلم في الصلاة ﴿فلك الحمد على ما قضيت﴾

بيان أن النعمة والنعمة مقرونان بحكمة في سم الحيات ولحمها وكذا العقارب والحيوانات الذرية المحدث

للتيفوس وللطاعون واللكوايرا فسم هذه كلها ترياق وهي تحدث السم • وبيان التجارب الثلاثة التي ذكرها (أندروماخس) • ﴿ الأولى منها ﴾ أن الفلاحين في أرضه وجدوا الخمر الذي أحضرها لهم فيها أفعى مہرأة فسقوها لمجدوم سيموت فبرئ ﴿ والثانية ﴾ أن أخاه المساح عند الملك لدغته أفعى فشرب من ماء فيه أفعيان مہرأتان فشفي حالا وهكذا ﴿ الثالثة ﴾ أن ابن الملك شرب السم ولكن الأفعى لما لدغته لم يؤثر فيه السم

١٨٤ بيان عموم نظام العدل في عالم المادة وعالم الأرواح

(تمت)

